



الْحَوْزَةُ الْعِلْمِيَّةُ لِدَاةِ الْيَزِيدِيَّةِ

HAWZA OF NAJAF LEADER IN INNOVATION



مَوْسُوعَةٌ

الْحَمَامَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُطَفَّرِ

الْمُجَلَّدُ الْأَوَّلُ

الْمُجْتَهِدُ الْمُحَدِّدُ

الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُطَفَّرِ

١٣٢٢-١٣٨٣ هـ

تَأَلَّفُ

الرَّيْزُورِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُطَفَّرِ



الْحَوْزَةُ الْعِلْمِيَّةُ الرَّادِيَّةُ النَّجَافِيَّةُ
HAWZA OF NAJAF LEADER IN INNOVATION



مُؤَسَّسَةٌ
لِلْعِلْمِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ رِضَا بْنِ طَهَرَ

المُجَلَّدُ الْأَوَّلُ

المُجْتَهَدُ الْمُجَدِّدُ

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ رِضَا بْنُ طَهَرَ

(١٣٢٢-١٣٨٣ هـ)

تَأَلَّفَ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ رِضَا بْنُ طَهَرَ



موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره)

الكتاب: المجتهد المجدد.

تأليف: الدكتور محمد جواد الطريحي.

الإشراف العام: اللجنة التحضيرية.

التدقيق اللغوي: مصطفى كامل / عمار كريم السلامي.

الاخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدي.

التصميم: محمد قاسم عرفات.

الطريحي، محمدجواد محمدكاظم كاتب، ١٩٥١-
موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره / تأليف الدكتور محمد جواد الطريحي. -الطبعة الاولى -
[كربلاء، العراق]: العتبة العباسية المقدسة: مؤسسة بحر العلوم الخيرية، ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦.
١٠ مجلد: صور ٢٤ سم. (الحوزة العلمية رائدة التجديد)
المصادر.
المحتويات: المجلد ١. المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢-١٣٨٣ هـ) - المجلد ٢. عقائد الامامية
- المجلد ٣. شرح كتاب المكاسب للشيخ الانصاري: البيع والخيارات / اعداد وتحقيق جعفر الكوثرياني العاملي -
المجلد ٤. اصول الفقه - المجلد ٥. المنطق - المجلد ٦. الفلسفة الإسلامية / اعداد السيد محمد تقي الطباطبائي
التبريزي - المجلد ٧. سير وتراجم نجفية - المجلد ٨. من وحي الفكر: مقالات، خطب، دراسات، حوارات -
المجلد ٩. ديوان الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢-١٣٨٣ هـ) / محمد رضا القاموسي - المجلد ١٠. البحوث
المشاركة في المؤتمر الدولي حول التجديد في فكر الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره).
١. المظفر، محمدرضا بن محمد بن عبدالله، ١٣٢٢-١٣٨٤-الاثار العلمية. 2. المظفر،
محمدرضا بن محمد بن عبدالله، ١٣٢٢-١٣٨٤-نقد وتفسير. ٣. العلماء المسلمون-الشريعة الامامية-تراجم.
الف. العنوان. ب. السلسلة

موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر رحمته

اعادة قراءة سيرة الرجال ضرورة معرفية وثقافية، لا يمكن التنازل عنها او تركها، فالأمم التي تريد الرقي والتقدم تبحث في تاريخها ورجالها الذين احدثوا تغييراً ملموساً في واقعها وحفروا في ذاكرتها معالم الحركة والتقدم الصحيح، لم يُخلد التاريخ اي رجل او اي مدينة، سوى الغنية بتراتها ومجدها وحضارتها، ومن النادر ان يُخلد الرجل بمدينته، والندر ان يُخلد مندجاً معها وكأن المدينة اعطته من حضارتها وهو اعطاها من فكره، واي شرف عظيم تشعر به وانت تعيد ذاكرة المدن والشخصيات التي بثت في الناس روح الايمان والخير وعمارة الانسان، وليس من السهل الامام بمدينة عريقة، زودت البشرية بالخير والصالح لمدى قرون طويلة، حتى كانت مختلفاً للأنبياء والدعاة والمصلحين، فأرض الكوفة وسماؤها الواسعة وتربتها التي تحتضن مئآت العلماء والمصلحين، هي حضارة كاملة ينشدها العارف ويقصدها العالم ويتزود منها الطالب، ويرتوي منها كل ظمآن، أرض عامرة بالعلم والمعرفة والصالح منذ القدم، ومصدر كبير للمعرفة الانسانية والدينية، اختارها امير المؤمنين عليه السلام عاصمة لدولته الاسلامية ايام خلافته المباركة، واهتم بها الائمة الاطهار عليهم السلام من بعده، وشهرتها مما لا تخفى على احد، واهمية مسجدك المبارك (مسجد الكوفة) شاهد على ذلك، والجفاف الاشرف بشكل عام هي ارض مقدسة، ومثوى الصالحين ومنطلق الدعوات الالهية، وحاضرها اليوم استمدته من الامس، هذا الحاضر العلماني الشهير لم يأتِ اعتباطاً، فهجرة الشيخ الطوسي رحمته العلامة البارزة في هذا المضمار، تكونت حاضرتها العلمية الشهيرة منذ تلك الفترة والى يومنا هذا، فسميت مدارسها الدينية وحلقاتها الدراسية بالحوزة العلمية، كانت بدايات

التأسيس تأخذ انطباع الحفاظ على الفقه والحكم الشرعي بعد الشيخ الطوسي تثقل لأكثر من قرن، بعد ذلك فتح الباب العلمي على مصراعيه السيد ابن ادریس الحلي، وبلغ التقدم العلمي أيام العلامة الحلي في مدينة الحلة اوجه والتي تقع على مسافة قريبة من مدينة النجف، واستمرت الحركة العلمية في هذه المدينة الى ما بعد القرن الحادي عشر الهجري، وبعد ذلك شهدت الحوزة العلمية في النجف الاشرف تطوراً وتقدماً وتجديداً كبيراً جداً، وبرزت اسر علمية تمتد عراقاتها الى سنوات طويلة، والكثير منها باق الى يومنا هذا، خذ مثلاً أسرة آل بحر العلوم واسرة آل المظفر واسرة البلاغي واسرة آل الحكيم واسرة آل الطريحي واسرة آل ياسين واسرة آل شبر وغيرها من الاسر الجليلة التي لها آثار مهمة في مدينة النجف الأشرف، وهذا غيض من فيض فإن الاسر العلمية لا يمكن لهذه الصفحات ان تحتزنها كلها لعراقة تاريخها وسعتها، فهناك من أحصاها ووصل الى اكثر من ثلاثمائة اسرة علمية، وما تزال هذه الاسر تمد الحركة العلمية برجال كبار مهمتهم حفظ الدين والشریعة ومواصلة التقدم العلمي، والاحاطة بهذا التاريخ الكبير للحوزة العلمية لا يكون سهلاً ابداً، فكل واحد من هذه الانوار والكواكب يجعلك تتيه به ويأخذ منك وقتاً طويلاً ، فكل ثمرة من هذا البستان الرائع لا تشبه اختها، وكل ثمرة لها مذاقها وعذوبتها، الا ان ما لا يدرك كله لا يترك كله، والقليل افضل من الحرمان، ولكي لا تضيع هذه الانوار على الاجيال اللاحقة التي لم تعاصرها، وحفظاً لجهودها وابرأزاً لنورها سعت العتبة العباسية المقدسة متمثلة بقسم الشؤون الفكرية الى جنب مؤسسة بحر العلوم الخيرية لإحياء ذكرى تاريخ الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وبالتحديد اخذت جانب التجديد فيها، فثبت الاختيار على شعار (الحوزة العلمية رائد التجديد)، فجاءت النتيجة ان يقام مؤتمر دولي في كل سنة يتناول تاريخ وسيرة وانجاز وتجديد علماء الحوزة العلمية، فاختارت اللجنة العلمية المشرفة

على المؤتمر المجدد الشيخ محمد رضا المظفر رحمته شخصية المؤتمر الاولى كونه احد رجال التجديد في الحوزة العلمية في عصرنا الحالي، جاء هذا الاختيار بعدما قدم الشيخ المظفر تاريخاً علمياً كبيراً وحركة تجديدية لا ينكرها احد، بدأت من حركة جماعة العلماء الى تأسيس منتدى النشر ومدارس المنتدى التي ولدت منها كلية الفقه، التي كانت في وقتها معلماً علمياً وحركة تجديدية كبرى، خرّجت هذه الكلية جمهرة كبيرة من كبار العلماء والكتاب والباحثين في سماء الحركة العلمية لعصرنا الحاضر، كما اهتم بإعادة طبع المؤلفات التي تغني المكتبة الاسلامية والعلمية بعد ان اخذت المصادر العلمية بالاختفاء والشحّة مما يسبب صعوبة وصول العلماء والباحثين لتلك المصادر المهمة، الى جانب ذلك فقد سعى الشيخ المظفر لإعادة قراءة المناهج الدراسية في الحوزة العلمية، ولدت هذه القراءة كتاب المنطق وكتاب اصول الفقه وكتاب عقائد الامامية، هذه الانجازات الكبيرة التي قدمها الشيخ المظفر مع ثلة كبيرة من العلماء والمفكرين آنذاك شكلت حركة علمية في تاريخ الحوزة العلمية ومدينة النجف الاشرف، فكانت حركة بثت روح العلم والتجديد في نفوس طلابها واساتذتها، فبرز اسم شيخنا المظفر في اكثر من مكان وراح يؤسس ويفكر ويخطط لمشاريع كبرى ولو امد الله بالعلم الطويل لكتب اكثر ولأنتج اغزر، ولكن هذا الموجود هو خير كثير وعمل مبارك وجهد مشكور، لا يمكن لأي باحث ودارس وعالم ان يتجاهله، وحفظاً لثراث هذا العلم الكبير ولإنجازاته الهامة اخذت الامانة العامة للعتبة العباسية متمثلة بقسم الشؤون الفكرية والثقافية ومؤسسة بحر العلوم بجمع تراث العلامة المظفر واخراج المخطوط منه الى النور بحلة جديدة وجميلة ضمت كل نتاج الشيخ المتوفّر بعد بذل الجهد في استحصاله وترتيبه وتدقيقه، وجمع هذا النتاج الكبير في موسوعة كبيرة تسهلاً على الباحثين مراجعة تراث العلامة المظفر وتحليداً لذكراه بطريقة علمية، ويسجل هذا الاحتفاء بسجل الاعمال الهامة التي

تكشف عن اهمية دراسة حياة العلماء والمفكرين في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، واعادة بث سيرة العلماء الاعلام، واظهار فضلهم ومكانتهم الحقيقية التي تخفى على الناس، وهؤلاء العظماء هم احق بالتخليد من اي فئة من الناس، فبهم تحفظ معالم الدين وبجهودهم تعرف الناس دينها، بعد ان قدم كل واحد منهم مجهوداً كبيراً وتاريخاً عريقاً، من اجل ايصال الدين بصورة صحيحة وبث العلم بطريقة لطيفة خدمة لشريعة الله عز وجل، وهذا هو الاخلاص الذي تمتع به علماءنا الاعلام، وهذه الذكرى شاهد صدق على ما نقول، فرحم الله العلامة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر وجزاه الله خيراً عن الاسلام والمسلمين لما قدم من انجاز كبير واعمال كبرى للعلم والدين، ونسأله تعالى ان يمد في اعمار الباقيين من الاعلام السائرين وفق منهج ايصال الدين بحكمة ووعي، فانه ولي ذلك.

اللجنة التحضيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَّعِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

المقدمة

تستند المقومات الأساسية لحياة الأمم والشعوب على المبادئ والرجال ولذا وجب الاهتمام بالبحوث المعنية بحياة الأعلام والمفكرين في ضوء دراسات بناء الشخصية للوقوف على الملامح العامة والخاصة ومعرفة ظروف النشأة ومقومات التربية في مراحلها والسلوك الاجتماعي والفردية حيث تتجلى بمعرفة السيرة الشخصية معالم الأفكار، والرؤى، والنزعات التي أثرت في تكوين الآراء ومتبنياتها وأبعاد المسار الفكري، والمنهج العلمي المتبع في الكتابات والمؤلفات والنتائج التي وصلت إليها.

وقد أكدت الدراسات المعنية بهذا الخصوص على أهمية هذا الاتجاه لأن معرفة الشخصية بمثابة التعريف الدقيق لظاهر الإنسان وباطنه عن طريق الميول وتصورات التفكير والاعتقادات حيث تتركب من الجوانب الوجدانية، والعقلية ويدخل في حسابها مواصفات العمر والبنية والحركة والتصرفات المتعلقة بالأخلاق والآداب والخواطر من القيم والأفكار والخبرة والعادات والتقاليد.

وفي محاولتنا للوقوف على معالم الشخصية العلمية للمجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر تذكّرنا وما اتّصفت به من صفات ومواهب وكفاءات أهّلته بأن يحتل موقعا متميزا، حيث يعدّ من القلائل الذين أدركوا مسؤوليتهم العلمية في تناسبها مع حجم عطائها الفكري للظروف الزمنية التي عاشها، والملكات التي وهبها الله له فكان بحق صاحب منهج ومبادئ ورسالة في الإصلاح والتربية وبقدر ما تحمله من المعاناة والأزمات، كان يقينه بالله وإيمانه بالحق معينه الشر الذي أمده بالصبر وقوة الإرادة لينال بغية الهدف السامي حيث حالفه النجاح فيما خطّط له من البرنامج الذي سعى جادا لإنجازه علما وعملا، وبذل في سبيله تضحيات كبيرة حول تطوير مناهج الدراسات للعلوم الشرعية وإعداد مقوماته كيانا بمؤسسات خالدة وجيلا من طليعة تلامذته ومقررات دراسية

وتتميّز بدور الريادة في عصره وفهم مقاصد النهضة الحديثة والوعي الهادف من حركات التجديد والتنوير لمعالجة القضايا التي تهم أطروحات الفكر الإسلامي، سواء ما تعلّق منه بدراسات علوم الشريعة الإسلامية في الفقه والأصول والعقائد والفلسفة والتأريخ والأدب، أو غيرها.

وإذ تعود بي الذاكرة إلى ما قبل عقود خلت، ويومها كان الزمن النجفي زاخراً بالعطاء المعرفي الذي يطلّ من خلال نوافذ عدّة كالمجالس العلمية والندوات الثقافية والمجلات والصحف وسلاسل ثقافية هادفة، وما يصدر من مطبوعات تحفل بمواضيعها بالبحوث والدراسات الرصينة والكتب التي تصنّفها أقلام أعلام في فروع من التاريخ والتراث والأدب والنقد والترجمة وفي علوم الفقه والأصول والتفسير^(١) وغير ذلك..

وبقدر ما كان الطابع العام لوصف الحالة الثقافية في العصور الوسطى بالحقبة المظلمة فإن - والحق يقال - طلائع النهضة الحديثة التي واكبت حواضر العراق مثل كربلاء وبغداد والبصرة والموصل، كان لها التأثير الواضح في المسار الفكري تقليداً وتطويراً.

إلا أن مدينة النجف الأشرف (وريثة مدرسة الكوفة) حافظت على تميّزها بحكم مكانتها الجامعة بين قدسيّتها ومركزيتها كونها عاصمة الحوزات العلمية وباحتضانها المدارس العلمية والمكتبات لدراسة العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية فيها، حتى أُمست محطة أنظار العالم الإسلامي والعربي في الإبداع والتفوّق بما تواكب به حركات التنوير وما تحمله من آفاق التجديد وتبني الحركات التحرّرية الذي كان له الأثر البالغ في ميدان التحرّر الذهني وانطلاقه لتطوير الفكر الفقهي والأصولي وولادة الخطاب الديني الذي يحاكي رغبة الشوق لاستيعاب وفهم المتبنيات العقيدية والأخلاقية.

(١) راجع معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة إلى النجف حتى الآن لمؤلفه الشيخ محمد هادي الأميني الصادر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، مطبعة الآداب وقد أحصى (١٨١٥) مطبوعاً صدر عن مطابع النجف في حينه.

وحين ندلف إلى آفاق (الموسوعة المظفرية) فإن أهميتها تنطلق من خلال ما شهدته ساحة الثقافة الدينية من العطاء الفكري حين أقدم الشيخ المظفر بتأليف كتابيه المنطق وأصول الفقه وما قدّمه في بحوثه الرائقة بمجالي الفلسفة والتاريخ بما يمثل فتحاً كبيراً في حينه زماناً ومكاناً، كمرحلة مهمة في بناء العقلية الأصولية يضاف إلى ما حققه مظفرًا في مؤسساته (جمعية منتدى النشر وكلية الفقه) وملحقاتها من المدارس والتي دامت إلى اليوم تحكي جميل الذكر واستذكار قصص المحن التي ابتلي بها شيخنا تفتت مواسياً بشأنه هذا لخاصة حملة مشعل الفكر والمبادئ الخيرة في كل زمان ومكان.

ومن نافلة القول أن الشيخ تمتّع بشخصية جذابة وجاه علمي عريض، فكان حقّه أن يتوّج بعنوان (المجتهد المجدّد)، فقد قضى دورة حياته مؤمناً غيوراً وفقياً مجدّداً وأصولياً ماهراً وخطيباً وكاتباً وأديباً ومجاهداً صلباً وفي كل مضمار سلكه وفضيلة قدمها، كان همّه الإصلاح وتقوية شوكة الإيثار والتضحية الصادقة والإيثار الجاد ولا أدل على إخلاصه وصدق نواياه بما حاله من حضوره - في جيله والأجيال بعده - مقترناً بأهبة التقدير والإكبار بحيث كانت وما تزال شخصيته وسمعته تغطّي مساحة من المنتديات كان فيها مضرب المثل في الرجال الصفوة الذين يجتمع في شخصيتهم الهمّ والهمّة بالعمل والإنتاج الثمر والرؤى الإيجابية في مواجهة مجتمع يشهد التناقض السليبي إلى حد ما! ^(١) الذي عاشه رحمه الله مع سماحة الطبع ورقة العاطفة وأسلوب الحوار الهادئ والأريحية والصبر الجميل.

وفي حين تولّيه مهام رئاسة جمعية منتدى النشر فقد كانت تعد من معالم النجف

(١) وللمظفر هنا قوله: ما زلت أنعى على نفسي وعلى بلدي ظاهرة ملتوية مشجية وهي آنا معاشر المسلمين والنجفيين بالأخص أمة بكاء تحيد الأسف حيث لا ينفع الأسف، فنهب من غفوتنا مذعورين بلغاء في القول شعراء في الرثاء عندما نخسر من رجالنا الأفاضل من كان يجب أن نرفع بيعه - العصد - في حياته وأن نضعه في منزلته اللائقة به من تكريم ورعاية وحذب وعناية وكنا وهو حي بين ظهراني لا نكيل له بصاعه أو (نشعر مجتمعا السادر) بما له من حق الشكر والتقدير من أمته إذا لم نجرؤ فنغمز قناته غمطاً لحقه واستهانة بكرامته. انظر سير وتراجم نجفية للمظفر الكنز الدفين: ٢٣٥.

المنظورة لنشاطاتها وشهرة بنايتها الملاصقة لجدران الصحن الحيدري المطهر، وللمكانة العلمية والجاه العريض لإدارتها وأعضائها وسمعة ندواتها ولطلاب كلية الفقه ونباهتهم وما كان يصدر من مؤسساتها من صحافة وكتب قيمة.

وفي ضوء ما تقدم بدأ التطلّع يتوهج في نفسي للاقترب أكثر من هذه المؤسسة والبدء بجمع مصادر الدراسة عن هذه الظاهرة الرائعة التي تحظى بالمهابة والتقدير والتعرف على التجربة الناجحة في ضوء المخاض الصعب الذي عاشته في مراحل تأسيسها خاصة وقد مهدت لتعزيز تطلّعاتي حضوري بعض المجالس^(١) التي كان الشيخ المظفر يحضرها ويلقي خطاباً في مناسبات نجفية أو ما يواصله من نشر مقالات وبحوث.

ثم عقدت العزم في الثمانينات أن أبدأ بإعداد ما يتعلق بالموسوعة المظفرية فاستفدت أولاً من مكتبة جمعية المنتدى التي كانت غنيّة بمصادرهما عن الموضوع، ولاخفت جمع المعلومات مع فريق من الأعلام الذين رافقوا المظفر في مسيرته في طليعتهم شيخنا العلامة التقي الإيرواني والعلامة السيد التقي الحكيم والأستاذ الصادق القاموسي وآخرون رحمهم الله.

وفي مطلع عام ١٩٨٢ وحينها كان رئيس الجمعية العلامة الدكتور الشيخ محمود المظفر^(٢) - أمد الله في عمره - وبعد اطلاعه بمهمة الإعداد للموسوعة وجه كتاباً من

(١) ولا أنسى ما كان يحفزني على أهمية المتابعة حضوري مجلس المرحوم طيب الذكر الشيخ مسلم الجابري ١٣٣١ - ١٣٨٣ الذي كان ينعقد يومياً بالكوفة بسبب أن الجابري رحمه الله قضى دور معاناته الأخير بمرضه فيها وكنت حريصاً على الحضور بخدمة جدي المغفور له الشيخ كاتب الطريحي طاب ثراه وكانت أمسيات رائعة كل ليلة تحضرها طبقات علمية ومن صحبه في المنتدى، وفي طليعتهم الشيخ المظفر والسيد التقي الحكيم والشيخ جواد قسام والشيخ الوائلي والسيد جواد شبر والوجهاء الأكارم من آل القاموسي وغيرهم من الأفاضل الأعلام - رحمهم الله - ولا أزال استذكر وأؤكد فيما يتكرّر الحديث فيه كل ليلة عن موضوع المنتدى وصور المعاناة ورؤى الطموحات للمستقبل وبجزني الآن أن تلك الفترة لم تكن قد توفرت - باليد - أجهزة التسجيل والتصوير لتوثيقها.

(٢) قدر لي التوفيق بمباركة أستاذنا العلامة الدكتور المحمود دام عزه حين المباشرة بطبع كتاب

الجمعية لي وللأخ الأستاذ الباحث البارع حامد المؤمن حفظه الله معلناً تبني المشروع بناء على القرار المتخذ من الجمعية المنعقدة جلساتها بتاريخ ٢٠ - ٢ - ١٩٨٢ وإنشطة العمل بنا وعليه فقد أقدمنا بهمة عالية وتصميم طموح.

وبعد أن حكمت الظروف في العراق بقسوتها وما فرضته الأقدار الطاغية على هدم البنية الثقافية والاجتماعية للعراق، فقد توليت الأمر على عاتقي وازدادت إقداماً وعزماً ولم يفت بعضدي متابعاً رغم المحن السود ثم الهجرة طيلة ما يزيد على ثلاث عقود من الزمن، وقد جهدت وجاهدت طويلاً لجمع ما يخص الموضوع من مختلف المضان في مسيرة بحث وتنقيب لاستفادة آية شاردة وواردة بين رفوف المكتبات الخاصة والعامة وفي ثنايا ملفات صفراء وصحف ومجلات قديمة ونفسيات مختلفة الطباع وفوائد مستفادة من أفواه الرجال في مدن العراق وخارجه؛ آملاً في الحصول على أثر مما سطره يراع ساحة الشيخ المظفر رحمه الله من كلمة أو خطاب أو دراسة بمناسبة أو تفسيرات مختلفة لمواقف وغيرها. والله المنة بالتوفيق لاستيفاء الأعم مما يخص التراث المظفري^(١).

وكم كنت خلال المدة السالفة أتحدث مع نفسي بالتوفيق الذي حالني صابراً حيثما يرسمه مستقبل هذا العمل الذي أقدمه برجاء الإخلاص لوجه الله تعالى حتى لاح

عقائد الإمامية بعد تحقيقه سنة ١٤١٧هـ حيث وردت رسالته الكريمة في ٤/ ١٠/ ١٩٩٥ التي تضمنت: (أقدر كل التقدير ما تفضلتم فيه من الاهتمام بشخصية المرحوم عمنا وعمكم الراحل الشيخ محمد رضا، وإن دل ذلك على شيء فإننا يدل على حسن أرومتكم... وقد سرتني ما ذكرتموه من قيامكم بتحقيق كتابه «عقائد الإمامية» مع كتابة مقدمة، ولا شك أنها ستكون مقدمة ضافية ووافية ومحيطة بحياته فأنتم من أقرب الناس إليه، وأكثرهم اتصالاً به ومعرفة بجهوده وآثاره...).

(١) لم تتوفر كافة المجالات والصحف - في الوقت الحاضر - غير هذه الإضامة التي استطعنا درجها بالموسوعة خاصة وأنها ترقى إلى ثلاثينيات القرن الماضي، وبالمناسبة أود أن أقدم امتناني للأخ الكريم الشيخ أمير كاشف الغطاء لصبره ومتابعته بتقديم الوافر في إغناء المنشور فألف تحية لمعرفه وطوبى للخزانة النفيسة مكتبة الإمام كاشف الغطاء التي يرفعها بهمة والده الفاضل الشريف دام مجده.

ميموناً بتصدي العتبة العباسية المقدسة في كربلاء المشرفة للنشر، مقترناً جهدها المبارك بعناية ومشاركة معهد العلمين للدراسات العليا في النجف الأشرف حين تنادوا بينهم بهمة عالية بالإقدام على نشر وطباعة الموسوعة المظفرية؛ ليتوّج بها افتتاح المؤتمر العالمي بإحياء الذكرى المظفرية.

وفي مسك الختام أثبت للقارئ الكريم النقاط التالية:

الأولى: أعتقد أن هذا القدر الذي أقدمه يوفر - إلى حدّ ما - مادة علمية كافية تمثل فكر المظفر بما ألفه ودوّنه ونشره في الصحف والمجلات على الغالب مما عثرنا عليه فعلاً والسعي متواصل على إضافة مادة أخرى في قابل الأيام.

الثانية: أقدم الاعتذار عما يرد من ملاحظات فنيّة أو منهجية أو غيرها لأن تهيئة ما قدّمناه من هذا التراث تم إعداده في غضون شهرين أو أقل.

الثالثة: لا أحسب أن كلمات الامتنان والتقدير تكفي لوحدها في مقام تقديمها لكل الأخوة الأفاضل الذين ساهموا في بيان آية معلومة أو نصيحة، وكانوا مثلاً للوفاء وغمرونا بلطفهم وملاحظاتهم القيّمة وبالأخص الأخ الأستاذ محمد رضا القاموسي وأمثاله من ذوي الفضل داعياً المولى القدير أن يجعلها في ميزان حسناتهم وأن يوفّقنا جميعاً لأداء الأمانة لخدمة كلمة الحق إنه سميع مجيب.

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

محمد جواد الطريحي

غرة ربيع الثاني ١٤٣٧هـ

١١ / ١٢ / ٢٠١٦م

توطئة البحث

تعتمد الدراسات التاريخية الحديثة في تفسير الأحداث التاريخية ونشوء الشخصيات على دراسة المحيط الاجتماعي والجغرافي والملابس التي تحف بهذا المحيط، وبذلك تظهر أهمية الدراسة من الناحية العلمية وتتجلى الفائدة في كشف الحلقات المفقودة من التاريخ، وتنسب أمام المؤرخ والباحث مهمته في ربط حلقات الأحداث وملء فراغاتها والوقوف على نتائج إيجابية لتحقيق التكامل في الشخصية الإنسانية، فالتاريخ في حقيقته صورة من التجسيد الفعلي للخبرة الإنسانية.

وإذا نظرنا للتراث التاريخي نظرة فاحصة فإننا ندرك تماماً أنه شاخص حضاري في معرفة كيان الأمة في علاقتها بمديات الخلق والإبداع وقابليتها على تطوير بنية المجتمع بوسيلة تجديد فكر الإنسان المعاصر باعتباره قيمة حضارية تنهض بوعي التاريخ ودعوته لإنجاز عملية التغيير في الواقع المعاش.

وفي ضوء هذا المنهج لا بد أن ندرس حياة الشيخ المظفر الذي عاش عصره وهو يتمثل في ذاته وعي شخصية الأمة وتكوينها الفكري، وانطلق من حيثيات هذا الاتجاه إلى مشروع إعادة بناء التفكير بالثقة لمنجزات الوعي الجمعي للانقضاض على تركة الإحباط في صيرورة الأمة إلى واقع جديد من الانبعاث والقوة.

وإذا كان الإنسان مثلاً صادقاً لمجتمعه وهو نتاج بيئته التي عاش فيها فلا مناص أن نقف على حقيقة شخصية الشيخ المظفر من خلال ما تأثر به من مقومات بلده الذي ولد به ونشأ فيه وتربى على أديمه وانعكست على مخيله طبيعة أهله وسجايا قومه.

إن نشأة المظفر وتكوينه الذهني كان في الجامعة النجفية بما يحفها من ظروف وتعيشه

من انطلاقة وما يطوقها من حدود، ولذا فقد كان لهذه البيئة من التأثير الكبير في تكوين شخصيته العلمية ونشأته الفكرية واتجاهاته الإصلاحية.

ولا يخفى أن الجامعة النجفية تختص في دراساتها بمناهج وأساليب معينة في التدريس، حيث تعد النجف المدينة الجامعة منذ تأسيسها معهداً عالياً للعلوم الإسلامية والعربية من قدمها.

وإذا أردنا أن نعرف على مستوى الدراسة من حيث مناهجها وأسلوب التدريس ومستوى الأساتذة، فلا يكتفي الطالب النجفي عادة بما يلقي عليه في الدور الأول ولا الدور المتوسط من حياته الدراسية من غير أن ينتهي إلى الدور العالي من المعرفة، حيث يتاح له أن يبحث الموضوع من جديد وينقد الفكرة التي تلقى إليه والتي يلقيها الأستاذ على طلابه في جو مشبع بالحرية الفكرية^(١).

وفي ضوء دراستنا نأمل الإمام قدر الإمكان بسيرة الشيخ المظفر، ونقف على محطات حياته الهامة مستفيدين في توثيقها فيما أثبتناه في القسم الرابع من الكتاب من دراسات لشخصيته العلمية ومن كتب عنه أو ترجم له وما استفدناه من معلومات شخصية لمعاصريه.

وينبئنا المظفر عندما يقف ليستذكر أحد الأعلام وكأنه ينطلق من داخله ليكتب عن نفسه حتى بما اختار من عنوان (الشخصية الفذة) لمقالته التأبينية فيقول: إن لله في خلقه لشؤوناً.. فقد أودع الله تعالى في كل نفس هداها فمنحها بالمواهب الخيرة الطبيعية التي كان يسميها الفلاسفة في القديم بالملكات الفاضلة، وقد يختص الله تعالى بغنايته

(١) الشيخ محمد مهدي الآصفي مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية في النجف: ١٥. ويعد هذا الكتاب أول وأهم دراسة جادة وموفقة من تلميذه الوفي المرحوم الشيخ الآصفي وقد صدر أبان الاحتفال بتأبين المظفر حيث سد فراغاً وأفاد الباحثين.

أفذاذاً من برّيته فيلهمهم مواهب عالية يتفردون بها ويتميّزون بفضلها عن سواهم، تسمو وتعلو تلك المواهب كلّما غداها صاحبها بالعمل والتنمية حتى تبلغ حظّها الذي أوتي لها من خالقها.^(١)

ويتكلّم على آخر فيذكر عنه: وجدت من أظهر مزاياه أن الخدمة العامة كانت محبّة إليه حتى كأنها هوايته الخاصة المفضّلة فكم كان يلتذّ بالعمل لأجلها ويعاف كل اعتبارات الناس في سبيلها وينصرف بكل جوارحه إلى تفقّدها.^(٢)

وعليه سيكون منهج الكتاب في أقسام أربعة:

القسم الأول، السيرة الذاتية وفيه:

المبحث الأول: البيئة العامة في مجتمع النجف والحالة الدراسية فيها

المبحث الثاني: محيط النشأة الأسرية وتاريخها العلمي

المبحث الثالث: الولادة والنشأة

المبحث الرابع: صفاته ومزاياه

المبحث الخامس: تراثه وتلامذته

المبحث السادس: وفاته

القسم الثاني: حركته الإصلاحية

القسم الثالث: دوره المؤسساتي والثقافي والاجتماعي

المبحث الأول: المؤسسات

المبحث الثاني: الحقل الاجتماعي والوطني

المبحث الثالث: مواقفه مع أنظمة الحكم في العراق وغيره

(١) انظر كتاب سير وتراجم نجفية خطاب الشيخ المظفر في تأيين السيد علي بحر العلوم.

(٢) المصدر السابق تأيين الشيخ محمد علي الأوردبادي وعنوانها (الطليعة في نصره الحق).

المبحث الرابع: الدور الأدبي والثقافي

القسم الرابع ذكرى المظفر

(١) كلمات الرثاء والتأبين

(٢) دراسات في شخصيته العلمية

(٣) المراثي الشعرية

(٤) وثائق وصور

القسم الأول

السيرة الذاتية

المبحث الأول:

البيئة العامة في مجتمع النجف والحالة الدراسية فيها

تتمثّل في البيئة العامة للمجتمع النجفي صبغة أصالة تاريخية للمنطقة تنتمي إلى أصول حضارتها قبل الإسلام، وتمتدّ إلى عصر صدر الإسلام حيث الفتح الإسلامي ثم اتّخاذ الإمام علي - عليه السلام - مدينة الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية، وبعدئذ تأسيس جامعة كبرى لعلوم الشريعة الإسلامية وآداب اللغة العربية، وبعد التشرف بالمرقد العلوي المطهر وتواصل العلماء لزيارة النجف وبسبب تداعي الأحداث السياسية أصبحت دار الهجرة العلمية حيث استوطنها طلاب العلم لنيل بركة المعرفة الدينية بالمجاورة ثم لانتقال شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي واستقراره توسّعت الحلقات الدراسية إلى اليوم.

ومن يومها أصبحت تؤمّ حاضرة النجف أمم من أجناس وقوميات متعدّدة لتنهل من نيمرها العذب، وفي هذا التمازج المعرفي تولّدت تقاليد ومناهج وأعراف تعيش مع بعضها البعض لتخلق أفقاً علمياً وطبيعة اجتماعية ومزاجاً معيناً في إطار متميّز ومساحات فكرية بين الانبساط والانغلاق مما يخلق اختلافاً في الرؤى والأفكار المطروحة والمتبنّيات المتعدّدة بما تؤثره على الواقع العلمي من تنمية أو تطوير وتقليد أو تحديث، ولذلك كان لمستوى الذهنية النجفية رؤيتها التي تمثّلها.

وعندما مرّت القرون على تاريخ الحوزة النجفية أكسبتها صلابة وحيوية وقوّة، حيث تسنّمت موقعاً ريادياً في قرارها الذي تصوّغه المرجعية الدينية العليا في مجمل القضايا التي تهّم المسلمين والعالم، واحتلت مكانة مهمة لمشاركتها في تقرير النتائج لما

يجري من أحداث سياسية وثورات فكرية ومعالجة أزمات وأصبح لها دورها المنظور وآثاره على الواقع المعاش محلياً ودولياً.

ونخلص فيما تقدم أن الصورة التي ترسم لكيان النجف ويتأثر بها ربيها لها انعكاسها على الأفق التربوي لمن يولد وينشأ ويتعلم فيها، وبخاصة طالب العلم الديني في النجف.

ووليد النجف في الأسر العلمية يستقبل استقبلاً خاصاً، فهو وريث الآباء في المجد الديني، وهو حليف العلم في المنظور التربوي، لا يطمح في صباه بأكثر من أن يعتمر العمة السوداء إن كان علوياً، أو العمة البيضاء، إن لم يكن كذلك، ليسلك حيثنذ سلوك أجداده، وينخرط في سلك الحوزة العلمية طالباً، ليصبح بعد هذا مشغلاً ففاضلاً عالماً فمجتهداً، وهكذا كان الأمر للأستاذ المجدد الشيخ محمد رضا المظفر، فقد اعتمر العمة في ميعة صباه، وقد اشتغل فيما بعد ليبغ مرحلة الاجتهاد في أول كهولته^(١).

تلك سمة المعالم في حياة الشيخ المظفر بدأت تترعرع وتسمو وتستقر لتمثل إنساناً ثائر التفكير، وقاد العواطف، إنساني النزعة، حرّ الضمير، عميق التأثير في الأحداث الفعلية، بعيد النظر في الأحداث المستقبلية، وهو بعد في عنفوان شبابه مع العدد الهائل من فحول العلماء الأعلام.

لم يكن درب المظفر معبداً بباقات الورد، فهو يشق طريقه بمرارة ولوعة، ولا هو بمعزل عن مشكلات عصره، فهو من المآسي بصميمها من شظف العيش وحياة من الكفاف وهي سمة عامة الناس؛ لأن الجميع يعيش في مستوى يتقارب بعضهم من البعض وناقضات العصر الذي كان طابع أزماته بسبب بداية الانفتاح على العالم الآخر والتشوف إلى ما يجري فيه من تقدّم وتطوّر في أساليب الحياة وتطلّعات النخبة نحو

(١) انظر القسم الرابع الدكتور الصغير دراسات في شخصية المظفر العلمية.

رفض الواقع وتبنيّ الجديد من الثقافة العصرية وما يقابله من رفض لكل ما يمتّ بصلة إلى التغيير حتى وإن كان حسناً.

في مثل هذه البيئة الصاخبة تلاًّلاً نجم محمّد رضا المظفر لامعاً، وبدأ سلوكه مترناً، يتّجه مع دعاة الإصلاح في عنف وإصرار، ويتراوح بين رجال الحفاظ والوقار في دعة واضطراب، لا يستطيع الجهر بكلّ ما يحمل، ولا يكتّم إلّا القليل من كلّ ما يريد، حتّى اصطدم بالواقع المرير؛ فأما الانزواء والقوقعة على الذات، وأما الإصحاح بصراحة واطمئنان، وكان الخيار الثاني قدره في الحياة فانصاع إلى قدره بكلّ ما ينبغي في طياته من الجهد والعناء والنضال العريض^(١).

وفي ذلك دلالة على الأصالة العلمية التي يتمتّع بها وعرف به من الذكاء الذاتي الذي يلمسه الهواة الأفاضل من الأعلام من خلال اطلاعهم على أسرار أفكاره وخواطره والزمن كفيل في مستقبل الأيام في دراسة المعالم والآفاق والنتائج التي بلغها الشيخ المظفر رحمه الله.

البيئة الدراسية

تعد البيئة الدراسية من معالم الخلق والإبداع للإنسان الواعي لما يتلقاه من خلال حضوره مجالس الدرس وتلقّيه مفردات المعرفة والتثقيف الذاتي وتطوير المملكات والتعمق بالتخصص في باب من أبواب العلم.

وعادة يجتهد الطالب في بداية دخوله المرحلة الأولى لدراسته، فإن التوجه يكون التعلّم وما أيسر أن يجد الإنسان في هذه الحلقات المتواضعة التي تعقد في الجامع الهندي أو جامع الشيخ الأنصاري، هذا الأستاذ الذي يتعرّض بوقار وتواضع لرأي للعلامة الحليّ مثلاً في الفقه أو رأي للشيخ الأنصاري في الأصول ويناقشه مناقشة موضوعية

(١) المصدر السابق، راجع القسم الرابع دراسات في شخصية المظفر.

هادئة... وذلك الأستاذ الذي يتعرّض لرأي الجرجاني في مسألة بيانية ويتنقده بعنف أو رفق ثم يعرض لطلابه رأيه الخاص في المسألة.

وما أكثر ما نجد الطلاب يتعرّضون لشيوعهم فيما يبدو لهم من رأي عرضاً وفاقاً أو عنيفاً، ما أكثر ما يخرج هذا النقاش عن شكله الهادئ الذي ابتدأ به إلى نقاش عنيف حاد حتى يتفقوا أخيراً على وجه من الرأي أو يلتجئ أحدهم إلى أن ينزل عند الرأي الآخر.

وبجانب هذا العمق من البحث يتوسّع الطالب النجفي في الدراسة قبل أن يدخل دور التخصص من حياته الدراسية.

في دور المقدمات يمتاز الطالب النجفي باهتمامه البالغ بآداب اللغة العربية، وإذا علمنا أن اللغة العربية لم تلق من الإعراض والإهمال في تاريخها الطويل ما لاقته في القرون الأخيرة قبل عصر النهضة عرفنا بعض ما أسدته مدرسة النجف إلى لغة القرآن الكريم.^(١)

وفي الدور الثاني يتفق الشيخ والطلاب على كتاب خاص مما يتعاطاه الطلاب عادة في هذه المرحلة الدراسية فيقرأ الشيخ مقطعاً من الكتاب ثم يشرح الموضوع بما يزيل الغموض والإبهام، ثم يستعرض بعض النقود التي ترد عليه والتي تضعج بها حواشي الكتاب، ويحدّد موقفه من جميع ذلك ويستمع إلى ما يثيره الطلاب من تعليقات فيصحّ آراءهم إذا كانت بحاجة إلى التصحيح أو يتنازل عند رأيهم إذا كانت جديرة بذلك.

والملاحظ أن المدرسة النجفية شهدت تطوراً في المنهج والتجديد في الصياغة بمجال الدراسات الأصولية.

ونحن نود أن نلاحظ هذه التجربة الفكرية الضخمة التي تمخّضت عنها مدرسة

(١) الشيخ الأصفي، مدرسة النجف: ١٧.

النجف الأصولية من قبل فقهاء المسلمين من المدارس الأخرى وفقهاء القانون على اختلاف مدارسهم القانونية بعين الاعتبار لنسأهم جميعاً في تجديد المنهج الأصولي وخاصة في كتاب الرسائل للأنصاري؛ لما فيه من تطوّر البحث الأصولي وتحديد مبانيه في المدرسة النجفية ولم يقف الباحثون بعد الأنصاري عن محاولات تجديدية.

وبعد الدور الأخير للطالب النجفي على هذه الآفاق الرحبة من الفكر الإسلامي تقع مهمة التحضير والإعداد على الطالب نفسه من غير أن يتقيّد بمصدر علمي خاص، فيقوم بتحضير مادة المحاضرة قبل حضوره ثم مراجعة أقوال العلماء بالمادة الدراسية وما يصلح من الأدلة ثم يحاول أن يستخلص لنفسه رأياً خاصاً في المسألة.

فإذا فرغ من الإعداد حضر البحث الخارج ليستمع إلى توجيهات الأستاذ والبحث عن أطراف المسألة وربما يختلف الأستاذ كثيراً عن طلابه في صياغة الدليل وإعداد البحث ومناقشة الآراء والرأي الذي يتبنّاه في المسألة.

فيتعرض الطالب لمناقشة الأستاذ فيها يختلفان فيه من وجوه الرأي والبحث بعد أن كوّن لنفسه رأياً فيها. وقد يشتدّ الخلاف بين الشيخ وطلّابه في حلقة البحث فيتبلور لدى الشيخ الوجه الآخر من الرأي فيتنازل عند آراء الطلّاب ولا يفقد هذا اللون من المناقشة الأستاذ وقاره الخاص وإنصاف الحق.

ومن ذلك يظهر أن الدراسة الخارجية في النجف نحو من الإشراف والتوجيه في البحث يقوم به أساتذة متضلعون في البحث مارسوا التدريس والبحث والنظر كثيراً، وعرفوا بإصابة الفكرة وعمق النظرة ودقّة الالتفاتة وسعة الإحاطة، وتتسع حلقات الدرس الخارجي تبعاً لشهرة الأستاذ العلمية ومدى نجاحه في البيان وطريقة العرض ويتفق أن يحضر حلقة من هذه الحلقات أكثر من ألف طالب، وقد كان يحضر درس المحقّق الخراساني كما ينقل ثلاثمائة مجتهد وأكثر من ألفي طالب بين مراهق ومجتهد.

ويستمر الطالب على هذا النمط الخاص من الدراسة في الفقه والأصول والتفسير حتى يبلغ مرحلة الاجتهاد في الوقت الذي يدير حلقات دراسية.

وعندما يبلغ الطالب مرحلة الاجتهاد ويضمن الأستاذ إليه في البحث والاستنباط وصياغة الدليل والجمع بين الأحاديث ووجوه الرأي ومناقشة الأقوال بعد أن قطع هذه المرحلة الطويلة التي تستغرق أكثر من ربع قرن يشهده الأستاذ بالاجتهاد فيستقل الطالب.^(١)

وفي هذا الجو الدراسي عاش المظفر إلا أنه كان مميّزاً سواء في ما اتّصف به من جدية ونشاط وما تمتّع به من الذكاء والعبقريّة حيث توجه إلى إكمال مراحل الدراسة وأصبح مؤهلاً للدراسات العالية في مدى زمني قصير، وبدأت المعية تظهر في مجالس البحث التي تتطلب منه ذلك ليكمل شوطه في المرتبة العلمية. وهو في هذه الحال كان يشارك في كتاباته بالصحف والمجلات وفي الخطب بالمناسبات.

وقد اكتسب من محصّلة دراسته الحوزوية اندفاعاً روحياً لتبني أفكار في القمة تعنى باهتماماته لإصلاح الوضع الدراسي وضرورة البدء بها لخدمة الأجيال المقبلة على الدراسة الدينية والاستزادة من الثقافة التي يجب أن يتحلّى بها طلاب الدراسات الشرعية لتأهيلهم في التبليغ والدعوة والتخصص والتحلي بالورع والتقوى والأخلاق المرضية والتهديب في السلوك.

(١) حاولت الاقتباس مما كتبه الشيخ الأصفي في كتابه عن الشيخ المظفر لإيفائه البحث عن الحالة

المبحث الثاني:

محيط النشأة الأسرية وتاريخها العلمي

محيط النشأة الأسرية

لا شك أن الأسرة تمتلك الدور الأساسي في بناء شخصية أبنائها، فهي تمثل أول كنف يضمهم بأحضانها ويسدي لهم المعونة ويبعث في قلوبهم روح الحياة، ومنه ينطلق الإنسان في مسيرته نحو عالم المجتمع، فإذا كان الإنسان - كما يعرف - ابن بيته فالفقصد الأساسي هو الإشارة لعالم الأسرة لأنها تلعب الدور الأول في التربية والسلوك والتهديب وتنمية الكفاءات.

وفي هذا الإطار فإن الشيخ المظفر بدأ حياته يتيماً ولكن محيط الأسرة كان يوفر له الرعاية الكاملة بمستوى من الحنان والاهتمام بحيث لم يشعر أو يتأثر من خلالها بفقدانه لوالده، فأُمّه الفاضلة بمستواها التعليمي والثقافي على ما عرفت به فضليات النساء في الأسر العلمية النجفية، وتكفل الأخ الكبير الشيخ عبد النبي (١٢٩١ - ١٣٣٧) وهو من أعلام النجف وورث آباءه الأفاضل وكان على (جانب من حسن الخلق وطيب المعاشرة، فقد ملك قلوب مريديه بلذيد كلامه وجميل سيرته.....)^(١)، وقد عاش شيخنا الرضا في كنفه مرحلة الطفولة وأحسن إليه بنشأته وأعدّه إلى عمر مبكر من فتوته على أسس قويمه ومؤهلات تخلق فيه الرغبة والتشوق لأن يحتل مكانة لائقة في مجتمع النجف العلمي ويعبر المظفر عن هذه الرعاية بقوله: (كان لي كالأب الرؤوف)،

(١) ماضي النجف وحاضرها محبوبة ٣: ٣٦٧.

وقبل وفاته بستين كان قد بدأ دراسته في الحوزة وتكفله شقيقه علم التقى الشيخ محمد حسن الذي تفتياً شيخنا ظلال رعايته وتمتع بمتابعة دقيقة للتلقي المعرفي وبناء لشخصيته العلمية وتوجهاته الفكرية.

كما توفرت له رعاية شقيقه الذي يكبره سنّاً الشيخ محمد حسين الذي كان عوناً وعضداً حميماً وأخاً شقيقاً، ومما انماز به فضيلته وصيته العلمي وما كان يتّصف بطيبة ذاته المحببة لكل النفوس شأن عائلته وإخوانه. فغذاه من كرائم أنفاسه ووقف معه في مهمّاته وتطلّعاته التربوية وتوجهاته الإصلاحية وعاش همومه من أجل تحقيق أحلامه ومنجزاته الرائعة.

ومما أشار إلى هذه الرابطة الأخوية السيد موسى بحر العلوم تلميذ المظفر وهو يهينه بقرانه قوله:

إذا زان الشناء خصال قوم فمثلك من يزان به الشناء

من الحسن الزكي عليك رمز التقى ومن الحسين السيمياء^(١)

ولا ننسى العمق الأسري الممتد في آل المظفر من أعلام أفاضل وأدباء وشعراء كانت تعقد لهم مجالس ومنتديات، وإن كان المجلس الرئيسي هو مجلس الأخوة المظفرين الذي كسب الشهرة والتقدم.

والمتتبع لتاريخ النجف عن تلك الفترة يلمس أن أبناء الأسر كانوا يتلقّون أوّل ما يتعلّمونه دروسهم التربوية على منهج أهلهم وأسرهم، وكما أشرنا أن الشيخ الرضا تلقى في أسرته الخاصة ما يكفيه تماماً في بناء شخصيته، ومن أفضل صورها ما يحكيه رفيق صباه جعفر الخليلي عن تصرّفاتة وهو في دور الطفولة وكيف يشترك في بعض الألعاب بما يدل على البراءة وطهارة الضمير وحسن التربية، ولنقرأ ما يذكره الخليلي

(١) علي الخاقاني، شعراء الغري ١١: ٥٢٥.

إذ يقول: وكان للشيخ محمد رضا ثلاثة أخوة آخرين من أمّه وأبيه وكان هو أصغرهم وقد تولى الإشراف على تربيتهم وتنشئتهم أخ لهم من أبيهم هو الشيخ عبد النبي المظفر، وكانت له وجاهة بين الناس ومكانة مرموقة، فنشأ أخوته تنشأة كانت مضرب المثل بين الناس لا من حيث طلب العلم والأدب فحسب وإنما من حيث الخلق الرضي والصفاء والوفاء والإخلاص الذي كان يجمع بين الأخوة جمعاً جعل الناس يعنونهم حينما يسمّونهم (بآل مظفر) فالأسرة كبيرة جداً، وأهدافها مختلفة، وطبائعها غير متجانسة، وفيها الطيب وغير الطيب، والفاضل وغير الفاضل، ولكن سيرة هؤلاء الأخوة ونشأتهم والمثل المضروب بهم (آل مظفر) قد طغى على كلّ شيء وغطى كلّ شيء، ولم يعد أحد ينظر لغير هؤلاء الأخوة من الأسرة الكبيرة، خصوصاً وقد شقّ الأخ الأكبر طريقه في وسط ذلك الزحام من طلاب العلم حتّى بلغ درجة الاجتهاد، وأصبح مرجعاً ومن أهمّ المراجع الدينيّة.

ويميز هؤلاء الأخوة الأربعة عن بقية الناس بشرة طافحة على وجوههم، وجاذبية من نوع خاص لا يستطيع أحد أن يسبر كنهها ما لم يصاحبهم ويماهم زمناً ينتهي بعده إلى الإيمان بأنّ هذه الجاذبية إنّما هي مظهر من مظاهر الوداعة والطيبة وصفاء النفس، فقد كان هؤلاء الأخوة وحتّى الشيخ محمد علي مظفر الذي يكبر الشيخ محمد رضا والذي قد يثور بعض الأحيان وقد يغضب حين يجري ما يستدعي الثورة والغضب.

لقد كانوا نسيجاً واحداً من حيث الدماثة وإشراقه الوجه، أمّا الشيخ محمد حسين وهو الأخ الثاني للشيخ محمد حسن فقلّمَا عرفت النجف نظيره ترفاً وأناقة في لباسه، وذلاقة وظرفاً في كرمه، وكان يحسن التعبير والتصوير إذا تولى الكلام، ويحسن حبك الطرفة وإشاعة البهجة في النفوس، وله شهرة واسعة بين أفرانه لم تقل إن لم تفق شهرته العلمية والأدبية، وقد كان يرسل النكتة واضحة مرّة ومبطنّة أخرى، ولكنها لم تكن

تكدر خاطراً أو تخدش قلباً^(١).

ولهذا أشار العلامة الراحل الشيخ محمد الشيخ راضي في تهنته للشيخ المظفر مخاطباً بمناسبة عقد قرانه بتاريخ ١٤ / رجب / ١٣٥٥ هـ بقوله في قصيدة:

تربى بحجر العلم والحلم والتقوى	ثلاث خصال قد حواهنّ واحد
وأخوته للعلم والدين مأمّن	وها هم بتقوى الله فينا المحامد
إذا الحسن المشهور سيفاً على العدى	فإنّ الحسين الندب للسيف ساعد
وهذا عليّ تاجر الله رابحاً	وسوق سواه في التجارة كاسد
تقبّل فدتك النفس مني عادة	لها اللفظ جيد والمعاني قلائد

ويتّضح مما اطلعنا عليه مختصراً في أحوال أسرته الكريمة واحتضانها له مدى التأثير والتأثر في بناء النفس الكبيرة للشيخ المظفر وتقويم مسار شخصيته بما بلغه من نتائج في تحقيق طموحاته وتجسيد أفكاره وما اتسمت به سجاياه من الإخلاص والتقوى والمثابرة والبذل والتضحية، حيث يعد من أبرز قادة الإصلاح والتجديد في حقل دراسات العلوم الشرعية وخلق جيل من تلامذته وروّاد فكره في طليعة المفكرين من أعلام الدين.

(١) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم: الجزء الثاني.

أسرته وتأريخها العلمي

ينتسب آل المظفر الى مسروح من حرب المضرية العدنانية ومن فخذ آل علي عرب الحجاز، وهي قبيلة معروفة في عوالي المدينة المنورة ومنها هاجروا الى النجف الأشرف. ويحدثون أن جدّهم مظفرّاً كان من أهل العلم، أقام في النجف مدة ثم انتقل إلى حوالي مدينة البصرة فسكنها وتنسب له هناك بعض البقاع.

ينحدر شيخنا المظفر من سلالة علميّة، بسق يانع فضلها في مرابع العلم، ونما غرسها في حقل الفضل والكمال، من أسر العلم النجفيّة ونبعة من نبعات الأدب، عرفت في النجف أواسط القرن الثاني عشر^(١)... وهي كثيرة العدد، منتشرة في محلات النجف، موزّعة في كثير من المدن العراقيّة بغداد والمدينة والبصرة والقرنة وكربلاء وغيرها، وقطن بعض رجالها الجزائر في جنوب العراق، ولها بها المكانة السامية، والشأن المرموق بعين التبجيل والاحترام، وهم قادة تلك الأنحاء، وهداتهم، وأئمة محاريبهم، وأرباب فتاواهم، عنهم يأخذون مسائل الدين والسنن والآداب^(٢).

وقد كان والده الفقيه المجتهد الشيخ محمد المظفر من أعلام النجف ومراجع التقليد فيها وهو تَمَنُّ برع في الفقه وجودة التحقيق بتأليفه موسوعة جليّة - كما ألمحنا- شرح فيها كتاب «شرائع الإسلام» سَمّاها: «توضيح الكلام».

أمّا جدّه الشيخ عبد الله، فقد عرف بالفضيلة والتحصيل، إلى جانب شهرته بالزهد والتقوى والصلاح، على أنّ عصره، وما والاها، قد امتاز بنبوغ وظهور عدد آخر من أفراد

(١) وقيل في القرن العاشر الهجري. عباس محمد الدجيلي، الدرر البهية في أنساب عشائر النجف العربية ٢: ٢٩٤ مطبعة الغري الحديثة النجف ١٩٩٠م - ١٤١٠هـ.

(٢) الشيخ جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٦١.

هذه الأسرة العلمية، وبنييل بعضهم مرتبة الاجتهاد التي لا يناها إلا ذو حظّ عظيم.

ومنهم الشيخ محمد بن الشيخ حسن، من معاصري السيّد بحر العلوم الكبير، ومَن تتلمذ عليه، وكذلك الشيخ نعمة بن الشيخ جعفر، وهو من الفقهاء المتصلّعين بالعلوم الإسلامية والعربية.

ومن أشهر أعلام الأسرة الشيخ إبراهيم الملقّب بالجزائري المعاصر للشيخ جعفر كاشف الغطاء، والعلامة الشيخ أسد الله صاحب «المقاييس» وغيرهم كثير ممّن حفلت بذكرهم كتب التراجم والسيرة بما لديهم من صفحات علميّة مشرقة.

والشيخ عبد المهدي بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ نعمة عالم جليل من المبرزين بالفضل كان فقيها فاضلا عاش في العشار بالبصرة محترماً الجانب توفي عام ١٣٦٣ وشيّع جثمانه بموكب مهيب إلى النجف، من آثاره إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة.

والشيخ عبد الواحد عالم محقق له اطلاع تام في التاريخ الإسلامي له مؤلفات قيمة كثيرة والشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد الله عالم مجتهد بارع له الشافي في شرح أصول الكافي.

واليوم من طليعة أعلام الأسرة العلامة الدكتور الشيخ محمود نجل الشيخ محمد حسن المظفر عالم فاضل وأستاذ جليل القدر وهو أحد الوجوه العلمية في الأسرة، بل بقية السلف الصالح فيها وقد عانى مجاهداً كثيراً لإعادة إهاب جمعية منتدى النشر وكلية الفقه مبنى ومعنى له مؤلفات مهمة في القانون المقارن.

وفي الأسرة بتاريخها صفوة من الأدباء والشعراء وفي طليعتهم المرحوم كاظم الشيخ باقر الذي عرف محققاً بارعاً وأديباً فاضلاً ومؤرخاً دقيقاً بالإضافة إلى الأكاديمين، ومنهم الدكتور محسن الشيخ عبد الصاحب وله مؤلفات قيمة وبحوث رصينة في تاريخ

النجف وغيرها^(١).

وقد حافظت الأسرة اليوم على مكانتها العلمية ويشهد العصر الحاضر توجه أبنائها لدراسة العلوم الشرعية في أروقة الحوزة العلمية في النجف، ومنهم من أكمل دراسته الأكاديمية لتوثيق الصلة لحاضرهم بماضيهم شأن بعض الأسر النجفية التي نهضت أخيراً لتجديد شبابها وهي ظاهرة إيجابية تستحق الاعتزاز والفخر.

وكان لهذه الأسرة الكريمة صلوات وثقى ومصاهرات بأسر العلم في النجف، كآل الشيبيني، وآل الطريحي، وآل فرج الله، والسادة آل المقرّم، وآل الأعمس، وآل القاموسي، وآل بحر العلوم، وآل الشيخ راضي، وآل الحكيم، وغير ذلك كثير ممّا كان يتمثل منها كيان علمي رصين في مجتمعنا الديني.

وبالتالي فقد تطرّقت كتب التاريخ الأسري - للنجف خاصة - إلى ترجمة لأعلام الأسرة ومنها مؤلّف كتاب ماضي النجف الشيخ آل محبوبة حيث أُرّخ إلى تسع عشرة من حياة الاعلام^(٢) وتجاوزت العشرين ترجمة في كتاب معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام للشيخ محمد هادي الأميني.

وفي معرض الكلام عن الأسرة المظفرية نكتشف من آثارها نشأته شأن رفاقه من أبناء الأسر النجفية، حيث كانت لها متدييات في بيوتها، وهي في الواقع مجالس أما تنعقد يومياً أو أسبوعياً، ولكنها في حقيقتها قاعات دراسة يتعلّم بها حضارها فنوناً من المعرفة التي تصقل الذهنية ويتلقّى بها ما ينفع الدارسين بمراحل ومستويات علمية، والمظفر شأن لداته منذ عمر مبكر من عمره استفاد من نوادي النجف - وقتئذ - ومجالسها بل حتى ما كان يجري من أسلوب المباحثة في الشؤون الدراسية وغيرها بين أطراف الطلبة

(١) حيث لا يتسع المقام أعذر عن الإفاضة في الحديث إلّا ما يناسب الإشارة مختصراً.

(٢) الجزء الثالث منه ص ٣٦٠ - ٣٧٦.

بينهم أو بينهم وأساتذتهم الذي يجري عادة في باحة الصحن الحيدري الشريف، وكل ذلك يعبر عن إضافة نوعية لكل من عاش الفترة التي عاشها شيخنا، ولعلها كانت تمتاز بنهضة علمية وأدبية واسعة، ولذلك فقد وفّرت له خبرة وتجربة غنية في تقويم شخصيته.

وإذا عطفنا النظر على ما توفّر له من الندوة الأسرية في بيته حيث يعيش فيه مع إخوته الأعلام وهي - في الواقع - ندوتان:

الأولى: خاصة بين أفراد الأسرة وهي عادة تنعقد في أكثر البيوت العلمية، يجري فيها التباحث في موارد علمية وأدبية وتراثية، وقد اطلعت من خلال أحاديث عائلية أن المرحوم الشيخ محمد حسن كان عندما يعود إلى البيت بعد الانتهاء من إلقائه الدرس للبحث الخارج يلتقي مع أشقائه الكرام وتبدأ جلسة حوار ومباحثة بينهم في مسائل علمية متنوعة، وتشترك معهم العائلة بما في ذلك والدتهم الكريمة الفاضلة نظراً لانحدارها من أسرة علمية وهو أمر طبيعي يؤيده مستوى الوعي التربوي والثقافي للتربية الأسرية الذي ينطلق من البنية العلمية للمجتمع النجفي - آنذاك -.

الثانية: منتدى المجلس اليومي في دارهم حيث كان يحضره أعلام النجف وفضلاؤها فتطرح مسائل متعددة المضامين والأفكار في الفقه والأصول والتاريخ والأدب وغيرها فتتمو بذلك قابلية الشجاعة الأدبية وتبرز في أثناء ما تجري الحوارات والمناقشات مواهب وكفاءات الحضور.

المبحث الثالث:

الولادة والنشأة

هو الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد^(١) بن الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن الشيخ احمد بن مظفر الصميري^(٢) الجزائري^(٣) المظفر^(٤).

(١) فقيه جليل من أعيان تلامذة فقيه العراق الشيخ راضي ولد سنة ١٢٥٦ هـ، وتوفي مستهل ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ، برز مرجعاً للتقليد بعد وفاة أستاذه الإمام الشيخ محمد حسين الكاظمي عام ١٣٠٧ هـ، وكان ممن عاصر الفقيه الشيخ محمد طه نجف وشاركه مرجعية التقليد. كان له مجلس بحث يحضره لفيف من أهل الفضل والتحصيل العالي، جاء ذكرهم في عدد من المصادر التي ترجمت له، أولهم، وكان الكثير منهم ينحدر إلى جبل عامل في لبنان.

هذا، وكان الشيخ محمد يؤمّ مصليه في الجامع المعروف بـ «جامع المسابك» في النجف الأشرف، والذي تعاقب على إمامة الجماعة فيه أولاده الأعلام من بعده. له مكانة جليلة في قلوب المؤمنين ترجم له السيد حسن الصدر في التكملة فأفاد: كان عالماً عاملاً فاضلاً متبحراً تقياً ورعاً كثير العبادة والتواضع له كتاب توضيح الكلام في شرح شرائع الإسلام توفي في أول شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ. أعيان الشيعة ٤٥: ٢٧٩ / الذريعة ٤: ٤١٥ ماضي النجف ٣: ٣٧٥.

(٢) نسبة إلى الصيامر، وهي قبيلة في رساتيق البصرة وضواحيها، وقيل سميت باسم نهر من أنهار البصرة القديمة وعليه عدّة قرى «معارف الرجال» الشيخ محمد حرز الدين: ٢٤٦/٢.

(٣) حيث قطن بعض رجال الأسرة منطقة الجزائر جنوب العراق، فعرف بالانتساب إليها وضاع لقبه الأصلي، وأكثر آل المظفر كانوا يلقبون أنفسهم بالجزائري ولهذا اشتبه برجال آل الجزائري الأسرة العلمية النجفية المعروفة والتردد كان من السيد الأمين في كتابه أعيان الشيعة ٥: ١١٧ ورد عليه الشيخ عبد المهدي المظفر ونشر في الأعيان آخر الجزء السادس. آل محبوبة ماضي النجف وحاضرها ٢: ٣٦١.

(٤) نسبة إلى الشيخ مظفر جد الأسرة الأعلى، فقد كان فقيهاً فاضلاً، استوطن النجف الأشرف من أجل الدراسة والتحصيل الديني في حدود المائة الحادية عشرة للهجرة، ثم رحل منها إلى بعض ضواحي البصرة؛ حيث قضى فيها الشطر الأخير من حياته كمرجع ديني يقوم بواجب الإرشاد وتبليغ الأحكام، وقد أطلقت هناك على اسمه بعض البقاع، وبعض الأنهر لا تزال معروفة إلى وقت متأخر

ولد في مدينة النجف، في اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٢٢هـ، وأمه الفاضلة بنت العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطريحي^(١)، وولادته بعد وفاة والده بخمسة أشهر، فلم يقدر الله تعالى أن يظفر الطفل الرضيع برؤية والده، ولا الوالد أن يظفر برؤية ولده، فكفله أخوه الأكبر العلم الحجة الشيخ عبد النبي^(٢) (١٢٩١ -

بهذا الاسم، كدليل على تأثيره وآثاره في تلك البقاع.

لقد استمدت هذه الأسرة شهرتها العلمية واللقب من الشيخ مظفر^(الثاني) هذا، الذي ذكر أن اصوله النسبية تعود إلى أهل العوالي من العرب المضرية.

ويضيف الدكتور الشيخ محمود المظفر أن الأسرة المظفرية كما يظهر من سلسلتها النسبية انها حجازية الأصل ترجع الى حرب آل علي وهي قبيلة مضرية معروفة تسكن افخاذها الى الان في عوالي المدينة المنورة وقد كان لبعض افراد اسرة آل المظفر وهو المرحوم الشيخ يونس الشيخ احمد - وهو احد اعلام المظفرين تتلمذ على الشيخ صاحب الجواهر الكبير - اتصال وثيق بهم. وقد كانت رسلهم تستقبل قوافل الحجاج العراقيين مستفسرة عنه فاذا علموا انه في القافلة اكرموا وفادتها احتراماً وتقديراً وكان هو يحمل معه الهدايا والمؤن ليوزعها عليهم وبنو حرب بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة ومنازلهم الحجاز والمظفريون يرجعون بالنسب الى بني مسروح منهم وأضاف ان بقية سلسلة النسب للمظفر الثاني ما يلي:

مظفر^(الثاني) بن احمد بن محمد بن علي بن حسين بن محمد بن أحمد بن (مظفر الأول) بن الشيخ عطاء الله بن الشيخ أحمد بن قطر بن الشيخ خالد بن عقيل..

مقدمة الشيخ محمود المظفر ص ٩ - ١٥ لكتاب من اعلام آل المظفر مطابع دار الجمهورية بغداد ١٩٦٩. الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي، في ترجمة الشيخ محمد حسن المظفر: ٢٧، ماضي النجف وحاضرها محبوبة ٣: ٣٦٠.

(١) الشيخ عبد الحسين بن الشيخ نعمة بن الشيخ علاء الدين، من أحفاد العالم الجليل الشيخ فخر الدين الطريحي، ولد عام ١٢٣٥هـ وتوفي ١٢٩٣هـ، عالم مجتهد، وفقه شهير، من أعيان تلاميذ الشيخ الأعظم الأنصاري، ترجمه صاحب التكملة بقوله: عالم فاضل فقيه أصولي، من أكرم من رأيت من علماء النجف وأجمعهم فضلاً في كثير من العلوم النقلية، وكان يحفظ اللّمة وشرحها على الغيب، ودرّسها مرّات عديدة، له مؤلفات مهمّة في الفقه والتفسير والأصول وعلم الرجال والأدب.

انظر: ماضي النجف ٢: ٤٤٥.

(٢) أحد اعلام النجف وائمة الجماعة فيها وكان صالحاً عفيفاً طيب المعاشرة ملك قلوب مريديه

١٣٣٧هـ) وأولاه من عنايته وعطفه ما أغناه عن عطف الأبوة.

وبعد وفاته نشأ في ظلّ شقيقه آية الله المقدس الشيخ محمد حسن، فربّاه تربية دينيّة، وغدّاه من نبوغه وفضله، فنشأ نشأة حسنة، وكان الشيخ محمد حسن من أعلام الدين المجتهدين، ومراجع التقليد المبرزين، متّصفاً بالورع والتقوى؛ فهو من العلماء الأبرار، لم يناقش في ورعه وصلاحه، وللناس فيه أتمّ الوثوق... تقرأ في جبينه آثار الأبرار، وتلوح على مخايله سمات أهل الورع، يغلب عليه الهدوء والسكون، صالحاً نقيّ الضمير، طاهر النفس، متعقفاً، صادقاً في القول والعمل، وله إجازة الاجتهاد من أكثر مشايخه وله من الآثار العلمية كتابه الخالد (دلائل الصدق لنهج الحق في الامامة) و(الافصاح في أحوال الرجال الصحاح) و(شرح عبادات قواعد العلامة) في ست مجلدات، توفي في بغداد ظهر الأربعاء الموافق لليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥هـ وشيّع يوم الخميس بعده بتشيع مهيب في النجف، ودفن بمقبرة خاصّة^(١).

وفي الدور الأول لنشأته كان التأثير الكبير في توجيهه العلمي هو امتياز أسرته بالعلم والفضيلة؛ فقد فتح عينيه في بيت تعيش فيه أسرة آل المظفر المتكوّنة - بعد وفاة أخيه الأكبر عبد النبي - منه، ومن إخوانه الذين يكبرونه في السن: الشيخ محمد حسن، والشيخ محمد حسين^(٢)، والشيخ محمد علي، وهؤلاء الإخوة يسكنون داراً واحدة،

بلذيد كلامه وجميل سيرته ويقول الشيخ آل محبوبة: ادركته وهو شيخ طويل القامة كبير العمة يبدأ كل من واجهه بالسلام ولين الكلام. محبوبة ماضي النجف ٢: ٣٦٧.

(١) وأرخ وفاته شعراً عدد من الأفاضل، كان من بينهم المرحوم السيّد محمد الحلي، الذي قال:

كم للهدى بعد أبي أحمد من أمل خاب ونجم خبا
فشرعة الحق بتأريخها تنعى رجاها (الحسن) المجتبي

(٢) ولد في النجف عام ١٣١٢هـ، وتوفي ٢٣ محرم ١٣٨١هـ، عالم مجتهد عامل فذّ، مؤلّف محقّق، له في مضمار الفكر والعقيدة والتأريخ ما أغنى المكتبة الإسلامية من المؤلفات التي طبع أكثرها، وكانت له مساهمات جادة في خدمة الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت، ساهم بتأسيس جمعية المتدي وكان -

ولدوا فيها، ونشؤوا وترعرعوا في أفيائها، وتزوجوا وأولدوا بها، ولم يتحولوا عن دارهم هذه إلّا بعد أن ضاقت بهم وبأولادهم فاضطّروا إلى الانتقال^(١).

وكانت بدايات دراسته العلميّة منحصرة في ما تلقّاه على أخويه العلمين الشيخ عبد النبي، وبعده الشيخ محمد حسن، وبعد أن أتمّ مقدّماته توجّه لاستكمال مسيرته العلميّة، فحضر عند الشيخ محمد طه الكرمي الحويزي^(٢)، الذي أفاد منه كثيراً، كما عبّر الشيخ المظفر نفسه بقوله: (حضرت كتاب «المطوّل» على الشيخ الحويزي، وجملّة من علم الأصول، فاستفدت فائدة كلية، وتعلّمت منه كيف يتوصّل إلى التنقيب عن المسائل العلميّة بما كان يتوسّع به في بسط المسائل وتحقيقها، وفي خلال ذلك تتلمذت عليه في الشعر، فكان له عليّ المنّة الكبرى في تعلّم النظم حتّى اشتدّ ساعدي في ذلك كلّه)^(٣).

وبعد هذه المرحلة حضر في علم الأصول والفقه مجلس درس أخيه الشيخ محمّد حسن، كما حضر عند الميرزا محمّد حسين النائيني (١٢٧٧ - ١٣٥٥)، وكذلك كان حضوره عند الشيخ ضياء الدين العراقي (١٢٧٨ - ١٣٦١) وحضر يسيراً عند السيد جمال الدين الكلبيكاني (١٢٩٥ - ١٣٧٧). كما حضر في الفلسفة الإلهية عند السيد

وهو الاخ الذي يكبر المظفر - مع اخيه الشيخ الرضا فرسا رهان لتحقيق الاهداف ترأس لجنة المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر والقي محاضرات هامة له مؤلفات مطبوعة منها تاريخ الشيعة والثقلان والشيعة والامامة وغيرها من مصادر ترجمته الذريعة ٧: ١٢٠ و ١٢٤ / ١٤: ١٩١ و ٢٧٢ / ماضي النجف ٣: ٣٧٠ / نقيباء البشر ٦٤٦: ٢ / شعراء الغري ٨: ١٩٤.

(١) راجع جعفر الخليلي هكذا عرفتهم ترجمة الشيخ المظفر.

(٢) علامة فقيه أديب شاعر بارع ولد في النجف ١٣١٧ كانت له حلقة يحضرها من يكبره سنا لازم استاذة الشيخ الكمباني مدة طويلة واخذ عليه اثناءها اسرار الأصول والحكمة توفي ١٣٨٨. الذريعة ٩ ق ٢: ٦٤٠ علي في الكتاب والسنة للحاج حسين الشاكري ٥: ١٤٩-١٥١.

(٣) انظر سيرة المظفر بقلمه، الخاقاني شعراء الغري ٨: ٤٥٢.

ميرزا حسن البنجنوردي.

إلا أنّ عمدة استفادته كانت مواصلته لمسيرة أخيه الشيخ محمد حسن العلميّة؛ بحكم الصلة والتفاعل الروحي الذي بقيت آثاره بادية عليه طيلة حياته.

وحضر في الفلسفة وعلم الأصول عند الشيخ محمد حسين الأصفهاني^(١)، المعروف بالكمباني (١٢٩٦ - ١٣٦١)، وتأثر بطريقة هذا الأستاذ وانسجم معه في أفكاره وخواطره حتّى كتب عنه مشيراً إلى تفاصيل استفادته العلميّة وأفكاره الإصلاحية؛ حيث عبّر عن ذلك قائلاً عن أستاذه: (وكثيراً ما كان يوجي إلينا في الخلوة به من خواطره في سبيل إصلاح الحركة العلميّة والمجتمع الروحي، ولم يكن يؤاتيه - يومئذ - أن ينهض بواحد منها، حتّى خسر العلم والدين عماداً لقبّة الإسلام، وعميداً لخزان الشريعة، وخزاناً للفيض القدسي، وترجماناً للكلام النفسي، وإماماً للخلق، وهادياً للحقّ، مصباحاً للمهتدين إلى عين اليقين)^(٢).

وكذلك كان الحال بحضوره على العالم الربّاني السيّد علي القاضي الطباطبائي، الذي كان له في حياة الشيخ المظفر وسلوكه الأثر البالغ؛ لما كان يتمتّع به هذا السيّد الجليل من سيرة مثلى ونزعات إصلاحية^(٣).

وكان للشيخ المظفر في حياته العلميّة تطلّعات إلى معرفة ودراسة العلوم الأخرى،

(١) ترجم له المظفر كما في سير وتراجم نجفية أحد أجزاء الموسوعة المظفرية.

(٢) الشيخ المظفر في مقدّمة حاشية المكاسب لأستاذه الكمباني.

(٣) السيّد علي القاضي؛ عالم ومجتهد جليل، فقيه بارع من نوابغ رجال العارفين، ولد عام ١٢٨٥ هـ وتوفي بالنجف عام ١٣٦٦ هـ، وهو من رجال الأخلاق والتهذيب: انظر صفحات من تأريخ الأعلام في النجف الأشرف لولده المرحوم السيّد محمد حسن القاضي، وتأريخ دراسة الفلسفة في النجف تقديم كتاب أحلام اليقظة للمظفر ضمن الموسوعة، والسيّد محمد مجتهد في كتابه الخاص المخطوط عن هذا السيّد الجليل.

كالعروض والحساب والهندسة ومبادئ العلوم الطبيعّية والرياضية، وقد برع وأجاد فيها؛ نتيجة لما كان يبذله من جهد وإتقان وحسن تلقّي يدلّ على نبوغه المبكّر، والمعيتة التي جعلته في مصافّ العلماء العاملين الذين يشار إليهم وهو لما يزل على مشارف العقد الثالث من عمره.

كما حضر في مرحلة السطوح عند السيد محسن الطباطبائي الحكيم (١٣٠٦ - ١٣٩٠) والظاهر ان حضوره عليه في الجزء الاول من كتاب كفاية الاصول للأخوند الخراساني^(١).

وحين تسنّم المراتب العالية في دراساته الفقهية والأصولية استقل بأرائه، حيث بلغ درجة الاجتهاد والقدرة على الاستنباط واعترف له بذلك أساتذته من كبار العلماء ومراجع الدين ومنحوه درجة الاجتهاد في حدود سنة ١٣٥٧هـ لما كان يتّصف به من مزايا علميّة، ومنهم أستاذه الشيخ الكمباني، وأخوه الشيخ محمد حسن المظفر، والميرزا السيّد عبد الهادي الشيرازي^(٢)؛ حيث أشاروا إلى طول باعه وبلوغه مرتبة الاجتهاد وحصوله على ملكة الاستنباط التي تؤهّله لمصافّ الزعماء الدينيين الذين كان ينتظر لهم مستقبل المرجعيّة.

وقد عقد له بعدئذ مجلس بحث حضره لفيف من أفاضل طلبة العلم وكان فيهم من بلغ درجة الاجتهاد.

إلا أنّنا وجدنا أنّ الشيخ بسبب اهتمامه في أداء رسالته الإصلاحية، خاصّة في بذله

(١) من اوراق المظفر اعداد وتعليق محمد رضا القاموسي: ٢٢.

(٢) ولد في ١٣٠٥ وتوفي ١٣٨٢ فقيه اصولي من كبار مراجع التقليد كان ذا رأي صائب مع غور في الدليل بذوق عربي سليم قوي الحافظة أديباً شاعراً. وبعد ان تتلمذ عليه الشيخ المظفر منحه إجازة الاجتهاد. انظر معارف الرجال للشيخ محمد حرز الدين ٢: هامش ٢٤٧ مما كتبه محقق الكتاب الشيخ محمد حسين حرز الدين وقد اشار الى اجازة الاجتهاد للمظفر.

المواصل لمؤسسته جمعية منتدى النشر وما تفرّع عنها لم يتسنّ له ذلك، وبقي في فم الزمن خالداً بأثاره وجهاده وتطلّعاته إلى تقويم مسيرة العلم والفكر والعقيدة^(١).

(١) يذكر المظفر: (هذا هو التفكير الذي يبدو ظاهراً على بعض رجالنا الذين كانوا يحملون باصلاح نواقص الدراسة العلمية في معهد النجف الأشرف، فانها كانت تهدد المفكرين من اجل الحركة العلمية في مستقبل الجامعة القريب او البعيد يوم ان اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار هذا العصر الجديد فهزتها في بحر متلاطم بالميل..) محمد مهدي الآصفي مدرسة النجف وحركتها الاصلاحية:

المبحث الرابع:

صفاته ومزاياه

لقد امتاز شيخنا المظفر بالنبوغ واليقظة والألمعية والذكاء بسبب تربيته الأساسية، حيث ربّي في حجور طاهرة، ونشأ بين رجال أسرة عرفت بمكانتها العلمية وتقواها الذي فهمه القاضي والداني، ومن هنا كان معروفاً في الأوساط بالحيوية والنشاط مع سداد الرأي، ورجاحة العقل، ودقة التفكير، وإصابة الهدف في التخطيط، يقابل كلّ ذلك العفة ونكران الذات والبساطة والتواضع والورع والزهد عمّا في أيدي الناس، وقد عرف بالسيرة الطيبة والسلوك المحمود والخلق المرضي الذي حبّبه إلى عارفي فضله، ومما اشتهر به ابتسامته المشرقة المنطبعة على شفثيه رغم المحن والمضايقات التي تعمّ -عادة- حياة المصلحين ورؤاد حركات النهضة والإصلاح.

وقد عرف طيلة حياته بأنّه كان (حيّ الشعور، يقظ القلب، مرح الروح، لا يميّز بين العدو والصديق؛ لقوّة المجاملة عنده، وقلّمًا تراه يهاجم أحداً وإن أزعجه بالقول الجاف واللهجة اليابسة، وإنّ خطواته التي ترسمها على ضوء توجيه مربّيه الأوّل والثاني أورثت عنده هذه الوداعة والخلق الدمث)^(١)... وقد كان اجتماعياً إلى درجة كبيرة؛ بحيث كان يحضر المجالس العامة والخاصّة، امتاز بشخصية جذابة محبوبة من كافّة الطبقات، وقد عرف بإجاداته للطرفة التي كان يطلقها بوداعته عفو الخاطر مضحوبة بهدوء.

اجمع من أرخ له في حياته أو رثاه بتأبينه على ما كان يتصف به من السجايا الكريمة

(١) الخاقاني: علي، شعراء الغري ٨: ٤٥٣.

والخصال الحميدة وبأنه كان نسيجا وحده بل من نوادر الرجال ومن أبرز اخذانه الذين عاصروه وافضلهم فقد رزق علما وأدبا وقلما سيلا لم نقف على نظير له من غيره، وان اسرته التي افاضت عليه اكثر هذه المواهب أخسرتة مواهب أخرى منها مصادمته للرجال الذين عرفوا بسليبتهم... إلا انه واصل جهاده بصبر وجلد مع ضيق العيش وفقدان للضمان، وهذه سيرة ان دلت فانها تدل على إنسان مؤمن بفكرته موقن بصحة ما يسعى اليه عند الله في رفع راية الحق.

نشأ المظفر في بيت متواضع اتسع لأخوته الأربعة وأهاليهم، مساحته لا تعدو خمسين متراً مربعاً في محلة البراق من النجف الأشرف، وامتاز بالعفة والنجابة وبسلوك روجي ينذر مثيله معروف بالاستقامة وقوة الارادة وسمو الشخصية ولكنّه متجمل جداً في ملبسه وهيئته، باسم الثغر، منفتح الأسارير، مغتبط النفس بما يقدمه من جليل الأعمال العلميّة والثقافية والتربوية، تمازجه فتلمس طيبته ونقاءه في أوّل جلسة، وتتعرف إلى عبقريته النادرة فتحس ريادته لقومه عند أوّل وهلة، يهزه الحديث الهادف، وتأسره الكلمة الصادقة.

وكان جلّ اهتمامه التوجيه لتقويم المسيرة الاجتماعية نحو الاستقامة، وإذا ما حاولنا تقصّي مفردات حياته لوجدناه في طليعة القادة الدينيين الذين كانوا يبذلون جلّ طاقتهم في سبيل المصلحة الإسلامية من حيث شعوره اليقظ ووعيه المبكر.

وقد سرد مؤرّخوه الكثير من القصص المعبرة عن غيرته الدينية، واتّجاهه لإصلاح مجتمعه على أسس الصلاح والتقوى والعمل الديني الصحيح البعيد عن المصالح والغايات الشخصية، ومن هذا يمكن تفسير نجاحه في مشاريعه على كافة المستويات، بل إنّ ممّا يلمسه الباحث في حياته وآثاره هو إخلاصه وفناؤه في ذات الله، وحسن توجيهه ونيّاته التي لم تدخل عليها شائبة، ووعيه المبكر إلى خدمة التراث الإسلامي،

وبذله، وتضحياته الكبيرة.

ومن جملة هذه القضايا التي دلّت على سموّ ذاته وخدمته للمبادئ الإسلامية، والتي تمثّل الدعوة إلى تأسيس التيار الإسلامي في الأدب؛ حيث كان قد دعي إلى إحدى الاجتماعات الموسّعة التي كانت تعقد لإطالة الصراخ بوجه الغاصبين لفلسطين، وحينما افتتح الحفل بكلمات وقصائد، تقدّم الخطيب العلامة الشيخ محمد علي اليعقوبي وألقى قصيدة غزّاء أصبحت فيما بعد ترنيمة الشباب في ذلك اليوم لأيام وشهور... وبينما هو ينشد والمستمعون يستعيدون مرّة وأخرى، قام المظفر ملقياً بعباءته على رأسه كأنّه يشكو عارضاً وخرج من المجلس، يقول تلميذه السيّد محمّد حسن القاضي - الذي يروي هذه القصّة -: وتبعته وسألته عن السبب... وبعد الإلحاح قرأ عليّ هذه الأبيات:

أعيدوا مجد قومكم أعيدوا جديداً أيها النشء الجديد
وحوزوا بالجدود وبالمساعي جدوداً لا بما فعل الجدود
وهكذا... إلى أن يقول:

لقد حمل البريد لنا كتاباً ألا الله ما حمل البريد
بأنّ مواطن العرب استُيحت وقد فتكت بساتنها العبيد

وهنا يكمن ما أراداه المظفر من مبدئيّته الإسلامية؛ حيث يعلّق قائلاً: فهل هي مواطن العرب، أو مشاهد الإسلام وبقاعه المقدّسة وقبلته الأولى؟.. إنّما البليّة تكمن في أنّها غصبت من المسلمين وبأيدي أعدى أعداء المسلمين لتكون وكرّاً للمؤامرات، وإثارة الفتن والقلاقل في البلاد الإسلامية^(١).

ونقل لي شيعي الوالد المرحوم الشيخ محمد كاظم الطريحي (١٩٢٦ - ٢٠٠٢)

(١) القاضي: السيّد محمد حسن، صفحات من تأريخ الأعلام في النجف - القسم الأوّل:

رحمه الله أنّه عندما كان ينجز طبع كتاب «تفسير غريب القرآن» للشيخ الطريحي في المطبعة الحيدريّة بالنجف، ولدى مراجعته لبعض ملازم الكتاب أشكل عليه نصّ قرآني فيما لو كان قد طبع بصورته الصحيحة أم لا، فطلب من عامل المطبعة التريث إلى حين التأكد من ذلك، إلّا أنّ العامل المذكور كان متسرّعاً لإنجاز العمل، يقول الوالد: وكان الوقت ظهراً ومستوى حرارة الجوّ في النجف أيام الصيف معلوم، فأسرعت بخطوي نحو سوق الكتب، بعد أن عجزت عن تحصيل هذا المورد بمراجعة القرآن الكريم في المطبعة؛ حيث كنت بحاجة إلى كتاب «المرشد لآيات القرآن» وفي الطريق واجهت المرحوم شيخنا المظفر؛ وبعد أن هلّ مستبشراً داعياً إلى تناول طعام الغداء معه في بيته، فاعتذرت للسبب المذكور، فحاول الشيخ أن يتذكّر الآية القرآنيّة، فلم يفلح في حينه، ولمّا أخبرته بتسرّع عامل المطبعة، للطبع دون الاكتراث بأنّ هذا الكتاب سيصدر من مطبعة في النجف ولها سمعتها المقدسة علمياً ولا يتناسب مع ذلك ان يطبع الكتاب وبه خطأ في رسم الآية القرآنيّة، عندئذ بادر الشيخ المظفر إلى أنّه سيذهب إلى المطبعة ويحاول مع عامل المطبعة على أن أسرع إلى السوق فأجلب التصحيح من إحدى الكتب، وقد تمّ ذلك.

يقول الوالد: وعندما حصلت على المراد من الآية ورجعت إلى المطبعة توّأ شاهدت أنّ الشيخ المظفر قد جلس مع العمّال وقد تحلّقوا حوله وهو يحدّثهم، وعندما شاهدني قادماً قام بوجهي مستفسراً: هل حصلت على الآية؟ فأشرت إليه بالإيجاب، فقال الشيخ معقّباً: الحمد لله، الآن انتهت مهمّتي، وبعد ذلك أنجز المطلوب وذهبت مع الشيخ مجيئاً لدعوته في داره^(١).

وكان الشيخ المظفر محور الحركة في مختلف وجوه النشاط، في مؤسّسة منتدى النشر

(١) نفح الطيب في تأريخ النجف القريب مخطوط لكاتب هذه السطور: ص ١٥٠.

وباعثها في كثير من الأحيان، ولم يظهر على حديثه أو قلمه طيلة هذه المدة ما يشعر بأنه شيء يذكر في هذه المؤسسة إلا عندما يأتي حساب المسؤولية، فيظهر الشيخ على المسرح؛ ليتحمّل هذه المسؤولية بنفس ثابتة وإيمان قوي.

وما أكثر ما شوهده الشيخ يلقي دروساً على طلابه الناشئين، أو يلقي عليهم نصائح وإرشادات، أو يقوم بتوجيههم بنفسه في روحانية وبساطة.

ولم يعرف الشيخ حيناً من الزمن معنى للكلمة (أنا)، ولمّا يلبس هذه الكلمة من بغض وحبّ في غير ذات الله، فقد كانت نفسه الكبيرة تضيق بما يسمّى بالبغض، ولا تعرف معنى للخصومة والعداء، فاستمع إليه كيف يحدّد موقفه من خصومه؛ أو بالأحرى من خصوم مؤسّسته: (...وأنا أكثر إخواني عذراً لجماعة كبيرة ممّن وقف موقف المخاصم لمشروعنا، ولا سيّما الذين نظمّن إلى حسن نيّاتهم ويطمئنّون إلى حسن نيّاتنا).

وقلّمنا نعهد أن تبلغ التضحية ونكران الذات فيمن رأينا من أصحاب الأفكار هذا الحدّ في سبيل الفكرة التي يؤمن بها الإنسان.

وإنّ من الحرّيّ جداً إمعان القارئ في هذه الجملة الرقيقة التي تشف عن نفسيّة كاتبها الكبيرة: (ونحن مستعدّون لتضحية جديدة بأنفسنا فنتنحّى عن العمل عندما نجد من يحبّون أن ينهضوا به دوننا، خصوصاً إذا اعتقدوا أنّهم سيعطون المشروع صبغة عامّة بدخولهم، وليثقوا أنّا عمّال للمشروع أينما كنّا، ومهما كانت صبغتنا فيه، ولا نريد أن نبرهن بهذا القول على حسن نيّاتنا؛ إنّ هذا لا يهمنّا بقليل ولا كثير بعد الذي كان، إنّ الذي يهمنّا أن ينهض المشروع نهضة تليق بسمعة النجف، ويؤدّي الواجب الملقى على عاتقه كاملاً، وبأيّ ثمن، حتّى إذا كان ثمنه أرواحنا، وما أرخصها في سبيل الواجب.

وقد صرّحنا مراراً أنّنا لم نخط حتّى الآن إلا خطوة قصيرة في سبيل ما يقصد من

أهدافه).

... وكذلك كانت قصّة النفس الكبيرة^(١).

يقول الشيخ الأصفي: (وكم رأينا الشيخ المظفر يحاضر على الصفوف الأولى في مدارس منتدى النشر، ويتلقّى أسئلتهم برحابة صدر، ويدفعهم إلى البحث والدرس والتفكير، ويحشر نفسه معهم حتّى كان يبدو للإنسان - لأول وهلة - أنّه يخاطب زملاء له في الدراسة، لا طلاباً بهذا المستوى)^(٢).

وقد أثر عنه لأكثر من مرّة أنّه كان يجلس على الآلة الكاتبة عند إجازة الموظف المختصّ في مؤسسته لطبع كتاباً، أو رسالة، حيث أنّه لم يحاول أن يصاب بالغرور والخلاء، بل كان معروفاً بنكران الذات والتواضع الجمّ، كما عرف عنه أنّه لم يقبض من الحقوق الشرعيّة لتمشية أموره المعاشية، أو أن يتسلّم راتباً من الحوزة العلميّة بما يستحقّه أمثاله من الأعلام، بل كان يؤجر نفسه بالعمل عند أحد متاجر الحبوب في النجف - وما أكثرها في حينه - حيث يقوم بترتيب الحسابات ومسك السجّلات التجارية لذلك التاجر في الليل بعد غلق المحل ويتقاضى أجره على هذا العمل، وهو في بحبوحة من هذا الكسب الذي يرسخ ما كانت عليه طريقة السلف الصالح من العلماء الربانيين الذين كانوا يجمعون بين طلب العلم والعمل^(٣). وحينما أصبح عميداً لكلية الفقه إستمر الحرمان ضعيفاً ملازماً له، فقد كان مرتبه الشهري لا يتجاوز خمسة عشر ديناراً عراقياً، وإن وقع على الثلاثين أو الأكثر، فذاك تبرع لكلية الفتية الأهلية التي لا تنهض وارداتها بمصر وفاتها.^(٤)

(١) الأصفي: الشيخ محمّد مهدي، مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحية فيها: ص ١٣٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٥.

(٣) نفح الطيب، المصدر السابق: ص ١٥٧.

(٤) دراسة الدكتور الصغير، راجع القسم الرابع.

وبهذه السيرة المثلى، والأخلاق الفاضلة عاش شيخنا المظفر ليحقق أمام الأجيال نموذجاً فريداً، قلماً جاد الزمان بأمثاله.

ومما يشير إليه مدير ثانوية منتدى النشر عن مزاياه (ويشمل الصغير والكبير بالبسمة العذبة التي تشيع في النفس كل معاني الغبطة والرضا، لقد كانت نفسه تفيض بكل معاني اللطف لهؤلاء الطلبة الذين يصاحبهم ويماسيهم، ولقد كنا نجد الأمل الممراح تشع به عيناه، حيث يلمح فلذات الكبود تروح وتغدو في ساحة المدرسة وتدلف الى حجرات الدرس او الاساتذة الكرام يلقون إليهم بالعلم والأدب).^(١)

ومن المسائل الهامة التي ينبغي للدارسين ملاحظتها بالتفريق وفهم ما كان يجريه من رسائل او يصدره من بيانات ومذكرات وكتب رسمية، حيث يجب ان ينظر الى كل واحدة بحسبها وللصفة التي عبر عنها عند التوقيع او الاصدار ونفهمه مرة بعنوانه رئيس جمعية او عميد كلية او شخصية علمية دينية.

(١) المرحوم السيد محمد حسين المرقم، دموع وفاء، اصدار بمناسبة الاربعين باقلام الاساتذة والطلبة مطبعة الآداب النجف: ٩. وقد شكلوا في موكب التشيع عزاء وهم يرددون:

واسكي الدمع دماء قد هوى منك العباد	أمة الإسلام نوحى والبسي ثوب الحداد
فوداعا من قلوب مالها بعد ضما	ياأبانا قد فقدنا فيك رمزا للجهاد
	وموكب آخر في مجلس الفاتحة يردد:

علم الحق ونبراس الرشاد	يا إماما فقد الدين به
يا أبا الجيل ويارمز الجهاد	نحن أبناؤك فارحم يتما

المبحث الخامس:

تراثه وقلامه

مؤلفاته

كان الشيخ المظفر يحمل رسالة إصلاحية متميزة بخصائص وملامح تنسجم مع اتجاهاته الفكرية التي كان يطمح جاذاً لتحقيقها على الواقع المعاش شكلاً وأسلوباً ومضموناً، ويتمثل جلياً أمام قارئ سيرته بالرغم من انشغاله بمؤسساته الثقافية، واهتمامه بنشر الآثار الإسلامية وتعضيد حركة التحقيق، وإصدار المجلات الإسلامية، وبالإضافة إلى ما كان يؤديه من دور على الصعيد الاجتماعي، والتزامه بإمامة الجماعة في (مسجد المسابك) بالنجف ولقائه بالناس بمختلف طبقاتهم وقضاء حوائجهم.

ومع ما تقدم فقد وجدناه في ساحة التأليف والكتابة مهتماً إلى القدر الواسع الذي رقد فيه المكتبة الإسلامية بمجموعة قيّمة من المؤلفات والمقالات الهامة، التي كان لها صداها على مستوى الاتجاه الفكري العام بما يمثله قلم المظفر من ملكة التعبير عن الخطاب الإسلامي الحديث.

وقبل استعراضنا لمؤلفاته فلا بد من الإشارة أن أول كتاب الفه كان في عام ١٣٤٣ في علم العروض، عندما كان يتلقى دروسه عند الشيخ محمد طه الحويزي - كما ذكر ذلك فيما دون المظفر سيرته بقلمه - فيبدو لنا أنه بدأ التأليف وهو في مقتبل العمر وفي ذلك دلالة على نبوغه المبكر.

نقتصر الحديث على ما استطعنا حصره من مؤلفاته وما رشح من قلمه من دراسات

وبحوث حسب المعلومات المتوفرة، وهي كما يلي:

١ - السقيفة :

وهو دراسة موضوعية في بيان وتحليل لقضية السقيفة وما وقع فيها من المناظرات تحليلًا فكريًا في أربعة فصول: الأول - موقف النبي تجاه الخلافة بعده. الثاني - تدبيره لمنع الخلاف. والثالث - بيعة أبي بكر في السقيفة. والرابع - موقف الامام علي (ع) في امر الخلافة^(١). أُلّف عام ١٣٥٢ هـ وموضوع الكتاب عاجلته عشرات الاقلام قديما وكان مسرحا لكثير من عواطف الكتاب، فكانت الحاجة كبيرة الى من يعالجه معالجة موضوعية مجردة من ناحية، ولذلك فقد وفق كتاب المظفر لبحثه بنظرة موضوعية خالصة ووفق في منهجه العلمي الدقيق على التماس ملاسبات شتى القت كثيرا من الاضواء على هذه الحادثة التاريخية بالاضافة الى ماعرض من النصوص الواردة فيها خاصة ناقدا لها جميعا نقدا دلاليا دقيقا مجليا مفاهيمها على حسب ما يقتضيه الفن^(٢)، صدرت الطبعة الأولى عام ١٣٦٨ هـ من قبل المجمع الثقافي الديني لمتدى النشر وعلى أثر صدوره صدر من مطابع دار الكتاب العربي بمصر كتاب «ردّ على السقيفة»^(٣). منسوباً إلى عبدالله الحضرمي^(٤) بأسلوب بعيد عن آداب البحث والمناظرة، وقد صدر للمرحوم السيد أمير محمد الكاظمي القزويني كتاب «ردّ على ردّ السقيفة» طبع مرتين

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ الطهراني ١٢: ٢٠٦ الطبعة الثانية دار الاضواء بيروت.

(٢) تقديم الكتاب بقلم السيد محمد تقى الحكيم والدكتور محمود المظفر.

(٣) عرض بتقديم السيد التقى الحكيم الدكتور علي الوردي بكتابه مهزلة العقل البشري: ٤٨، ودافع عن استاذة الحكيم الأستاذ عبد الرضا صادق بكتابه سوفسطائية للبيع، راجع تحقيق محمد رضا القاموسي، من أوراق المظفر: ١٨٢.

(٤) الحضرمي اسم مستعار تستر وراءه الشيخ عارف محمد محمود الوسواسي من ائمة وخطباء بغداد واول من كشف النقاب عنه الشيخ يونس السامرائي في كتابه تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري ط بغداد ١٩٧٨ ص ٣١٥ انظر الاستاذ القاموسي من اوراق المظفر هامش ص ١٨٢.

آخرها في مطبعة العرفان بصيدا وطبعة ثالثة في الكويت، كما اصدر المرحوم محمد جواد الغبان بعدئذ كراسا بعنوان «على هامش السقيفة» ضمنه اسئلة وجهها للمظفر والسيد عبد الله الملاح احتوى على الاسئلة والملاحظات أجاب عليها المؤلف، وطبع كتاب السقيفة عام ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م كما طبع في مطبعة الزهراء بالنجف وله طبعات اخرى وترجمه إلى اللغة الفارسية محمد جواد حجتى كرمانى وطبع من قبل مؤسسة انصاريان ١٣٧٣ مطبعة نمونة في ٣٣١ صفحة كما ترجمه الى اللغة الاوردية السيد حسين مهدي الحسيني ونشرته مؤسسة انصاريان ١٤١٦هـ-١٩٩٦م مطبعة اعتماد في قم، ترجمه إلى اللغة الانكليزية الدكتور حسن النجفي مؤسسة أنصاريان قم.

٢ - المنطق،

في ثلاثة أجزاء، طبع في النجف وأعيد طبعه مرّات عديدة في بيروت وإيران، ترجمه الى اللغة الفارسية منوچهر صانعي وطبع بعنوان منطق المظفر انتشارات حكمت في طهران ١٤٠٤. ولخصه الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي في كتابه خلاصة المنطق، وألف محسن غرويان ترجمة الشيخ وسام شقير (الإجابة على تمرينات المظفر في كتاب المنطق دار الهادي بيروت. والسيد كمال الحيدري شرح منطق المظفر تقرير الشيخ نجاح النويني وعبد الرضا افتخاري، شرح المنطق السيد رائد الحيدري بعنوان المقرر في توضيح منطق المظفر مع متنه المصحح طبع مؤسسة التاريخ العربي ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م وتلخيص المنطق اكبر ترابي والمنطق التعليمي عبد الجواد ابراهيمي مطبعة قدس قم والاثر في تلخيص منطق المظفر قراءة جديدة في كتاب منطق المظفر للشيخ مهدي رحيم حسين العتيجاوي والشيخ حسين حامد محمد الفرطوسي النجف ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م. يذكر ان كتاب المنطق قد عم تدريسه في الحوزات العلمية العربية وغيرها كما اخذت بعض الجامعات العراقية مؤخرأ بتدريسه في كلية الهندسة وفي أقسام الفلسفة.

المنطق^(١) دراسة في المنهج ..

ما رأيت هذه الكتاب القيم الا ونقلني الى الجهود الجبارة التي بذلها مؤلفه في سبيل تأليفه واخراجه. فالكتاب يعد طفرة في تاريخ تطور الدراسة في جامعة النجف الأشرف لان الاساتذة في هذه الجامعة المقدسة على كثرة من فيهم من الافذاذ في هذا العلم وغيره من العلوم لم يعطوا المقدمات - كما يصطلحون - عليها شيئاً من الاهتمام ولم يفكروا ان يخضعوها لناموس التطور كما اخضعوا علمي الفقه والأصول، والحق ان في النجف ثروة لا تقاس بها ثروة من الكتب الفقهية والأصولية تلمس فيها الافكار الناضجة السامية التي تساير العصور كما تلمس بها الأساليب - التي تكاد تكون حديثة.

ولكنهم لم يعطوا للمقدمات أية قيمة، فالطالب المسكين يواجه اول ما يواجه كتاباً منطقياً يحتاج في حلها الى تعاويز علاوة على الفهم الوقاد ومن الكلمات الشائعة عندهم في علمنا هذا (المنطق كرار فرار) وسر فراره من الذهن انه لا يعطى الا بعبارات مغلقة اغلاقاً تاماً لا يتوفق لفهمها الا الافذاذ من الطلاب والافذاذ بالطبع قليلون بالنسبة، ومن هنا يكثر الادعاء فيكثر الالتجاء عند الامتحان الى هذه العبارة المألوفة «كرار فرار» يعني انهم حصلوا عليه وفر من بين ايديهم الكريمة.

ومؤلف الكتاب من هؤلاء الذين لا يعترفون بهذه الجملة منذ بدء دراسته، فقد عرف بين اقرانه بالالمية كما عرف بالجد منذ أن أقبل على تلقي العلوم في هذه الجامعة المقدسة، وقد كان - وما يزال - أفضل أقرانه من غير منازع وليس المهم اثبات ذلك الآن فهو أمر يكاد يكون مفرغاً منه، وانما المهم ان نعرض للظاهرة التي دعت الى تأليف الكتاب فهو من هؤلاء الذين شعروا ان طريقة دراسة المقدمات تحتاج الى جهد كبير في كتبنا القديمة، وهذه الدراسة بجميع شؤونها قد لا يحصل عليها الا القليل ومعنى ذلك

فقدت طبقات كان يمكن ان يكونوا في عداد المحصلين لو أن الدراسة بسطت لهم على ان الزمن تطور فلم يعد الترف الذي ساد جل الطبقات يساعد على خلق الصبر على دراسة ومطالعة هذه الطلاسم المغلقة، وهذا التضايق من الدراسة القديمة أحدث -بمعمونة غيره من العوامل الكثيرة التي ليس ههنا محل التعرض لها - رد الفعل في نفوس الطلاب فلم تظهر النجف منهم بالواحد من كل عشرة.

واخواننا الروحيون يذكرون الأزمة التي مرت على النجف قبل عشر سنوات يوم تقلص ظل الطلاب الى حد مؤلم جدا.

ورد الفعل هذا هو الذي حفز الأستاذ المظفر كما حفز غيره من أعضائه للقيام بنهضة قد ترد للنجف بعض ما فقدت من الطلاب ولا أقل من أنها توقف من غلواء رد الفعل في نفوس الباقيين.

وهذا ما كان، فقد أسسوا كلية متدى النشر او سعوا فيها الى تبسيط الدراسة بقدر الامكان.

وأخذ هو على عاتقه من العلوم فيما أخذ المنطق، ولعل من الحق - اذا جارينا اذواق اهل العلم في توزيع الدروس على قدر الكفاية - ان لا يكون هذا من نصيبه فهو أرفع من ذلك مستوى وأعلى منزلة ولكن تواضعه شاء ذلك كما شاء تواضع جل من درس في هذه الكلية، فهم كما يعرف عنهم جل من اتصل بهم أرفع من مستوى تدريس ما أخذوه على عواتقهم ولكنهم اقدموا اذ اقدموا على التوضيحية خدمة للنائشة الحديثة وهذه الحقيقة نسجلها للتاريخ، وحسب التاريخ ان يسجل لهم انهم الغوا الفروق في مقام الافادة والاستفادة.

وكتاب المنطق بعد هذا التمهيد محاضرات أُلقيت على طلاب متدى النشر حاول مؤلفها فيها ان يأخذ الحد الوسط في اسلوب الدراسة فلم يأخذ بالطريقة الاستقرائية كما

يصنع جل المحدثين ولم يبق على الطريقة التقريرية كما صنع جل القدماء، والطريقة التي اخذ بها هي المثلث فيما اعتقد لان الاولى (الاستقرائية) لا تليق في عقيدتي لغير المبتدئين من الطلاب، والثانية - التقريرية - لا تناسب غير المتوغلين في العلم، وطلاب منتدى النشر الذين لاحظ الأستاذ قابليتهم لم يكونوا من الطبقة الاولى كما ليسوا هم من الطبقة الثانية، فالحد الوسط ان يعمل الطريقة الاستقرائية فيما يشكل تعقله من مباحث الكتاب كما يهمل ذلك في القواعد السهلة ويكتفي بالتمارين بالطريقة الاستقرائية، في حين أنهم لم يلاحظوا قابليات الطلاب والأستاذ لم يصنف الجماعة مبتدئين وانما طبع المحاضرات التي لو حفلت فيها قابليات تلامذته في كلية منتدى النشر.

وقد صدر من هذا الكتاب جزآن سبق لكاتب هذه السطور^(١) أن عرف الأول منهما على إثر صدوره في بعض الصحف كما اعطى فكرة عن علم المنطق وعن مبدأ انتقاله من اليونان الى البلاد الإسلامية وعن التطورات التي ادخلها الفلاسفة المسلمون، وسجل للمؤلف الفضل في بعض الابتكارات التي ادخلها على العلم كتعريف الحركات الفكرية على نحو ما هو موجود في الجزء الاول.

وهذا الجزء الذي بين ايدينا الان يبحث التصديقات ويبدأ من تعريف القضية ثم تقسيمها الى محلية وشرطية، وهو بهذا يوافق المناطقة في الإسلام وهذا التقسيم - كما تعلمون - من مبتكرات الفلاسفة المسلمين، ثم يتسلسل في تقاسيماتها الاخرى وهو قد يخالف الكتب المتدواله كالحاشية في ذكر بعض الموجهات وترك بعضها.

ثم يدخل في التناقض ويعرضه عرضاً مفصلاً ويلحقه بفوائد لم تعرض في الكتب المتدواله على نحو ما عرضه كذكره للتداخل والقضاء، ثم يدخل في العكوس ويلحقها بالنقض المبحث الذي لا يقل في قيمته عن مباحث العكوس وان اهملت تفصيلاته في

بعض الكتب وبعدها يدخل في القياس فيعرض له بجميع اقسامه واشكاله، والقياس هو الغاية تقريبا من علم المنطق وبه وبالتعريف كما يقولون يعصم الفكر عن الخطأ، وهذا المبحث من اجل مباحث الكتاب وبه يظهر عمق المؤلف ومقدار تمكنه من هذا العلم.

اما بعد فهذا عرض عابر لا يدل على كل ما في الكتاب من محاسن، وحسبنا ان نقول عنه اجمالا انه فتح بمؤلفه فتحا جديدا في هذا العلم وطور الدراسة الى ما يرجى لها من التطور، وهو كما قلت طفرة في تاريخ الدراسة في النجف ونرجو ان تتبعها طفرات على ان الكتاب اذا قيس بالمنطق المبعوث في الجامعات العربية ظهر اثر الفرق بينه وبين ما يدرس هناك، وحسب العلامة المظفر انه اخذ أطايب ما يقرأ هناك وما في المنطق القديم ثم اضاف اليها تجاربه الخاصة فكان منها هذا الكتاب.

الكتاب سليم العبارة جيد الاداء جميل التصوير مزود بجداول هامة تقصر، وهو من اخراج لجنة المجمع الثقافي التابع لمنتدى النشر، وقد ظهر في ضمن سلسلة كتبها العلمية.

ولا يفوتنا ان نوصي الادباء والمثقفين بقراءته والاستعانة برجال الاختصاص على فهم ما ييسر فهمه لانه من العلوم التي يضطر الى معرفتها حل المثقفين ونحن في الزمن الذي يعم فيه تدريس هذا الكتاب.

النجف - ابو الهادي^(١)

(١) من الأسماء المستعارة للعلامة السيد محمد تقي الحكيم.

٣ - أصول الفقه :

في مجلدين، وهو حسب ما ذكره المؤلف (وضع لتبسيط أصول هذا الفن للمبتدئين؛ ليعينهم على الدخول في بحره العميق عندما يبلغون درجة المراهقين، وهو الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الأصول وكفاية الأصول، يجمع بين سهولة العبارة والاختصار، وبين انتقاء الآراء الحديثة التي تطوّر إليها هذا الفن).

وقد طبع لأول مرة في النجف عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م بتصدير للإمام الخوئي قدس سره ثم أعيد طبعه لمرة عديدة، كما ترجم إلى اللغة الفارسية.

وقد قام الدكتور الفضلي بتلخيص اهم مباحثه وطبع بعنوان مبادئ اصول الفقه. كما صدر بعد وفاته كتاب «تتميم كتاب أصول الفقه» للشيخ المرحوم ميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، وهو تلميذ الشيخ المظفر، وقد بحث فيه (أصالة البراءة، وأصالة الاشتغال، وأصالة التخيير).

وهناك تنمة لاصول الفقه من تأليف السيد محمد مهدي بن السيد فاضل الخلخالي^(١). وشرح اصول المظفر الشيخ ابراهيم اسماعيل الشهركاني طبع في بيروت في اربعة اجزاء. وللشيخ احمد الشيخ عبد الحسين الاميني ترجمة وشرح على كتاب اصول الفقه يقع في اثني عشر مجلدا صدر منه عام ١٤٠٨ بعض الاجزاء. وشرح أصول الفقه كسؤال وجواب احمد علي اسكندر عابدي من الاجزاء الى نهاية دلالة النهي على الفساد واظفر بمطالب اصول المظفر خالد السويدي البغدادي في اربعة اجزاء .

ونثبت ماحرره الامام السيد الخوئي قدس سره تقریظا على كتاب الأصول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد وعترته

(١) ولد سنة ١٣٤٤ في رشت وتلمذ عند السيد الخوئي وله تقريراته في فقه الشيعة والسيد المحسن الحكيم والشيخ حسين الحلي وهو امام مسجد الصدرية في طهران انظر مجلة الموسم العدد ١٩: ٣٤٨.

الطيبين الطاهرين وبعد، لما كانت معرفة اكثر مسائل علم الفقه متوقفة على البحث عن مسائل لم تحرر في سائر العلوم تصدى العلماء الاعلام (قدس الله تعالى اسرارهم) لتدوين علم الاصول الذي يبحث فيه عن تلك المسائل، فكان هذا العلم يتطور ويتكامل الى ان انتهت الرئاسة العلمية الى المحقق العلامة شيخ الاساطين استاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الانصاري رحمته فاجتهد في تنقيحه وتحريره حتى اصبح خلوا من المباحث التي كانت تأخذ بالطالب يمنة ويسرة دون ان تتفرع عليها اية ثمرة فقهية، واستبدل بتلك المباحث مباني واساسا رصينة كانت قبله على جانب من النقص او الاهمال ولذلك اخذت آراؤه محورا للابحاث العالية الاصولية نقضا وابطراما.

ومع ذلك فان الكتب الاصولية التي نسخ كثير من مسائلها واقوالها هي التي بقيت يدرسها الطالب المبتدئ والمتوسط حتى اليوم، ولذلك فإن الطالب حينما يصل الى الدرس العالي يجد انه لا علاقة بين ماتعلمه وما يتعلمه الآن.

وكنتم منذ زمن بعيد ارغب في ان يؤلف كتاب في هذا العلم تلائم ابحاثه الابحاث العالية ويقوم بتدريسه على طلاب العلوم الدينية، حتى قدم لي العلامة الحجة الشيخ محمد رضا المظفر دامت تأييداته مارتبه من المباحث الاصولية في القسم الاول من كتابه (مبادئ علم الاصول) ترتيبا جميلا، فالفيته - بحمد الله - وافيا بالمقصود وجامعا بالموجز من القواعد والاصول التي تدور عليها رحي الابحاث في عصرنا الحاضر.

وجدير بطالب العلم ان يدرس هذا الكتاب ليتهيأ بذلك للانتفاع بالدراسات العالية ونسأل الله تعالى ان يوفق المؤلف دام فضله لانجاز القسم الثاني من كتابه انه ولي التوفيق.

حرر في الليلة الحادية عشرة شهر ربيع الاول ١٣٧٧

أبو القاسم الموسوي الخوئي

وهو من الكتب القيمة التي كان لها الاثر الكبير في سد الفراغ لطلاب المعرفة العقائدية وقد ألفه رحمه الله سنة ١٣٦٣هـ بدافع القائه محاضرات دورية في كلية متدى النشر الدينية للاستفادة منها تمهيدا للابحاث الكلامية العالية لينتفع بها المبتدئ والمتعلم والعالم ثم يقول: وما كنت يومئذ قد اعددتها مؤلفا ينشر ويقرأ... وعندما حصلت المبادرة للطبع والنشر يذكر: جمعت في رسالة مختصرة موصولة الحلقات لتدرأ كثيرا من الطعون التي الصقت بالامامية ولاسيما بعض كتاب العصر في مصر وغيرها.....وما يهمننا من هؤلاء وغير هؤلاء ان يستمروا على عنادهم مصرين لولاخشية ان ينخدع بهم المغفلون فتتظلي عليهم تلك التخريصات وتورطهم تلك الهجمات في اثاره الاحقاد والحزازات^(١).

ومما كان يؤرق المظفر في هذا الجانب قوله: نحن في قمة الصراع العقائدي الذي يستهدف فيه القضاء على البقية الباقية من الإسلام وكل مسلم مؤمن برسالة الدين الإسلامي. لابد ان يشعر شعورا عميقا بان عليه واجبا ثقيلا ينوء به الابطال المجاهدون من الرجال....^(٢)

وقد حظي الكتاب بالانتشار الواسع حيث يمثل في حقيقته تبويبا ملخصا دقيقا لأصول المنظومة العقائدية عند الشيعة الامامية بالامكان الانفتاح عليها واغناؤها بما يستكمل المشروع المظفري، ولولا القدر الجاري الذي اختطف الشيخ المظفر لكان قد اغدق بالعطاء الوافر في باب التأليف العقائدي، ومع ذلك فان ما حققه الشيخ في

(١) تصدير المظفر لكتابه العقائد الطبعة الاولى في المطبعة الحيدرية النجف بتاريخ ١٧ / جمادى

الآخرة / ١٣٧٠هـ.

(٢) افتتاحية مجلة النجف السنة الخامسة العدد الاول جمادى الاولى ١٣٨٢هـ - تشرين الاول

عقائده يعد خطوة تأسيسية هامة.

طبع بهذا العنوان عام ١٣٧٣ هـ في المطبعة الحيدرية بالنجف، ثم أعيد طبعه في مصر بهمة السيد مرتضى الرضوي مع تغيير العنوان إلى «عقائد الإمامية» وهو هذا الكتاب. وقد أشرنا سابقاً إلى إعادة طبعه مكرراً في العراق وإيران وبيروت والقاهرة، وهو هذا الكتاب الذي وقفنا إلى إصداره بطبعته المحققة الأولى وسيراه القارئ ضمن أحد اجزاء الموسوعة بطبعة جديدة منقحة عن الطبعة الاولى ومزيدة.

وقد حظي الكتاب بطبعات كثيرة وفي بلدان مختلفة وبترجات بلغات عالمية عديدة التي تجاوزت العشرين لغة حية، وصدرت الطبقات المترجمة للنسخة المحققة التي هي أحد اجزاء الموسوعة بعناية ونشر مؤسسة الامام علي للترجمة إحدى مؤسسات مكتب المرجعية الدينية العليا للسيد السيستاني دام ظله في قم، ومنها على سبيل الشاهد الانكليزية والفارسية والتركية والبمبارية واللنكارية والهوسا والكردية والفرنسية والآذرية والايطالية والاسبانية والاوردية والبوسنية وغيرها، وكانت الترجمات رصينة باقلام مترجمين أكفاء وشروح مطبوعة ومسموعة لانه من الكتب المعتمدة في تدريسه في الحوزات العلمية والاكاديمية، وصدرت عدة شروح للكتاب منها الفوائد البهية في شرح عقائد الامامية للشيخ محمد جميل حمود في جزأين وكتاب بداية المعارف الالهية في شرح عقائد الامامية للسيد محسن الخرازي في جزأين والاف الاستاذ فارس علي العامر كتابا بعنوان عقائد الامامية بثوبه الجديد وافاد عن تعريف كتابه: ان كتاب عقائد الامامية للشيخ المظفر من الكتب العقائدية المهمة التي امتازت بالمنهجية والبيان الواضح الا انه جاء مختصراً مجرداً عن الادلة والبراهين العقلية والنقلية الا القليل، ونظراً لأهمية هذا التراث النفيس واعتزازا به وبمؤلفه وبعد التوكل على الله عز وجل اقدمت على صياغته بأسلوب علمي جديد مستوعب للادلة العقلية والنقلية محافظاً على الخطوط العريضة

للكتاب.

وقد طبعت ترجمته إلى اللغة الانكليزية لمّرتين دون ذكر اسم المترجم، كما طبعت ترجمته إلى اللغة الفرنسية من قبل الدكتور عباس البستاني في فرنسا وفي إيران، وكذلك طبعت ترجمة الكتاب إلى اللغة التركية بعناية المترجم البروفسور عبد الباقي كوليفاري، كما ترجم إلى اللغة البوسنية وطبع من قبل الرابطة الإسلامية في كرواتيا وأسلوفينيا. وترجمه الى اللغة الفارسية بعنوان عقايد وتعاليم شيعة محمد مجتهدى شبستري وطبعه مؤسسة محمدي سنة ١٣٤٧ طهران.

٥ - الفلسفة الإسلامية،

وهي دروس في الفلسفة تصدى لتدوينها الكثير من تلامذة الشيخ اثناء القاها ومنهم عبد الحليم البغدادي، ولكنها لم تطبع، كما أن مجلة النجف نشرت بعضاً من هذه المحاضرات مذيّلة بتعليقات المرحوم العلامة الشيخ محمد كاظم شمشاد استاذ الفلسفة الإسلامية في كلية الفقه. واعيد نشر قسم منها من قبل دار الزهراء في بيروت وصدرت بعنوان قطوف دانية ومعها مجموعة من بحوث اخرى للشيخ.

اما الطبعة المتكاملة - الى حد ما - وهي مجموعة المحاضرات التي ألقيت على تلاميذه اثناء تدريسه الفلسفة الإسلامية في السنوات الثلاث الأولى لتأسيس كلية الفقه في النجف الاشرف، وقد طبع البعض من هذه الكراسات التي وزعها الشيخ في حينه باعداد وعناية تلميذه السيد محمد تقي الطباطبائي التبريزي بمطبعة امير وباصدار مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - السيد الجزائري - في مدينة قم المقدسة بايران بتاريخ رمضان من عام ١٤١٣ للهجرة.

وقد ذكر الناشر في كلمته: (ان هذه الدروس الفلسفية خلت بحد الامكان عن

التعقيدات اللفظية والمبهمات المعنوية التي توجد غالباً في تأليف من كتب قبله في هذا الموضوع، وانه -رحمه الله- ألقى هذه الدروس بنفسه على تلاميذه في جامعته التي أسسها في النجف الاشرف أعني -كلية الفقه- عام ١٩٥٨ و١٩٦٢ ثم نشرها في كراسات وأوراق طبعت على جهاز رونيو (استنسل) وحفظها بعض تلاميذه حينما أضعاعها آخرون، ومضت على ماحفظ منها كَرَّ الغداة و مر العشي حتى آلت الى الاصفرار وكادت أن تنمحى فلا يبقى لها أثر ولا عين).

وهي في (١٤٩ صفحة) موزعة بين طيات الكتاب على شكل دروس، منها سبعة دروس القيت على طلاب السنة الاولى بعنوان (مباحث الوجود) تبدأ بالتمهيد وتنتهي بالدرس المعنون ب-إعادة المعدوم - وثمانية دروس لطلاب السنة الثانية، الدرس الاول منها في (مباحث الوجود الذهني) وآخرها في بحث موضوع (الجهات إعتبارات ذهنية)، وكانت المحاضرات في السنة الثالثة تتعلق في مباحث (العلة والمعلول) وأما محاضرات المظفر الفلسفية على طلبة الصف الرابع وهي السنة المنتهية في كلية الفقه فقد أملاها عام ١٩٦١ - ١٩٦٢ وهي موزعة على اثنين وثلاثين درساً، يبدأ الدرس الاول منها حول (الفلسفة وعلم الكلام)، وتاريخ القائه يوم الثلاثاء المصادف ١٠/١٠/١٩٦١ والدرس الاخير في البحث حول (دخول الشيء في القضاء والقدر) وتاريخ القائه يوم الاربعاء ١١/٤/١٩٦٢.

في معرض الاشارة الى المحاضرات الفلسفية لا بد من معرفة ان الشيخ المظفر بدأ مبكراً بالاهتمام في دراسات العلوم العقلية، يذكر المرحوم جعفر الخليلي وهو رفيق الصبا للمظفر: (وشاع يومذاك ونحن في أول أدوار الشباب علم استحضار الأرواح، وقد أخرج (الطنطاوي) فيه كتاباً، فرحنا ننشد المتعة بسببه من طريق جديد إضافة إلى وسيلة الشعر والتقفية، واحضر لنا الشيخ عباس الشيخ مشكور منضدة من الخشب

تقوم على ثلاث قوائم وقد كتبت على كلّ قائمة حروف وخططت خطوطاً، وقال لنا أنّه يستطيع أن يحضر أرواح الموتى بواسطة هذه المنضدة، فجئنا أنا والشيخ محمد رضا والسيد جعفر الكيشوان نجرب، وقد نجحت التجربة وبدأت إحدى قوائم المنضدة تتحرك - وليس هنا وقت تحليل القضية وذكر الأسباب - وقد أحضرنا عدداً كبيراً من الأرواح على قدر ما كانت تسنح لنا الفرصة، وبدأنا نتفنن كلّ يوم في وضع الأسئلة، وقد حملتنا هذه اللذة على متابعة هذا الموضوع والبحث عن الروح وماهيتها في بعض ما كنّا نحصل عليه من مجالات كالهلال والمقتطف والعرفان، وأحسب أن هذا هو مبدأ اقبال الشيخ محمد رضا المظفر على مطالعة الكتب الحديثة، ولعلّ قضية تحضير الأرواح هي التي ساقته إلى التعمق والتغلغل في دراسة الإلهيات والتصوف ودراسة فلسفة الملا صدرا وتفهم اسفاره فيما بعد، ولعلّ هذه الميول هي التي جعلته يبحث عن الأسس والأصول الإسلامية، وعن طريق هذه الميول أقبل كما أقبلت أنا يومها على تتبع ما كان يضعه الشيخ جواد البلاغي وما كان يقول به في الردّ المنطقي المبني على المعقول على كلّ من كان يأخذ على الإسلام وأصوله من مستشرقين وغير مستشرقين من المآخذ الأساسية، فقد كان الشيخ جواد البلاغي من العلماء الذين انفردوا بالاطلاع الواسع وبناء رده ونقده على المنطق في الغالب ولم يعرف عصرنا نظيراً له وللسيد عبد الحسين شرف الدين في هذا الميدان^(١).

وفي استمراره بطي مراحل دراسته في الحوزة لازم أستاذه الشيخ محمد حسين الاصفهاني الشهير بالكمباني ملازمة قوية دامت خمسة عشر عاماً وانطبع بكثير من آرائه في الأصول والفلسفة وكتب الكثير من أبحاثه ودروسه، ونلمح تأثره به في ترسمه خطي منهجته لدراسة الاصول في كتابه (أصول الفقه) وتقسيم مباحثه كما يشير هو

(١) هكذا عرفتهم الجزء الثاني.

لذلك في كتابه أصول الفقه^(١). ويمتاز كتابه هذا بتبويبه الحديث وهذه الجدة في التبويب ليست في واقعها من بنات افكار المؤلف، بل هي مستقاة من استاذة الاصفهاني كما يشير هو في مقدمة بحثه. فقد كان يحله إجلالاً كبيراً كلما جرى له ذكر أو أتيح له أن يتحدث عنه، ويخلص له الحب والاحترام أكثر مما يخلص تلميذ لأستاذه بل يلمس القارئ هذا الشعور والوفاء فيما كتب المظفر عن أستاذه في مقدمات كتبه الفقهية والفلسفية وفي مقدمات الاسفار وغيرها من رسائله ومقالاته.

ولا يبعد أن يكون الاستاذ السيد ميرزا حسن البجنوردي هو أحد أساتذته في الفلسفة كما يذكر هو ذلك في مقدمة كتابه المنطق^(٢). ومما أمتاز به كتابه المنطق (التوفيق بين ما يسميه هو بمنطق الفلاسفة والمنطق الدارج).

٦ - أحلام اليقظة :

في ترجمة الحكيم صدر الدين الشيرازي - صاحب الأسفار - ومحاولة عرض فلسفته بأسلوب الحوار القصصي الذي يسهل أمام القارئ فهم الكثير من القضايا الفلسفية ويشوقه الى متابعتها، وهي مجموعة محاضرات كان قد ألقاها في قاعة المجمع الثقافي لمنتدى النشر، نشر قسماً منه في مجلتي العرفان الصيداوية، والدليل النجفية. في الفلسفة نشر أكثره في المجلات العربية كالعرفان والهاتف والدليل والفكر نشرته جمعية منتدى النشر في طبعته الاولى مطبعة الضياء النجف ٢٠٠٩، وطبعته الثانية ستكون من اجزاء هذه الموسوعة وربما كان الشيخ نديم الجسر مؤلف (قصة الايمان) قد سبق له ان اطلع على بحوثه فجرى على منواله في كتابه المذكور؛ لان المظفر الف كتابه في ١٢/ ربيع

(١) كتابه اصول الفقه ١ : ٧.

(٢) الطبعة الاولى المقدمة.

الثاني / ١٣٦٥ هجرية. (١)

٧ - أضغاث أحلام:

كراس صغير لا يزال مخطوطا يضم أربعة أحلام، يظهر فيها المظفر معاناته من جراء الاوضاع السائدة وفيها نقد رمزي لبعض الزعامات، اخبرني الشيخ جعفر الكوثراني بانه يوجد في مكتبة والده المرحوم الشيخ محمود الكوثراني وهي في جملة كتابات واوراق للمظفر بحوزة الشيخ محمد الكوثراني وقد قدمها شاكر الطبعها في هذه الموسوعة.

٨ - حاشية على كتاب المتاجر للشيخ الأعظم الأنصاري:

وهي تعليقة على جملة من المطالب تقع في قسمي البيع والخيارات، وقد أبان فيها عن مقاصد الشيخ مع التعرض لمناقشات الأعلام لآراء الشيخ سواء الموجودة في الحواشي على الكتاب أم في مجالس أبحاثهم، وقد اشار المؤلف الى ذلك في ثانيا كلامه في الحاشية، وقد وصل في قسم البيع إلى بيع أم الولد، وفي الخيارات وصل إلى خيار الرؤية، بدأ فيه الشيخ بتاريخ ٢٧ شوال ١٣٥٢ هـ أنجز تحقيقه وطبعه الشيخ جعفر الكوثراني العاملي عام ١٤٠٣ في أربعمئة صفحة.

٩ - آراء صريحة:

وقد دونها سنة ١٣٦٩ ذكر المظفر في مقدمته: (أحرر هذه الآراء الصريحة لنفسي وحدي ولا أرضى ان يقف عليها احد في مدة حياتي اما بعد الوفاة فذاك لمن يتولاها وله رأيه وليس لي ان احكم عليه حتى لو شاء ان يذيعها بل ينشرها مطبوعة) ثم يختم المقدمة.. واذا كنت اطمع في شيء انما اطمع في خدمة الحق لوجهه الكريم واذا بمنعني

(١) وقفة على ديوان المظفر، مقدمة ديوان المظفر جمع وتحقيق محمد رضا القاموسي (النسخة

الخوف من اذاعة هذه الآراء ولا اجد لها حملة اقنع في تسجيلها لنفسي وحدي.

وقد بقيت كراسة هذه الآراء حبيسة مخطوطة، واول من بادر لنشرها الدكتور جودت القزويني في موسوعته التاريخية ثم بدا للاستاذ محمد رضا القاموسي ان ينشرها ضميمة تحقيقه لأوراق المظفر، وتمنى على قرائها - اليوم خاصة - بأن لا تقرأ بعين واحدة الى آخر ما أشار اليه في الاضاءة التي قدم بها الآراء، ولعل الزمن يفصح عما يتقمص خواطر الشيخ المظفر فيفهمها بحسن نية وقلب طاهر فهوئذ كما يقول المثل: ان الزمان بمثله لعقيم.....!!

١٠ - كان الشيخ المظفر رحمه الله غزير الإنتاج بما كتبه من مقالات هامة وبحوث ودراسات نشرت في كثير من الصحف والمجلات العربية باسمه الصريح واسمه المستعار، كان منها: الهاتف، والدليل والحضارة والنجم، والكحلأ والهدى بالعمارة، و(العرفان) بصيدا، والمرشد العربي باللادقية، والفكر ببغداد، ومجلة الرسالة للزيات بمصر، وغير ذلك، وقد حاولنا الإمام بما توفر منها وصنفت بحسب موضوعاتها وستكون ضمن الموسوعة في ثلاثة اجزاء، الاول عنوانه دراسات وبحوث فلسفية والثاني من وحي الفكر والثالث سير وتراجم نجفية نلفت لها عناية القارئ الكريم، وفيما يلي عناوين البعض من هذه المقالات:

١. فلسفة ابن سينا: في ترجمته ونقد بعض آرائه، نشر قسم منه في مجلة البذرة العدد الخاص بالذكرى الألفية لابن سينا.

٢. المثل الأفلاطونية عند ابن سينا: نشر في العدد المشار إليه في الفقرة السابقة بتوقيع مستعار (فيلسوف نجفي).

٣. فلسفة الكندي: نشر في مجلة النجم.

٤. الزعيم الموهوب السيّد أبو الحسن الأصفهاني: نشر في مجلة الدليل النجفية.

٥. مقالة عن الصحافة: في مجلة النجف.

٦. توجيهات إلى طلاب كلية القف: مجلة النجف.

٧. حرية الإنسان وارتباطها بقضاء الله: مجلة النجف.

٨. علي مع الخلفاء: نشر في كتاب «أسبوع الإمام» ثم الحق في كتاب «السقيفة».

٩. اسمعني: مجموعة مقالات، نشرت في جريدة الهاتف النجفية.

١٠. الشيخ الطوسي مؤسس جامعة النجف: مجلة النجف.

١١. الحجر الأساسي لمتن النجف.

١٢. فلسفة الإمام علي: وهو موضوع محاضراته التي ألقاها في المؤتمر المنعقد في

الباكستان بمناسبة ميلاد الإمام علي (عليه السلام).

١٣. بين جامعة النجف وجامعة القرويين محاضرة ألقى في جامعة القرويين

بالمغرب.

١٤. نظام متنى النشر. وغيرها.

وقد قام الشيخ بتقديم كتب كثيرة، تعتبر كل مقدمة منها دراسة متكاملة في بابها،

منها:

١. تصحيح وتقديم كتاب «الحج» من شرح القواعد للشيخ محمد حسن المظفر،

مط النعمان النجف ١٩٥٩ المجلد السابع في ٥٢٠ صفحة.

٢. كتاب «تذكرة الفقهاء» للعلامة الحلي، حيث طبع الجزء السابع والثامن منه

بتحقيق وتصحيح السيد مرتضى الخلخالي، ونفقة السيد محمد كلانتر.

٣. كتاب «جامع السعادات» للمولى النراقي، الذي أصدرته جامعة النجف

الدينية.

٤. «تحفة الحكيم» - منظومة في الحكمة - لأستاذه الشيخ الكمباني.
٥. حاشية المكاسب لشيخه الكمباني كذلك.
٦. كتاب «جواهر الكلام» للشيخ محمد حسن النجفي.
٧. كتاب «الأسفار المتعالية» للفيلسوف ملا صدر الدين الشيرازي.
٨. كتاب «مشهد الإمام» لمحمد علي جعفر التميمي في تأريخ النجف.
٩. القصيدة الأزرية وتحميسها للشيخ جابر الكاظمي.
١٠. كتاب «تأريخ الكوفة» للسيد حسون البراقبي.
١١. كتاب «تأريخ الديوانية» للحاج وداي العطية.
١٢. كتاب «مالك الأشر» للسيد محمد تقي الحكيم.
١٣. رشحات الفيوض في علم العروض للشيخ علي الجواهري.
١٤. كتاب «العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير» تأليف السيد موسى الحسيني المازندراني.
١٥. ساهم في تحرير منشورات جماعة العلماء في النجف.
١٦. كتب بقلمه منشورات صدرت باسم الهيئة العلمية في النجف حول انتهاك الشاه المقبور حرمة المقدسات الإسلامية ومحاربته للمرجعية الدينية.
- وتمّ كتبه الشيخ المظفر وبقي مخطوطاً لحدّ الآن:
١. بحوث في علم الكلام مفقودة.
٢. رسالة عملية في ضوء المنهج الحديث، أنهى منه مقدّمة في أصول الدين وبعض كتاب العبادات.

٣. تأريخ الإسلام، وهو محاضرات القاها على طلابه في فترة مبكرة في السيرة كتبه بألفاظ الروايات والأحاديث، يذكر السيد محمد حسن القاضي ان لديه قسماً مما دونه منها، الا انه عند سفره من العراق الى ايران تركها في بيته بالنجف ولا يعرف مصيرها لحد الآن.

تلامذته

مما جرت به تقاليد الدراسة في الحوزات العلمية عادة ان الطالب في تواصله الدراسي بكل مرحلة بعد تحصيله لمستوى معين فيها يقوم بتدريس المواد الدراسية على مجموعة او افراد من الطلاب، وهكذا يتسابقون بينهم ويبرز في هذه العملية النابهون من المحصلين ويشار اليهم ويسعى البعض من الطلبة للتوسط من اجل ان يوفق الاستاذ لقبوله في حلقة.

وقد كان الصحن الحيدري الشريف يشهد حضورا علميا للمباحثات العلمية بين كل طبقة معينة مع نظيرتها، ولذا فإن شيخنا درج في شأنه الدراسي على هذه السيرة وعندما بدأ دراسته كان له حضور متميز، ويذكر مؤرخوه انه لفضيلته كان ينتقل في هذه الحلقات بين طبقة تلامذته واساتذته لنباهته وذكائه على أن الذين كانوا يستلفتون الأنظار بجدهم وانغماسهم في الدروس لم يزدوا بين مئات الشبان من أمثالهم يومذاك على بضعة أنفار كان من أبرزهم الشيخ محمد رضا، والسيد حسن الحكيم، وكان الشيخ مهدي الحجار الملع أولئك جميعاً ولكنه كان أكبر من تلك الزمرة سنّاً.

ولمع الشيخ محمد رضا كطالب علم وكأستاذ يتحلق حوله عدد من الطلاب، وقد بدأت حلقة طلابه تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم، وكان الشيخ محمد رضا من أكثر من كان يضيق بالوسطاء لقبول من يتوسطون له في حلقة.

وينقل عنه بعد ان أكمل الشيخ المظفر مسيرته العلميّة في الدرس العالي لدى الأستاذين العراقي والأصفهاني حتّى عاد من المبرزين في علم الاصول، وقد استقل بعدها بتدريس الأصول، وتخصّص بتدريس «فرائد الأصول» المعروف بكتاب «الرسائل» للأستاذ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري (ت: ١٢٨١هـ) وكان ذلك في

المدرسة العلميّة للمرجع السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٣٨ هـ) الواقعة إلى اليوم في الفرع الثالث بين تقاطع شارع الرسول وسوق الخويش في النجف، ففي الطابق الأوّل من هذه المدرسة أيوانان للتدريس، أشغل الأستاذ المظفر أحدهما لتدريس فرائد الأصول، وأشغل الثاني السيّد عبد الكريم السيّد علي المدني لتدريس الفقه الإسلامي^(١).

فكان للشيخ المظفر - شأن العلماء الأعلام في الحوزة العلميّة - مدرسة ضمّت من تلاميذه وروّاد فكره؛ حيث انعقدت مجالسه للبحث والدرس او في داره بشكل دروس خاصّة، أو في مجالس اقرانه أو على مستوى مدارس متدى النشر وكلية الفقه العامرة. وقد تخرج على يديه كثير من التلامذة والطلاب في مراحل دراسية متعددة زمانا ومكانا، واستمر تدريسه الى حين التزاماته وانشغاله برعاية المشاريع التي جاهد لتأسيسها واقتصر بالتدريس على مدارس جمعية متدى النشر وكلية المتدى سابقاً والفقه بعد ذلك.

ولا نستطيع على مختصر ما نقدّمه من سيرة الشيخ أن نلّم بصورة تفصيليّة بأسماء الأعلام من تلاميذه كافّة، منوها الى ان مسألة التلمذة على الشيخ المظفر تختلف من مرحلة دراسية الى مرحلة اخرى في دراسات الحوزة العلمية وفي مستوى الدراسة بمراحلها المعروفة، وكذلك بما القاه من محاضرات على طلبته في كلية متدى النشر او كلية الفقه وان لكل من تلامذته الاعلام مقامه وشخصيته.

وفي هذا الصدد اود قبول العذر مما اثبتناه من الاسماء الكريمة للتلامذة الافاضل بهذا القدر اليسير على ترتيب الحروف الأبجدية مع حفظ الألقاب:

١. الشيخ أحمد الدجيلي

(١) راجع القسم الرابع، دراسات في الشخصية العلمية للمظفر. بحث الدكتور الصغير.

٢. السيد أحمد زكي تفاحه
٣. السيّد أحمد شوقي الأمين
٤. الشيخ أحمد القيسي
٥. الشيخ أحمد محمد حسن المظفر
٦. الدكتور الشيخ أحمد الوائلي
٧. الدكتور الشيخ باقر المقدسي
٨. الشيخ تقي الخاقاني
٩. الشيخ جعفر آل إبراهيم المهاجر
١٠. الشيخ جعفر الهلالي
١١. الشيخ جعفر صادق العاملي
١٢. الشيخ جعفر الظالمي
١٣. السيد جواد شبر
١٤. الشيخ جواد قسام
١٥. الدكتور السيد حازم سليمان الحلي
١٦. السيّد حسن إبراهيم شبر
١٧. السيّد حسين الخرسان
١٨. السيد حسين محمد تقي بحر العلوم
١٩. الشيخ حسين الصغير
٢٠. حسين عبود
٢١. الشيخ سليمان المدني
٢٢. الشيخ صادق الشيخ باقر القاموسي

٢٣. السيد صادق السيد ياسين الصعبري
٢٤. صاحب عبد الأمير القاموسي
٢٥. الشيخ صالح مهدي الظالم
٢٦. صباح عبد الجبار الصيّا
٢٧. الدكتور السيّد طالب الحسيني الرفاعي
٢٨. الشيخ عارف البصري
٢٩. الدكتور عباس الترجمان
٣٠. عبد الباقي المسقطي
٣١. السيد عبد الحسين الحجار العوادي^(١)
٣٢. السيد عبد الحلّيم البغدادي
٣٣. الشيخ عبد الحميد الحرّ
٣٤. السيد عبد الرحيم الشوكي
٣٥. الشيخ عبد الصمد الكرمان
٣٦. الشيخ عبد العالي المظفر
٣٧. عبد الغني الجابري
٣٨. السيد عبد الكريم القزويني
٣٩. الشيخ عبد المجيد الصيمري
٤٠. الشيخ عبد المنعم (نعمة) الساعدي
٤١. الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي
٤٢. الدكتور السيد عبد الهادي محسن الحكيم

(١) الخاقاني: شعراء الغري ٥ : ٣٣١.

٤٣. السيد عدنان البكاء
٤٤. عبد الرزاق الشيخ صاحب الطريحي
٤٥. الشيخ غلام رضا عرفانيان اليزدي^(١)
٤٦. كاظم باقر المظفر
٤٧. كاظم سعيد الطريحي
٤٨. الشيخ محمد الأثير جاوي
٤٩. السيد محمد إبراهيم شبر
٥٠. الدكتور السيد محمد بحر العلوم
٥١. السيد محمد تقي الطباطبائي التبريزي
٥٢. السيد محمد تقي الحكيم
٥٣. محمد تقي الصحف
٥٤. الشيخ محمد جعفر شمس الدين
٥٥. السيد محمد جمال الهاشمي^(٢)
٥٦. الشيخ محمد الشيخ راضي
٥٧. الشيخ محمد سعيد مانع
٥٨. الشيخ محمد علي العمري المدني الحجازي
٥٩. محمد علي عبد الصاحب الحسني العاملي
٦٠. السيد محمد مهدي الخرسان
٦١. السيد محمد علي الحكيم

(١) أشار إلى ذلك في كتابه تتميم كتاب أصول الفقه الذي نشر فيه صورة فوتغرافية من إجازة الشيخ المظفر له.

(٢) شعراء الغري ١١: ٣.

٦٢. الشيخ محمد كاظم الطريحي
٦٣. السيد محمد رضا محمد حسين الحكيم
٦٤. السيد محمد رضا السيد قاسم شبر
٦٥. السيد محمد جواد الدجيلي
٦٦. الشيخ محمد جواد الشيخ راضي
٦٧. محمد جواد الغبان
٦٨. الشيخ محمد جواد المظفر
٦٩. الشيخ محمد حسن الطريحي
٧٠. الشيخ محمد حسن آل ياسين.
٧١. السيد محمد حسن القاضي
٧٢. السيد محمد حسين الصعبري
٧٣. محمد حسين المحتصر
٧٤. السيد محمد رضا جعفر الحكيم
٧٥. الحاج محمد رضا المسقطي
٧٦. محمد سعيد القرملي
٧٧. محمد سلمان الخاقاني
٧٨. محمد صادق القاموسي
٧٩. السيد محمد صالح بحر العلوم^(١)
٨٠. الشيخ محمد صالح آل الشيخ راضي
٨١. السيد محمد صالح الخرسان

٨٢. السيد محمد الصدر
٨٣. الشيخ محمد عبد الله الهجري
٨٤. المحامي محمد عبد الأمير القاموسي
٨٥. الشيخ محمد علي إبراهيم المهاجر
٨٦. الشيخ محمد علي الايرواني
٨٧. السيد محمد علي الباقر
٨٨. الشيخ محمد علي التسخيري
٨٩. السيد محمد محمد حسين الحكيم
٩٠. الشيخ محمد مهدي الآصفي
٩١. السيد محمد موسى الجصّاني
٩٢. الدكتور محمود البستاني
٩٣. الشيخ محمود الكوثراني
٩٤. الدكتور محمود المظفر
٩٥. السيد مرتضى الحكمي
٩٦. الشيخ مسلم الجابري
٩٧. الدكتور السيد مصطفى جمال الدين
٩٨. الشيخ مهدي السماوي
٩٩. السيد موسى بحر العلوم^(١)
١٠٠. السيد مير حسن علي أبو طيخ
١٠١. السيد هادي فيّاض

(١) المصدر السابق ١١: ٥٢٢.

١٠٢. الشيخ يونس المظفر
١٠٣. الشيخ محمد حسن الاصطهباناتي^(١)
١٠٤. السيد يوسف السيد محسن الحكيم
١٠٥. السيد عبد المحسن الحكيم
١٠٦. الدكتور عبد الرزاق محي الدين
١٠٧. عبود الجابر
١٠٨. عبد الصاحب دخیل
١٠٩. الشيخ عبد الجلیل الشیخ یوسف شختور
١١٠. السيد علي عبد الحكيم الصوافي
١١١. الشيخ عبد الرحيم الحلفي
١١٢. الشيخ عبد الرضا صادق العاملي
١١٣. الشيخ ضياء الخاقاني
١١٤. الشيخ عبد العزيز الحلفي
١١٥. خليل رشيد
١١٦. الشيخ جعفر شمس الدين
١١٧. السيد عبد الامير صفی الدين
١١٨. الشيخ عباس الخاقاني
١١٩. السيد نوري لعبيبي
١٢٠. السيد جعفر محمد القزويني

(١) ولد عام ١٣٥٠ وهاجر مع والده الى النجف حضر عند السيد المحسن الحكيم والسيد الخوئي وتلمذ عند الشيخ المظفر وعاد الى طهران عام ١٤٠٠.
ترجم له معجم رجال الفكر والادب في النجف للشيخ محمد هادي الاميني ١: ١٢٨.

١٢١. الشيخ عارف البصري
١٢٢. الشيخ علي الفضلي
١٢٣. جابر عبد الحميد الخاقاني
١٢٤. عبد العظيم البكاء
١٢٥. جعفر هادي
١٢٦. الدكتور مجيد عبد الحميد ال ناجي.

مكتبته

كانت للشيخ المظفر مكتبة شأن أمثاله من العلماء وفيها مجموعة من الكتب التي اختارها أو اهديت اليه، وبعد تأسيس جمعية منتدى النشر قدمها هدية لمكتبة الجمعية ليستفيد منها طلاب المعرفة، ثم بعد ان ابتلي البلد بالمحن السود ومنها ما طال دور العلم وخزائن الكتب من الاتلاف بشتى الوسائل، وكان نصيب مكتبة المنتدى من جملتها وأصبح خبرها اثرا بعد عين وبعد السؤال و التتبع واهتمام المخلصين من الافاضل المعنيين بهذا الشأن كانت محصلة البحث - في الوقت الحاضر - ما سجّلناه من مخطوطات مكتبة المظفر:

- ١ - ديوان الشيخ عباس بن الحاج عبد السادة الاعسم (١٢٤٨ - ١٣١٣) عالم اديب شاعر وهو خال السيد محمد سعيد الحبوبي له ديوان شعر تعددت نسخه، وذكر الخاقاني ان النسخة التي اطلع عليها بخط الشيخ محمد رضا المظفر لم يعلن ختامها تقع في ١٥٦ صفحة، عدد السطور ١٦ طوله ٢١ سم عرضه ١٣ سم سمكه ٣-١ سم^(١).
- ٢- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة، تأليف السيد محمد جواد بن محمد الحسيني العاملي ت ١٢٢٦هـ كتاب الخيارات والعقود والرهن والحوالة والكفالة والصلح والشركة والوديعة والاجارة والوصايا والرضاع والطلاق والاقرار.
- أول النسخة: (والحمد لله رب العالمين.. قوله: الفصل الثالث في الخيار) وهولعة الاسم من الاختيار بمعنى ثبوت الخيرة في الشيء...).

آخر النسخة: يفيد كونهم حاكمين بمثل ما حكمنا به من كون اقراره الثاني اقرارا عائدا الى تكليف نفسه، فلا تغفل والله هو العالم بحقائق احكامه وهو العاصم من

الخطأ والخلل انه اكرم من سئل والحمد لله رب العالمين.

نسخ غرة شهر رجب سنة ١٢٧٣.... وعليها تملك الشيخ محمد رضا المظفر في سنة ١٣٧٧هـ^(١) عليها قيمة شراء النسخة (٢٠٠) فلس.

٣- يتيمة الدهر ومحاسن اهل العصر، تأليف ابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري ت ٤٢٩هـ.

أول النسخة: (القسم الثالث من كتاب يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر يشتمل على ملح اهل الجبال وفارس.....).

آخر النسخة: (انتهى الباب العاشر وبه تم الكتاب وبقي على ذكر قوم من اهل نيسابور.....).

نسخ محمد علي بن حسب الله البلدي يوم الخميس ١١ شهر رمضان ١٢٤٦هـ في دار المرحوم ملا علي النوري تثنى في اصفهان كتبها الناسخ كما جاء في آخرها وهو مريض سقيم من نسخة سقيمة مغلوطة، ابتداء في نسخها في سفره حين خرج من بغداد في ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٤٥هـ وأتمها في اصفهان وكتب اكثرها بالطريق عليها تملك الشيخ محمد رضا المظفر في محرم الحرام سنة ١٣٧١هـ^(٢).

٤ - المحصول في علم الأصول، تأليف المقدس الكاظمي. محسن بن الحسن الاعرجي ت ١٢٢٧هـ.

أول النسخة: (الحمد لله رب العالمين... أما بعد فهذا هو الفن الثاني من كتاب

(١) فهرس مخطوطات مكتبة الامام الخوئي في النجف الاشرف، اعداد وفهرسة احمد علي مجيد الحلي الجزء الاول: ٣٣٨، اصدار مكتبة دار ومخطوطات العتبة العباسية المقدسة كربلاء مطبعة دار الكفيل ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

(٢) المصدر السابق: ٣٧٣.

المحصول في علم الاصول لمحسن بن الحسن الحسيني ستر الله عيوبها وغفر ذنوبها في مدارك الاحكام الشرعية وما يتبعها...).

آخر النسخة (وكمّن نشأ في بلاد الشرك او في اقاصي بلاد الإسلام في مفازة او سعة [كذا] جبل ثم لم يسمع الا بما تلقاه منه).

نسخ عصر المؤلف عليها حواشي بامضاء (منه عفي عنه) عليها تملكات اخرى وتملك المظفر في سنة ١٣٧٧هـ عليها ختم مكتبة القاسم بن الحسن في سنة ١٣٥٧هـ وهي مكتبة الشيخ قاسم محيي الدين^(١).

المبحث السادس:

وفاته

توقّف القلب الكبير، وفاضت هذه النفس المطمئنة راضية مرضية؛ حيث لبّى نداء ربّه شيخنا المقدّس الشيخ محمّد رضا المظفر؛ وذلك في مساء ليلة السادس عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٣هـ في مدينة النجف الأشرف.

يذكر الشيخ جعفر الكوثراني: (حدثني والدي العلامة الشيخ محمود الكوثراني رحمه الله انه في مساء ليلة وفاة شيخنا المظفر - وكان ذلك في الساعة العاشرة ليلاً - أن المرحوم قد طلب من والدي أحد مجلدات أعيان الشيعة الذي يتضمن ترجمة العلامة الحلي، فأراد والدي أن يقوم بنفسه بنقل الترجمة وتجهيزها بين يدي شيخه المظفر إلا أن الشيخ أحب أن يكتبها بنفسه، وقبل احضار الكتاب وبعد مفارقتها إياه بنصف ساعة وافته المنية، وكان بيت الوالد قريباً وهذا أن دل على شيء فانما يدل على شدة اهتمام الشيخ باستغلال وقته وعدم إضاعة أي فرصة للعطاء حتى في حال مرضه)^(١).

وكان لوفاته رتّة أسمى ولوعة في العالم الإسلامي، وفي العراق خاصّة؛ حيث كان يوم تشييعه مشهوداً، كما ألفت أن تودّع مدينة النجف أبناءها من العلماء والصالحين؛ فقد نكّست الأعلام، وخرجت مواكب الهيئات العزائية تردّد أشعار الرثاء، وتقدّم المواكب مراجع الدين وأعلام الحوزة العلمية ووفود المشيّعين التي تقاطرت على المدينة

(١) ١٣٨٤هـ عام ولادته في «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى» بإشراف السيد كاظم الموسوي البجنوردي: ٦٣٥/١.

(٢) حاشية المظفر على المكاسب، تحقيق الشيخ جعفر الكوثراني الطبعة الأولى قم ١٣١٥ ص: ١٨.

من مدن العراق.

وبعد أن تمت مراسيم الزيارة لمرقد مولى الموحّدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ووري الحدث الطاهر الثرى في المقبرة الخاصّة بالمشايخ الأعلام إخوة الفقيه العزيز، الواقعة على الشارع العام لمدينة النجف.

وبذلك فقد طوي لواء خفاق من ألوية العلم والجهاد والإصلاح، أدّى رسالته الإصلاحية في خدمة الدين الإسلامي، وقَدّم لمذهب أهل البيت الطاهر: التّضحيات الجليلة في سبيل إرساء قواعد مدرسة متميّزة تخدم الجيل الحاضر والآتي بما ينسجم وأهداف العقيدة، ويرسم لدراسات الشريعة الإسلامية ملامح العطاء في إطارات التراث والمعاصرة.

وأقيمت لتمجيد ذكره محافل التّأبين، وقَدّم الشعراء والأدباء ما فاضت به العواطف، وعبّرت به المشاعر في ذكرى الراحل العظيم أبي محمّد رحمه الله.

كما وأقامت مؤسّسة متلدى النشر حفلاً تآبينياً فخماً في ذكره الأربعينيّة، وذلك في عصر يوم الجمعة ١٣ / ١١ / ١٣٧٣ هـ، ٢٧ / ٣ / ١٩٦٤ م في مدرسة جامعة النجف الدينية، وكان حفلاً مشهوداً قلّ أن يشاهد له نظير، وكان البرنامج كما يلي:

منهج الاحتفال التأبيني لفقيد الإسلام الخالد^(١)

الشيخ محمد رضا المظفر

١. القرآن الكريم. المقرأ الشيخ عبد المجيد الصائغ.

٢. الافتتاح والتعريف. الشيخ جواد قسام

٣. كلمة جماعة العلماء. تقديم الشيخ عبد الهادي الفضلي

٤. كلمة منتدى النشر. السيد هادي فياض

٥. قصيدة السيد محمد حسين الشبيبي

٦. كلمة المجمع العلمي العراقي. تقديم الدكتور يوسف عز الدين

٧. كلمة جامعة بغداد. الدكتور عبد العزيز الدوري

٨. قصيدة الشيخ صادق القاموسي

٩. كلمة جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين الدكتور عبد الرزاق محي الدين

١٠. كلمة سفير المملكة المغربية في بغداد السيد عبد الهادي التازي. تقديم الشيخ

جعفر الهلالي

١١. قصيدة الشيخ احمد الوائلي

١٢. كلمة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة. تقديم الشيخ عارف

البصري

١٣. كلمة السيد جعفر الخليلي

١٤. قصيدة السيد مصطفى جمال الدين

(١) يجد القارئ هذه المشاركات وغيرها في حق المظفر منشورة في القسم الرابع بعنوان ذكرى المظفر.

١٥ . كلمة جمعية الانماء الثقافي الاجتماعي في لبنان للسيد صدر الدين شرف الدين .

تقديم الشيخ محمد الخاقاني

١٦ . كلمة لوبقي المظفر . الشيخ جلال الحنفي

١٧ . كلمة اسرة الفقيد . الشيخ محمود المظفر

وانتهى عند الغروب، وكان قد ضمّ عدداً كبيراً من الشخصيات اللامعة في العراق .

أدب تاريخ الوفاة

لمكانة المظفر في قلوب محبيه ومدى الحزن والاسى لفقده فقد أرخ اعلام افاضل

تاريخ وفاته شعرا:

١ - الشيخ عبد الغفار الانصاري بقوله^(١) :

بجهاده فاز الرضا	بالعلم في تبيانه
خدم الشريعة مخلصا	ببراعته ولسانه
من بعد ذلك ربه	جأزاه في غفرانه
طوبى له أرّخ (وقد	سكن الرضا بجنانه)

وكان الشيخ الأنصاري قد أرسل برقية تعزية ضمنها بيتين:

فجع الإسلام في موت الرضا	ياهلول الخطب والعلم نعى
فقده للدين.....(غير مقروء)	بالأسى والحزن شجواً صدعا

٢ - الشاعر عبد الكريم الندواني:

أياشمس من عظم المصاب تكوّر	فقد غاض بحر العالم المتبحّر
----------------------------	-----------------------------

(١) ذكرى الأحبة ديوان شعر الانصاري ص ١٣٨ - ١٣٩ ط دار الكفيل كربلاء بلا .

نعم جفّ بحر كان أعذب مورد
يجول بميدان العلوم بمقول
سلاسته في منطق العلم أوضحت
سمي الرضا يابن^(١) الغريين لو ترى
لشاهدت أنّ الدين ينعاك باكياً
وها أنّني حزناً عليك تهزني
أسائل أهل العلم والصدق شيمتي
أقول لهم مستفهماً لا مغالياً
أهل جاء في نشر الثقافة عالم
إذا صوّح الوادي وأغزر مصدر
سليط عن الحقّ الصريح معبر
مسالك (تصديق به وتصوّر)
وقد حلّ فيك الحتف ماحلّ بالغري
يروح ويغدو حول قبة حيدر
إلى ما سأبدي لهفتي وتحسّري
وهل شيمة كالصدق للمتبصر
بمدح الرضا كلاً ولست بمكثر
أشاد به التأريخ (قبل المظفر)^(٢)

٣ - السيد محمد الحلبي:

منتدى النشر قد بكى
قائداً كان للحمى
وبناها جمعية
رج دنيا الغري
للعמיד الموقر
قدمشى بالمعسكر
سوف تحيا للعصر
ارخ (بنعي المظفر)^(٣)

٤ - السيد محمد حسن الطالقاني:

الفقه ريعت
بفقد من شاد مجداً
ومن له حسنات
لما دهاها المقدر
لها وضحي وطور
وخبرة ليس تنكر

(١) حيث تحذف ألف (ابن) و(ابنة) الواقعتين بعد يا النداء.

(٢) مجلّة الإيمان النجفية في عددها ٥ و٦ من السنة الأولى.

(٣) مجموعة التواريخ الشعرية مطبعة الآداب في النجف ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م: ١٢٢.

سعى حثيثا فأضحى
قضى الرضا اليوم نجبا
شأن لمسعاه يذكر
خسارة قدمينا
بها ومجد تبعر
نعت مدارس ارخ
(بها العميد المظفر)^(١)

٥ - السيد احمد الموسوي الهندي:

خبت شعلة في سماء الهدى
وغاب امرؤ كان يجلو الدجى
وغيض من الارض بل الصدى
ومات (الرضا) بعدما شنّها
ايبقى كذا ليله سرمدا
بدا العلم وهو مكب عليه
على الجهل شعواء تشقي العدى
لئن قتل الجهل في نهجه
الى ان غدا خبر المبتدا
ففي نهجه كم قتيلا ودى
أترتد خطوته القهقري
ويرجع أمس عليه غدا
ومد الى كل علم يدا
تطامن للخسف يبقى الصعود
والبدر يهبط كي يصعدا
بدا في المدى أمة وحده
قريب المنال بعيد المدى
وأدى رسالته جاهدا
فكان لغرستها موردا
وزاد بان كان كبش الفدا
نمت (بذرة) قد رعى حقلها
الى ان غدا سيذا ايذا
تواضع وهو علي الجناح
فما تركت وارثيه سدى
وقد خسرت صفقة وسدته
حكى يوم غيبته المشهدا
فعز الملايين في ميت

(١) أدب التاريخ في شعر السيد محمد حسن الطالقاني: ١٧٤ دار البنايع دمشق ٢٠١٠ تحقيق

وارسل شآبيب تاريخه (على فقد معتمد المنتدى)

١١٠ + ١٨٤ + ٥٥٤ + ٥٣٥

١٣٨٣

القسم الثاني

حركته الإصلاحية

للنهضة في تاريخ الحضارة الإنسانية مكانة جليلة لما فيها من مجال الإبداع على المستوى الفكري، ولما تقدّمه في حركتها من معالم التجديد، وبعث الحيوية، والتغيير في نظرة الإنسان للحياة وتقييمه لمظاهرها، وذلك لأنّ النهضة عبر مسيرة المعرفة الإنسانية كانت ولما تزال تمثل نقلة نوعيّة كبرى ذات مضمون شامل، بحيث أنّها تتبنّى المعالم الخيرة في الماضي، وتبعث فيها روح التطوير والإحياء نحو جديد يحمل ذات الروح الأصيلة. فكل عصر له سماته كما ان كل عصر يختلف بطبيعته عن سابقه من حيث انه عصر اليقظة والانتباه ومحاولة التحرر والانعقاد من قيود التقليد والعادات، بل هو عصر الحوادث الجسام والمجريات العظام التي هزت النفوس وأثارت الأفكار.

ولا يمكن أن ينظر إلى النهضة في كل عصر وأمة بعيداً عن اجتماع عوامل داخلية أساسية وخارجية مساعدة تشارك في تفاعلها على إيقاظ الشعور نحو وعي الأمة لذاتها، ومسؤوليتها، ولمعالجة قضايا المرحلة في ضوء متبنيات يتدبّر عندها المسار الإصلاحي وتجتمع لديها عناصر النهضة ومقومات أهدافها التي ترمي إليها.

ومن هذه العوامل البيئة، فهي كلمة نريد منها حيث نطلقها فيما نحن فيه مجموع المؤثرات الخارجية الذهنية وفي مصطلح كتاب العصر المؤثرات المادية والمعنوية التي تؤثر في تكوين الشخصية الإنسانية من أوضاع خاصة بالزمان والمكان والثقافة والأخلاق، وقد انتبه المفكرون من علمائنا السابقين الى أثر البيئة في تكوين خصائص الكائنات اجمالاً ومن اقوالهم المأثورة: (ان الله اسراراً في الأزمنة والامكنة والبقاع) وغير ذلك^(١).

ومنذ أمد بعيد في تاريخ أمتنا تتردد مسميات وألقاب لوصف حالة مرت على الافق الفكري تلونت بها أبعاد معرفية بمستوى واسع من الالوان والمديات بحسب

(١) النجف وطبقات شعرائها، الشيخ محمد رضا الشيباني (١٨٨٩ - ١٩٦٥) مجلة الاعتدال النجفية.

المناخات التي عاشتها، إلا أنها في واقع أمرها كانت تمثل ردة فعل لهوة قوية تعرضت لها الأمة بسبب انبثاق النهضة الحديثة في أوروبا وخطابها المؤثر في كافة مناحي الحياة في وقت كان فيه المسلمون يعيشون حياة مفصلية بين ما يعد في تاريخ الحضارة مجدا داثرا أقام الدنيا ولم يقعدا في مسار التقدم الإنساني في مجالات العلم والمعرفة والفنون وبين ربة الاستبداد السياسي وتسلط الطغيان من الأسر الحاكمة التي تعاقبت على حكم المسلمين عبر قرون عدة، إلى أن رست مقاليد التحكم بيد السلطنة العثمانية التي اعتبرت قيامها وريثة الخلافة الإسلامية.

وأما النهضة الروحية في تأريخ الأمة الإسلامية فإن مداها مجال واسع للبحث والتحقيق نظراً لما امتازت به من مظاهر الإنجازات الرائعة التي تحتاج إلى كثير من الاستقصاء والاستقراء فيما قدّمته للجيل العلمي من روائع الأفكار وثمرات الخواطر في رفد المسيرة العلميّة، وبالأخصّ على صعيد العلوم الدينيّة والإسلاميّة التي يتمثل بها الكيان الشامخ في تراث أمّتنا العريقة، فقد كان للنظريّات المطروحة على ساحة علوم الفقه الإسلامي وأصوله ومناهج التفسير، والحديث، ومعالم التأريخ، ودروس الفلسفة والحكمة العالية، وآداب اللغة العربية وفنونها، كلّ ذلك ممّا جعل للأمة مكانتها التي تحتلّها بين الأمم المتحضّرة.

وعندما نستطلع الوجه الحضاري لمدينة النجف الأشرف نرى من جهة بعض وسائل الثقافة وأدواتها من مدارس ومعاهد وخزائن كتب تمثل صورة من التراث الرائع، ونشاهد حلقات الطلاب والمحصلين أثناء مذاكراتهم ترسم لنا أمثلة من الكيان العلمي الماثورة في المجتمع الإسلامي القديم.

وحينما نلقي نظرة على الجامعة النجفية للعلوم الدينية - أواسط القرن الرابع عشر الهجري - نجد أنّ الجديد أخذ يتناول على القديم، والمناهج العلميّة في مختلف

الجامعات العالمية قد تطوّرت، والعلوم في برامجها قد تغيّرت، وتشعبت من حيث الفروع والأصول، وكان لزاماً على كلّ جامعة تريد أن تسير وتماشي الجامعات في العالم، وتفرض نفسها كجامعة علمية دينية تحمل رسالة خاصة أن تطوّر طبقاً لمتطلبات الظروف والأحوال.

والحديث عن النجف الأشرف في هذا الظرف بالذات حديث انماط من السلوك المتباين ذو شجون فيما كانت تقف فيه وسط تيّارات القديم والجديد وخارطة متغيرات وسباق رؤى أثرت على الواقع الفكري في نظريته للعلم والثقافة وتنمية المجتمع.

وتعد مدينة النجف الأشرف من أعرق البيئات الثقافية الإسلامية قدماً، ومن أغزرها مادة علمياً وأدبياً، وأرحبها صدرًا في تقبل الجديد المفيد فكراً وأسلوباً مادةً ومنهجاً، وأوسعها أفقاً في مسيرة التطوّرات الأدبية في العالم العربي والإسلامي^(١).

فهي - إلى جانب محافظتها على أصالة الفكر الإسلامي - لم تنزمت فترفض المعاصرة، وإنّا أخذت من وسائلها وأسبابها ما رأته الضروري النافع.

ومن هنا كانت الشخصية النجفية - دارساً ومدرساً - أعمق وعياً في تفاعلها مع التطوّرات الفكرية، وأرهف حسّاً في معاشتها لأحداث العصر اجتماعياً وسياسياً. ومن حيث نفهم هذه المعاني الرائعة لعطاء مدرسة النجف الأشرف - التي هي مدينة فكر وعقيدة وصراع - ندلف إلى تلمس الواقع في معرفة حقيقة الإبداع في الشخصية العلمية النجفية.

قال المتصوّفة: إنّ العلم نور يقذفه الله في قلب من قهر نفسه وتحرّر من معدته وترفع عن الطبيعة ومطالبها، وقال الفيلسوف الإنكليزي جون لوك: إنّ الإنسان

(١) السيّد محمد حسن القاضي، صفحات مطوية من تأريخ الحركات الإصلاحية - مخطوط -:

بافكاره وعواطفه ثمرة لبيئته وتربيته، ويقول الشيخ محمد جواد مغنية: إنَّ في أعماق كلّ إنسان نفحة إلهية إذا أحسن استغلالها وصبر على مرّها يبلغ هدفه، ويصبح وجوده حقيقة ذات قيمة ومعنى حتّى ولو كان في بيئة متخلّفة، وإذا أهمل وتكاسل عاش على هامش الحياة بلا معنى ومذاق.

وهكذا يمكن لنا أن نفّسر تخرّج هذا الجمع الحاشد الكبير من أئمة الفقه والدين، وأعلام الفكر والأدب، الذين عاشوا ما عاشوه من حياة البؤس والشقاء، حتّى قال أحدهم: (كدت من الجوع أكل الحصير)^(١).

وإذا ما علمنا ذلك استطعنا أن نفّسر العبقرية في العلم، والألمعية في الفضيلة، التي كانت اجهل السمات البارزة في جيل السلف الصالح، الذي سبق جيلنا الحاضر، خاصّة بما يتعلّق بتراث المثل العالية، والأخلاق الرفيعة، والإنتاج الغزير في كافّة الدراسات الإسلامية، وعلوم الشريعة، وآداب اللغة العربية، تلك التي تميّز في كلّ عصر بمزايا وملامح معيّنة تسمو شامخة لتشير إلى المكانة الجليلة التي احتلّها خرّيجو (مدينة العباءم وحاضرة المجد العلمي)^(٢).

ومن حيث حسب أكثر الباحثين في تأريخنا الحديث بأنّ من صاغ هذا التأريخ رجال طلبوا العلم في المدارس العصرية، وأنّهم كانوا علمانيّين، فإنّ الحقيقة الناصعة التي تواجه هؤلاء: بأنّ الذي عاش النهضة بكلّ أحاسيسه وعواطفه، وأحتلّ الصدارة

(١) للشيخ مغنية في تجاربه ولتقرأه من قصيدة في آداب المتعلم:

لم اطلب العلم كي أختال مفتخرا	على القرين وأزري بالذي دوني
وما تحملت آلاما على ألمي	وعشت مدة عمري عيش مسكين
حتّى أخادع فلاحا ليشحذني	مدا من القمح اورطلا من التين
وللاجمع حولي اهل مزرعة	ان قمت قامو ا وان اقبلت حيوني
سيان ان بعدوا وان قربوا	لي همّة لخلود الذكر تدعوني

(٢) عنوان مقال لكاتب هذه السطور مجلّة الموسم العددان ٢٣ و ٢٤: ٥٠٦.

في بناء الكيان الاجتماعي لأُمتنا في الغابر والحاضر، وألهمها بالفكر الخلاق هم شيوخ لم يتخلّوا عن العمامة وأفكارها الواضحة يوماً ما، وأنّ هذه الصفوة كانت قادة حركات تجديد، وروّاد نهضات تحرّر، وطلّعة عهد جديد، وأنّهم ثاروا وتمردوا، ولم يتخلّوا عن رسالتهم؛ فهم حضور في كلّ مجال قيادي.

ومن خلال ما تقدّم، يمكننا أن نستطلع البدايات التي كان لها الأثر في نشأة شيخنا المظفر، ومنها نستكشف تطلّعاته الإصلاحية، التي كانت تنمو لديه بحوافز ذاتية مؤطرة بالعبقة والتقوى، والطهر والنقاء.

ولعلّنا في قراءة متأنية لقصيدة الخطيب المرحوم الشيخ مسلم الجابري في رثاء الحجة المقدس الشيخ محمد حسن المظفر ١٣٧٥هـ، نعرف ما كان يحتلّه الشيخ محمد رضا من زعامة للتّيّار الإصلاحي الذي وضع بذوره وضخّى من أجل أن يصلب عوده، فكان على حدّ قول الجابري:

فتى شاب في الفضل حتّى شأى على النجم تأريخه الأضوع
زعيم الشباب وشيخ الحمى يلوذ به الفكر إذ يجزع
تسامى بأعماله (المنتدى) وشيد في فضله (المجمع)^(١)

ولهذا فإنّ ملاحظة الأحداث التي حاول المظفر أن يجتزلها بمعرفة كافية من أجل أن تستمر مسيرة الإصلاح، بما كان يتمثّل في منهجة الدراسة والتربية والتعليم، وإمكانية إصلاح وتقويم مناهجها، وتطوير أساليبها لمواكبة التطوّر التربوي، الأمر الذي كان قمينا بتحقيق الهدف لكسب الموقف في المستقبل الذي يترقّب المظفر لطرح المبادرة السريعة في مواجهة التّيّارات الضالّة، التي استطاع الاستعمار أن ينفذ من خلالها ومنها

(١) المصدر السابق: ص ٣١٧ والمقصود بالمنتدى هو جمعية منتدى النشر الدينيّة، والمجمع هو المجمع الثقافي الديني للذات أسّسها المرحوم المظفر.

تصعيد النشاط لدعوات التبشير المسيحي وبدايات تأسيس الاحزاب اليسارية التي هدفها الرئيس تحطيم البناء العقائدي للمسلمين^(١).

ولم يخف وجود الطابع السلبي في تأريخنا المعاصر وبروزه في الوقوف لاحباط ماكان يطمح اليه دعاة الإصلاح والمفكرون النابهون في النصف الأشرف وما يتصل بها من مراكز الفكر الإسلامي، فقام دعاة الإصلاح هنا وهناك يدعون إلى تهية الأجواء المواكبة للأوضاع الاجتماعية، وتخطيط الحياة الاجتماعية بالشكل الذي يخدم النار التي اججها المستعمر، وبرغم المواجهات الجادة لنقض سعيه فقد ابتكر اساليب ووسائل بديلة اهمها تفريق الشمل الإسلامي باثارة النعرات الطائفية وزرع الضغينة بين اوساط الطائفة الواحدة والمساهمة باشاعة الجهل بمجتمعاتنا وتردي الحالة التعليمية والتربوية وهو ما نعانيه اليوم في حياتنا الحاضرة.

ولننظر الى مادونه المظفر باوراقه وهو يستعرض تطور الحركة الفكرية لاصلاح الدراسة الدينية اذ يقول: حياة مليئة بالمخاطر هذا الذي يعمل للدين في ساحات الدين، وهو يريد ان يصلح نواقص لا ترتبط بالدين بصلة الا انها عادات جارية بين اهله وعرف شائع في طبقاته، فقد تطارده امته مطاردة ناقمة ولو كان عمله لصالح الدين واهله^(٢).

ولم يكن المظفر يعيش همومه الاصلاحية لوحده بل كان يحمل هذا التوجه غيره من رجال الاصلاح التعليمي في غير العراق، فكانت هناك دعوات تخطط عين مايسمو اليه حيث قاموا بتنفيذ تجاربهم - وبقدر يطابق او يختلف شيئاً ما- بتأسيس مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية تجاري المدارس الحكومية في شكلها ومحتواها وتطورها وتوسعها، في

(١) راجع ماكتبه الشيخ بمقالاته التي نشرناها بالجزء الموسوم (من وحي الفكر). كما ننظر ماكانت تغطيه المجلات الصادرة في تلك الفترة وفي مقدمتها مجلة الهدى العمارة ونشاط اعلام الدين وفي طليعتهم الشيخ حبيب المهاجر العاملي.

(٢) من اوراق المظفر: ١٢٩.

الوقت الذي تحافظ فيها على جانب التوجيه الإسلامي.

(ففي سورية تبنّى هذه الدعوة الإيجابية السيد محسن الأمين، فأُسّس في الشام مدارس المعروفة باسمه، والتي ما تزال قائمة تؤدّي رسالتها الإصلاحية، وتبناها السيّد شرف الدين في لبنان، فأُسّس لها المدارس الجعفرية بـ(صور)، وأخضعها للمناهج الحديثة، وأحاطها بعنايته وتوجيهه)^(١).

وفي إيران تبنّى الفكرة الشيخ عباس علي الإسلامي، ففتح المدارس الإسلامية، وقد لاقت هذه المدارس إقبالاً منقطع النظير من قبل الناس، وانتشرت في المدن والقرى بصورة واسعة.

وتبنّى الشيخ محمد رضا المظفر لأوّل مرّة هذه الفكرة، وحاول تحقيق هذه المهمّة بما أوتي من إمكانيات واسعة ولاقى في هذا السبيل كثيراً من العناء، وبذل من نفسه الشيء الكثير، حتّى كاد أن ينسى نفسه في سبيل الوصول إلى الغاية، وكان في كل ما قدمه عند بدء حركته أو بعد ما أسس من بذل وجهاد في هذا السبيل يشرف على سير التدريس بنفسه في المدارس الابتدائية والثانوية، ومن دون أن يشعر بذلك هواناً على نفسه، وكان يتفق أن يباشر التدريس في بعض الصفوف الأولى من الكليّة وهو يحمل شهادة الاجتهاد ويزاول التدريس العالي.

وقد قدّر للشيخ المظفر في هذا السبيل أن يحظى بشيء كثير من التوفيق يتخلّله الفشل، ويخالطه الإخفاق، ولا يفتر شيء منهما من عزيمة الشيخ المؤسس لأنّه كان يملك (إيماناً منه بأنّ تربية الناشئة تربية دينية، وتوجيههم إلى العلم والأخلاق الفاضلة من أفضل الواجبات المفروضة على الرجل الديني في هذا العصر، وخير السبل القويمة لتحقيق أهدافه الإصلاحية في نشر الثقافة الدينية، وبعث الروح الإسلامية في النفوس،

(١) محمد تقي الحكيم: تمهيد وتقديم كتاب النص والاجتهاد: ص ٢٥.

وتقويم الأخلاق^(١).

كما ان المعنيين بشؤون الحوزة العلميّة في بواكير القرن الماضي ادركوا أنّ النجف^(٢) - كمدرسة علميّة - تعاني من بعض ما تحتاجه لتطوير مستلزمات الدراسة وأساليبها، وأنّ سبب هذا الضعف ناشئ من عدم النظام، والتعصّب للقديم البالي، وليس للتراث العلمي الضخم الذي يعتزّ به الجيل العلمي أساس لمواكبة السير والبحث والاستقصاء. وكان الرأي العام يراقب سير الأعمال والحركات الإصلاحية، في النجف، ممّا جعل القيام بأيّ نشاط إصلاحي على جانب كبير من الخطورة... بل ان هذا التفكير كان في وقته، يشل كثيراً من الحركات والاتّجاهات الإصلاحية يقول الشيخ المظفر في بعض مذكراته: (هذا هو التفكير الذي يبدو ظاهراً على بعض رجالنا الذين كانوا يحملون بإصلاح نواقص الدراسة العلميّة في معاهد النجف الأشرف، فإنّ هذه النواقص - كفقدان نظم التربية والتدريس في الامتحانات والمواد العلمية والأوقات والشهادات - كانت تهدّد المفكرين ممّا بشل الحركة العلميّة في مستقبل الجامعة القريب أو البعيد، يوم أن اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيّار هذا العصر الجديد فهزّتها

(١) راجع للتفصيل: كتاب مدرسة النجف للشيخ الأصفي. حتى بعد ان تأسست جمعية منتدى النشر؛ فقد جاء في المادّة الرابعة من نظام الجمعية: ان (مقاصد المنتدى تعميم الثقافة الإسلامية، والعلمية، والإصلاح الاجتماعي بواسطة النشر والتأليف والتعليم وغير ذلك من الطرق المشروعة). (٢) من خلال استقراء ماكتب بهذا الصدد نستطيع التأكيد ان علماء افاضل في الحوزة النجفية كانت لهم افكار مبكرة بغية التوصل الى صياغة مشروع تطوير وتنظيم الدراسة في الجامعة النجفية ومنها نقابة الاصلاح العلمي التي سعى لتأسيسها الشيخ محمد جواد الجزائري، ولعله كان اول المبادرين في ١٣٢٣ او بعد هذا التاريخ لتنظيم كلية دينية، ويذكر الخاقاني ان السيد عيسى كمال الدين (١٢٨٧ - ١٣٧٢) استمر يناضل ربع قرن لتوجيه اخوانه وتنبيههم وایجاد كلية دينية تحفظ لهم اتعابهم، فيما يرى الاخ القاموسي الى ان اول من فكر باعادة النظر بمنهاج الحوزة وتطويرها السيد محسن الامين عام ١٣٠٨ بعد هجرته للنجف، اما شيخنا المظفر فقد كتب سنة ١٣٤٥ باسم مستعار مقالات تخص الحديث عن طرق التدريس: انظر اوراق المظفر هامش الصفحة: ١٣١.

في بحر متلاطم بالمبول، ولكن الوقت الذي كانوا يفكّرون في هذا، كان يعوقهم عن التقدّم في العمل، ذلك التفكير المؤلم^(١).

وكان المظفر يتابع بجدية مايقع في الساحة النجفية يقول: لقد سايرت بنفسي تطور فكرة الاصلاح حتى هذه الساعة وسأعطيكمها وليدة نشأت في احضان الاجتماعات الصامته ومرت عليها ادوار وتجارب غزتها حتى اشتد ساعدها ونمت نموا يناسبها شأن الكائنات الحية، ثم يضيف موضعا انه في سنة ١٣٤٣هـ تألفت عدة جماعات اشبه بجمعيات سرية او مجالس تهديدية للتفكير في طريق الاصلاح وكسب الشعور العام، واتخطر جيدا اني اشتركت في احدها وكنت كاتبها واعضاؤها كلهم من الشباب الديني ذلك اليوم... وهم اكبر منا طبقة اشترك اكثرهم في منتدى النشر...^(٢)

ثم وضع في سنة ١٣٥٥ (الخطّة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية أو كلية للاجتهد، بفتح الصف الأول الذي كان يدرّس فيه أربعة علوم: الفقه الاستدلالي، والتفسير، وعلم الأصول، والفلسفة على شكل محاضرات توضع بلغة سهلة واضحة، فتبرّع بتدريس الأول والثاني الشيخ عبد الحسين الحليّ، وتبرّع بتدريس الثالث والرابع الشيخ عبد الحسين الرشتي، وكان تبرّع هذين العلمين بالتدريس دراسة منظّمة من أهم الأحداث في تأريخ النجف الأشرف، ويعدّ تضحية نادرة، منها تذكّرة مدى الدهر بالتقدير والإعجاب بروحهما الإصلاحية، ولم تأت العطلة الصيفية إلّا وتعطلّ هذا الصف ليعود بعدها، ولكنّه أبى ولا يدرى غير بعض أعضاء مجلس الإدارة أكان إياؤه عن دلال أم ملال أم عن شيء آخر غير منتظر حتّى من مثل هذين العلمين نفسيهما؟! قاتل الله الشجاعة الأدبية كيف تعزّ في أشد ظروف الحاجة إليها)^(٣).

(١) محمد رضا القاموسي، من أوراق المظفر: ٥٩.

(٢) المصدر السابق: ١٣٠.

(٣) المصدر السابق: ١٥٠.

(وفي سنة ١٣٥٧ هـ بعد فتور وفترة مقدارها قرابة السنة تأسس صف لدراسة العلوم العربية والمنطق والفقه والأدب العربي وبعض الفروع الأخرى، واستمر إلى آخر السنة، وكان نجاحه ممّا شجّع على فتح ثلاثة صفوف في سنة ٥٧ - ١٣٥٨ دراسية، واعتبر الطلاب المتخرجون من الصف السابق طلاباً للصف الثالث، وقد نجح هذا المشروع في تلك السنة نجاحاً باهراً، وبلغ طلابه ١٥٠ طالباً، واعترفت بها وزارة المعارف^(١).

وتّم له في سنة ١٣٦٤ هجرية - بقوة الاستمرار - أن يفتح أربعة صفوف باعتبارها قسماً متوسطاً للعلوم الدينية مع صف تحضيري قبلها وثلاثة صفوف أخرى عالية اعتبرت كلية للفقه، وقد نجح في خلال هذه المدة جماعة لا يستهان بها من الطلاب الأذكياء الذين أصبح قسم منهم مفخرة من مفاخر الجيل، في ثقافتهم وأقلامهم وأخلاقهم الإسلامية، وجملة منهم لا يزالون يؤدّون واجبهم المقدّس في تربية الناشئة الدينية^(٢).

ومن هذا نعلم ان المظفر واكب هذه الحركات منذ ظهورها، واشترك في كثير منها، ووعى ضرورتها منذ بدء ظهورها، فاستمع إليه عندما يؤرّخ سير الإصلاح في النجف منذ نشوئه ولاهتمامه بنجده يقول: ولا أزال أحتفظ بمحاضر جلسات جماعتي الأولى تلك ومذكراتي الخاصة عنها وعن غيرها، وهي - على بساطتها - تمثّل لي مقدار التكتّم والخوف الذي كان يساورنا، وكان عملنا وتفكيرنا مقتصرّاً على تفقّد المفكرين من أصحابنا الذين يحسّون بالداء مثلنا، وبالرغم من مواصلة الجلسات والتفكير طيلة عام، فإنّنا لم نستطع أن نخرج وقتها من غرفتنا إلّا بعض الشيء، ولم نستطع أن نضم إلينا أكثر من عشرة أعضاء فرّق الزمن بين أكثرهم في بلاد نائية وقرية، ولا يزالون على قيد الحياة

(١) المصدر السابق: ١٥٠ - ١٥١.

(٢) المصدر السابق.

في النجف وخارجه، يقرؤون كلامي هذا إذا اتَّفَق لهم ولا بدّ، وما أدري هل يسمحون لي أن أذكر أسماءهم، ولكن صديق العلامة الشيخ عبدالله السيّتي، اعتقد أنّه لا يخل عليّ بالتصريح باسمه، والآخر ! من هو؟ (فليسمح لي أن أذكر اسمه) الأخ بالروح العلامة الشيخ محمد كاظم آل الشيخ راضي، وعندما يقرأ اسمه الصريح هل يرتاح له؟ سأعرف ذلك عندما أعلم أنّه قرأه.

ولم يقتصر همه على اصلاح الجانب التعليمي فحسب، بل كان تفكيره ينصب على كل ظاهرة سيئة، فمثلا في عام ١٣٤٩هـ عندما هاجمت النجف كتب عدائيّة حسّست الشعور العام فاتّخذها جماعة منا -وأكثرهم من هاتين الجماعتين السابقتين وأعضاء في المنتدى أيضا -وسيلة للنهضة بتأسيس جمعية للنشر والتأليف، وكان ينوي بعض القائمين بالحركة الذين اتّصلت بهم استغلال هذه الجمعية إذا تمت لإصلاح الدراسة الدينية.

ولا أنسى ما قام به الأخ العلامة الشيخ علي ثامر - مدرّس علوم البلاغة في المنتدى الآن - من الجهود المشكورة في سبيل المشروع؛ فقد كان هو من أوّل المفكرين فيه ومتّبعي هذه الحركة، وفي داره عقدت الاجتماعات التمهيديّة، ثم في دار العلامة السيّد سعيد الحكيم، وقد تمكّن القائمون بالنهضة ان يشركوا بعد أشهر رجالات النجف وعلماءها ومفكرها، حتّى انتخبوا هيئة عاملة تتألّف من سبعة أشخاص وهيئة علمائها من ثلاثة مجتهدين، وباقتراح هذه الهيئة العليا نهض العلامة الأكبر المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي لتأليف تفسير مختصر للقرآن العظيم ليكون باكورة الأعمال أسماه «آلاء الرحمن» وعاجلته المنية قبل إكماله، وخرج منه جزآن وطبعا، فكان هذا كلّ نتيجة هذه الحركة.

وهذا هو الدور الثاني للفكرة، ولم تخل النجف بين هذين الدورين وبعدهما من

أحاديث وآراء ومجموعات، بل ومحاولات كالفقايح لم تظهر إلا لتختفي كما يقولون، ولا ينكر أيضاً أثرها في توجيه الأفكار وتهئية الشعور العام.

وجاء الدور الثالث من قبل ست سنوات - أي من حين تدوين المذكرات - وهو أبعداها مدى، وأعظمها أثراً، وذلك حركة الكلية، كما يسمونها؛ لأنها هزّت النوادي النجفية هزة عنيفة اشترك فيها الكبير والصغير، والعالم والجاهل، وقد بلغ الموقعون على ورقة شروط العمل المائتين، وهم من رجال العلم بالنجف وأهل الكلمة فيها، ولكن يظهر أنّ هذه الكثرة في ابتداء العمل وقبل انتظامه ساعدت على توقّف الحركة، فلم تصمد أمام العاصفة الهوجاء، وقد أعطتنا التجارب أنّ الأعمال الكبيرة يجب - لأجل نجاحها - أن تقوم بها جماعة محدودة تدير دفة العمل بتعاضد وتكاتف وتضحية، على عكس ما هو مشهور، إلا أنّ الشعور بالمسؤولية يقوى في الفرد إذا قلت الجماعة، وهكذا كثرت الجماعة ضعف الشعور بالمسؤولية، وهذه نظرية اجتماعية نستطيع أن نلخصها بقولنا: إنّ عدد الجماعة يتناسب عكسياً مع الشعور بالمسؤولية في الفرد.

واعتقد أنّ من أسباب فشل هذه الحركة أيضاً أنّ الدعوة كانت لعمل كبير جداً، ليس من السهل تحقيقه مرة واحدة مهما كان القائمون به، والتدرّج سنّة الله في خلقه ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١).

فمن الضروري لمثل هذا العمل أن يبدأ صغيراً، ويتمّ بمرور الزمن إذا تعوّد من رجال مخلصين بالسعي والجهد المتواصل، ولو تحقّقت يومئذ هذه الفكرة لتغيّر مجرى تاريخ النجف إلى غير ما نشاهد اليوم، ولكانت علالي العلم سامقة دونها ناظحات السحاب... إلى آخر ما ذكره في مذكراته المهمة.

وما يمتاز به المنهج المظفّري لتطوير دراسات العلوم الإسلامية هو الدقة في اختيار

واقرار المادة العلمية المطلوبة والاستاذ الذي يؤدي دوره في تدريسها، فعندما اختير المرحوم الشيخ محمد الشريعة لتدريس علم الأصول كان المظفر بين إقدام وإحجام على تقديمه للتدريس بسبب أن الشيخ الشريعة كان يميل إلى طريقة أستاذه وعمّه - والد زوجته - المرحوم الشيخ أغا ضياء الدين العراقي، و من رأي المظفر أن يتم تدريس الأصول على منهج أستاذه الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني. لذلك بادر المظفر بنفسه للبدء بتدريس الاصول لبيان المنهج المطلوب.

وبهذا الاسلوب المتبع بانت بواذر الاصلاح التعليمي ومن شعوره بالتوفيق قوله: وكان تبرع هذين العلمين (الشيخ عبد الحسين الحلي والشيخ عبد الحسين الرشتي) بالتدريس دراسة منظمة من اهم الاحداث في تاريخ النجف الاشرف، ويعد توضحية نادرة منهما تذكر مدى الدهر بالتقدير والاعجاب بروحهما الاصلاحية^(١). ومن ملامح تحقيق أهدافه... (وقد نجح في خلال هذه المدة جماعة لا يستهان بها من الطلاب الاذكياء الذين اصبح قسم منهم مفخرة من مفاخر الجيل في ثقافتهم واقلامهم واخلاقهم الإسلامية..)^(٢).

وفي هذه الفترة بالذات كان ابتداء الشيخ المظفر بتدوين ما كتبه في المنطق وأصول الفقه والعقائد، بل إنه بدأ يكتب تأريخ الإسلام على طريقة السيرة؛ حيث كتبها المظفر بألفاظ الروايات والأحاديث وهو اسلوب جديد في الكتابة الادبية.

ولاهمية قرار المرجعية الدينية فيما يجري من تجديد وتغيير، فقد حالفه النجاح في تعضيد وتشجيع المرجعية الدينية بزعامة المرجع الاعلى السيد أبي الحسن الأصفهاني، الذي أجاز صرف الحقوق الشرعية لتطوير حركة هذه المدرسة وجمعية المتدنى، ثم فتواه

(١) كان ذلك عام ١٣٥٥هـ الشيخ المظفر، متدنى نشر أعماله وآماله: ٨-٩.

(٢) في سنة ١٣٦٤ نظام متدنى النشر.

بأتحاذ خان الشفا (الوقف) المجاور للصحن الحيدري الشريف مقراً للممتدى من أبرز جوانب التشجيع على ترتيب سير الدراسات الدينية في ضوء منهج جديد.

وكان لآية الله المرجع المقدس الشيخ محمد رضا آل ياسين^(١) موقف لتأييد المشروع الدراسي في رسالة ارسلها للمظفر:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

سألت -أيذك الله- عن رأينا في مدرسة متدى النشر الدينية في النجف الاشرف، نعم اطلعت على مناهجها القويمة ومبادئها الدينية المستقيمة التي أخذت الهيئة العلمية المحترمة القائمة بشؤونها تطبيقها عملاً بكل همة ونشاط ودقة واحتياط، فظهر لنا بالرغم عما يختلج في أذهان البعض منا من الريب في أمرها. إنها مؤسسة دينية علمية اخلاقية لاهم لمؤسسيها الكرام على مايشهد به أعمالهم سوى تثقيف طلابها بالمعارف الإلهية والعلوم الدينية والأخلاق الفاضلة والآداب الشرعية، فشكر الله مساعيهم وبارك لهم وفيهم ونسأله تعالى لهم التأييد والتسديد ولمدرستهم التقدم والنجاح ولطلابها التوفيق للعلم والعمل الصالح.

والأمل باخواننا المؤمنين الذين يهتمهم أمر العلم والدين ولاسيما ذي اليسار منهم معاضدة الهيئة المحترمة ومساعدتها على هذا المشروع الخيري النافع مادام الدين شعاره والعلم غايته المقصودة وبغيته المنشودة.

وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين.

١٥ ذى ١٣٦٣

الراجعي عفوريه

(١) راجع القسم الرابع، وثائق ومعطيات.

محمد رضا آل ياسين

وقد سجل الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء اعجابه جوابا لسؤال وجه له عن مدرسة المتدى بقوله:

فضيلة معتمد متدى النشر

كتبت تسألني عن رأيي في مشروع المتدى والذي أحسه أن المتدى نواة صالحة يرجى ان تثمر ثمرا يانعا بل نافعا ان شاء الله والذي يعوز الدارس اليوم عموما هو الأخلاق أي الدين، فان توقف المشروع لاجراج ثلة من الشباب متخلق بالاخلاق الفاضلة فقد نجح انشاء الله.

وهذا ما يرجوه لكم ابوكم الروحاني محمد الحسين^(١).

كما ساهم بالتأييد والدعم المعنوي آيات الله السيد ابو القاسم الخوئي والسيد جمال الكلبايكاني والسيد مرزا حسن البجنوردي والسيد عبد الهادي الشيرازي والسيد محسن الحكيم والسيد محمود الحكيم والشيخ محمد حسن المظفر والشيخ حسين الحلي والسيد حسين الحماي والشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد محمود الشاهرودي والشيخ مرتضى آل ياسين.^(٢)

كما تحفزت الاسر العلمية والطبقات النجفية لتأييد المشروع بانتساب ابنائها وتقديم العون والحرص على نجاح المشروع.

وان دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ على الوعي المبكر للمرجعية الشيعية في مواجهة ظروف العصر، وكان لنجاح المنهج الجديد الأثر البالغ في خلق مثل هذه الأجواء التي عاشها المظفر في عصره الى جانب تأثره بشيوخه حين اتفق له بالاطلاع على طرف من

(١) قسم الوثائق في مكتبة الامام كاشف الغطاء، المصدر السابق.

(٢) لتفصيل انظر الحجر الاساسي لمتدى النشر ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م المطبعة الحيدرية في النجف.

الثقافة العصريّة، وهو في ريعان شبابه فتدوّقها، وما طمحت اليه نفسه العالية في إطار مواجهة النزعات الحديثة خاصة عند مراسلته لبعض المجلّات كالمقتطف والرسالة والهلل المصريّة.

وهكذا أتيح للشيخ أن يستمر على هذه الحالة، ويواكب الحركة الفكرية الناشئة، ويأخذ نصيباً وافراً من هذه العلوم الجديدة، ويتأثر تأثراً بالغاً إلى جانب تأثره بشيوخه. ومن أهم ثمراته التي لها دلالات في بناء الشخصية الإسلامية الرائدة برجال - من خارج المنتدى - يعدون في طليعة أعلام النهضة الحديثة للفكر الإسلامي من تأثرهم وعملهم بمؤسساته ولجانها، ثم انطلقوا ليؤدوا رسالتهم في الحياة أمثال السيد موسى الصدر والسيد محمد مهدي الحكيم والشيخ محمد مهدي شمس الدين والشيخ محمد مهدي الاصفي، فقد كانت اللبنة الاساسية لمواصلة مشاريعهم ومؤسساتهم وما حققوه قائمة على إثارة مباركة من بنات أفكار الشيخ المظفر.

ولابدّ من استذكار مواقف العطاء بمختلف ألوانه التي قدمها العلامة الشيخ محمد رضا الشيباني والدكتور ضياء جعفر والمحسن الوجيه الحاج عبد المحسن شلاش والسيد عبد المهدي المتفكي والشيخ بلاسم ال يس والشيخ خيون العبيد وصادق البصام والحاج حسين الشاكري وصادق الخليلي.

ومن نجاحاته دعوة المرجع الكبير المرحوم السيّد حسين البروجردي له، حيث استضافه في مدينة قم المقدّسة للإشراف على تنفيذ مشروع تنظيم شؤون الحوزة العلميّة في إيران في برامجها الدراسية، حيث اجتمع مع المرجع السيد البروجردي في مدينة قم وأنجز رسم الخطوط الرئيسيّة لإصلاح المناهج والتخطيط لدراسات الحوزة ومجالات تطبيق نظام الإمتحانات، وبعد إقامة الشيخ لمُدّة غير قليلة في إيران والمشروع بعد لم يدخل حيّز التنفيذ في حينه ولظروف لا يسعنا ذكرها... أهمّها مرض السيّد وتليته

نداء ربّه الجليل، وإياب المظفر إلى عرينه في النجف الأشرف.

ولعلّ هذه البادرة الغالية في حياته من عناصر نجاحاته بما تستحقه من الإعجاب والتقدير^(١).

ومّا يسجّله الشيخ المظفر في معرض اهتمامه بنشر الكتاب الإسلامي، ومرجعية مدينة النجف وإسهاماتها الكبيرة باعتبارها مهد جامعة دينية كبرى، قوله: (والنجف بلاد علميّة من قديم القرون، وعاصمة للمرجعية في التقليد، والجامعة الأولى لدراسة العلوم الدينية والعربية، ولها سوق رائجة في الأدب العالي، وفيها في كلّ عصر مؤلّفون وأدباء، ولها في كلّ فن كتب وآثار، فهي من هذه النواحي غنيّة لا يضارِعها بلد إسلامي آخر، ولا سيّما قبل عصر النهضة الحديثة. إلّا أنّ الذي ينقصها - ويجب الاعتراف به - تنظيم نشر ما تضم كنوزها من مؤلّفات قديمة وحديثة، وتوجيه التأليف على النحو المرغوب فيه في هذا العهد، وتشجيع المؤلّفين والناشرين في عصر راجت فيه الطباعة وآسقت حركات الثقافة، وآسعت دور النشر، وحرمت منه بلادنا المقدّسة، فهي - على ما فيها من مادة غزيرة - منكمشة على نفسها، لا تظهر آثارها كما يجب أن تظهر، وما يتّفق أن ينشر في منتجاتها - وإن كان ليس بالقليل في حدّ نفسه - لا يبلغ الواحد من المائة إذا أردنا المبالغة، على أنّه قد لا ينشر المنتخب والمختار من تلك المؤلّفات! لأنّ ما يطبع - على الأكثر - إنّما هو نتيجة جهود فردية يقوم بها أشخاص المؤلّفين أو من يمتّ لهم بصلة^(٢)).

ولا ننسى أنّ الحركة الإصلاحية لا بدّ وأن تواجه بمعاكسات ومضايقات، خاصّة في الوسط الذي لا يدرك وعيه إلّا بطيئاً، ولذلك نجد الشيخ الأصفي يعلّق على

(١) أشار إلى هذه المعلومة السيّد محمّد حسن القاضي في كتابه القيم المخطوط عن أستاذه المظفر، حيث استعرض سيرته من خلال تطلّعاته وآفاق وعيه المبكر في الإصلاح والتجديد.

(٢) سير وتراجم نجفية للمظفر: ١٦٥.

مشروع النهضة المظفرية بقوله: (ولا يكاد ينفع العمل الإصلاحي في مثل هذه الظروف ما لم يكن مقروناً إلى دراسة الوضع دراسة موضوعية شاملة، وإلى الروية والتدرج في العلاج، وقد أدرك الشيخ كل ذلك، وفكر في ذلك كله طويلاً، وشمر عن ساعد الجدة؛ ليخوض ميدان العمل، وهو يدري أنّ هناك عقبات صعباً تعرقل سيره في هذا الطريق. وأعقبته بمحاولة لتطوير الدراسة، وتبسيط الكتب الدراسية، وتوسيع المناهج الدراسية، ووجد أنّ الدراسة المنهجية هي الخطوة الأولى في هذا الطريق، ومهما كانت ضرورة الدراسة الفردية، ومهما قيل في جدواها فلا بدّ أن ينضمّ إلى هذا اللون من الدراسة لون آخر من الدراسة يعتمد على نظام خاص، وبهذا الشكل حاول أن يحقق جزءاً من الإصلاح.

وكان يتوخّى من وراء ذلك تبسيط الكتب الدراسية، وتنظيم الدراسة، وتوسيع المناهج الدراسية بصورة منهجية خاضعة لنظام خاص تعدّ الطالب لدخول الدراسات الخارجية والتخصّص في الاجتهاد، أو التفرّغ للخطابة والكتابة الإسلاميتين، أو ما يتصل بذلك ممّا يرتبط برسالة النجف الأشرف.

وفي سنة ١٣٧٦هـ - بعد محاولات عديدة وتجارب طويلة - أسّس الشيخ المظفر كلية الفقه في النجف الأشرف، واعترفت بها وزارة المعارف العراقية سنة ١٣٧٧، واعتبرت شهادتها عالية يطبّق على حاملها ما تنصّ عليه القوانين والأنظمة فيما يتعلّق بخريجي المعاهد العالية.

والعلوم التي تدرّس فيها هي: الفقه الإمامي، والفقه المقارن، وأصول الفقه، والتفسير وأصوله، والحديث وأصوله - الدراية - والتربية، وعلم النفس، والأدب وتاريخه، وعلم الاجتماع، والتأريخ الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، والفلسفة الحديثة، والمنطق، والتأريخ الحديث، وأصول التدريس، والنحو، والصرف، وإحدى اللغات

الأجنبية.

وقد بذل فقيدنا الشيخ حياته في سبيل تنمية هذه المؤسسة بإخلاص وإيمان يعزّ مثله في نفوس المجاهدين؛ فكان يقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية، وإدارة الصفوف عند غياب بعض المدرّسين في سائر العلوم، وكان في الوقت نفسه يعدّ مجلّدات كتابه القيم «أصول الفقه» للتدريس في كلّية الفقه، وفي حوزة النجف الأشرف - باعتباره الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الأصول وكفاية الأصول - ويباشر مهام الإدارة والعمادة والتأليف وحتى تدوين السجلات في بعض الأحيان، وكم شوهّد الشيخ، وهو يقوم بتدوين بعض سجلات الطلبة أو مراجعتها أو طباعة بعض الرسائل بالآلة الطابعة.

وكذلك قامت المؤسسة على عاتق الشيخ الفقيد، وأودعها حياته، وشيّد بها بدقّات قلبه، وبذل في سبيلها جميع إمكانيّاته.

وحاول في الوقت نفسه أن يقوم بتبسيط الكتب الدراسية وإزالة التعقيد والغموض عنها؛ ليسرّ للطالب المادّة الدراسية في الدرس من غير جهد ومشقة، وليوفّر على الطالب كثيراً من الجهود التي يبذلها في هذا السبيل؛ ليصرفها في مجالات الفكر الرحبة.

وحرّر لذلك كتابيه «المنطق» و«أصول الفقه»، فحرّر بهما هذين العلمين من غموض وتعقيد الكتب القديمة.

ومن إنصاف الحقّ أن يقال أيضاً: إنّ هذين الكتابين يعتبران فتحاً كبيراً في هذا الباب، ولا يجد الباحث عسراً كثيراً ليلتمس الجهد الكبير الذي بذله الشيخ الفقيد لتبسيط المنطق والأصول في هذين الكتابين، مع صعوبة المادّة في ذاتها.

ولا يقتصر الجهد التجديدي الذي بذله الشيخ المظفّر في هذين الكتابين على تبسيط العرض، ففي هذين الكتابين وما فيهما من التجديد والتطوير ما لا يوجد في الكتب الأخرى.

وقد حاول المؤلف أن يجاري في هذين الكتابين أحدث المناهج التأليفية في كتب الدراسة الجامعية من العرض والتبسيط والتمثيل والتمرين والتنسيق والتعليق^(١).

ومن أعماله الرائعة تفكيره بتقويم مسيرة المنبر الحسيني، باعتباره أحد أهم الوسائل التبليغية المؤثرة في المجتمع بشكل مباشر، فقد قام بمحاولة جادة؛ لتوطيد رسالية الخطابة الحسينية، فكان فتح معهد هذا المستوى من أكبر آمال الشيخ الفقيه، ففي التقرير السنوي الذي رفعه إلى الهيئة العامة سنة ١٣٦٣ تصريح بهذه الفكرة، فقد جاء فيه: (كلية الوعظ والإرشاد، يتحوّل المتخرج أن يعظ باسم الدين، وأن يكون ذاكرةً للحسين والمنوي السعي في فتحها في فرصة قريبة إذا سهّل الله تعالى)^(٢).

وتألّفت هذه اللجنة عام ١٣٦٣هـ برئاسة خطيب العراق الشهير فضيلة الشيخ محمد علي قسام، وذلك على أثر التوجه العام الذي ظهر في جميع الأوساط المثقفة في العراق بضرورة تهذيب ناشئة خطباء المنبر الحسيني، وثقافتهم ثقافة عالية تليق برسالة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وقد باشرت هذه اللجنة أعمالها، وشرعت بالفعل - قبل أن يتم منهاج المدرسة وفتحها رسمياً - في فتح صف بمنزلة تجربة لعملها لدراسة الفقه والعلوم العربية وأصول الدين وأصول الحديث وعلم الدراية.

غير أنّه لم يمض على فتح هذا الصف التجريبي قرابة شهر واحد إلّا واثارت - على غير انتظار - زوبعة عنيفة على هذه اللجنة بحجّة أنّها تسعى لتحديد نوع خطابة المنبر الحسيني وتحديد أشخاص الخطباء، وبحجّة أنّها تريد أن تقلّص من ذكر الحسين عليه السلام، وبغير ذلك من التهم الباطلة التي كانت تكال على هذه اللجنة، في حين أنّ أعضاءها

(١) خدمة للحقيقة، نشر إلى أهمية كتاب «مدرسة النجف» للعلامة الجليل الشيخ محمد مهدي الآصفي الذي أصدره في أربعينية الشيخ المظفر، وقد استفدنا منه الكثير ممّا افاضه في دراسة الحركة الإصلاحية وتطوّرها.

(٢) منتدى النشر أعماله وآماله للشيخ محمد رضا المظفر: ص ٢١.

كلّهم من مشاهير الخطباء وأتقيائهم، الذين حرصوا كلّ الحرص على خدمة الحسين ومنبره، وما كان تأليفهم للجنة إلّا بدافع الإخلاص للدعوة الحسينيّة؛ لغرض تثقيف ناشئة الخطباء، وقد توتر جوّ النجف بهذه التهم ضدّ اللجنة، ممّا اضطرّ معه أصحاب اللجنة إلى أن يسرعوا في إلغائها؛ تفادياً لوقوع ما لا تحمد عقباه وكانت هذه الحركة الثائرة في وضع لم يدع للجنة المهلة لكشف نياتها ومبادئها.

وبعد إلغائها في فترة وجيزة استطاع رجال المؤسسة وجماعة من علماء البلد وزعمائها أن ينوّروا الرأي العام بالدوافع الحقيقية لتلك الحملة، وأن يفهموا الفوائد العظيمة التي كانت تُجنى من تأليف مثل هذه اللجنة.

وما يجب أن يذكر للتأريخ أنّ الذين تأثروا بهذه الحركة وقابلوا الجمعية كان أكثرهم مندفعين بدافع من سلامة النية، ووفرة الإيوان الصحيح؛ لذلك كانوا أسرع استجابة من غيرهم إلى قبول ما أدلى به موضحو الفكرة من العلماء والزعماء^(١).

وإلى هذا القدر اليسير من حياة الشيخ المظفر، وسيرته المشرقة نختم الحديث المستفيض غير المدوّن لتأريخ حركة الوعي والمبادرات الخيرة في وسط الحوزة العلميّة في النجف، والتي كان لها كبير الأثر في تفعيل الساحة علمياً وأدبياً وثقافياً، بل كانت بحقّ - لو سمحت الظروف - تقوم بمهمة استباق الحوادث قبل أوانها.

على أنّ حركة المظفر الإصلاحية قد آتت أكلها، وأينعت ثمارها، إلّا أنّ تسجيل وقائعها، وتدوين مفرداتها الزمنية وشخصوها لم تحظ بالكتابة الوافية^(٢).

(١) نظام منتدى النشر ١٣٧٠: ص ٤، كذلك راجع الأصفي: الشيخ محمد مهدي، كتابه عن الشيخ المظفر: ص ١٣٢.

(٢) الحقيقة ان شخصية الشيخ المظفر على اهميتها وريادتها لم تحظ الا بالقليل من عناية الباحثين، وكان - كما المحنا - كتاب الشيخ الأصفي امثولة الوفاء وكتب عنه من ترجم لاعلام النجف ولم اظفر في الدراسات الجامعية غير الرسالة الموسومة (الشيخ المظفر وجهوده العلمية) للطالب حسين كاظم

وقد اجاد المرحوم محمد صادق القاموسي حيث قال:

أيها القائد المظفر حياك	جهاد يختال في عنفوانه
كلل الغار مفرقك وعطر	الخلد يستاف من شذا ريحانه
ان عمرا صرفته في بناء	كان تقوى الآله من أركانه
سوف يبقى رمزا يباركه النشء	ويهدي النضال في لمعانه

عزيز نوقشت في كلية الدراسات الإسلامية جامعة الكوفة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. ولعل هناك غيرها.
 واطلعت - وانا على اهبة تسليم الكتاب للمطبعة للاسراع في انجازه ضمن اجزاء الموسوعة - على
 دراسة هامة بعنوان جمعية منتدى النشر وأثرها الفكري والسياسي على الحركة الإسلامية في العراق
 (١٩٣٥ - ١٩٦٤) وهي رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية/ جامعة القادسية ٢٠١٢م -
 ١٤٣٣هـ، وصدرت من مطبعة دار المدينة الفاضلة ببغداد.

القسم الثالث

دوره المؤسساتي

و الثقافي والاجتماعي

المبحث الأول:

المؤسسات

في إطار دراسة الواقع الدراسي للجامعة النجفية يكتشف الباحث مكانتها على مدى تاريخها فيما تميز لاسانذتها من الخبرة العالية والمران لحيازة مراتب الفضل في تخصصاتهم.

فقد درجت حاضرتها على التطوير لمعالجة القضايا ذات الصلة بالمادة العلمية في ابواب المعرفة الفقهية والاصولية واقتناص الافكار الجديدة التي تجعل من المناهج أكثر حيوية ونضوجا ولانها مدرسة الاجتهاد، واما العلوم الشرعية فقد شهدت تجديدا في فتح باب الاجتهاد بما يياشي روح العصر وما تتم به معالجة مستحدثات المسائل، الامر الذي جعل اختلاف الآراء رحمة للامة في تقصي الفكرة الصائبة وإقرارها.

ومن هنا كان للمدرسة الفكرية في تاريخ الشيعة الامامية اثر يتناسب مع معطيات الحرية الفكرية في الإسلام ونشأت على اسسها طبيعة الحركة الاصلاحية؛ وذلك لان الاحداث ليست اشياء مجردة تقع في الفراغ دون ان تكون لها صلة بالبشر، بل هي من صنع البشر تحمل السمات الشخصية لصانعيها وتحكي طابعهم وامزجتهم وعواطفهم وطريقة فهمهم للحياة، على ان هذا الإنسان اذا كان رائدا للاصلاح فلا يستطيع ان ينجح في مهمته اويلغ درجة نجاحها الا اذا احرز عنصر المشروعية في اقدامه على تطبيق اطروحاته ورؤاه، فان (قيم الرجال وتشخيص ادوارهم في مجالات الابداع الفكرية والاجتماعية لايمكن ان تحدد على اسس من الخضوع لمقاييس مطلقة تتخطى طابع الزمان والمكان، وانما تشخص وتقيم اذا امكن ان توضع ضمن إطارها

الخاص وتحاط بمختلف ظروفها البيئية والزمانية.... ومن هنا كان للريادة والتأسيس دور المكانة الاولى في حساب الخالدين واذا صح هذا الاساس عدنا به الى مآثر رجال المنتدى واعمالهم لتقيم عطاءها وفق اسسه وركائزه ودراسة هذه الافكار وتشخيص ادوار الريادة فيها... وهذا النوع من الدراسة يقتضي ان نعود الى الفترة الزمنية التي تمخض بها الصراع بين القديم والجديد عن ولادة فكرة هذه المؤسسة - جمعية منتدى النشر - واهم معالمها فكرة تطوير الدراسة من طريقة التعليم المنتظم والاستغناء عن نظام الحلقات^(١).

ولم تولد الفكرة لوجودها دون ان تتخطى الصعاب التي لا بد من ظهورها في كل عمل جديد، حيث احتدم الصراع على اشده بين القبول والرفض وكان للعواطف والانفعال دورهما وبينهما دور يتمتع اصحابه (بحرية فكرية مع قدرة على التحرر من مسبقاتهم الفكرية اذا اتضح من خلال المناقشة مجافاتها للحق الذي يهدفون اليه)^(٢).

(١) السيد محمد تقي الحكيم، المنتدى تاريخ وتطور، مجلة النجف السنة الثالثة العدد الثاني

١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

(٢) المصدر السابق.

جمعية منتدى النشر

تعد جمعية منتدى النشر من اهم المؤسسات التي سعى الشيخ المظفر في التفكير بتأسيسها ولم تكن هذه الجمعية هي الاولى في طموحاته لتحقيق آماله، بل وجدناه مواكبا الحركات الإصلاحية لتطوير الدراسات الدينية وهو في مقتبل العمر، فقد اشترك في أول جمعية سرية انبثقت في النجف عام ١٣٤٣هـ لهذا الغرض، ثم ساهم بعد فشل هذه الجمعية وأمثالها في جماعة أخرى كانت أكثر قابلية وخبرة وأكبر شهرة وطبقة.

ثم في عام ١٣٤٩ عندما غزت بعض الكتب الاحاديّة المسمومة البلاد الإسلامية قام مع بعض الاعلام وبمقدمتهم الشيخ محمد جواد البلاغي بتأليف جمعية أخرى كان هدفها الرئيسي النشر والتأليف، وكان في نية المظفر ومن معه من القائمين بهذه الحركة استمرار هذه الجمعية إذا تمت لإصلاح الدراسة الدينية.

والثالثة بما سميت بحركة الكلية نظرا لكثرة المؤيدين ممن اشتركوا فيها، وقد بلغ الموقعون على ورقة شروط العمل المائتين وهم رجال العلم بالنجف واهل الكلمة فيها ويعلق المظفر على اسباب الفشل فيها: (ان الدعوة كانت لعمل كبير جدا ليس من السهل تحقيقه مرة واحدة مهما كان القائمون به والتدرج سنة الله في خلقه)^(١).

في رابع شوال عام ١٣٥٣هـ الموافق ١٠ كانون الثاني ١٩٣٥م قدم مجموعة من الشباب الروحانيين بيانا الى وهم سبعة اشخاص، الشيخ عبد الهادي حموزي والشيخ محمد جواد قسام والشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد علي الحكيم والسيد موسى بحر العلوم والسيد هادي فياض والسيد يوسف الحكيم طلبا يطلبون فيه تأسيس

(١) القا موسى، من اوراق المظفر: ١٣١ - ١٣٥.

جمعية دينية بالنجف الاشرف باسم منتدى النشر مصحوبة بالنظام الاساسي، وبعد مدة اجازت الوزارة فتح المنتدى في كتابها المرقم ٩٠٧٧ في ٥ صفر ١٣٥٤ الموافق ٨ مائس ١٩٣٥. وانضم لهم مجموعة من الاعلام منهم السيد جعفر بحر العلوم والشيخ عبد الحسين الحلي والشيخ محمد حسين المظفر.

وفي عام ١٣٥٤ اسست جمعية منتدى النشر وارخ عام تأسيسها الشيخ محمد حسين يونس المظفر بقوله:

يا بنفسي عصابة اخذتهم غير الدين مذ رأوه تفرنج
فاقاموا لواءه لبنيه فهو من طيب نشرهم يتأرج
بلغوا ديننا الحنيفي ارخ (منتدى النشر جاء للحق منهمج)

وقد صدر لها نظام اساسي ورد في مادته الثالثة ان الغاية من التأسيس تعميم الثقافة الإسلامية بجميع الطرق المشروعة، ويذكر المظفر في اوراقه: (ولئن كانت كلمة النشر في اسمه تعطي معنى خادعا لاول وهلة، فعند التفكير في غايته العامة ينكشف لك المعنى المقصود منها، فلم تمض سنة واحدة حتى قرر مجلس ادارته في جلسته المنعقدة بتاريخ ٧ / ربيع الاول / ١٣٥٥ برئاسة المعتمد الشيخ محمد جواد الحجامي وبطلب منه فتح مدرسة عالية للمنتدى تدرس فيها المعارف الإسلامية والعربية، وبوشر في تطبيقها في نفس العام بفتح صف عال يدرس فيه لاول مرة الفقه الإسلامي والتفسير واصول الفقه والفلسفة، وعهد في تدريس الاولين الى العلامة المجتهد الشيخ عبد الحسين الحلي عضو الهيئة المشرفة يومئذ وفي تدريس الاخيرين الى العلامة المجتهد الشيخ عبد الحسين الكيلاني الرشتي. وتستمر المسيرة بتقديم ونجاح ملحوظ، ويكتب الشيخ بلغة متفائلة لفتح ثلاث صفوف وطلاب يزيدون على المائة واختبارات شهرية وربة استحسان ورضا العلماء وتأييدهم واعتراف وزارة المعارف الجليلة.

وعندما نقرأ في كراسة من اعداد الشيخ المظفر بعنوان (متدى النشر آماله وأعماله)^(١) وهي تقرير قدمه مجلس الادارة السادس للجمعية الى جلسة الهيئة العامة بتاريخ ٢٢ / ربيع الاول / ١٣٦٣ يتضمن تدوين ما تم انجازه خلال فترات من التأسيس، فالدور الاول ينتهي بكونها مؤسسة نشر والدور الثاني يشير الى تأسيس مدرسة لتأسيس العلوم الدينية او كلية الاجتهاد والدور الثالث طبع محاضرات علم المنطق والنحو، واعتراف وزارة المعارف لاستثناء الطلاب من خدمة العلم باعتباره رجال دين^(٢). وتأييد المرجع الاعلى السيد ابي الحسن الاصفهاني لمشروع المتدى. وفي الدور الرابع تم انتخاب مجلس الادارة السادس بتاريخ ٢٨ / رجب / ١٣٦٠ وسجلت له اعمال هامة منها جعل المدرسة في دورتين الاولى في اربع صفوف كمتوسطة والثانية ثلاثة صفوف ككلية الفقه ووثوق العلماء بجواز صرف الحقوق الشرعية في مشاريع المتدى، والانجاز الاخر المبادرة لتأسيس مدارس خارج النجف في الكاظمية وكربلاء والبصرة وبلد وغيرها وان كان الهم ماتحقق بالمركز الرئيسي في النجف لانه المعول عليه بتحقيق اهداف المتدى، ومنها تقصير مدة الدراسة لتقريب الطالب الديني من نيل درجة الاجتهاد وتهيئة المتخرج كاتباً وخطيباً^(٣).

ونخلص اخيراً ببيان النتائج التي تحققت من مساعي الشيخ المظفر ما تم انجازه:

١ - مدرسة متدى النشر العالية في السنة التالية من تأسيس جمعية متدى النشر أي سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٦م وبعد إغلاقها.

٢ - أعلن تأسيس كلية متدى النشر سنة ١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م التي استمرت إلى

قيام نظيرتها.

(١) المصدر السابق: ١٤٧ - ١٦٣.

(٢) انظر مذكرة المظفر حول قانون وزارة الدفاع في القسم الرابع (وثائق ومعطيات).

(٣) تحدثنا بتفصيل اكثر عن مرحلة التأسيس في القسم الثاني (الحركة الاصلاحية).

٣ - تأسيس كلية الوعظ والإرشاد سنة ١٣٦٣ هـ.

٤ - تأسيس لجنة المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر سنة ١٣٦٣ هـ.

٥ - تأسيس أول مركز أهلي لمحو الأمية في العراق سنة ١٣٦٤ هـ -

١٩٤٤ م.

٦ - كلية الفقه التي أسست سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م واستمرت حتى إلغائها من

قبل النظام السابق.

٧ - فتح دورات زمنية خاصة مثل دورة مسك الدفاتر التجارية، ودورة قسم من

العلوم الرياضية، دورة ببعض اللغات الأجنبية.

٨ - تأسيس وإدارة عدد من المدارس الإعدادية والمتوسطة والابتدائية في النجف

والكاظمية والشامية والبصرة والحلة وكربلاء.

٩ - طموحه في التمهيد لاقامة (الجامعة الإسلامية) حيث يعد بذلك رائداً في

الدعوة لفكرة (جامعة الكوفة) قبل تأسيسها من خلال ما طرحه في تأسيس كليات

عالية للفقه والاصول في العتبات المقدسة مثل كلية الوعظ والارشاد وكلية التبشير

وكلية الادب والتاريخ ومدارس ثانوية ومتوسطة.

١٠ - أصدرت المؤسسة برعاية المظفر مجلتيين الاولى البذرة والثانية النجف وهما من

خيرة المجلات النجفية، وتعد تحريرها الطلاب والاساتذة وتضمنت بحوثا ودراسات

رصينة وكان لها حضور في المشهد الثقافي العام.

ويذكر الاستاذ ابراهيم الوائلي عندما تأسست الجمعية (التف حول مناهجها

ودروسها طائفة غير قليلة من النجف وغيرها وهي تفعل في شكل فصول وامتحانات

كما يفعل الازهر وكانت نشرة (البذرة) منبرهم الذي يتبارون عليه.

ويمكن القول - بعد الاستعراض الموجز ^(١) - ان الجمعية قد حققت الكثير من اهدافها واستمرت الى يومنا الحاضر على انها مرت بظروف قاسية، لكن الاهم ان من انتسب لها مؤسسا او استاذ او طالبا كانوا يعدون من النخبة التي تحمل رسالة الاصلاح والتغيير، وكانت لنهضتها الواسعة الاثر الواضح في ولادة الوعي الإسلامي الحديث في الرجال والاثار القلمية بل كما عبر عنها (أزهر النجف).

ونودّ أن نختم الحديث عن مؤسّسة منتدى النشر الدينية، بما خاطبها الشيخ الوائلي، وهو ابنها البار، وتلميذ الشيخ المظفر الوفي، الذي تتجسّد فيه مدرسته الفكرية والإصلاحية بقوله من قصيدة نظمها عام ١٩٦٣ م، أيام تعرّض المنتدى إلى هزّات عنيفة في محيطها، وفيها يشير إلى جهاد الشيخ المظفر:

نَجَّالٍ عبر التيه أنّك بـ	وقالك عند الموج أنّك زورق
لا ترهبي أن يغرقوك بضجّة	فأبوك عهدي سابح لا يغرق
شدّت بكاهله الخطوب فأدّها	ثقلأوما أدّته سود تطرق
ورمته أم بالعقوق فكذبت	كفّ تذود وفكرة تتألّق
المسرج الأذهان يطعم جوعها	قلباً على اللهب المقدّس يحرق
والمنكر الذات التي لو رامها	لتضخّمت ذات وأخصب مرفق
لكنّ ذات العاملين وجودها	هدف وإن وعر الطريق يحقّق
ولتنمحي من بعد ذلك ذاتها	ما عاش رقم بالمكاسب ينطق
ثمّ يقول:	

سيرى فما وقف الزمان لفرية يوماً ولا ردّ المغدّد معوّق

(١) - للتفصيل يمكن الاطلاع على ماورد باوراق المظفر آنفة الاشارة. ورسالة الماجستير الموسومة (جمعية منتدى النشر واثرا الفكرى والسياسى على الحركة الإسلامية في العراق ١٩٣٥ - ١٩٦٤) بقلم سعد عبد الواحد عبد الخضر طبع دار المدينة الفاضلة بغداد ٢٠١١.

ما فلَّ عارضة الهزبر مخدَّل أبدأ ولا دفع الجبان مصفَّق
 روي الثرى فإذا ازدهى فرسالة أولا فحسبك أنَّ غيثك ريق
 إنَّ الحياة لواضحين مشوا إلى هدف وليست للَّذين تزأبقوا
 صنعوك للأجيال أُمْنِيَّة فلا يلوي بعزمك أنَّ أفقك ضيق
 إنّا نريدك جذوة تهدي ولا يكوى بها حتّى العدو المحنق

ولاننسى ونحن نقف عند محطة من جهاد المظفر ان نؤكد اهمية دوره (في مسيرة الجمعية فكرة ومنهاجا وتنظيما ومؤسسات وعلاقات اتصفت بالآلق والسمو والقدرات العالية الفذة والجهاد المتصل الذي لم يفتّر أواره أو يطفأ نوره حتى بعد وفاته)^(١).

المجمع الثقافي الديني

تأسس المجمع الثقافي ابتداء في دار الخطيب الشيخ مسلم الجابري واستمر يعقد فيه ثلاث سنوات في ليلتي الاحد والاربعاء من كل اسبوع والاعضاء هم ١- السيد عبد الحسين الحجار ٢- السيد محمد رضا جعفر الحكيم ٣- السيد محمد تقي الحكيم ٤- محمد صادق القاموسي، وبعد ان توسع في منهاجه وفكرته اجمعوا على الحاقه بجمعية المنتدى ونظموا تشكيلته وفق الاصول بتاريخ ١٥ / ١٢ / ١٣٦٣^(١).

ويشير نظام المجمع الثقافي^(٢) في لائحته الى اعتماد تسميته الرسمية بعنوان لجنة المجمع الثقافي الديني، وان اهدافه هي اهداف جمعية منتدى النشر في رفع مستوى الثقافة وخدمة العلم والدين عن طريق القاء المحاضرات والنشر والتأليف وان عدة اعضائه الدائمين خمسة عشر عضواً، وهناك اعضاء شرف واعضاء مساعدون ومدة العضوية ثلاث سنوات على الاقل، ويجري اجتماع اداري في كل اسبوع مرة واما انتخاب الرئيس فيكون على رأس كل سنتين.

وقد اقام المجمع نواته التي كانت غنية بالبحوث والدراسات القيمة بمشاركة اعلام الفكر وافاضل العلماء، ومن اهم اعمالها الثقافي اقامة اسبوع الامام بمناسبة شهادة الامام علي عليه السلام في شهر رمضان ١٣٦٤هـ، وعقدت جلسات القيت بها محاضرات لاعضاء المجمع الثقافي كالسيد محسن الامين والشيخ محمد حسين المظفر رئيس المجمع والسيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد علي كمال الدين والحاج عبد المحسن شلاش

(١) علي الخاقاني، شعراء الغري ١١: ٣١١.

(٢) راجع نص النظام في وثائق ومعطيات.

والدكتور احمد سوسهه والشيخ محمد رضا المظفر ومحمد جواد جلال والشيخ عبد الحميد السماوي

وأصدر المجمع مجموعة من الكتب كانت أصولها في الغالب محاضرات تليت بالمجمع، منها الشيعة والامامة والصادق الثقلان وللشيخ محمد الحسين المظفر والسقيفة للشيخ محمد رضا المظفر والزهرء للسيد محمد جمال الهاشمي وشاعر العقيدة ووزارة بن اعين ومالك الاشر للسيد محمد تقى الحكيم وغيرها.

كلية الفقه

أما «كلية الفقه» فكانت امتداداً لكلية منتدى النشر السابقة، وقد وضع لها الشيخ المظفر نظاماً ومنهجاً جديداً يتناسب والمستويات الدراسية العالية ويجمع بين القديم والحديث، تأسست عام (١٩٥٨ م - ١٣٧٨ هـ) ونالت الاعتراف الرسمي من وزارة المعارف العراقية بموجب كتابها المرقم ٨٠ / ٢ / ١ في ٣٠ / ١١ / ١٩٥٨ وكان عدد طلابها في الدورة الاولى (٤٥) طالبا المسجلين رسميا بعد ان تقدم (٢٠٠) طالب، وتخرج (٣٥) طالبا في هذه الدورة عام ١٩٦٢ بدرجة بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وتلقت الكلية الاعتراف الرسمي من جامعة بغداد بكتابها المرقم ٢٠٨٣ في ٢٩ / ١٢ / ١٩٦٢.

وكان اساتذة الكلية لهذه الدورة في طليعتهم الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ محمد تقي الايرواني والشيخ عبد المهدي مطر والدكتور عبد الرزاق محيي الدين والدكتور احمد حسن الرحيم والدكتور حاتم الكعبي والدكتور عباس الوهاب والدكتور صالح الشباع والدكتور فاضل حسين^(١).

وقد ظلّ المظفر عميداً لها ورئيساً لجمعيتها إلى وفاته.

والمعروف عن اساتذة كلية الفقه اما اعلام الحوزة العلمية او غيرهم من حملة شهادة الدكتوراه بصفة محاضرين، وقد حاضر منهم غير ماذكرنا سابقا في ستينات القرن الماضي الدكاترة عناد غزوان وعبد المجيد الحكيم وعبد الله درويش وحسين نصار وحامد شاكر حلمي وقيس النوري ومدني صالح ومحمد باقر تويج.

(١) مراجعة كتاب كلية الفقه تاريخ وتطور، اعداد الدكتور علي خضير حجي دار الضياء النجف.

وتبقى كلية الفقه رغم التحدي والظلم الذي طالها في فترة العهد المباد بالغائها
اوربطها بالجامعة المستنصرية ومصادرة بنائها وسلب اثائها ومكتبتها العتيدة الا انها
شاخه باصالتها وتاريخها الخالد الذي يمثل تضحيات غالية ومسيرة كفاح نادرة المثال
في تاريخنا العلمي والتربوي.

جماعة العلماء

بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وولادة الجمهورية العراقية بدأت بعض الاحزاب اليسارية تنصدر الساحة وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي، ووقع مالا يحمد عقباه في عدم احترام القيم والآداب التي دأب الناس على احترامها والنجف بالاخص لانها مدينة دينية تحرص على صيانة المقدسات وقيادة امورها في ظلال المرجعية العليا.

وما القصد من العرض التاريخي هذا إلا بما نحاول ان نقف على الاسباب التي أدت الى تأسيس جماعة العلماء في النجف للحفاظ على القيم الروحية للمسلمين عامة والعراق والحاضرة العلوية بالذات، والتصدي للنزعات الالحادية التي بدأت حينها بالظهور والتجاوز بانتهاك المحرمات وشيوعها في المجتمع آنذاك.

وكان موقف المظفر يجتمع مع الآخرين من إخوانه العلماء المجاهدين، ويجتمعون إليه، ويتحدث إليهم، ويتحدثون إليه، وتتمخض هذه الأحاديث والاجتماعات عن (جماعة العلماء)، ويكون الشيخ المظفر من أبرز أعضائها العاملين، يعقدون الاجتماعات السرية والعلنية ليضعوا منهاجاً للعمل، وليصمدوا أمام التيار الشيوعي، وليردّوا إلى المسلمين بعض الأمن الذي سلبه الشيوعيون.

وقد لاقى عملهم هذا رقابة شيوعية قاسية، ويكفل الله العمل بالنجاح، ويجتمع العلماء على مقاومة التيار، ومن ورائهم جماعة العلماء الأفاضل ومن ورائها المسلمون. وتُدعم هذه الحركة المباركة من قبل المرجعية الدينية بقيادة المرجع الديني الاعلى السيّد محسن الحكيم في فتواه الخالدة، التي كان لها أثر بالغ.

وتضطرّ الشيوعية أن تتراجع أمام هذه الزحف المقدّس: وينحسر ظلّ الشيوعية البغيض عن هذا البلد، ويؤوب المسلمون باطمئنان إلى ظلال الإسلام الوفيرة، بعد أن حاولت الشيوعية أن تكذّره عليهم بمحاولة فاشلة^(١).

ومن حيث مرّت هذه الفتنة بسلام، فقد كانت مساهمة الشيخ المظفر فعّالة ومهمّة. ونفق على ماجرى بتاريخ تلك الفترة - بعد سقوط الحكم الملكي في العراق - حيث سجل المرحوم الشيخ محمد حسن الشيخ محسن الجواهري (١٣٢٧-١٤٠٨) ذكرياته بما يلي: ويوم حلت الذكرى الاولى لانقلاب ١٤ تموز وصادف ذلك في يوم السابع من شهر محرم ومعلوم ان المد الاحمر في تلك الفترة قد بلغ مداه، ومعلوم ان الاحتفالات جرت على عاداتها ووقع هتك حرمة الشهر ولشعائر الدين، فالتقى الجواهري بالشيخ المظفر وشخص آخر من بيوتات النجف على ان يسافروا الى بغداد شريطة سفر كل منهم بمفرده خشية إذا اجتمعوا بالسفر ان يقع المحذور بتحركات المقاومة الشعبية، واتفقوا على مقابلة عبد الكريم قاسم ويعرضون عليه رأي النجف وأهمية الاستجابة لطلب إلغاء الاحتفالات خلال العشرة الأولى من المحرم.

وصادف في عشية تلك ليلة السفر وصل نعي وفاة شقيق الشيخ الجواهري المرحوم الشيخ جواد فأغشي عليه ونقل إلى البيت ولم يستطع لهذا السبب السفر إلى بغداد ولكن الشيخ المظفر وصل بغداد وانتظر رفيقه فلم يأتيا فقفّل راجعاً إلى النجف وحضر مراسم التعزية للشيخ الجواهري وقال - المظفر - للجواهري: أنه صمم على أن يلبس كفته ويأخذ بيده السيف ويقف بباب جمعية منتدى النشر التي كانت تجاوز الحرم الحيدري فإذا مرّت التظاهرات يمنعها فإن لم تمتنع يجاهداهم بالسيف. وقد أيده الجواهري على ذلك ووصل الخبر إلى مجموعة من رجال الدين فاعصوا وصوبوا للأمر ولكن السلطة طرق

(١) الشيخ الآصفي، مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحية فيها: ٧٩.

سمعها ما عزم عليه الشيخ وأنصاره وخوفاً من العواقب ألغيت الاحتفالات في مدينة النجف...

وحدثت في النجف وقائع أخرى من هتك للحجاب والأعمال المشينة وقابلها بالتحدّي الشيخ الجواهري، ثم توالى الأحداث المؤلمة خلال المدّ الأهرم بانتهاك المقدّسات ومنها احتفالات صاحبة قرب حرم أمير المؤمنين عليه السلام واستهتار بكل الحرمات وانجراف الأمة بذلك التيّار الجارف، فبادر الشيخ الجواهري بدور أساسي متعاوناً مع مجموعة من الأعلام إلى تشكيل جماعة العلماء وقد شاركه الرأي لأول مرة السيد باقر الشخص وعرض الأمر على بعض الذوات فاستجابوا له وكان منهم آية الله الشيخ مرتضى آل يس وساحة السيد صادق الصدر والشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي والشيخ خضر الدجيلي والشيخ محمد حسين الهمداني والسيد محمد حسن الصافي والشيخ محمد رضا المظفر وغيرهم من أعلام الحوزة العلمية في النجف، وعرض الأمر على المرجعين آنذاك السيد محسن الحكيم والسيد عبد الهادي الشيرازي قدس سرّهما فباركا تأسيس هذه الجماعة وتعضيدها، وقد عقد الاجتماع الأول في دار المرحوم الشيخ الجواهري في محلّة العمارة وكان من رغبته أن يتولّى الشيخ مرتضى آل يس الرئاسة لها لمنزلته العلمية وكبر سنّه وأيدّ الحاضرون على اختيار رئيس الجماعة الشيخ آل يس... وبعد ذلك صدر البيان الأول لهذه الجماعة وقد أحييت كتابته إلى الشهيد السيد محمد باقر الصدر عليه السلام وفي الاحتفال الذي أقيم بالجامع الحيدري بمناسبة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام، اعتلى الشيخ الجواهري لأول مرة في حياته المنبر معلناً البيان الأول لجماعة العلماء الداعي إلى التمسك بالدين وعدم الانحراف وراء الدعايات الضالة والمضلّلة التي تروّجها الجماعات الخارجة عن الدين، وكانت هذه وقفة شجاعة توفّر فيها الإخلاص لله تعالى برفع راية الحق والوقوف بوجه الهمج

الرعاع الذين ينعتون، ولا يغيب عن البال المجازر التي ارتكبت منهم في مدن عراقية كثيرة مثل الموصل والكاظمية.

وهكذا كانت كلمة مدينة النجف التي عبّرت عنها جماعة العلماء في أول تأسيسها ثم صدرت الفتوى من مراجع النجف وفي طليعتهم الإمام السيد محسن الحكيم حول الشيوعية، واستمرّت اجتماعات جماعة العلماء بصورة سرّية ولم يثنها عن عزمها عصابات تلك الجماعات التي رفعت شعار حكم الإعدام وعلّقته في الشوارع والأسواق وعلى أبواب بيوت العلماء، فأصدرت الجماعة بيانها الثاني، ثم صدر البيان الثالث واندحر الباطل إلى النهاية^(١) وكانت هناك مواقف جريئة أخرى من جماعة العلماء كان لها التأثير في مسيرة الوعي الإسلامي وتوجيه الناهبين من أفاضل الحوزة العلمية إلى التوجه بكتابة المقالات والدراسات في الفكر الديني بخطاب إسلامي جديد، فقد قامت الجماعة بتشكيل يضم مجموعة من رجال الدين في ظل جماعة العلماء وهم الشيخ هادي القمي والسيد مير حسن أبو طيخ والشيخ جعفر صادق العاملي والسيد محمد مهدي الحكيم والسيد محمد سعيد الحكيم (المرجع المعاصر) والشيخ عبد الهادي الفضلي والشيخ مهدي السماوي والشيخ عبد الحليم الزين والسيد جعفر بحر العلوم والسيد طالب الرفاعي، وكانت هذه المجموعة تعمل في صفوف جماعة العلماء وقد شكّلت لغرض ممارسة الكتابة والخطابة ليقوموا بمهمّة الرد على الأفكار الشيوعية ونقدها كما شكّلت لجنة للإشراف عليهم ممثلة بالشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد جواد الشيخ راضي والسيد موسى بحر العلوم والشيخ محمد أمين زين الدين^(٢).

كما أن جماعة العلماء أشرفت على إصدار مجلة الأضواء التي يرأس تحريرها المرحوم

(١) السيد حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة المجلد ١١: ٣٠٢. (بتصرف)

(٢) الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، هكذا قرأهم ١: ٣٢٨. القاموسي، مع السيد الرفاعي في

الشهيد الشيخ كاظم الحلبي وقد ملأت هذه المجلة مساحة واسعة من الفراغ العقائدي والفكري وكانت عاملاً مؤثراً في تنشيط وولادة الحركة الإسلامية.

ومما يجب التنويه إليه هو أن هذه الجماعة ضمت بالإضافة إلى من ورد اسمه من الأعلام أسماء أعلام آخرين يستطيع الدارسون أن يبحثوا في المصادر المتوفرة عن هذه الجماعة ومشاركتهم في المساهمة بالتشاور والرأي والنشاط الفكري.

المبحث الثاني،

الحقل الاجتماعي والوطني

حيث كان له في التوجيه الاجتماعي اهتمام كبير، فهو يرى في الأمة مصدراً رئيساً لنشاط وحيوية العمل من أجل المبادئ الإسلامية، وأن من حق المرجعية الدينية أن تتصدّر الزعامة للمجتمع، خاصة عندما تكون هناك حقوق متبادلة، يقف في مقدمتها حق الأمة على الزعامة في التوجيه الواعي، والتثقيف، وممارسة أفضل الوسائل المتاحة، من أجل أن تنهض الأمة بمسؤولياتها، كما أن من حق الزعامة الدينية على المجتمع الطاعة والانقياد.

وقد وجدناه كيف يشير إلى هذه المسألة في رؤيته لنيابة الإمام المنتظر عجل الله فرجه في عصر الغيبة الكبرى.

ومن نتائج هذا التفكير في موقعية رجل الدين في المجتمع، ومرجعية الزعامة الدينية، كان في مشاريعه الإصلاحية أوقع أثراً على توجيه الناس.

هذا، بالإضافة إلى أنه كان يمثل امتداداً طبيعياً للبيئة النجفية في صراعه الدائم مع الاستعمار، وسعيه المتواصل في التوجيه الاجتماعي، وكفاحه الإسلامي المستمر^(١).

وقد عاش كثيراً من هذه الحركات، ولم يعاصرها فحسب، والتأم بها فكرياً وعاطفياً، وصار يحس بها جزءاً من كيانه، يهتم من أمرها ما يهتم من أمر نفسه.

وساهم في القضية العراقية مساهمة فعالة في طليعة الشباب الذين تبوّأ القضية،

(١) لغرض معرفة ما يوثق هذه القضية ينبغي الاطلاع على ما ذكرناه بعد ذلك من أشعاره عند

التعرض إلى أدبه ومنهجه في ذلك.

وعانى من فشلها ما يعانیه الإنسان من فشل تجاربه الحياتية الخاصة، وتأثر بذلك فكرياً وعاطفياً.

وكان يعيش هذه الأحداث كما لو كانت جزءاً من كيانه الخاص، ويمتزج بالثورات والدعوات الإصلاحية حتى يكاد أن ينكر ذاته في البيت.

ولم يشعر يوماً من الأيام أنه يعيش وحده، في عزلة اجتماعية في زاوية من بيته المتواضع، أو جانب من مؤسسة متددى النشر، بل كان يشعر دائماً - بوضوح وقوة - أنه جزء من الأمة الإسلامية، يعنيه ما يعنيه من أمر، ويهمه ما يعرض لها من سوء^(١).

ولعل من أولى اهتماماته التوجه إلى تأسيس مدارس دينية على الصفة الحديثة التي امتدت إلى مدن عديدة من العراق.

ولا أدل على حسن توجهه من تخريج الطليعة من تلامذته الذين احتلوا موقع الريادة الفكرية، سواء منهم من واصل مسيرته العلمية في الحوزات العلمية، أو من جمع بين هذه الدراسات والدراسات الجامعية، ولذلك يعد جيل المظفر سباقاً لتوثيق العلاقة الفكرية بين الحوزة والجامعة في العالم الإسلامي؛ حيث احتلت الصفوة الصالحة ممن كان يعاضده - كالعلامة السيد محمد تقي الحكيم، والشيخ عبد المهدي مطر - مراكز علمية مهمة في الدراسات الجامعية العليا بصفة خبراء لهم دور الإشراف على الرسائل الأكاديمية.

وكان تلامذته، وما زالوا يواصلون هذا السبيل، بل كان انتزاع الاعتراف الرسمي بشهادة كلية الفقه من الجامعة.

هذا، بالإضافة إلى اختيار العديد من هؤلاء الأعلام لمنصب العضوية في الجامعات العلمية أو اللغوية، على مستوى العالم العربي أو الإسلامي.

(١) الأصفي: الشيخ محمد مهدي، المصدر السابق.

ولابدّ من الإشارة إلى أهميّة الدور الإيجابي للدوريات الثقافية التي صدرت عن مؤسسة الشيخ المظفر، كمجلة النجف أو البذرة، أو نشاط الصحافة الإسلامية وانجاز دراسات في الفكر الإسلامي.

ولقد كانت خطوات الشيخ في حركته الإصلاحية بمنزلة الحافز الرئيسي المباشر إلى وضع أصول الوعي الإسلامي، ودعم موقع المرجعية الدينية ومساهمتها في مشروع النهضة بخطوات تأسيسية فاعلة.

أمّا قضايا الأمة، فقد كان ينظر إليها برؤية إسلامية، ويتابعها، ويقاسي من أجلها، وهو في بيته، أو في أثناء تدريسه، أو ممارسة مهامه في المنتدى والكلية، وفي المجالس والمنتديات، ومن ذلك محنة فلسطين والجزائر، (هذه المحنة التي حلت بالمسلمين في هذين البلدين، فيُخال حين يتحدّث لمن حوله عنهما بأنّه يعيش المحنة بين جوانحه أكثر ممّا يعيشها المسلمون هناك)^(١)، وقد تجلّى ذلك في أكثر كتاباته، ومنها مقالته الشهيرة (اسمعني) المنشورة في جريدة الهاتف النجفية، السنة الثالثة عشرة والسنة الرابعة عشرة. وأمّا ما حلّ بمصر عام ١٩٥٦ في العدوان الثلاثي عليها، فلم يطق الشيخ المظفر هذا الاعتداء، حيث أبرق إلى شيخ الأزهر في حينه بريقة تضمّنت ما يلي:

(١) الآصفي: الشيخ محمد مهدي، المصدر السابق: ص ٨٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

محافل النجف الأشرف تعجّ صارخة إليه تعالى بدعائها لإنقاذ مصر المسلمة، وتبتهل إليه أن يأخذ بنصركم، ويرفع لواءكم، والقلوب تقطر دماً من الاعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشية أعداء الإسلام والإنسانية، والمسلمون في جميع البلاد يد واحدة في شدّ أزركم.

محمد رضا المظفر

عميد كلية منتدى النشر

تشرين الثاني / ١٩٥٦

ولا بد من الإشارة إلى موقف الشيخ المظفر بصدده ما وقع من الاعتداء على الطلاب وقتل بعضهم من قبل الشرطة في النجف وترك جثثهم، حيث حضر إلى مجلس يضم مجموعة من العلماء ومنهم من آل الشيخ راضي (الأسرة العلمية النجفية) وكان قد استشهد ابن الشيخ محمد جواد الشيخ راضي ولم يتوصّل الحاضرون في حينه إلى قرار يحسم كيفية استلام الجناز بسبب توتر الوضع العام في النجف بعد أن بعثت الحكومة بقوات مساندة للشرطة التي اعتدت، عندها بادر المظفر قائلاً: أنا سأخرج وحدي وأتوجّه لاستلام الجناز واتحمّل كلّ المسؤولية. ثم خرج لتنفيذ ما أَرادَه وقام الحاضرون باتباعه والذهاب معه وكانت هذا الموقف يمثل جرأة الشيخ وشجاعته.

المبحث الثالث:

مواقفه مع أنظمة الحكم في العراق وغيره

ولعلّ من الأمور الهامة الإشادة بمواقفه الدالة على الحزم وحسن التدبير، ومن ذلك: موقفه حين وقع عليه الاختيار لزيارة البلاط الملكي في بغداد، تلطيفاً للجفوة التي قوبل بها وليّ العهد في أثناء زيارته للنجف، فقد كانت هناك أمور استدعت علماء النجف أن يحجموا عن مقابلة وليّ العهد في تلك الزيارة؛ يقول جعفر الخليلي - رفيقه في هذه الرحلة - للبلاط: (ولقد قابلنا ولي العهد فعلاً، ولنترك الآن ما قلته أنا، أمّا هو، فما عرفت لوماً أفرغ في عتب حلو جميل، ولا نقدأ صيغ في عبارة عذبة، كالعتب الذي عاتب به المظفرّ الحكومة، وكالنقد البناء العذب الذي أسمعه المظفرّ لوليّ العهد عن حكومة ذلك الوقت، ولم يكذب ولم يداهن، وكلّ ما عمل هو ان نقل أحاسيس الناس وسخطهم في عبارة غاية في الأدب، وخرجنا من البلاد وأنا جازم بأنّه قد قال أكثر ممّا تسمح به الظروف هناك عن الحكومة وطريقة الحكم)^(١).

وأما ما حدث بعد ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ في العراق؛ حيث استطال الشر وطرأت على البنية الاجتماعية الدينيّة فتن وأحداث جسام بتسلّط الشيوعيين على دفة الحكم، وقد أمّثن المسلمون امتحاناً عسيراً في إيمانهم، ويقدر الله للشيخ المظفرّ أن تتصل به أسباب الحياة، ويدرك هذه الفترة الحالكة من تاريخ العراق، ويساهم مع المجاهدين من المؤمنين في إجلاء هذه الفتنة؛ يعاني بنفسه هذه التجربة الجديدة، بها فيها من مرارة وقسوة.

(١) الخليلي: جعفر، هكذا عرفتهم: ٢٥/٢.

ثم يجد في هذه التجربة القاسية ملامح الضعف في الدعوة والخطأ في السلوك نحو التوجيه - وعزّ من لا يخطأ - ولا جدوى في اللوم والعذل، فيشمر عن ساعد الجدة؛ لتصحيح أخطاء الماضي، وملء فراغات الدعوة بجدة ومثابرة لا يعرفان الملل، ويحاول أن يعالج الداء - بعد أن استفحل أو كاد - بصورة سريعة قبل أن يسري الداء إلى سائر أجزاء البلد الإسلامي العزيز.

وفي عام ١٩٥٩ صدر قانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ م، والشيء المهم فيه هو تحدّيه للمبادئ الإسلامية، ومحاولة إقصاء دور الشريعة الإسلامية في أحكامها المقررة لتنظيم حياة الأسرة في المجتمع، من زواج وطلاق وميراث وتضمّنت مواد هذا القانون مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية، ومعارضة لصريح القرآن الكريم، وكذلك ما يخالف المذاهب الإسلامية، وما هو موضع خلاف بين السنة والشيعية بحيث يقع العمل بمثل هذه المواد موضع إشكال إذا لم توافق رأي المرجع الفعلي لكلّ مذهب^(١).

أما المواجهة لصدّ هذه الزوبعة العنيدة، فقد كان في الموقف المعروف بصلافة الإيمان الذي يتحلّى به علماءنا الأعلام في الحوزة العلمية بالنجف، وكانت المساهمة الرائعة لشيخنا المظفر تتناسب مع أهميّة وخطورة الحدث، فقد قام بدوره بإرسال برقية إلى المسؤولين من رجال الحكم والإدارة لينذر فيها - بتوقيع وتوقيع ثلّة من أعلام الدين - من مغبة الوضع السيّء الذي يواجه البلاد؛ حماية لذمار العقيدة، وصيانة لأحكام الشريعة، ونصّ البرقية:

(١) أفاض العلامة الدكتور المرحوم السيّد محمد بحر العلوم في بحث هذا الموضوع الهام في دراسته القيّمة: (أضواء على قانون الأحوال الشخصية).

وقد تطرّقنا إلى بحث هذه الناحية في دراستنا عن (البنية القانونية العراقية اضاءة حول قانون الاحوال الشخصية العراقي).

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطلعنا على قانون الأحوال الشخصية، فوجدناه يصطدم في كثير من مواده بالقانون الإسلامي المقدس، وبنصوص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فأسفنا أن يشرع مثل هذا القانون، ولا سيما في العراق، البلاد الذي يرجع إليه المسلمون أجمع في تعرف أحكام الإسلام الحنيف وتشريع القرآن الكريم، فكان الجدير بقانون الأحوال الشخصية أن يكون صدى لصوت القرآن، ونسخة مطابقة لأصل قانون الإسلام لا يحيد عنه، فالمأمول من سيادتكم إصدار الأمر بتعديله على وجه يطابق القانون الإسلامي.

محمد رضا المظفر

النجف الأشرف

وحين نعود إلى ذاكرة الزمن، نجد في طبائنه الصفحات المشرقة للشيخ المظفر رحمه الله التي تدلّ على مساعيه الكريمة، والغيرة الإسلامية التي يتحلّى بها^(١)، ومن ذلك ما يتّضح من موقف الشيخ واستبشاره خيرا بإلغاء مواد قانون الأحوال الشخصية المنافية لأحكام الشرع الإسلامي، ونجد ذلك من خلال برقيته إلى المسؤولين التي نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أثلج صدور المؤمنين بالنجف الأشرف، ولا سيما مؤسسات متدى النشر اهتمامكم البالغ بإلغاء قانون الأحوال الشخصية، وخطوتكم الموقفة نحوه، سيروا قدماً لإعلاء كلمة الإسلام بالأرض بسحق كلّ ما يتجافى وتعاليمه؛ ليبرهن العراق الثائر على الاستعمار والكفر والإلحاد أنّه لا يزال الحصن المنيع لرسالة محمد المصطفى صلى الله

(١) مجلّة النجف الصادرة عن كليّة الفقه، العدد السادس السنة الخامسة شوال ١٣٩٢هـ / آذار

عليه وآله، وكان الله في عونكم ما دمت في عونه.

محمد رضا المظفر

عميد كلية الفقه^(١)

أترنا أن نثبت نصّ المذكّرة التي رفعها الشيخ المظفر بهذا الخصوص إلى رئيس الوزراء ووزير العدل ورئيس لجنة النظر في لائحة الأحوال الشخصية؛ لما فيها من أهمية وموقف؛ بغية أن يتعرّف القارئ الكريم على الأسلوب الخطابي للشيخ في هذا الباب؛ حيث كان نصّها كما يلي - بعد حذف العناوين -:

كان لبناء تأليف لجنّتك الموقرة للنظر في قانون الأحوال الشخصية أعمق الأثر في نفوس أبناء بلدة النجف المؤمنة؛ لما خالجهما من الثقة بما ستقوم به اللجنة من دراسة اللائحة دراسة واعية مدركة، تتجلى من خلالها ما انطوت عليه من مفارقات لا تستند إلى مصلحة أو دين، وأنّكم سوف تكونون لسان هذه الأمة المسلمة في التعبير عن مشاعرها بضرورة إلغائها إلغاء تامّاً، وقد أحببنا أن نضع بين أيديكم ما نراه من مبررات ملحة للإلغاء.

تعلمون - ولا شك - أنّ ما انطوت عليه هذه اللائحة مزيج من أحكام شتى يخالف بعضها صريح القرآن الكريم، ويخرج على إجماع المسلمين في جميع عصورهم، وبعضها يأخذ بوجهة نظر بعض المذاهب دون بعض، وقليل منها ما تجمع عليه كلمة أئمة المذاهب جميعاً.

فمن القسم الأوّل ما يتّصل ببعض أحكام الموارث، كمساواة الأنثى بالذكر في الميراث، ومساوئ هذا القسم أكثر من أن تُحصى؛ فهي - بالإضافة إلى تحدّيها لصريح القرآن الكريم وإجماع المسلمين في بلد لا يزال مثال الإيمان بالله تعالى وبشريعته المقدّسة -

تفتح امام أبناء هذا البلد مسارب للجريمة والتحلل، وتعمل على إماتة الإخلاص فيهم؛ فالمرأة التي تقدم على مقاضاة الرجل إلى هذا القانون، وتأخذ من حصّته في المال تقدم على ذلك وهي تشعر في أعماقها - بما تدين به الله تعالى - أنّها تقدم على سرقة أمواله في وضح النهار، ولها من هذا القانون حماية، كما تشعر أنّ جميع تصرّفاتنا بهذا المال باطلة؛ فهي في تحدّد دائم لأحكام دينها، وما رأيكم في امرأة تعتمد إلى إماتة وازعها الديني بتحدّيها الدائم لتعاليمه المقدّسة؟! أيرجى لها أن تخلص لوطنها إذا زاحمت مصالحها مصالحه، وهي التي لم تخلص لربّها بإقدامها على مخالفته؟! وكيف يرجى لها أن تقوم على تربية الجيل على أسس من قيم الإسلام ومبادئه وهي التي تشعر أنّها قد تنكّرت له في كثير من تصرّفاتنا من أجل شيء من الحطام؟!!

وأما قياس هذه اللاتحة فيما يتّصل بهذه الفقرات منها بما كان مشرّعاً بالنسبة إلى الأراضي الأميريّة - كما صنع مشرّعوها - فقياس مع الفارق الكبير؛ إذ ينطوي على مغالطة لا مبرّر لها؛ لأنّ الأراضي الأميريّة امرها بيد وليّ الأمر، وليست ملكاً للمتصرّفين بها، ومن حقّ وليّ الأمر أن يأذن بالتصرّف بها مع الشرط، أمّا هذه الأموال التي عناها القانون، فهي ملك لأصحابها وليس لوليّ الأمر أيّ حقّ في التصرّف بها من وجهة تشريعيّة، بل حتى أصحابها لا يملكون لأنفسهم جعل هذا الشرط؛ لأنّه شرط مخالف للكتاب العزيز، وما خالف الكتاب من الشروط لا ينفذ؛ لقوله: «إلا شرطاً خالف كتاب الله».

وما يقال عن هذا القسم يقال عن القسم الثاني، وأمثله كثيرة في القانون، والمفارقات التي تنشأ عنه لا تقل فضاة عن تلك المفارقات في القسم الأوّل؛ فالسنّي مثلاً إذا طلق امرأته بالثلاث بانت منه ولا يحلّ له في مذهبه نكاحها إلّا أن تنكح زوجاً آخر، فإذا أراد الرجوع بها - بحكم ما سوّغ له هذا القانون - كان مقدماً على نكاح محرّم

في عقيدته، وولده ولد زنا في رأيه، وما رأيكم في أسرة تتحدّى شريعتها فتقيم علائقها الجنسية على أسس لا تؤمن في أعماقها بوجود مسوّغ لها؟! ثمّ ما رأيكم بالولد الذي يكبر بعد حين فيرى نفسه أنّه ولد غير شرعيّ بحكم ما يدين به الله؟ وماذا يكون شعوره تجاه أبويه وبلده الذي فرض عليه هذا القانون؟!

ونظير هذا الفرض يأتي في الجعفري الذي يطلق - بحكم هذا القانون - زوجته بغير شهود، ثمّ تنكح زوجاً آخر، وهي في عقيدتها بعد في حبال الزوج الأوّل، أليست تشعر في أعماقها أنّها مقيمة على نكاح محرّم، وهكذا زوجها الثاني؟!

أمّا القسم الثالث، وهو ما اتّفقت عليه كلمة المسلمين، فهو في غير حاجة إلى تشريع قانوني ما دامت أحكامه واضحة لدى الجميع.

فإلغاء هذا القانون من أساسه، وإرجاعه الأمانة إلى ما تدين به ربّها هو الذي تقتضيه مصالحه إذا أردنا أن نخلق لها مواطنين صالحين، ومثل هذه اللائحة لا تقبل التعديل.

والتقدّمية التي تذرّع بها مشرّعوها هذه اللائحة - فيما يقال - ليست بالعبث بمقدّرات الناس والتحكّم بما يدينون به الله عزّ وجلّ، وخلق مسارب جديدة للجريمة أو الشعور بها على الأقل، وإنّما التقدّمية بالعمل على الاستقرار والطمأنينة، ورفع مستويات العشوب في مختلف مجالاتها العلميّة والاقتصاديّة والثقافية، وتركيز قيمها ومثلها الأخلاقية.

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وفي الإيذان بأمثال قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، اعظم رائد للخير والصلاح. إنّه وليّ التوفيق، والسلام عليكم.

محمد رضا المظفر/ عميد كليّة الفقه

النجف الأشرف ١٣٨٢/١٠/٧

وكان للشيخ مواقف كبيرة في معاضدة الشعوب الإسلامية، كما في محنة فلسطين والجزائر؛ حيث عاش هذه المحن بنفس تَوَاقُعٍ لانتصار الحق، ومناشدة الضمير المسلم للحصول على حقوق هذه الشعوب، وكان يبدو ذلك من خلال خطبه في المناسبات العامة أو ما يتخللها من خواطر توحّيها الذكرى في مجالسه الخاصة، وفي مؤسّساته الثقافية، حتّى كان يُحَالُ أنّه يعيش هذه الآلام بين جوانحه أكثر ممّا يعيشها المسلمون هناك.

وعندما أمتحت إيران المسلمة بقرار حكومة الشاه لإلغاء الدستور الدائم وتقنين لوائح جائزة بعيدة عن التشريع الإسلامي، وثار العلماء - في حينه - لمواجهة هذا الإجراء، وحاولت الحكومة حينئذ الاستمرار على تطبيق نيّاتها وإلقاء القبض على علماء الحوزة العلميّة في مدينة قم المقدّسة وطهران ومشهد وشيراز، فقد كان لعلماء النجف موقف للمطالبة بتحقيق مطالب العلماء والإفراج عنهم، وقد أقيمت الاجتماعات العامة، وعُطِّلَت الدراسة، وامتنع العلماء من إقامة صلاة الجماعة في النجف؛ تنديداً وتأييداً لموقف العلماء في إيران، وأبرقوا البرقيات إلى المسؤولين.

ويقدر للشيخ المظفر، وهو يعيش المحنة الجديدة بنفسه أن يساهم في هذه الحركة، ويجتمع مع العلماء في النجف الأشرف، في بيته العامر أو في غير بيته، وليدرس المشكلة دراسة معمّقة، ويخطّط للعمل، ويسعى لإنقاذ الموقف في إيران، ومواصلة إخوانه من العلماء المجاهدين في هذا البلد الإسلامي العزيز بما صنعه من المواصلة.

وكان يكتب بنفسه كثيراً من النشرات التي صدرت عن النجف في هذه الفترة، ويوشّحها بتوقيعه الكريم فيمن يوقع من أعلام الفكر والجهاد في النجف الأشرف.

وقد نشرت برقيات وقعها علماء النجف ومنهم شيخنا المظفر منشورة في كتاب

(اسناد انقلاب اسلامي) الجزء الثالث.

المبحث الرابع:

الدور الأدبي والثقافي

أدبه وشعره

لما كان الشيخ المظفر من ألمع خريجي جامعة النجف، فلا بدّ وأن يحظى بمكانة مرموقة في باب الأدب والفضيلة، خاصّة وأنّه نشأ في ظلال جوّ أدبي متميّز، وذلك لأنّ مدينة النجف فضلاً عن منزلتها الجليلة في العلوم الإسلامية فإنّها مدينة الشعر الرائق الذي له صداه في عالمنا على مستوى كبير من حسن الأداء، ورقة التعبير، وجزالة اللفظ، وأداء المعنى، وقد حلّق شعراؤها في تأريخ الأدب العربي قديماً وحديثاً (وما كان يمرّ شهر على النجف إلّا أغنمت فيه مناسبة لقول الشعر، وكانت المناسبات عودة صديق من سفر، أو إبلالاً من مرض، أو إياباً من حجّ، أو بناء بزواج، أو وفاة لشاب، أو تأبيناً لعالم أو فاضل، في كلّ هؤلاء يقال الشعر مدحاً أو رثاءً، وطالما تكلف الشاعر أن يقيم احتفالاً على نفقته ليقول قصيدة في غير مقابل إلّا إشباع رغبة فنيّة، أو سماع كلمة إطرء وثناء^(١)، وفي كلّ ما يلقى من القصائد تجد لغة الشعر تنبئ عن المبدئيّة والالتزام، والفنّ الرفيع، والهواجس الرقيقة في خدمة هدف عقائدي، أو غاية وطنيّة أو دعوة للخير العام، أو لتحقيق حركة إصلاحية.

وحينما نشأ شيخنا المظفر في هذه البيئة كان مؤكّداً أن يصدر عنها أديب بارع، وشاعر مجيد، له قدم راسخة في قول الشعر وتعاطيه وكتابة النثر الفنيّ، وهو في أسلوبه الأدبيّ يمثل تمازج التراث والمعاصرة، وتلاقح الجديد والقديم، خاصّة وأنّه عاصر

(١) محيي الدين: الدكتور عبد الرزاق، الحالي والعاقل: ص ٥٤.

جيلين من أعلام الفكر والأدب والعلم، وعلى يديه الكريمتين كانت ولادة مدرسة جديدة في العلوم الإسلامية، والآداب العربية، ولست مبالغاً فيما أقول إلا أننا - مع الأسف - لم نحاول لحد الآن استجلاء معالم هذه المدرسة الرائدة واستيعاب ملامحها ونتائجها؛ حيث أن تأريخ العلم وحركة النهضة في حوزاتنا العلمية لم تلد المبادرة إلى تسجيله وإعداده في صورة دراسات تفصيلية متخصصة !

وإذا نظرت إلى الأستاذ المظفر في مقتبل شبابه لرأيت شاعراً في بيئة النجف الأدبية، يشارك في مهرجاناتها، وعمد إلى صب أفكاره في قالب جديد في النجف، وهو المشاركة في المناسبات الكبيرة، والاحتفالات المتميزة، والمحافل الثقافية، بخطبه الارتجالية المؤثرة التي جمعت إلى أصالة البيان عمق التفكير وموضوعية الأهداف، وهو أول خطيب رآته عيناى مرتجلاً في مسجد الهندي، والمجمع الثقافي لمنتدى النشر، ولدى استقبال وفود البلاد العربية والإسلامية التي تؤم النجف في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، بل في نهايات النصف الأول منه، وكان لهذا المنهج صدى اعتزاز وإكبار في النجف، إذ لم يعرف الارتجال إلا للأساتذة، المصريين آنذاك، وإلا لجملة من الثائرين لدى ثورة النجف ضد الانكليز، وثورة العشرين في حدود ضيقة لا تعدو الاعلام الثوري دون الآراء النيرة الهادفة، وكان المظفر بهذا ثانياً للإمام كاشف الغطاء المعروف بخطبه العصماء في الأزمان^(١).

يذكر المظفر في مذكراته عن نشأته العلمية، فيردف القول عن تلمذته عند العالم الكبير الشيخ محمد طه الحويزي، فيذكر: (استفدت منه فائدة كلية وتعلّمت منه كيف يتوصّل إلى التقيّب عن المسائل العلمية بما كان يتوسّع به في بسط المسائل وتحقيقها، ومن خلال ذلك تتلمذت عليه في الشعر، فكان له عليّ المنّة الكبرى في تعلّم النظم حتّى

(١) راجع القسم الرابع، ذكرى المظفر.

اشتدّ ساعدي في ذلك كله...).

ومن اهتمامه بالشعر قوله: (وقد ألّفت كتاباً في علم العروض سنة ١٣٤٣هـ على الأسلوب الحديث، ولكن بقي ناقصاً...).

وعندما نستقرئ ما قيل في شعره وأدبه، نجده موصوفاً في أوّل نبوغه بأنّه (شابّ من شباب النجف المنوّر، معتدل البديهة في السرعة والبطء، طرق مواضيع جليّة، ومعاني عميقة، يغور في معان حتّى تكاد لا تفهمه - أو الناظم لا يفهمه - من شدّة غوره بها، ينصرف عن حسن الألفاظ وتنميقها إلى حسن المعنى ورقته؛ لأنّه تلميذ الشيخ محمد طه الحويزي في القريض، لكنّ البون بينهما شاسع؛ فإنّ الحويزي وإن غار في المعنى لكن لحاظه لحسن الألفاظ وتزويقها كالحاظه لحسن المعنى ودقّته^(١).

فهو (شاعر واسع الخيال، دقيق النظر، يتوخّى المعاني البعيدة المبتكرة، غير ناظر إلى تزويق الألفاظ، وتحسين الكلمات، ولد في النجف، ونشأ فيها، ودرس الأدب والشعر في نواديها الأدبية ومحافلها الشعرية، وله في أوساط الأدب النجفي شهرة طائلة وذكر جميل)^(٢).

وقد (دخل ميادين النظم مبكراً، وأجاد قرض الشعر وهو يافع، وعرفته الأندية الأدبية شاعراً له وزنه بين أئدانه قبل أكثر من ربع قرن، وقد نظم أكثر من ألفي بيت.. وشعره متين في أكثره، ورصين في معظمه... نزع في قسيم منه إلى تصوير بعض الخواطر الفلسفية والنفسية... ونال استحسان الأدباء له)^(٣).

ونكتشف من خلال ذلك الجانب الأدبي الكبير الذي تمتّع به المظفر في أسلوبه

(١) الدجيلي: عبد الكريم، شعراء النجف، مخطوط: ص ٣٢٨.

(٢) الهاشمي: السيّد محمد جمال، الأدب الجديد: ص ١٣٠.

(٣) الخاقاني: الشيخ علي، شعراء الغري ٨: ٤٦١.

النثري والشعري، فهو شاعر، حيّ الشعور، يقظ القلب، مرح الروح، لا يميّز بين العدو والصديق لقوّة المجاملة عنده، وقلّما تراه يهاجم أحداً وإن أزعجه بالقول الجاف واللهجة اليابسة^(١).

وفي كتابات الشيخ يقترن جمال التعبير وسلامة الاداء وروعة العرض بخصوبة المادة ودقة الفكر وعمق النظرة ويتألف منها مزيج من العلم والادب يشبع العقل ويروي العاطفة.

فقد كان (يجري في الكتابة كما يجري الماء من غير أن يظهر عليه شيء من الكلفة أو التصنع، وينساق القارئ معه كما ينساق الماء على منحدر من الارض من دون أن يعرقل سيره شيء ولا يصطنع في الكتابة هذه المحسنات البديعية التي تصرف الكاتب عن الانسياق مع الفكرة وتصرف القارئ عن مجاراة الموضوع.

والمواضيع التي كان يتناولها بالكتابة والبحث مواضيع علمية كالاصول والمنطق والفلسفة يعسر على الاديب أن يصوغها صياغة أدبية أو يفرغها في قالب أدبي.

وتمتاز كتابات الشيخ المظفر بعد ذلك بروعة العرض والتنسيق حتى أن كل نقطة من البحث تأتي في موضعها الطبيعي ولا تتغير عن مكانها الخاص حتى تحتل أطراف البحث^(٢).

(١) لا نستطيع استيفاء الحديث عن أدبه نثراً وشعراً، لذا نرجئه إلى مناسبة أخرى مع الإشارة إلى أن ديوان شعره جمعه الأخ الأستاذ الأديب محمدرضا القاموسي، في خمسة آلاف بيت تقريباً حيث أعدّه رسالة تخرّج من كلية الفقه في حينه، وقد اهتم به بعد التخرّج، وكتب عن أدب الشيخ دراسة واسعة رائعة وسيجد القارئ الديوان في اجزاء الموسوعة.

(٢) من مقال للشيخ محمد مهدي الاصفى بعنوان (الشيخ محمدرضا المظفر من رموز الاصلاح في مدرسة النجف الأشرف) منشور في جريدة الشهادة العدد (٢٢٤-صفحة ١٣) بتاريخ ٢٩/ ايلول / ١٩٨٧ المصادف الثلاثاء ٥/ صفر ١٤٠٨ وهو مستل من كتاب الشيخ الأصفي مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها.

وقد طرق في شعره صوراً متعدّدة من آفاق الأدب، وفي طليعتها، شعره في آل البيت عليهم السلام، وله في الرثاء، وأدب المناسبات، والغزل، والخواصيات، كما أنّ له مقطوعات تنمّ عن رّقته، وعذوبة منطقته، كان ينظمها على البديهة والارتجال، وفيها يلمس القارئ النكتة البارة والبراعة في تصوير الأدب بأسلوب ساخر معبر.

ولو قدر للقارئ أن يقف بتأمل عند مقالاته ونثره، لأدرك ما كان يمتلكه المظفر من مقدرة عجيبة في التعبير عن المباحث المعقّدة بأسلوب قصصي جذاب، حسبك ما تقرأ له في كتابه السقيفة، وكتاب العقائد، وأمّا أحلام اليقظة - الذي هو دراسة لفلسفة صدر المتألهين، المشهور بملاً صدرا الشيرازي، صاحب الأسفار - فإنّه أبدع فيما حكاه في هذه الدراسة الفلسفية بأسلوب قصصي، وحوار أدبي، وهذا ما يدلّ على عمق قابليّاته وفهمه للمسائل الفلسفيّة.

الندوات

شارك الشيخ المظفر بندوات النجف وكانت له مساهمات أدبية وعلمية وفكرية مع صفوة من الاعلام بمناسبات عديدة أشار اليها مؤرخوه، ومن تلك الندوات التي كان يحضرها ويشارك فيها، الندوة التي تنعقد في دار شيخ الأدب في عصره الشيخ جواد الشبيبي والذي يرتبط معه برابطة المصاهرة والقربى، وفي مرة منها عقدت الندوة بحضور المشايخ المظفرين^(١) والسبب لانعقادها أن الشبيبي كتب عن لسان سبطه أحمد ابن الشيخ محمد حسن المظفر إلى أبيه وأعمامه و جلسة أدبيّة:

وللشبيبي حلبات لا تعد، فقد كان طيلة حياته يموج الأدب ويستفز القرايح بشتى المناسبات والدوافع، وطبيعي أنّ الحلبات لها لون مستقل يختلف عن سائر أوقات النظم، ففيه تتزاحم النفوس وتتنافس أرواح الشعراء الذين لا يتعد عنهم الزهو غالباً، وبالحلبات تستطيع أن تدرس لون الشاعر وميوله ومدى قابليته التي يحتفظ بها، وشاعرنا أبو الرضا عرفته ممّا سبقه كيف خلق الأجواء التي ولدت روح الكآبة في عصره وكيف دفع بأشخاص حاول ترك الشعر أكثرهم فأنبروا إلى مجاراته ولكن أتى لهم وكان السبب لا يجاد هذه الحلقة أنّه كتب عن لسان سبطه أحمد بن الحجة، الشيخ محمد حسن المظفر وكان عنده ببغداد إلى أبيه وأعمامه ضمنها تقريراً مستظرفاً وتعريضاً مستملحاً بالشاعر الشيخ إبراهيم أطميش - وله كذلك صلة الرحم - إذ كان معروفاً بخروجه عن الوزن في بعض أبيات قصائده فقال:

فخرت بأعمامي وطلت بأخوالي فزاحمت في الأفلاك كوكبها العالي

(١) قد اخترت اثباتها لاجتماع الشيخ المظفر مع اخوته فهي تمثل البيئة الأدبية والأسرية، وتوقفاً على لون من الادب الرقيق كان له صيته وتعاطيه في ماضي تاريخنا القريب.

على أنّ لي نفساً عصامية لها
وأدركت مجد السابقين بعزمتي
وسارت بمستن الكواكب همتي
وقلت لعين الشمس ما أنا بارح
سمت كلماتي الساحرات ذوي النهى
قفا أثري المريخ حين سبقتة
ولو وزنوا بي يذبل خف وزنه
وأقوالي لي الأمثال لم يك سيرها
تقدمت فيها تالياً فضل والذي
وفصلت فيه عقد مدحي مجملأً
سلام على آل المظفر إتهم
عليهم تحياتي تروح وتغتدي
فأجابه والد أحمد الحجة المظفر^(٢) وذلك في ٢٦ رمضان ١٣٥٢ هـ بقوله:

سهرت الليالي في أمان وآمال
وكم جبت لين البين أقطع جوه
أقول لعين الشمس لا تبزغي به
تبشرني يا شمس أن سوف نلتقي
وأنت إذا وافيت واستر الدجى
وإني لا أرضى لضوءك منة
بغرتها نور الجلالة ساطع

(١) كذا جاء بالأصل.

(٢) آية الله الشيخ محمد حسن المظفر.

أضاءت على أفق الكمال مطلة
وألقت سناها في خمائل للعلی
وبدر الهدى أنواره يستفيدها
جلا اليوم ذكرها لنفس تفيدها
وهب أنني حملت بعدك صبوة
وإن لإبراهيم بعدك منة
إذا ماس في إبراده من فكاهاة
فهل للتهاني مثله غير أنه
تخلی عن الهم الذي يستفزه
وإن عربت في صدره زاعبية
ودام مع الأيام عيداً لأهلها
وقد وقف على هاتيك الأبيات الشيخ عبد الحسين الحلي فأحب المشاركة في الجواب
فقال مخاطباً (الشيخ جواد):

ذكرتك مرتاحاً وما كنت بالسالي
سلوت إذا نفسي التي قد حملتها
علي عزيز أن أراني مجانباً
تحاميته لا قالياً منه خلة
أبا جعفر هيجت للشعر صبوتي
أعدت لقلبي في قريضك نشوة
ولولا بحور منه طابت تعلتي
ليالي أصفيك الهوى ناعم البال
لتفدى بها إن قل أهلي أو مالي
تعلة أحشائي بحلي وترحالي
تشين ولكن خشية القيل والقال
فاعملها من بعد هجر وإهمال
فكان كماء المزن شيب بجريال
لأجذبت حتى من نطاف وأوشال

زفنا (لإبراهيم) منك تحية كما تتحي فيها لمندك أطلال
 فتى لم تزل أماله ملء قلبه ثقلاً ولكن كيسه أبداً خال
 ترى منه شيخاً في الندي موقراً وتحت إزاريه رعونة أطفال
 إذا لمست عرسه وجدت به (لدى وكرها العناب والحشف البالي)
 له الذال والميم الثقيلان من فتى يجمع بين الحاء والميم والذال
 وقال الشيخ محمد حسين المظفر وقد جعل خطابه لابن أخيه أحمد:

بجدك فاسعد وأحظ منه بصحبة تطلبها من مثله جد أمثالي
 وأمسكه أمساك الشحيح فأنه تمسك فيه وافر الفضل والمال
 وعش راغداً في ظلّه وأسع طالباً لفضل أب واستعل بالعم والخال
 وخالي أما تسألن عنه دائماً محافل أهل الفضل تنبئك عن خالي
 وأما خلا صدر الندي من أمره يحليه في علياه فهو به حال
 ويمزج بالضحك السعال ولم تكن تميز منه بين ضحك واسعال^(١)
 ينخرخش منه الصدر عنه سعاله فيحسب مالاً عنده طالب المال
 وتشغل كفيه السكارة دائماً تدخن والتسبيح بالحشف البالي
 فصاحته تعي الليب وقد كفى لها معجز من نثرها نظم أمثالي
 فينثر نظم القول شعراً ومنطقاً وانظم نثر الشعر منه بأقوالي
 فإن لم تجد في الشعر منّي فصاحة فلا عجب قد شابهت حاله حالي

وقال الشيخ محمد رضا المظفر وقد جعل خطابه أيضاً لابن أخيه، ولما كان معروفاً
 بالسمرّة القويّة تعرض لذلك في أبياته هذه:

أثرت قدم يا راحة الروح بالبال وماكنت عن هذا الهوى هادئ البال

(١) كذا بالأصل.

وذكرتني خالاً تمنيت مسكه
أحج الدجى للصبح فيك مغالطاً
وأوهمت حسيّ والنجوم طوالع
وجمعت من دمعي غديراً مراعي
وألزمت كفي الحشى مشفقاً على
ومسكك قد أفنيت شعري بوزنه
جميعك خال يفضح المسك نفحةً
لتحيي حياة المترفين منعماً
وما أُملي إلا لتعلو همة
وما كان ظني أن تقول فترقي

به استأثرت من دوننا شمة الخال
جفوني أن الليل (كعبة آمالي)
بييض مزايا من علاك وأفعال
خيال (سواد العين) يبدو بإقبالي
(سويداء قلبي) من لظى قلبي الصالي
وثق آتني ما جئت في عشر مثقال
وقد بالغ الضلال في نقطة الخال
برأفة أعمام وعطفة أحوال
(تراحم في الأفلاك كوكبها العالي)
(وفيهم وإلا لا يطيب مقال)^(١)

وزاد الشيخ عبد الحسين الحلبي على ما تقدم فقال وخاطب الحجة المظفر طالباً
منه إرسالها إلى الشيخ جواد وقد تعرض فيها إلى الشطر الخارج عن الوزن وانتاش
الاطيمشي:

أفي الحقّ تعلو في الزمان الأباطيل
ويصمت هاد لم يجد مصغياً له
وتغدو بحور الشعر وهي كوامل
لعمري ما القرآن أنزل أمراً
ولا فاه من عدنان فيه مفوه
ألا أهزج مديداً للطويل وهنه

ويوضع مفضال ويرفع مفضول
وتنطق أن يصغى إليها الأباطيل
نواقص منها كامل الضرب مبتول
بذاك ولم تنطق بهذا الأناجيل
ولا قاله من يعرب أبداً قيل
سريعاً فني الأهزاج للشعر تسهيل

(١) هذا الشطر تراه خارجاً عن الوزن وهو من أبيات الشيخ جواد وهو أجل قدرأ من أن يخفى عليه ذلك، ولكنه أراد التعريض بالشيخ إبراهيم أطمش الذي عرف بخروج بعض أبياته عن الوزن كما سبق.

فأصبح سامي عرشه وهو مثلول
فتغدو فعولاً أو مفاعاً مفاعيل
لطار بإبراهيم نحو السما (غول)
وما اختلفت فيه ومنه الأقاويل
من الهم ما لا يحمل الدب والفيل
بلحيته من رسغ رجله مشكول
وإن قل لا عرض لديه ولا طول
خليلاً وقد تقنى الهجان المهازيل
إذا قلّ أهل الفضل أو عزّ تفضيل
لزفرته يمتار دجلتها النيل
لدي فقلبي مغرم فيه متبول
ولاءً به قلبي غدا وهو مأهول
فؤاد كمرأة الغريبة مصقول
بما بين قلوبنا مدى الدهر موصول
بودي وبعض الشعر زور وتخييل
برغمي تحويراً فما هو تحوير
بما ليس شيئاً في الإفادة مشغول
لك العز برد والمهابة إكليل
وفطرك مردود وصومك مقبول

بلا سبب أوتاد أبياته غدت
أهل يرتق أو يهبط الشعر في الوري
ولم يرتقي من ليس يرقى بطبعه
له الله من شيخ قضى جلّ عمره
تحمل من كد الزمان وكيده
قصير الخطأ إن يمش يكب كأنه
فصيح عروضي سوى أن شعره
تخيرته للهزل يا جده
(أبا أحمد) أنت المفضل في الوري
تحمل لبغداد تحية وامق
لخير أخ إن كان متبول وصله
كنزت له من بين أهل مودتي
وداد كدر المزن صاف يضمه
(أبا جعفر) حسبي من الود أنّه
ألا لا تخل إنّي بشعري مما ذق
ولا تحسب الهجر الذي هو كائن
ولكنني عن كلّ شيء يفيدني
ودم وادعاً في ظلّ عيش منعم
يعود عليك العيد في كلّ حجة

وكتب الشيخ جواد جواباً عما سبق عن لسان سبطه أحمد:

بمزايك وهي أذكى وأعبق

والدي أشأم الركاب وأعرق

نشر بغداد عاطر من شذاها
 غرب الناقلون عنها الهدايا
 فاز منك اللاجي بأمن ومن
 خلق قد فطرت طبعاً عليها
 بلباب الفضل اختصت وكم من
 قيد الناس بالذي ترتبه
 وباجماع أمة الفضل أضحي
 وبها عطرت مدينة جلق
 ولها طالب الهداية شرق
 والمداجي فيما يحاول أخفق
 لا كمن ضلّ دأبه يتخلق
 قايل في قشوره يتشدد
 إن قول التفضيل فيك لطلق
 لك سر من الحيا ليس يخرق

يا قبيلي ولا أرى من قبيل
 جُدتُم وادي الغري فأغدق
 وهزرتُم أقلامكم فنظمتُم
 فلو أنّ الزمان أصبح جيداً
 أو غداً مفرقاً لكنتم عليه
 مظهر من بواطن الجود فيهم
 طبق الكون جودهم وكفاهم
 لعلاكم سار على سنن الحق
 وطلعتُم به نجومأفاشرق
 لؤلؤاً في طروسكم يتنسّق
 لرأى أنّه بكم يتطوق
 يا أكاليل عزه تاج مفرق
 لجفان على الظواهر تفهق
 إنّ عندي يدأ لذاك (المطبق)

قلت للشيق الذي يتصاى
 قم فطالع جبين عمّي حسين
 إنّ هذا معنى الجمال ولا عش-
 هو فلك النجاة لي وكفاني
 أنت دربتني فجليت سبقاً
 للغواني وللجمال المعشق
 ولآيات مصحف الفضل فاشتق
 -ق لقلب بغيره يتعلق
 إن لي خلف جريه جري زورق
 إنّ مهراً دربته كيف يلحق

لم أكن خارجاً عن البحر خوفاً
غير أنني ذكرت للخال عهداً
شاعر ظنّ والمظنّة إثم
واحد يملؤ الفراغ ولكن
لو يناجي قارون لوث أزار
يا خليلي أرى ببردك نفساً
نفس حر وأحسن الحسن فيها
عظمت همّة فما العود منها
ان لبست الضيق الجديد قميصا
لا تحل إن ذا الغمام جهام
فترقب رتق الغنى عنك حتى

أن تحف الأمواج في فأغرق
حين قد فكّ فكّه وتمنطق
إنّ في نفسه شعور الفرزدق
هو ثان في العصر لابن المذلق
لسرى داؤه إليه فأملق
كبرت أن تداس ذلاً وتسحق
إثمها من خزائن العزّ ترزق
بسوى مزنة الحميّة أورك
طالما ضيق القميص لينشق
ربّما خالف الجهم فادوق
يأذن الله في غناك فيفتق

طار صيت الرضا وللنجم حلق
طاير الزور للحضيض هوبا
فجناح الحديد أثقل من أن
ولفكر الرضا معارج فضل
فطنة غاضت النيازك حتى
حسد البدر شعلة من ذكاها
يا جديد الأسلوب وهو حي
رقصت حولها القلوب ارتياحاً

وتعالى فقال يا حاسدي الحق
لست تعلو بباطل طائر الحق
فيه وكر النسر السماوي يطرق
راح فيها لمجده يتسلق
طفقت في شرارها تتحرق
فغدا يستسر منها ويمحق
عفت من أجلها الشراب المعتق
ولها الحفل في المحاشد صفق

عاطنيها يا عم أنقى وأصفى من رحيق الطلى المصفى المصفق
وكتب أيضاً الشيخ جواد إلى الشيخ عبد الحسين الحلّي بقوله:

حننت حنين الفاقدات الثواكل لذكراك والذكرى أثارت بلابلي
وطارحت في الدوح العنادل باكيا فأبكيت فيه ساجعات العنادل
أطالت معي إعوها لا هديلها فطال لدينا النوح من دون طائل
ذكرت لها فجر الفرات وطيه وعصراً تقضى بين تلك الخمائل
فكادت مع الألفاظ تلفظ نفسها وتخرج من بين الكلى والخواصل
فكيف بها لو أنني ذاكر لها مساقط ذاك الدر من سحر بابل
فطوراً ترينا منه نفحة عاطر وطوراً يرينا منه حلية عاطل
يذيب ثمين الدر خمراً لشارب ويسبك خير القول تبراً لآمل
فيا لك سحراً من تفنن مبدع يحير أرباب النهى والفضائل
خليط الصبا من لأمرئ متباعد على دجلة ذات الرياحين نازل
تزاحفه أمواجه بسلاسل وما عدّ يوماً عن غزاة السلاسل
يرى الشاطئ الأدنى فيذكر معهداً تولى حميدا بين تلك المنازل
أراني لو استبدلت غيرك لي أخاً لعمر العلى استبدلت حقاً بباطل
إذا أنا جاوزت الحدود من الوفا فلا جاوزت جيدي حدود المناصل

وكتب الحجة الحسن المظفر مجيباً عن القافية المتقدمة وجعل الخطاب لولده فقال:

طرب القلب في هواك وصفق وبذكراك طار شوقاً وخلق
وللقياك كم حننت غراما فعلى قلبي الشجيّ ترفق
أنت علمتني الشجي يوم كنّا نتعاطى الهوى شراباً مصفق
لا تخلني من بعد بعدك أصحو كيف يصحو أخ الشراب المعتق

إثركم عاثر ليقفو ويلحق
ربة النار وهو أذكى وأسبق
فهو عن نيل ما يحاول أخفق
بسواكم قلبي المشوق تعلق
ما صبا نحو غيركم أو تعشق
لإمام بفضله بت موثق
بعد ما كنت من يد الجود مطلق
صيرتها العلى كتاج بمفرق
أن تهب الرياح يوماً فيغرق
ضياه وجه البلاد فاشرق
هي أذكى في الدهر نشراً وأعقب
لست تشأوشاً والجواد وتلحق
في المعاني وفي البيان المنسق
ليس من جود كفّ الناس تعق
ماهما جوده بناد فأودق
إذا قال للعلی أحمد الحق

سار فيك الركب المجد وقلبي
هو لولا الأسى لما سبقته
فانتظره لنظرة يقتضيها
فلعمري يا منية النفس ما أن
خذ لتلك الديار مهجة صب
أو فخذ عن لسان شوقي سلاماً
قيدتني قدماً أياديهِ بيضا
فاز منه الورى ببيض مزايا
هو فلك الندى فلا يخش عاف
عم معروفه العباد كما عم
ملاً الكون في لباب مزايا
قلت للواجد الحسود رويداً
واحد ماله مثيل وثمان
ملك يملك الرقاب نداه
دام للناس ملجأً وغيثاً
فاتبع إثره على سنن الحق

وقال الشيخ محمد رضا المظفر معلقاً على أبيات الحلي الأخيرة وبنفس الروي

والقافية وقد خاطب فيه ابن أخيه أحمد:

وما الورد إلا بالشذا الغض مأهول
بحضنيه غالت من مفاعيله الغول
سناها ولا يخفي الحقيقة تأويل

فؤادي على حب الحقيقة مجبول
يقولون شطر من قريضك نافج
وصدقهم إن الحقيقة ناصع

ولكنني قدمت عذرك صادقاً
وخيلت بالخال الكريم تأسياً
أخاك لك لم تحفل بخالك وهو من
وأكثر فيه الواصفون وإنني
ومن رام قرص الشمس فحصاتعذرت
وأعجب شيء ما أرى وهو كادح
يقول أنا فوق الوسادة شاعر
وهدهم إن الحديد وإن صدى
أيا بن أخي قالوا أسود تراءرت
شيوخ تنادت للنزال وما لنا
وقد يطبع التبر المذاب لحاجة
وكتب الشيخ جواد عن لسان سبطه لأبيه قوله:

أبي لو أملأ الدنيا ثناء
كفاني أن لي بسناك رشداً
تنازل عن مسايرتي الثريا
ولو وجد الهلال إليك مثلي
وعنك رويت أخلاقاً حسناً
تواري المشتري عني حياء
وتسرت القوس مرتعياً لمجد
إذا ما فاتني للقاءك فرض
فإنني سوف أخلص فيه سعيي

لما أضحت لتربيتي جزاء
وحسبي أن ملكت بك السناء
فتحسب أن تجاوزت السماء
انتفاء ما تعداك انتفاء
حياءك والرزانة والحياء
وقابلت السماك فما تراءى
أصبت به الزعامة والعلاء
ولم أستوف واجبه أداء
وأجهد كي أجبي به قضاء

وكتب الشيخ جواد أيضاً إلى الشيخ عبد الحسين الخليّ جواباً عن لاميته الأخيرة بقوله:

ميلوا إلى الوصل يا أهل الوفا ميلوا	فالقطع منكم بدا والحبيل موصول
لا تنجلوا من تجافيكم فقد عرفت	جباهكم أن أيدينا مناديل
فطالما مسحت صدرأ به درن	فعاد وهو بكف الصفح مصقول
لا ولا الذي شاء أن يبقني غريمكم	مستعطفأ يتقاضى وهو ممطول
إنّا على عهدنا الماضي فليس لنا	عنه وإن حالت الأيام تحويل
خلتم خلا القلب منكم يا أحبته	وفيكم ربه المعمر مأهول
قوموا انظروا هل ^(١) تراءى في سجنجله	لغيركم يا مثال الصدق تمثيل
زنوا ليذر حبّ الحب صبكم	في ربوة القلب أو في صاعكم كيلوا

يا مصدري غرر الأحكام سافرة	إنّ الخيال الذي خلتم لتخيل
تدل صار منكم وهو برهنة	كما تشاء مغازيكم وتديل
تقولوا أو فقولوا ما بدا لكم	حسي من الذكر هاتيك الأقاويل
يا من يردّ علي الباب أطرقه	عليه ردك محبوب ومقبول
وناقد القول ملفوظاً لمهزلة	ما هكذا توسم النيب المهازل
ومرسل السحر يعيني مطالعة	موضوعه وهو في أذني محمول
حللت معدنه نقداً ولا عجب	فالنقد للذهب الابريز تحليل
وللعروض الذي قطعته سبب	من المهازل مصنوع ومجول
قوضته فترأى ماله وتد	ترثني له فاعلات أو مفاعيل

(١) هكذا ورد وهو غير مفهوم.

العا في الرسوم به أن يقرن النيل
أجرى وأثبت أم تلك الأساطيل
للركب حطوا إلى التعريس أو أقبلوا
بالضيف ترحيب ملهوف وتأهيل
خوف المدى الحمر مرسون ومعقول
أن تنحر الخيل والكوم المراسيل
والوقت في هجمات الأتس مقتول
عقص الجعود وللأعشاب ترجيل
وللعناقيد في الأوراق تمهيد
إلا أغن غضيض الطرف مكحول
على المضأ قبل طبع القين مجبول
إلا كما تمسك الماء الغرايل
من ضيعة الفضل مبسوط ومحصول
منهم بها لاح تصدير وتذييل
أخلاقهم وهو باللذات مشمول
له من المجد تفريع وتأصيل
وساعدي بنشاط العمر مفتول
إلا الفكاهة مشروب ومأكول
فالقلب عندك رهن الحب متبول
فبعضها مغمد والبعض موصول

أهل الفرات أهل يرضى سديركم
تخير الفكر هل كانت زوراقه
وفي الضفاف بيوت قيل ساكنها
عرب لهم في عشايا الجذب ضيقة
كم ضل مضطربا ما أخرأوا القرى
في كل يوم لهم عيد وعادتهم
آه على القصر شرقياً حيث به
وللكروم وراء القصر مثمرة
والورق تهدل في الأغصان ساجعة
لم يجل فيه قذى عيني من سهري
وفتية كسيوف الهند جوهرها
لا تمسك المال أيديهم لجودهم
الحاصلون على علم وحظهم
كم نثرة من نسيج الفكر محكمة
إن فاكهوا فرزين الحلم تحمله
أصولهم مثبتات أن دوحهم
صافيتهم ويمين الدهر تمسط لي
غذاء روجي غدوا والنفس ليس لها
مباني الجسر^(١) ناجيني على بعد
هل السواقي على عهدي مناصلها

(١) يقصد جسر ناحية الكوفة.

وهل عرايس ذاك النحل مرسله
أحبابنا بالحمى إن ضن وابله
على ترائبها تلك العثاكيل
عليكم فركام الدمع مبدول

لجيرة النجف الأعلى بجانحتي
أراؤهم لا السيوف البيض قام بها
مغنى كما يتمنى القلب منزول
أعلت منار الهدى في كل مملكة
لله في الأرض تكبير وتهليل
تطاول السمر صهب في أناملهم
هذي العائم لا تلك الأكاليل
نصيبها الطول إذ حظ الطبا الطول
عليه ينبت معقول ومنقول
ستر من العفة البيضاء مسدول
بيوت علم عليها أينما ضربت
أو جاولوك فلا نكس ولا ميل
إن حاججوك فشمس الصحوحجتهم
لم تبلغ الزند هاتيك التفاصيل
صريحة ما بهالبس وتأويل
لو طال طول المدى تفصيل ناعتهم
بزاتهم تلك أم طير أبابيل
إذا رأى الخضم محجوجاً أدلتهم
فأنتم في دياجيه قناديل
يظل من تحتها يرنو فتوهمه
من معدن اللطف والباقي تماثيل
فأنتم من سنا القرآن فالتجأت
مهما تغيرت تغير وتبدل
مراكم الله أرواحاً مقدسة
وعلتي أصلها هذي التعاليل
دافعتم عن سنا القرآن فالتجأت
وما مواعيدها إلا الأباطيل
سمماً خليط شبابي ما لعاطفتي
أين الشباك استقلت والأحبال
كم عللتي بك الأيام تجمعني
مات الخداع وفي النزع الأضاليل
وواعدتني أن تصفوا مواردنا
لم يغن عنكم فتيلاً طول مكرهم
قل للألى نفروا بالجهل صيدهم

لا فجركم صادق^(١) حتى تقوم له
ولا ضحاكم له نور فنعرفه
من رقدة الليل أحرار بهاليل
لكنه غشوة فيها الأباطيل^(٢)

(١) يعرض بكتابي ضحى الإسلام وفجره لأحمد أمين.

(٢) علي الخاقاني، شعراء الغري ٢ : ٣٧٣-٣٨٥.

القسم الرابع:

ذكرى المظفر

١ . كلمات الرثاء والتأبين

جامعة النجف صنو جامعة القرويين^(١)

الشيخ محمد رضا الشبيبي
رئيس المجمع العلمي العراقي

حضرات الشيوخ والسادة الاجلاء

قال عز من قائل ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)
(صدق الله العلي العظيم).

لا نبالغ إذا قلنا ان الفقيه (تغمده الله بالرحمة) كان مصداقاً لمفهوم هذه الآية
الكريمة وان سيرته الطاهرة لتشهد بأنه ممن أوتوا تلك المنزلة التي يقترن فيها العلم
الواسع بالايان الراسخ، وهذه المنزلة هي المقصودة في الآية الكريمة ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا
ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣).

كان رحمه الله ممن أوتوا ذلك النصيب الموفور حيث اقترن لديه العرفان بالايان
وبالعاطفة الروحية، ولا يخفى أن المربي الصالح والراعي الرفيق هو الذي يجمع بين
هاتين الخصلتين، وقد عني فقيدنا بشؤون التربية العامة عناية بالغة مارسها على نهجين:
أحدهما تربية النشئ في المدارس والمعاهد التي أسسها ورسم خططها ومناهجها.
والآخر تعليم الراشدين بعد تربية الناشئين، وذلك بالمواظبة على تدريس علوم
الشريعة الإسلامية، حيث كان له مجلس درس او بحث يختلف اليه جماعة من طلاب

(١) الكلمة التأبينية التي القيت بمناسبة أربعين الفقيه الشيخ المظفر عضو المجمع العلمي العراقي
في الحلقة التي أقيمت في النجف من قبل جمعية منتدى النشر بتاريخ ٢٧/٣/١٩٦٣.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) فصلت: ٤١.

ولد رحمه الله بالنجف ودرس في معاهدها، وفي مقدمة اساتذته شقيقه العلامة الكبير الراحل الشيخ محمد حسن المظفر، هذا ولم تفت فقيدنا رحمته الملكة القدسية ملكة الاستنباط، ورد الفروع الى أصولها وذلك في مقبل عمره حيث حصل على أكثر من اجازة علمية أجاز له بها جماعة من كبار العلماء، وقد أنصب بعد ذلك على التأليف واخرج عدة تصانيف راجت رواجاً حسناً من أشهرها كتاب المنطق في ثلاثة اجزاء وكتاب اصول الفقه في اربعة اجزاء انجز منها ثلاثة، هذا وله بحوث نشرت في جملة من الصحف والمجلات، عالج فيها عدداً من الموضوعات الاجتماعية والعلمية والدينية، وله محاضرات في مناسبات شتى القاها في العراق وغير العراق من البلدان التي زارها او دعي الى زيارتها، منها محاضرة القيت في مهرجان (كراجي) الذي أقيم في باكستان بمناسبة مرور اربعة عشر قرناً على ميلاد الامام علي عليه السلام ومحاضرة القاها في مهرجان (جامعة القرويين) بمدينة فاس سنة ١٩٦٠ قارن فيها بين المناهج المتبعة في جامعة النجف وجامعة القرويين بمدينة فاس.

وفق الفقيد في هذه المحاضرة التي استمع اليها جمهرة ممن دعوا الى ذلك المهرجان، وكان على جانب من عمق التفكير وسداد الرأي حيث قوبل بحته بمزيد من التقدير والاستحسان، وقد استهله بملاحظات لطيفة عن القطيعة، ثم خلص من ذلك الى ان جامعة النجف صنو جامعة القرويين في قدم عهدها، اذ تأسست اول قاعدة لها - أي لجامعة القرويين - في القرن الثاني للهجرة، وقد ذهب في هذا البحث الى أن جامعة النجف لا تختلف عن سائر الجامعات الإسلامية القديمة في مناهج دراستها للفنون العربية والعلوم الإسلامية، وذلك من حيث كونها دراسة خصوصية حرة لدراسة صافية مقيدة، كما لاحظ أن الحرية ملفه للطالب في اختيار المدرس والكتاب، هذا هو

رأي الشيخ في المقارنة بين جامعة النجف وجامعة القرويين وانها صنوان في التاريخ والمنشأ ووضع المنهج، والواقع ان جامعة الكوفة ولا يوجد فرق بعيد بين النجف والكوفة، ولا تفصل بينهما مسافة يمتد بها، هي أقدم من جامعة القرويين.

وما منبر الكوفة الذي ألقى من فوقه خطب الامام علي عليه السلام - وهي خطب طافحة بالعلم والفقه والحكمة وأصول الدين وأحكام الشريعة - وما جامع الكوفة الذي شهد أحكام الإمام في الاشتراع كما شهد أفضيته في الوقاعات المعضلة، نقول ما كان ذلك المنبر إلا جامعة كبرى فما وازتها في القدم جامعة اسلامية.

ولولا جامعة المدينة بعد الهجرة الشريفة إليها، ولولا جامعة الكوفة وأختها جامعة (البصرة) لما نشأت الجامعات الإسلامية التي عولت عليها ورجعت إليها بعد ذلك، ومنها جامعة القرويين وجامعة القيروان وجامعة الزيتونة وجامعة الأزهر وجامعة بغداد حتى جامعة قرطبة، فعلى جامعة الكوفة والبصرة تحولت الجامعات الإسلامية في مأخذها من علوم الإسلام وفنون العربية نحوها وصرفها ولغتها، ولا حاجة بنا للتنبؤ به بمذهب الكوفيين وأئمتهم واعلامه في هذه العجالة، ولنا أن نقول ان جامعة الكوفة هي الأصل وباقي الجامعات فروع.

يقول الشيخ رحمه الله في بحثه هذا الذي القاه في مهرجان القرويين: «لقد تقدمت بنماذج من الكتب التي تدرس وتقرأ في جامعة النجف أضعها بين يدي السادة العلماء في جامعة القرويين ليطلعوا عليها ولتعكس لديهم المراحل التطورية لدراسة العلوم الشرعية» ويقول أيضاً: «وسأحمل معي بعض الكتب التي تدرس في جامعة القرويين لأضعها بين ايدي العلماء من المشرفين على جامعة النجف كوسيلة من أهم وسائل التعاون بين الجامعتين، وارجو ان نجد في هذه الانواع من الكتب مجالا للالتقاء تقتضيه وجهات التشابه بينهما ووحدته الهدف في نشر الثقافة الاسلامية في أوسع مجالاتها»، وقد ختم هذا

البحث بقوله:

«وحسبنا أن نسجل لجامعة القرويين وأخواتها من الجامعات الإسلامية فضلها في الحفاظ على لغة القرآن الكريم وآدابه وعلومه وذلك بعد أن اجتازت البلاد الإسلامية مراحل خطيرة مظلمة كادت تقضي على الإسلام واللغة العربية»، هذا بعض ما قاله في رحلته الى المغرب ننقله عن كلمته التي ألقاها في مهرجان فاس، ومعنى هذا ان رحلته لم تكن رحلة عادية بسيطة وانما كانت رحلة مصممة رسم اهدافها وغاياتها قبل القيام بها بمدة.

هذا وهناك ناحية أخرى من سيرته رحمه الله لها خطورتها من حيث النشاط الاجتماعي العملي فكانت له بالإضافة الى ما تقدم، تلك اللفتة البارعة لناحية الاصلاح من المعارف والفنون الحديثة اذ كان ينظر الى مناهج الدراسة في المدارس القديمة نظرة فحص وانتقاد، فهو يرى ان مرحلة الدراسة الابتدائية والثانوية وما بعدهما مضنية شاقة يضيع فيها كثير من الطلاب اعمارهم، وقد يتقفون فيها عن السير لا يلحقون بالطلبة المجدة فخلّص من ذلك الى ضرورة فتح مدارس حديثة منظمة هي مدارس متتدى النشر وذلك وفق مناهج يتلافى فيها كثير من النواقص التي يتشكى منها، ولا يعلم الا الله مبلغ العناء والجهد الذي يتطلبه فتح مثل هذه المدارس والمعاهد في مثل الظروف التي يجتازها محيط النجف خاصة والبلاد الإسلامية عامة في ذلك الحين.

هكذا تيسر لجمعية متتدى النشر ان تنشئ كلية للفقه لتخرج طلاباً لهم الاستعداد الكافي لحضور حلقات دروس يلقيها كبار الاساتذة بالإضافة الى القيام بواجب الدعوة الى مزايا الدين الإسلامي وتبليغ مبادئه من على منابرهم او بواسطة استخدام اقلامهم في البحث والكتابة.

انتخب الفقيد عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي وذلك في شهر آب من سنة

١٩٦٣ وكان يواظب على حضور جلسات المجمع على ماكان يعانيه من المرض العضال الذي توفي فيه.

هذا ولا يخامرنا أدنى شك بان هذه الجهود المصنية المثمرة كانت من جملة العوامل التي أنهكت قواه، واثرت في صحته العامة، والذي نعلمه انه كان لديه مخطط آخر لانجاز غير تلك الاعمال الاجتماعية والعلمية ولكن المنية عاجلته، ولا حيلة لنا في قضاء الله تعالى وقدره، وبذلك فقدنا رجلاً فذاً من أفذاذ الرجال في علمه وعمله واخلاصه ونشاطه، تغمده الله برحمته والحقه بالشهداء والصديقين وحسن اولئك رفيقا.

فقيه النجف الأشرف^(١)

الشيخ محمد جواد مغنية

حجة الإسلام الشيخ محمد رضا المظفر يصح تعريفه بكلمة واحدة، ويمكن التعريف به في كتاب، أما الكلمة فهي: أنه فقيه النجف الأشرف، وكفى.. أي أن النجف بكبارها وصغارها تشعر بفقده تماماً كما تشعر الأسرة والعائلة بالخسارة والفراغ حين تفقد ركناً من أركانها، وعماداً من كيائها، أما سبب هذا الشعور، وهذا الاحساس فيتلخص أيضاً بكلمة واحدة، وهي أن النجف تعرف - قبل غيرها - أن هذا الرجل كان يمثل الدين بحق وجدارة.

ومعنى يمثل الدين، ورجل الدين أنه رجل العلم والعمل، رجل الرحمة والحنان، والحب والسلام، والضمير والوجدان، رجل الاخاء والصفاء، والصبر والتسامح، والصدق والصراحة، والزهد والعدل.. لا رجل المادة والمنفعة، والحق والكراهية، والتملق والرياء..

إن رجل الدين، أو العالم الديني، مهما شئت فعبّر، لن يكون ابداً صغير النفس وحقيراً لان الدين كبير وعظيم، ومن هنا جاء تسامح أهله وحماته الكبار.. وأستطيع القول بلا تحفظ أن الذين يتمنون للناس الويلات والعثرات، وتصفرون وجوههم، وتتجدد من الحقد، والرغبة في الانتقام ولا ينامون الا على دبابيس الكراهية، ومسامير الخبث، أستطيع القول: ان هؤلاء بعيدون كل البعد عن الدين الصحيح، والإيمان الخالص، بل وعن الإدراك، وتقدير الأمور بموازينها.. ان الذي يتسامح في أشيائه الخاصة يفقد انتصاراً صغيراً وحقيراً، ولكنه يربح الانتصار الكبير، وهو مرضاة الله، وثقة الناس،

(١) نشرت في كتاب من ذا وذاك. للشيخ مغنية .

وقد تجلت هذه الحقيقة في سيرة الشيخ المظفر.

وقال اتباع ماكيا فيلي: يجب أن يشتهر الإنسان باسم الطيب المتسامح، لأن الاشتهار بذلك مفيد له جدا من الوجهة المادية.. ولكن عليه في الوقت نفسه أن يكون في واقعه قاسيا فتاكا، وذئبا مخادعا، لأن الناس كذلك في واقعهم، فاذا لم يكن مثلهم كان من الخاسرين..

وإذا كانت هذه النظرية واضحة الفساد فإن عليها عمل الأصحاب الا الذين زهدوا في التبطيل والتزوير، وهم معروفون بأشخاصهم وأسبائهم، ومنهم الشيخ المظفر الذي شعر بالمسؤولية، وتحملها، ثم أداها باخلاص.

لقد شعر بوجوب العمل على التطور والتقدم، فأقدم عليه بجراً، وعمل له بأمانة، وتحمل ثقله بمغامرة، وصارع في الميدان ببطولة، حتى انتصر وعبر جميع متاهات الخطر. وهنا يكمن سر عظمتة التي تميز بها عن الذين لا ينطقون، حتى بكلمة «نعم، أو لا» قبل أن يضمّنوا الأرباح العاجلة الزائلة.

محمد جواد مغنية

في ذكراك يا أبا محمد

الدكتور عبد الرزاق محي الدين

عضو جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمد تقف النجف حزينة خاشعة تشيد بذكرى نشأتك الطاهرة وفنائك النقي الحي وكهولتك الصالحة المدركة المبصرة.

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمد يقف أخوانك داعمين خاشعين يستعرضون صفاءك ووفاءك وأخاءك كيف كنت تجمعهم على ود وتفرقهم على وعد.

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمد يلتفت طلابك وأبنائك يستعرضون آثارك فيهم ويستنطقون أعمالهم لهم ويستعيدون عن ظهر قلب ما رويت وما رأيت وما قرضت وما حررت، ما استصوبت وما خطأت، وما جرحت وما وثقت فإذا كلّ نبض في قلوبهم، من فيض وجدانك، وكلّ اشراق على عقولهم من نور عرفانك، وكلّ جرس على ألسنتهم صدى للسانك.

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمد تشخص رسائلك وكتبك ومراجعاتك ومناظراتك ومحابر وأقلامك لتشهد الله والناس على أنها كانت مسطرة لوجه العلم محررة لوجه الحق، مبرئة من سفسطة الباطل، منزهة عن الغرض المتحامل.

في ذكراك الأربعينيّة يا أبا محمد تقف الأربعون التي سلختها من جهدك وجهادك تحمل على كاهلها المتعب المكدود أوقاراً من جلائل الأعمال، وحقائب من شوامخ الآمال تتقدم بين يديك إلى ساحة الله في مطلع وفادتك عليه ونزولك في رحابه لتقوي رصيد حسابك وتكون عنوان كتابك، ولتوطأ مهادر رحمته ولتزين لك قصور جنته، ولتكون زادك وذخيرتك يوم لا ينفع مال ولا بنون.

اللهمّ بارك أعماله في الآخرة كما باركتها في الدنيا وأكتب لها البقاء من بعده فإنّها
لك وأنت الحي الذي لا يموت، وخلد سيرته في نفوس أخوانه وطلابه حتّى يستقيموا
بطريقته ويسيروا على نهج سيرته.

اللهمّ وفق الأمانة على مدرسته وكليته للحفاظ على ما أبقي، والإشادة على ما أسى
ومني ومن جمعيّة الكتاب والمؤلفين لهم أبلغ العزاء وكريم المواساة.

عبد الرزاق محيي الدين

وزير الدولة لشؤون الوحدة

كلمة الأسرة

الشيخ محمود المظفر

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١﴾.

يا أبانا:

لئن عزت حياتك فلقد هدت وفاتك، ولئن كان بك أديم الحياة رضيعاً زكياً، فلقد كان بعدك جديباً عسيباً... تركنا عيوناً عبرى وقلوباً حرى.

وعزاؤنا الذي نتبرد عنده ونركن إليه أنه قضاء الله وحكمه الماضي فينا وفيك، وأنتك عشت مجاهداً وجاهدت في الله طائعاً، وإنَّ الجذوة التي أوقدتها ستظل متقدة تنير الدرب للسالكين.. ﴿رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢﴾.

فتم يا أبانا قرير العين، ها هم الأخوان من عارفي فضلك ومقدري جهادك أكثر من إدراكاً لما نعلم وألماً بما نحس... فشكراً لهم وألف شكر على شعورهم الغامر ولطفهم الكريم... وإنَّ حضورهم هذا الحفل الحاشد وتجشمهم عناء السفر ومشقة الطريق من أطراف العراق وخارجه ليعطينا دليلاً آخر على أنَّ الخلود للعاملين المجاهدين الصادقين ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣﴾.

وشكراً إلى العلماء الأعلام وطلبة الفكر والمعرفة ممن ساهم نظماً أو نثراً في هذا

(١) البقرة: ١٥٦.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) العنكبوت: ٦٩.

الحفل التأبيني الحاشد أو في الحفل التأبيني الآخر الذي أقيم في لبنان من قبل علماء الدين في صور، أو في الحفلة التأبينية التي عقدها المجمع العلمي العراقي في بغداد، أو في غير ذلك من المحافل التأبينية ومجالس الفاتحة اللاتي أقيمت في العراق وغيره من بلادنا الإسلامية والعربية.

وبعد فهل لنا أن نشكر جمعيتنا جمعية منتدى النشر وأعضائها وأساتذتها وطلاب كلية الفقه وأخواننا من النجفيين الألباب الذين ساهموا في إعداد هذا الحفل.. لا أجدني موفياً حقهم إن شكرتهم... فليس بمستساغ أن يشكر الإنسان بنفسه، والجمعية وكليتها بعد ذلك هما من الفقيد وإليه وإنّا ثمرة من ثمارها وغرس من نبعهما.

وأخيراً نتقدم بخالص شكرنا لأخيना العلامة السيد محمد كلانتر وأخيه في العطاء والتضحية الحاج محمد تقي اتفاق مشيد هذه الجامعة، بما عينا لنا من إقامة هذا الحفل بهذا المكان المعمور بالعلم والعمل الصالح.

سائلين المولى أن يلهم الجميع الصبر ويسلك بهم سبيل الرشاد.

محمود المظفر

كلمة جماعة العلماء

الشيخ المظفر^(١)

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.. وإنّا لله وإليه راجعون.

كان فقيدنا الغالي تغمده الله برحمته الواسعة علماً كبيراً من أعلام الفكر الإسلامي العالي، وأستاذاً لامعاً من أساتذة الجيل الإسلامي الناهض، ورائداً حرّاً من رواد الإصلاح الديني في مختلف مجالاته علميّة واجتماعيّة.

فقد عرف رحمه الله تعالى بأصالة الرأي وبعد النظرة، وعمق الفكرة، وجودة البحث ومثاقته، ودقّة التعبير وانسجامه، في روعة بيان واشراقية أسلوب، وجمال عرض.

كما عرف بالصبر والمثابرة الكبيرين في مجالي العلم والعمل إلى جانب ما كان يتحلى به من خلق إسلامي رفيع قلّ أن يوجد في غير أمثاله من ذوي القلوب التي عرفت الله تعالى فعشقتة، ورأت اللذة في الألم في سبيله والعزّة في الخضوع له، والكرامة في نيل رضاه تعالى وتقدس... فأدركت في ضوء ذلك أنّ الحياة كفاح في سبيل المبدأ وجهاد من أجل خير الأُمّة، ودعوة إلى الإسلام وإلى تطبيقه في الحياة؛ من أجل أن يعيش المسلمون في ظلال العدالة الاجتماعية الإسلامية فينعموا بالخير والكرامة في الدنيا؛ ويحصلوا على الثواب الدائم في الآخرة.

ويلمس الجميع جوانب من حياة فقيدنا الغالي التي نذرنا للصالح العام وبخاصة في خدمة الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، بما قدّمه من مؤلفات ذات قيمة علميّة

(١) أشير إلى أن هذه الكلمة بقلم المرحوم الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي وقد عرضت على رئيس الجماعة الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين فأقرها. (م.خ)

كبيرة، تتجلى في منهجية التأليف وأسلوب العرض والإحاطة بالمادة وفي مماشاتها للمستوى الدراسي في مرحلته التي وضعت له، أمثال كتاب «المنطق» وكتاب «أصول الفقه» وكتاب «عقائد الشيعة»، فقد أصبحت هذه المؤلفات الثلاثة من الكتب التي تدرس في الحوزة العلمية النجفية في الاتجاه الموصل ما بين مرحلة دراسة المقدمات، ومرحلة دراسة السطوح، وتلمس أيضاً فيمن خرج من تلامذة بحثه الخارج فقهاً وأصولاً وفلسفة، حيث يعدون في طليعة الخريجين من تلامذة أمثاله من لداته في البحث والتدريس.

وفي تمثيله النجف الأشرف في احتفال جامعة القرويين في المغرب، حيث بعث صوت النجف الأشرف هناك وحمل تراثها الرسالي في الفقه وأصوله والتفسير والحديث وأمثالها إلى إخواننا من أعلام الفكر الإسلامي هناك؛ بغية أن يتفاعل هذان الجانبان العظيمان من حضارتنا الإسلامية العتيقة، فتعرفت النجف الأشرف على القرويين عن طريقه رحمه الله لأوّل مرّة بعد أن رفعت تلك الحواجز التي وضعتها سدوداً شاحخة عوامل التفرقة من استعماريّة وغيرها... وتعرفت جامعة القرويين على جامعة النجف الأشرف ولأوّل مرّة كذلك.

وفي وقوفه رحمه الله بالربيع الأوّل من مجاهدي النجف الأشرف، الذابين عن قدسيّة الإسلام وكرامته في صد هجوم وعاديات الكفر والاحاد، التي منيت بها البلاد الإسلاميّة، وبخاصة بلادنا العراق يوم انبثقت هيئة «جماعة العلماء» لتأخذ على عاتقها مهمة الدفاع عن بيضة الإسلام وعن حوزة المسلمين فإنّنا لا ننساه يوم كان عضواً في هذه الجماعة حيث رأينا العين الساهرة والقلب النابض، والفكر الواعي والامكانيّات الموهوبة، توقف جميعها لخدمة المبدأ الإسلامي المقدس وللدفاع عن حوزة المسلمين وكرامتهم وللاجهاز على قوى الكفر والاحاد، التي طغت في البلاد فأكثر فيها

الفساد.

وفي قيامه بتأسيس (كلية الفقه) التي استهدفت من ورائها تزويد الطالب المسلم بما ينبغي أن يتوفر عليه من وسائل وأساليب حديثة في أدوار قيامه بالدعوة الإسلامية حسبما تفرضها متطلبات الحياة الاجتماعية القائمة في مجال الخطابة والكتابة والتعليم وأمثالها... ولأن تكون دراستها محل الحلقة المفقودة في المراحل الدراسية في جامعة النجف، بين مرحلة دراسة المقدمات ودراسة البحث الخارج، ليتوفر الطالب المسلم على أهم الخبرات العلمية والاجتماعية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمادة دراسته العلمية وبمسؤولية قيامه برسائله الإسلامية في الدعوة والتبليغ وحمل التراث الإسلامي إلى الأجيال المقبلة لتواصل مسيرة الدعوة الإسلامية أشواطها الناجحة من أجل تحكيم الإسلام في الحياة.

وقد رأينا من أهداف الكلية التي استطاع أن يحققها رحمته ما قام به رجال الطليعة الإسلامية الواعون من خريجيها، بأقلامهم ومنابرهم المجاهدة من الجهاد الفعال في نشر الفكرة الإسلامية وتعميمها، وفي تبليغ أحكام وتعاليم الإسلام إلى الأمة، وفق ما تتطلبه مستلزمات التبليغ والدعوة في هذا العصر.

وشيء آخر ربّما كانت له أهميته الكبرى، هو إسهام كلية الفقه الجعفري إلى مجال الدراسة الجامعية... والجميع يعلمون أنّ الفقه الجعفري أضخم ثروة تشريعية احتوى على نتائج الفكر الإسلامي العالي في هذا الجانب منه....

ورأينا في أمثالها من جوانب حياته الأخرى في مختلف مواقفه المشرفة وأعماله الكبيرة - رحمه الله تعالى - وإنّا إذ نؤبّنه الآن نؤبّن فيه العلم والجهاد، ونؤبّن فيه الشخصية الإسلامية التي عرفت كيف تؤدي رسالتها على أفضل وجه، وكيف تقوم بأعباء الدعوة خير قيام.

فتغمده الله برحمته الواسعة، وألهمنا الصبر والسلوان، وأحسن لنا العزاء بمصابه...

إنه ولي الرحمة ومنه المثوبة.

جماعة العلماء في النجف الأشرف

كيف التقى المظفر وشلتوت

الشيخ عبد المقصود شلتوت

الأستاذ في كلية الشريعة بجامعة الأزهر

وفي معهد الدراسات الإسلامية العليا ببغداد

من حقّ الأخوة الإسلامية علينا ومن حقّ الرحم الإسلامية والرحم العلمية بيننا أن نشارككم في هذا الاجتماع الحاشد، ومن حقّ الفقيد العظيم علينا... من حقّه على علماء الإسلام في الجمهورية العربية المتحدة، ومن حقّه على علماء كلية الشريعة في جامعة الأزهر، ومن حقّه على كلية الشريعة في جامعة بغداد، ومن حقّه على معهد الدراسات الإسلامية العليا الذي ينعم بتلاميذه.. من حقّه علينا جميعاً أن نشارككم في هذا الحفل.

أيها الأخوة:

إنّ الفقه الإسلامي هو تراث المسلمين جميعاً وهو ملك المسلمين جميعاً، وهو بجميع مذاهبه ضرورة اجتماعية للمسلمين جميعاً، والقوامون على هذا الفقه ثروة بشرية لهذه الأمة فيجب أن نعتز بهذه الثروة ويجب أن نحافظ عليها.

أيها الأخوة:

لقد رزء العالم الإسلامي في هذا العام بصدمات ثلاث.. روع العالم الإسلامي في أمعاء عهده، وروّع العالم الإسلامي في خلفائه الإسلاميين، وروّع العالم الإسلامي في حملة رسالته.. فكانت الصدمة الأولى بالفقيد الخالصي، وكانت الصدمة الثانية بفقيدنا شلتوت، وكانت الصدمة الثالثة بفقيدنا المظفر الذي نجتمع اليوم لذكراه.

أيها الأخوة: لقد ترك فقيدنا العظيم المظفر فراغاً هائلاً في حياتنا الفكرية والإسلامية، فلقد كان رحمه الله عميق الإيمان، فقيه العقل، صوفي النفس، رباني الروح، دافق

العاطفة، دائب العمل، لقد امتاز رحمته بهذه الصفات وهي أسلحة المصلحين في كل زمان وفي كل مكان.

امتاز بعمق إيمانه وصدق إخلاصه لشريعة الله، وكان لعمق إيمانه وصدق إخلاصه سلطان قوي على روحه وعلى جسمه، وطأ أكناف عقله وروحه وحواسه وعواطفه للاستجابة لمقتضى هذا الإيمان وسخر مواهبه للاستجابة لمستلزماته، ففي سبيله عاش، وفي سبيله مات.

وقد امتاز رحمته بعقل زكي نقي استطاع به أن يدرك حكم الشريعة وأن يدرك وسائلها وغاياتها، واستطاع به أن يغوص في أعماق الفقه الإسلامي فيعيش في ماضيه باحثاً ومحققاً، ويعيش في حاضره مفرعاً ومطبقاً، واستطاع أن ينعطف على مصادر هذا الفقه في الكتاب والسنة، فجلى غامضها وبين منهجها وحل مشكلها متحرراً في ذلك من جمود العصبية المقيتة ومن التقليد المنحرف، لا ينشد كل ما يرى إلا الحقيقة العلمية. وكان رحمته دافق العاطفة، فلقد امتاز بعاطفة دافقة كانت مصدر نشاطه وكانت أغنى عوامل طاقاته، كما كانت منبع وسائل هممه استطاع بها أو استطاعت هي أن تدفعه إلى طاقات كبيرة في البحث وفي النظر والتأليف، في الخطابة وفي الإصلاح والبناء والتطوير.

كما امتاز رحمته بالوعي الدقيق العميق فأدرك حاضر هذه الأمة وماضيها وأدرك سنن الله الكونية فيها، وأدرك هوايات الله في الناس ووعى الرسالة الإسلامية المحمدية. وكان دائب العمل فساهم في ميادين الفكر الإسلامي بنشاطه وأضاف إلى بنائه الشامخ في العقائد والفقه بُنات مشرقة بددت غياهب العصبية وعميات الجهالات التي نسجها قصور العقول وحاكها انحراف المنحرفين. هذا هو الإمام المظفر أيها السادة.

ولقد التقى في هذه الأفكار وفي هذه النزعات مع إمامنا الراحل الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت... التقيا في الحياة والتقيا في الممات، فكانت كلية الفقه هنا في النجف من إنشاء الإمام المظفر ومن عمله وكان إصلاح كلية الشريعة في القاهرة من عمل إمامنا الراحل، والتقت الكليتان... التقتا في دراسة الفقه المقارن لتمسح بيدها الإسلامية الكبرى ما نسجته العصبية وما نسجته الجهالات مع ثروتنا الفقهية التي لا تملك بأي حال من الأحوال أن ننحي عنها مذهباً أو نبعد رأياً، فهي نابتة من تراثنا ومنبثقة من كتابنا ومستوحاة من سنة نبينا.

أيها الأخوة المسلمون:

إن علماء النجف وعلماء بغداد وعلماء القاهرة كلهم على طريق واحد، وإن اختلفت مواضع أقدامهم على هذا الطريق، فهم جميعاً يحملون رسالة واحدة ويجمعون حول غاية واحدة... كلهم جميعاً يجمعهم كتاب واحد وسنة واحدة وقبلة واحدة ونبي واحد ودرب واحد.

أيها الأخوة المسلمون:

لهذا عمل المظفر علماً فعمل وآمن فجاهد واجتهد فأصاب، وقال فصدق، بهذا آمن ولهذا عاش، وفي سبيله كافح، وعلى صعيده صبر وصابر حتى فاضت روحه إلى ربها طاهرة مطهرة، فاضت محمديّة راضية مرضيّة ظافرة مظفرة، فسلام عليه في الأولين وسلام عليه في الآخرين وسلام عليه يوم يبعث حياً.

عبد المقصود شلتوت

خواطر

يا أبا محمد، قد يقتحمك عالم في الأصول ليضع مقارنة بين ما حملته من آراء للشيخ محمد الحسين، وصاحب الكفاية، والشيخ الأنصاري، وما توصلت إليه من تقارب بين وجهات النظر المتباعدة، ويتم التصالح بينها في خاتمة المطاف، ثم يضعك هذا العالم في مكان لائق يتناسب ومكانتك في هذا المجال.

وقد يقتحمك متخصص بمنطق أرسطو ويتابعك في طرح الموضوعات وما فيها من دقة للقضايا المتعددة والأشكال الموصلة للنتائج، يقول بعدها كلمة تقويم تكون من خلالها ذا مقدرة واسعة في هذا المضمار؟

وقد يقف حيالك أديب يتأمل دفء الكلمة ودقة التصوير فيما يدور بين (حام الكوخ، وهزار القصر) في قصيدتك الطويلة ثم يعافها معجباً أو ناقداً.

وقد يدخل معك آخر حرم (السقيفة) لسمع ما كان يدور بين القادة الأوائل حول الخطط للمرحلة الأولى والمراحل التي تليها بشيء من الذكاء ثم يخرج منها ليتحدث عنك بما لمسته من تلك المشاهد بدقة في التحليل وبموضوعية المتبع النزيه، ثم الوقوف على ما أهمله الآخرون حيث تكون منه نقطة البداية، وفي يديك (الكتف والدواة).

كل ذلك قد يتحقق ولكننا في هذه اللحظة بحاجة إلى من يسايرك ولو لفترة ليتعرف على ما كنت تحمله من هموم ومعاناة وما ترسمه من خطوات لهذا الجيل الذي يتعرثر وهو في وضوح النهار.

الدخول في بابك المقفل أمر في غاية الصعوبة، لا يتم إلا بمسايرتك أو قراءة (مذكراتك) التي ترسم فيها خطواتك طيلة حياتك المرهقة، المذكرات تلك التي لم يكتب مثلها رجل دين سوى الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء.

من سايرك يا أبا محمّد، ولو لفترة قصيرة وأنت ترقى منصة الدرس لتتحدث عن (المثل العليا) عند ابن سينا، يجد فيك العالم الفيلسوف المدرك، فكلمها أخذت جانباً بالتحليل كبرت وكبرت لدى طلابك، وغمرهم شعور مزيج بين الدهشة والاعجاب أثناء الدرس وبعده.

وحين تتحدث عن (واجب الوجود) في عام آخر وأنت تقرأ نصّاً للإمام علي عليه السلام في ذات الموضوع فكأنك قد سمعته منه ونقلته بأمانة، النص: «داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عن الأشياء لا كخروج شيء من شيء» أو «ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج».

وحين يكون هذا محيراً في البداية، يكون جلياً بعد عرضه بما ينسجم وفكر المتلقي، وأنّه سبحانه لا ينفصل عن الموجود، كما لا يستغني ذلك الموجود عنه، فلا استقلالية إذن للمخلوق عن الخالق، وهو كما جاء في أدعية أهل البيت عليه السلام: «والخلق كلّ قائم بك» ومن خلال ذلك العرض المبسط تتضح نظرية «لا جبر ولا تفويض وإنّما هو أمر بين أمرين» على ما فيها من دقة قد تكون حائلاً دون مرحلة الكشف.

وبعد لحظة فقد نجد الطالب المدرك يبتعد بلا إرادة عن عالم المادة المكثف إلى عالم روحي مرهف يربطه ربطاً وثيقاً بمسالك الغيوب إلى الالتصاق بالمطلق وتكون قولة الرسول الأعظم عليه السلام ذات بعد آخر: «يا علي ما عرف الله إلّا أنا وأنت» إلى آخر الحديث. وينتهي الدرس وقد يبتعد عنك الكثير لهيبتك، وقد يقترب منك الكثير لما يحمله قلبك من رقة، فالطالب أنت أستاذك العالم الذي يهابك خوف الزلة وأنت والده الذي يتلمس منه جرعة الحنان وأنت صديقه حين لا يكون بينكما حائل إلّا دخان لفافتك المهشمة، تصغي له وتستأنس بما يبيديه.

قلت لك مرّة وأنت تذكر الرضي صاحب شرح الكافية في موضوع (المعنى الحرفي)

وتقول: وقد نسب للرضي، قلت لك أما كان الأجدر أن تمد يدك لكتابه الذي لا يبعد عنك أكثر من ذراع ليتناسب ذلك مع الدرس الأكاديمي في العصر الحديث ؟ قلت: أحسنت، وتطرق، ثم تقول: ولكن ما ضرَّ الطالب حين يعود بنفسه ليرى النص الكامل في ذلك المصدر، وهذا ما يبعث على التحريّ والمتابعة، وتسكت، وأسكت، وأنا أتأرجح بين الرفض والقبول، وبعدها تكرر... أحسنت.

يا أبا محمد من قرأ ما كتبه يومياً في (مذكراتك) يقترب من داخلك، يعرف أنّك واضح هدف، وأنك تتحدث عما يرضيك، وعما يغضبك، وما تراه في يومك وما تتوقعه من الزمن الآتي.

كنت تريد جيلاً مشبعاً بالإيمان، يتفقه وفق ضوابط محددة يحمل العلم وينقله بأمانة ويتعد عن دنس المادة المذلة (الحقّ) (الحقوق) والتي خصصت لفقرء المسلمين الذين أصابهم العجز، كما ابتعدت أنت حين كنت محاسباً في محل تتقاضى منه أجراً من الحلال لتسد به رمقك، كنت ترفض كذلك الكثرة من رجال الدين التي يكون الدرهم غايتها عند فتح الكتاب وعند مرحلة الإرشاد، وحتى في مراسيم العبادة، فهي لا تعرف إلاّ الجشع وكلما اقتربت منها ابتعدت عن واقع الدين.

ثمّ تضيف في مذكراتك، وقد تكون هذه الكثرة في يوم من الأيام موضة العصر، حتى لا تقع عينك إلاّ على الأسود والأبيض شعاراً على الجماجم المتحجرة ولكنّي أخبرك أنّ مثل هذا لم يقع حتى الآن والحمد لله.

وحين أردت أن يكون المنبر طريقاً موصلة إلى الهدف ومدرسة تتحمل أداء الرسالة لتتخذ جيلاً لا يعرف من أمر دينه إلاّ الدمع الذي تذرّفه عيناه وإلاّ الحسرة التي تأكل أضلاعه، ولكنك لم تستطع أن تنقل خطوتك الثانية بين (العصا السحرية) أمام قدميك وضجة الغوغاء التي تتعالى دون رويّة وبقي المنبر كما هو بلا صوت، وبقيت العصا في

وسط الطريق حتّى الآن وضاعت الأمانة.

دمت يا أبا محمّد حيّاً في حلقات الدرس حتّى هذا اليوم فيما قدمته من نتاج مميّز
ومن أعلام وضعت أقدامهم على الطريق ليكونوا قادة أفذاذاً وفي الطليعة الحجّة (السيد
محمّد تقي الحكيم) نتمنى له الشفاء العاجل ليعود شاخصاً أمام الركب والسلام.

النجف الأشرف

صالح الظالمي



دراسات في شخصيته العلمية

الشيخ محمد رضا المظفر مجدداً

الأستاذ الاول المتمرس

الدكتور محمد حسين علي الصغير

في الخامس من شعبان عام ١٣٢٢هـ وُلد ذلك النور المتألق الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله المظفر في النجف الأشرف، واكتحلت عيناه بهذا السنا الوضاء، ليجد نفسه يتيماً لم ير أباه ولم يره، فقد ولد بعد وفاته بخمسة شهور، وكفله أخوه الكبير الشيخ عبد النبي (ت: ١٣٣٧هـ).

وبعد وفاة الأب والكفيل نشأ في رعاية أخيه الفقيه الجليل المتبحر الشيخ محمد حسن المظفر رحمته (ت: ١٣٧٥هـ).

ووليد النجف في الأسر العلمية يستقبل استقبلاً خاصاً، فهو وريث الآباء في المجد الديني، وهو حليف العلم في المنظور التربوي، لا يطمح في صباه بأكثر من أن يعتمر العمة السوداء إن كان علوياً، أو العمة البيضاء، إن لم يكن كذلك، ليسلك حينئذ سلوك أجداده، وينخرط في سلك الحوزة العلمية طالباً، ليصبح بعد هذا مشغلاً ففاضلاً فعالمًا فمجتهداً، وهكذا كان الأمر للأستاذ المجدد الشيخ محمد رضا المظفر، فقد اعتمر العمة في ميعه صباه، وقد اشتغل فيما بعد ليلبلغ مرحلة الاجتهاد في أوّل كهولته.

كتب جزءاً من سيرته الذاتية بقلمه فقال:

«ابتدأت في دراسة علم النحو سنة ١٣٣٥هـ، فقرأت (الأجرومية) على الطريقة المألوفة بين الناس، ولعدم رغبتني في الدرس في ذلك الحين كنت لم أحفظها حفظاً كالعادة، وهكذا بقيت على التهاون في الاشتغال في قراءتي لباقي كتب النحو، ولمّا انتقلت إلى المنطق فتحت عيني للدرس، فكثرت جدّي في التحصيل، وتداركت ما فات منّي في

علم النحو، ولكن كان اشتغالي على غير تحقيق وتدقيق، حتّى حضرت المطول (في علم البلاغة) على الأستاذ الشيخ محمد طه الكرمي الحويزي (ت: ١٣٨٨هـ) وجملة من علم الأصول، فأفدت منه فائدة كليّة، وتعلّمت منه كيف يتوصل إلى التنقيب عن المسائل العلمية بما كان يتوسع فيه من بسط المسائل وتحقيقها، وفي خلال ذلك تتلمذت عليه في الشعر فكان له عليّ المنّة الكبرى في تعلم النظم، بعد ذلك حضرت علمي الأصول والفقه على أخي الشيخ محمد حسن، وحضرت على جملة من الأساتذة الكبار كالشيخ آغا ضياء الدين العراقي والشيخ محمد حسين الأصفهاني.

وفي خلال اشتغالي في العلوم الدينيّة تعلّمت جملة من العلوم كالعروض والحساب والهندسة والجبر وشيئاً من الهيئة، وألّفت كتاباً في علم العروض سنة ١٣٤٣هـ على الأسلوب الحديث، ولي كتابات كثيرة في كثير من العلوم لم تزل مبعثرة، وأكثرها في الأصول^(١).

كان هذا ما أفاضه قلم الشيخ المظفر عن حياته الدراسيّة في طور الشباب، وقد أكمل مسيرته العلميّة في الدرس العالي لدى الأستاذين العراقي والأصفهاني حتّى عاد من المبرزين في علم الأصول.

وقد استقل بعد هذين العلمين بتدريس الأصول، وتخصّص بتدريس «فرائد الأصول» المعروف بكتاب «الرسائل» للأستاذ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري (ت: ١٢٨١هـ) وكان ذلك في المدرسة العلميّة للمرجع السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت: ١٣٣٨هـ) الواقعة إلى اليوم في الفرع الثالث بين تقاطع شارع الرسول وسوق الخويش في النجف، ففي الطابق الأوّل من هذه المدرسة إيوانان للتدريس، أشغل الأستاذ المظفر أحدهما لتدريس فرائد الأصول، وأشغل الثاني السيّد عبد الكريم السيّد

(١) ظ: علي الخاقاني، شعراء الغري ٨: ٤٥٢.

علي المدني لتدريس الفقه الإسلامي^(١).

وما زال هذان الإيوانان عامرين بالتدريس منذ سنة ١٣٣٢هـ إلى هذه اللحظة من عام ١٤١٧هـ أي قبل خمسة وثمانين عاماً حتى اليوم، حديث يشغل الإيوان الأوّل في التدريس العالمي الخارج الأستاذ الشيخ محمد إسحاق الفياض، ويشغل الثاني الأستاذ الشيخ الأنواري لبحث الخارج.

ثم انصرف الأستاذ المظفر عن هذا المنهج بعض الشيء ليتفرغ للإصلاح المنهجي والتجديد الدراسي للحوزة العلميّة في النجف الأشرف، ويطبع بصماته الخيرة على المناخ العام في مسيرة النجف الثقافية والإصلاحية والخطابية والجامعية، ذلك عند تألّق نجمه، وسيرورة اسمه في دعاة الإصلاح لا في النجف فحسب بل في العراق عامة.

ولو عدت إلى الأستاذ المظفر في مقتبل شبابه لرأيت شاعراً في بيئة النجف الأدبية، يشارك في مهرجاناتها، ويحيي حفلاتها التي تقتصر على المناسبات الدينية، وندوات الزواج، ومحافل التأبين، ولم يشأ الانخراج في هذا الملحظ إلّا لماماً، ولم يعرض نفسه فيه إلّا لواءاً، وعمد إلى صب أفكاره في قالب جديد في النجف، وهو المشاركة في المناسبات الكبيرة، والأحتفالات المتميزة، والمحافل الثقافية، بخطبه الارتجالية المؤثرة التي جمعت إلى أصالة البيان عمق التفكير وموضوعية الأهداف، وهو أوّل خطيب رأته عيني مرتجلاً في مسجد الهندي، والمجمع الثقافي لمنتدى النشر، ولدى استقبال وفود البلاد العربية والإسلامية التي تؤم النجف في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، بل في نهايات النصف الأوّل منه، وكان لهذا المنهج صدى إعتراز وإكبار في النجف إذ لم يعرف الارتجال إلّا للأساتذة، المصريين آنذاك، وإلّا لجملة من التأثيرين لدى ثورة النجف

(١) حدّثني بذلك الشيخ محمد صادق (ت ١٣٢٤هـ) نجل الآية الكبرى الشيخ باقر القاموسي المولود (١٣٢٩هـ) وكان أحد تلامذة المظفر في هذا الدرس، وما زال حياً يرزق إلى اليوم.

ضد الإنكليز، وثورة العشرين في حدود ضيقة لا تعدو الإعلام الثوري دون الآراء النيرة الهادفة، وكان المظفر بهذا ثانياً للإمام كاشف الغطاء المعروف بخطبه العصماء في الأزمان.

هذا الاتجاه لدى الأستاذ المظفر عرف به بين الناس بأنه من ذوي النبوغ المبكر ذاتياً، ومن ذوي الفكر الأصلاحي موضوعياً، فخطبه الارتجالية تتسم بالعمق والأصالة حيناً، وبالصراحة اللادعة في هذا المناخ المحافظ حيناً آخر، وبنداء الشباب الديني إلى التزود بالثقافة الرسالية الواعية بينهما.

تلك سمة المعالم في حياة الشيخ المظفر بدأت تترعرع وتسمو وتستقر لتمثل إنساناً ثائراً للتفكير، وقاد العواطف، إنساني النزعة، حرّ الضمير، عميق التأثير في الأحداث الفعلية، بعيد النظر في الأحداث المستقبلية، وهو بعد في عنفوان الشباب ومقبل الحيوية، إذ لم يتجاوز في هذا الدور الأربعين من عمره القصير إلا قليلاً.

وكان المناخ الاجتماعي في النجف الأشرف يتأقلم تبعاً للمناخ الثقافي، فبرز فيه قبل المظفر وإلى جنب المظفر في تجديده وإصلاحه كل من: محمد رضا الشيباني في ثقافته ووطنيته، وعلي الشرقي في أدبه وعبقريته، ومحمد مهدي الجواهري في نبوغه وشاعريته، ومحمد باقر الشيباني في حسّه وثورته، وسعد صالح جريو في جرأته وإخلاصه، ورضا الهندي في فحولته وسلامته، ومحمد طاهر الشيخ راضي في وعيه وموسوعيته، وأحمد الصافي النجفي في شاعريته وعزلته، وعبد الحميد السماوي في فحولته وسعة أفقه، ومهدي الحجار في تربيته ورعايته، وجعفر الخليلي في ريادته وصحافته، ويوسف رجب في مقالاته وأدبياته، ومحمد علي اليعقوبي في ظرفه وقصائده، وعبد المهدي مطر في فضيلته وروائعه، وصالح الجعفري في نشاطه وحيويته، وعبد الرزاق محي الدين في رفته وغزله، وصالح بحر العلوم في إستنفاره وصرخاته، ومحمد تقي الحكيم في دقته

واتزانه، ومحمد الطفيلي في تقواه وتطلعاته، وعبد الحسين الحلي في علمه وموسوعيته، ومحمد جمال الهاشمي في أدبه وأريحيته، ومحمود الجبوبي في فكره وجديته، وعبد الغني الخضري في مرحه ودعابته، وعلي الصغير في شعره ومعارفه، وعبد المنعم الفرطوسي في ورعه وروائعه، وكوكبة من الجيل الطالع لحقهم بالاتجاهات نفسها^(١).

هذا الجمع المتكامل في مواهبه العالية كان مدار الحياة الاجتماعية والأدبية في النجف الأشرف، ولم يكن المظفر وحده ضحية الإصلاح فيما قدمه، فلم أمثاله وهناك أقرانه، ممن قدم الكثير وقنع بالقليل، وهذه الصفوة من الرياديين مدين لها الأفق النجفي المديد فيما تتمتع به من روح عصرية، وأدب رفيع، وحياة فكرية حافلة بأصناف العطاء. أمّا مظاهر المناخ العلمي في النجف الأشرف، فلا أستطيع إلقاء الضوء الكاشف عليه في هذه العجالة إلا استئناساً.

فالنجف قبلة العلماء، وحاضرة العالم الإسلامي، وقد احتضنت المرجعية العليا منذ عهد الشيخ الأكبر أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي حينما هبط النجف وحتى يومك هذا.

وكان عصر المظفر يزخر بأساطين العلماء، وفطاحل الدين، وقد عاصر منهم الميرزا النائيني صاحب المدرسة المتطورة في الأصول، وضياء الدين العراقي والمحقق الأصفهاني مجدداً علم الأصول في زمانها، والسيد أبي الحسن، والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا آل ياسين، والسيد محسن الطباطبائي الحكيم، والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد محمود الشاهرودي، والشيخ حسين الحلي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، وأستاذ الفقهاء والمجتهدين سيدنا الأستاذ الخوئي تغمده

(١) للمزيد من التفصيل في هذا الملحق: انظر بحثنا الموسوم: (مقدمة في الشعر النجفي المعاصر) لإتحاد الأدباء والكتاب / النجف / ١٩٩٢ م.

الله الجميع برحمته الواسعة.

هذا الحشد الهائل من فحول العلماء الأعلام، وهذا التركيب الريادي لأبرز المراجع في النجف الأشرف، يسترعي ذهنية الدارس المتحرر إلى الاستزادة من هذا النмир الفياض، وإلزام النفس بالجد والغذاء العقلي، وإستكناه لذة الورع والتقوى، وإستيطان الزهد بمباهج الحياة.

والسلوك الرياضي الصارم في مجاهدة النفس يمثل أرقى صيغة الامتداد الأفقي للتحصيل العلمي الواقعي في حاضرة النجف الأشرف، فهو يستقطب مناخ الحياة الأخرى في ظلاله الوريقة، فلا علم بلا تقى، ولا تقوى بلا عمل، ولا عمل بلا هدف، ولا هدف إلّا رضوان الله، لذلك كان الاستمرار التاريخي لهذه المدرسة الواعية مقترناً بهذه الحقيقة الصعبة، ولولا ذلك لحبا هذا السراج الهادي للحوزة العلمية، وتعرثر سراها، وقصر أمدها، عبر الإنقراض التاريخي السحيق، فلا تجد لها عيناً ولا أثراً في سجل الجامعات الجديرة بالخلود الأكاديمي.

الدرس الحوزوي في النجف نسيج وحده، فهو يجمع إلى جنب التقويم اللساني في النحو والعربية، التقويم الجناني في التقوى والخلق الرفيع، وهو يستوعب البعد البياني في المنطق والبلاغة والحديث كما يستوعب النقاء الروحي في السيرة والإتكال على الله تعالى، وهو يبحث العمق الدلالي للقرآن والفقه والأصول ومصادر التشريع في الوقت الذي يؤكد فيه الالتزام بجوهر تلك المعارف الإلهية الفذة.

ولا يكتفى من الطالب في حوزة النجف أن يمرّ بهذه الوسائل الثقافية المكثفة مروراً عابراً، فإنّه لو فعل ذلك لأفرز من حضيرة الإشتغال، وحسب على السواد العام، بل يفترض فيه سبر أغوارها، ومتابعة مستجداتها، حتّى يظفر بالجديد، ولا يظفر بالجديد حتّى يستقرئ الكثير، فإذا وفق لذلك كان مظنة للابتكار، وأتسع ميدانه

للنظريات الصعبة، يضيف شيئاً لم يكن، ويستحدث شيئاً لم يزل، وبذلك يغذي نفسه وعقله بحصيلتين:

حصوله روحية رقيقة، وحصوله علمية رصينة.

وأستاذنا المظفر حينما يدرس دراسة فاحصة، فإنه يخضع لمقاييس هذه المدرسة المتميزة، وينصاع بعطائه لمعطيات هذه المفاهيم الخلاقة، وتبرز إيجابياته في ضوء هذا الزخم الدقيق؛ وقد قُدِّر للرجل أن يفوز بالنصيب الأوفى من هذه المؤهلات في التقوى والعلم والعمل والمتابعة والاستقراء الحثيث، فكان نموذجاً لهذه الظاهرة الفريدة النجف الأشرف في درسها العالي.

وظاهرة أخرى في حياة المظفر، هي اعتداده بقدراته العلمية اعتداداً ملحوظاً، فما روى لنا شيئاً في المنطق عمّا أفاده من أساتيد، ولا أكب على تعليل رأي جديد لغيره في الأصول إلّا يسيراً، وهذا يعني اعتماده الذاتي على ملكاته النفسية المتأصلة، ولا امتداده العلمي من سواه، فلم نعلم له أساتيد إلّا الخويزي في المقدمات، وإلّا المحقق والعراقي في الأصول، وإلّا الاستنارة بآراء الخوئي في الدراسات العليا، نعم كان له أقران توثقت صلتهم بهم طيلة نصف قرن من الزمان أبرزهم الميرزا حسن البوخردي، والسيّد محمد كلانتر، يباحثهما الفلسفة والمنطق والأصول مباحثة الزميل للزميل.

نخلص من هذا أنّ المظفر كان قد استلهم عبقريته فيما كتب في المنطق والأصول، وفيما درس من الهيئة والفلسفة وفيما أتقن من الهندسة والجبر والعروض، ولم يكن حالة على سواه، وإن كان لأحد تأثير على منهجه العلمي فهو الأستاذ المحقق محمد حسين الأصفهاني ليس غيره.

وتلك ظاهرة فريدة تستدعي دقة الملاحظة لديه، وبعد النظر، وجودة القريحة بداهة.

وكما أفاد الشيخ المظفر من المناخ الأدبي جيّدة ومختارة، ومن الصرح العلمي أصالته ورسوخه، فقد أفاد من حركة التأليف الموسوعي الذي امتازت به النجف، فقد تابع الإمام كاشف الغطاء في الدين والإسلام، والآيات البيّنات، والمثل العليا في الإسلام لا في يحمّدون، والأرض والتربة الحسينيّة، وأصل الشيعة وأصولها، وواكب آغا بزرك الطهراني في ذريعتة ونقبائه، وعبد الحسين الأميني في غديره وشهداء الفضيلة، وعباس القمي في الكنى والألقاب وسفينة البحار، ومحمد السماوي في تدقيقه وصبره الطويل وجمعه وتدوينه، ومحمد صادق بحر العلوم في تحقيقاته وقضائه الشرعي، ومحمد علي يعقوبي في بابليّاته وتعليقاته الفيّاضة، وعبد الرزاق الموسوي المرقم في تأليفه ومجموعاته الفائقة، وجعفر الخليلي في قصصه وكتبه والعتبات المقدسة، وجعفر محبوبنة في ماضي النجف وحاضرها... وأمثالهم.

وكانت هذه المتابعة متابعة من يضيف ويترجم ويعبر ويبتكر، وكان ثمرها أنّ سير المظفر للناس أحلام اليقظة، وعقائد الإماميّة، والسقيفة، والمنطق، وأصول الفقه، وشارك في تحقيق تذكرة الفقهاء للعلامة الحليّ، وجامع السعادات للشيخ النراقي عدا إفاضاته الأخرى في الفلسفة والرياضيات والإلهيات.

وكما سير الأستاذ المظفر هذه الكتب فقد سير عشرات البحوث والمقالات في كلّ من المجلّات والصحف والدوريات الصادرة في النجف مثل الهاتف والغري والبيان والاعتدال والدليل والبذرة والنجف وسواها.

ولم يكن درب المظفر مفروشا بباقات الورد، فهو يشقّ طريقه بمرارة ولوعة، إذ لم يكن بدعاً من الناس، ولا هو بمعزل عن مشكلات عصره، فهو من المآسي بصميمها، وهو من التناقضات في مناخها الهادر شظف من العيش المدقع كان سمة للبيئة، وحياة من الفقر الكافر تضرب بأطنابها بين البيوت، ومخلفات من الجور والاضطهاد تنخر في

بنية الكائن النجفي، وتضارب الآراء بين القديم المنعزل والحديث المشرتب قائم على قدم وساق، فهناك النضال السياسي السلبي والإيجابي، وهناك الجهر بقوارص الكلام ولواذع اليأس، وهناك دعاة التجديد ورموز الجمود الثقافي بين مدّ وجزر، وهناك الجيل المتمرد على الأعراف، يقابله الجيل المحافظ على التقاليد، وهناك النزعة إلى المسلك الوظيفي فراراً من العوز والجوع، وهناك الصبر المضني على الفاقة والحاجة، والكل بعد هذا في معركة إجتماعية وفكرية وإقتصادية لا أول لها ولا آخر.

في مثل هذه البيئة الصاخبة تلاًّ نجم محمد رضا المظفر لامعاً، وبدأ سلوكه متزناً، يتجه مع دعاة الإصلاح في عنف وإصرار، ويتروح بين رجال الحفاظ والوقار في دعة واضطراب، لا يستطيع الجهر بكلّ ما يحمل، ولا يكتم إلاّ القليل من كلّ ما يريد، حتّى اصطدم بالواقع المرير، فأما الإنزواء والقوقعة على الذات، وأما الإصحاح بصراحة واطمئنان، وكان الخيار الثاني قدره في الحياة فانصاع إلى قدره بكلّ ما نجبى في طياته من الجهد والعناء والنضال العريض.

الإنسان المفكر لا يدرس وحده ظاهرة اجتماعية قد لا تتكرر، ولا يقيم بمنأى عن مجتمعه جزءاً منفصلاً، بل على العكس من ذلك، فهو وليد من أمشاجه، وهو علّة لأسباب متعددة، وهو نتيجة لمقدمة تلك الأسباب، وكان مقدمة لما تلا مسيرته من أحداث صاخبة، جعلته في عداد الأفاذاذ في نظر جيله والأجيال اللاحقة تستلهم فيه روح المثابرة والإخلاص ناظرين ثمنها الباهض، وعطاءهما الثر، والثن قد يؤدي بحياة الإنسان، والعطاء قد لا يعدو أن لا يكون معلماً بارزاً في عثرات الطريق يهدي سواء السبيل.

اسمحوا لي بشيء من الدقّة في التعبير الحقيقي عن هذا الرجل الذي أدركته جيداً، وتمثلت حياته جيداً، نشأ الأستاذ المظفر في بيت متواضع اتّسع لأخوته الأربعة

وأهاليهم، مساحته لا تعدو خمسين متراً مربعاً في محلة البارق من النجف الأشرف، تربيته الدينية أمر مفروغ عنه، وسلوكه الروحي العفيف قائم بالضرورة، عانى ألواناً من الفقر لا توصف، وكابد صنوفاً من الحرمان لا تطاق، شأن المصلحين الأمناء، وكان هذا شعاره ودثاره، حتى حين أصبح من أبرز شخصيات الأمة العربية سمعة ومنزلة واشتهاراً، فقد كان يمسك السجل الحسابي لأحد التجار المعروفين في النجف بمرتب ضئيل يسد به الرمق، وحينما أصبح عميداً لكلية الفقه استمر الحرمان ضعيفاً ملازماً له، فقد كان مرتبه الشهري لا يتجاوز خمسة عشر ديناراً عراقياً، وإن وقع على الثلاثين أو الأكثر، فذاك تبرع للكلية الفتية الأهلية التي لا تنهض وارداتها بمصروفاتها، ولكنه متجمل جداً في ملبسه وهيئته، باسم الثغر، منفتح الأسارير، مغتبط النفس بما يقدمه لأبناء العراق من جليل الأعمال العلمية والثقافية والتربوية، تمازجه فتلمس طبيته ونقاءه في أول جلسة، وتتعرف إلى عبقريته النادرة فتحس ريادته لقومه عند أول وهلة، يهزه الحديث الهادف، وتأسره الكلمة الصادقة، كان إذا صادفني في الطريق ينشد: (لو كنت من مازن...) يشير إلى ما ضمنته في قصيدة لي أبان المد الأحمر في العراق:

لو كنت من مازن لم تستبح أيلي بنو اللقيطة من أتباع لينينا

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عدد لا يدرؤون شيوعياً وصهيونا

وكان يستمع إليّ بإنصات غريب، وأستمع إليه بشوق عجيب، أحسبه ساهياً وهو في دوامة من التفكير، وأظنه واجماً وهو في ذروة التأمل، تخاله فرحاً وهو في غاية الألم، وتعتقد مضطرباً وهو في قمة الاطمئنان، وتراه هادئاً وهو في مرجل الحماس، وتعدّه ثائراً وهو في ذروة الهدوء... يفكر، ويخطط، ويحاول، ويتحدى، ينظر بعيداً، ويحتجّ واثقاً، ويقول متحدثاً: في توجيهه أخروي، أو تقويم دنيوي.

تعرض للهجمات فشّقها ألقى الجبين، وكابد الآلام وتجرعها طلق المحيا، وعاش

الأزمات فتلقاها ثبت الجنان، ما أنحنى فكراً، ولا ذلّ نفساً، ولا استسلم يداً، وهو من التواضع في قمته ومن الحلم في منعته، ومن الأخلاق الكريمة في المع مظاهرها، ومن الزهد والتقشف في أوجهها، يحترم الكبير، ويحنو على الصغير، ويجلّ أهل الدين، ويعظم حملة الفكر، ويشجع النشء، ويحتضن الجيل، حتّى تظنه صديقك وهو الأب الروحي، وتخاله زميلك وهو الأستاذ الجليل، وقد كثر محبوه لهذا، وكثر شائئوه لهذا أيضاً.

وكان لابدّ لهذا المنحى من التفكير أن يلد شيئاً جديداً، أو أن يتمخض عن عمل جديد يرتفع بالأحداث إلى مستوى المسؤولية الصاعدة، فكانت فكرة تأسيس جمعية الرابطة العلمية الأدبية عام ١٣٥١هـ.

وكان الكيان الإداري للجمعية على النحو الآتي:

١ - الشيخ محمد جواد الحجامي عميداً.

٢ - الشيخ محمد رضا المظفر سكرتيراً.

٣ - السيّد يوسف الحكيم عضواً إدارياً.

٤ - السيّد موسى بحر العلوم عضواً إدارياً.

٥ - الشيخ علي ثامر عضواً إدارياً.

٦ - الشيخ هادي هموزي عضواً إدارياً.

٧ - السيّد هادي فيّاض عضواً إدارياً.

وانتسب للجمعية طائفة من خيرة المثقفين في النجف، وعيّن لها مجلس أعلى للرقابة الجدّية الصارمة، ومن أبرز علماء النجف ومراجع التقليد العام، يشرف على شؤونها ويوحي بالتسديد الرشيد لأعضائها.

وكان هذا المجلس الشريف يتألف من:

١ - الآية الكبرى الشيخ محمد رضا آل ياسين.

٢ - الإمام السيّد محسن الطباطبائي الحكيم.

٣ - آية الله الشيخ محمد حسن المظفر.

ولمّا كانت هذه الهيئة تحمل مسؤولية المرجعية العليا للمسلمين في العالم، فقد كان وقتها ثميناً لا يتّسع لأكثر من النصح الكريم، فقد تشكلت بمباركتها لجنة أخرى تشرف على الشؤون عن قرب برئاسة حجة الإسلام السيّد محمد سعيد الحكيم.

وقبل ستين عاماً من الزمان أُنْتُخِبَ الأستاذ المظفر عميداً لمنتدى النشر، ففي عام ١٣٥٧ هـ تجدد الانتخاب وكان ذلك، وفي هذا العام قيّض الله تعالى للمظفر مثقفاً عصرياً من سنخ تركيبه في المزاج والتفكير والتجديد والإصلاح، فكان سكرتيراً للجمعية طيلة حياة المظفر، وعميداً لها بعده، وهو أستاذنا الجليل السيّد محمد تقي الحكيم عضو المجمع العلمي العراقي، وعضو المجمع اللغوي في القاهرة، وعضو المجمع العلمي السوري، وعضو المجمع العلمي الأردني، فكانا فرسي رهان في الاستباق إلى الخيرات، وهنا تبدأ مرحلة جديدة من حياة المظفر القصيرة تتسم بالمخاطر والمتاعب، وتزخر بحركة الإصلاح البناءة.

والحقّ أنّ منتدى النشر مدينة لهذا الرجل العملاق في كيانه وتماسكها واستمراريتها وغذاؤها العلمي، فقد بذل في سبيل إنعاشها وقته وحياته، وأوقف لها شخصيته وأنعابه، فكانت همّة الأكبر الذي لا يهدأ، وشغله الشاغل الذي لا يستقر، قاوم بها حركة الجمود، وبحث فيها وسائل التعبير، وكانت نيّته صادقة بذلك، وسيرته مرتبطة بالملكوت الأعلى فيما يحاول، ويجدد، ويعتقد، ويرتضي، بدافع من الواجب الشرعي الملقى على عاتقه، وبهاجس من استمرارية الباعث الديني الذي يرى ضرورة التطوير في أسلوبه وتقاليده وعائديته من عمله على النحو الآتي في محاولة التجديد:

١ - تأسيس المجمع الثقافي.

٢ - إصلاح المنبر الحسيني.

٣ - تأسيس كلية منتدى النشر.

أ - وكان المجمع الثقافي لمنتدى النشر محفلاً خصباً للفكر الجديد، وموثلاً فنياً للجيل الجديد، بدأ نشاطه في المحاضرات الثقافية، والندوات التخصصية، يتبارى فيه المثقفون والعلماء بصيغ لم تكن مألوفة في النجف الأشرف آنذاك، بحث المواضيع التخصصية وطرح القضايا المعاصرة، وأدار الحوار والمناقشة على صعيد من التفهم والإدراك الجيدين حاضر فيه أدباء النجف، وأعضاء المنتدى، وقادة الفكر في العراق، وقد استمعت فيه شخصياً إلى الأستاذ المظفر، وهو يلقي محاضرة فلسفية في واجب الوجود، كما استمعت لعلامة العراق الشيخ محمد رضا الشبيبي، يتحدث عن مؤرخ العراق ابن الفوطي في بناية المنتدى الجديدة آنذاك الملاصقة للصحن الشريف من جهة باب السوق الكبير، وكانت محاضرة الشبيبي فخمة العبارة، مشرقة الألفاظ، واضحة الديباجة، جمع لها جمع غفير من الشباب النجفي وعلماء الدين وأساتذة الفن، وقد ألقاها ببساطته المعهودة دون تكلف وكان ذلك عام ١٩٥٧ م.

وكان الفهم القاصر في سن الصبا يحول بيننا وبين متابعة برنامج المجمع الثقافي، فقد نحضر ولا نفهم شيئاً من المحاضرة إلا أن الأسماء اللامعة تجذبنا لذلك، ففي محاضرة الأستاذ المظفر واجب الوجود التي ألقاها عام ١٩٥٦ م لم نفهم شيئاً ذا بال منها، ولم نعرف إلا حفظ هذا البيت:

إنّ الوجود عندنا أصيل دليل من خالفنا عليل

ولا تسل عن معنى أصيل، ولا دليل، ولا عليل فما كنّا لندرك ذلك كلّ الإدراك ونحن في سنّ مبكرة إلا أنّنا كنّا نجد لذّة عظيمة حينما يرحب بنا المظفر والحكيم، ونعد

ذلك من مفارحننا، وكانت الألقاب تستهويننا، والأسماء تغرينا على سماع ما نفهم وما لا نفهم.

ب - وكان المنبر الحسيني الشريف، لا يخضع في خطبائه إلى تنظيم دقيق، ولا يألف أولئك توجيهاً إصلاحياً جذرياً، فعمد المظفر ورفاقه في النضال، وفي طليعتهم الشيخ محمد نجل شيخ الشريعة إلى إيجاد صيغة متطورة تتبنى الفكر الإسلامي العتيق، والروايات المسندة الصحيحة، دون الأساطير والاسرائيليات، والأسلوبية الحديثة بإعداد جيل من الخطباء ينهض بالمسؤولية الخطابية، ويصور أبعاد الثورة الحسينية بإطار يتفق مع أهدافها الإسلامية العليا، ويستخلص آثارها الإنسانية السائرة.

وفتح لذلك في متدى النشر فصل دراسي كان من المتحمسين له من الخطباء: السيّد جواد شبر، والشيخ جواد قسام، والشيخ مسلم الجابري، والدكتور الشيخ أحمد الوائلي. وكان الأستاذ جعفر الخليلي قد تبنى هذا الموضوع في جريدة الراعي والهاتف، ودعا إلى تثقيف الخطباء، وتطوير المنبر الخطابي بوسائل المعرفة المتعددة، وصيانتها من الأسفاف، وكان قد استحصل على تأييد الإمام كاشف الغطاء الشيخ محمد حسين في التمهيد لذلك.

وقوبلت هذه الحركة بثورة مضادة هائجة كادت أن تطيح بمتدى النشر وأعضائها، وكان شيخ الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي قد تبنى معارضة هذه الخطّة لا لعدم إيمانه بضرورة إصلاح المنبر، بل لأنّ الخطّة صادرة عن جمعية متدى النشر، وهو عميد جمعية الرابطة، والتنافس قائم بين الرابطة منذ التأسيس^(١)، وبالرغم من هذا كلّ وما جرى على المظفر بهذا السبب أكثر من هذا كلّ، فقد كانت هذه الحركة تؤتي أكلها ولو إلى حين،

(١) ظ: للتفصيل / جعفر الخليلي / كيف عرفت الشيخ محمد علي اليعقوبي / بحث في مجلة الإبيان

النجفية / العدد الخاص باليعقوبي / ١٩٦٦ م.

وكان حصيلتها جملة من مثقفي الخطباء النابيين.

ج - وعمد الأستاذ المظفر وجماعته إلى محاولة جريئة في التجديد، وهي إصلاح مسيرة الدراسة العلمية، فتأسست كلية منتدى النشر، والغاية منها الحفاظ على منتسبي الحوزة العلمية من الفرار إلى المسلك الوظيفي وإيواء رجال الدين من العرب في ظل من الاستقرار النفسي، وهي تجمع بين النهج القديم، وإضافة شيء من العلوم الحديثة، وإخضاع طلابها للإمتحان الشهري والسنوي، والتقويم العلمي والتربوي، وصاحب ذلك إجراء مرتب شهري لأعضاء المنتدى والطلاب بسعي من الأستاذ المظفر يدفعه المرجع الديني الأعلى آنذاك السيد أبو الحسن الموسوي، وكانت مجلة البذرة النجفية التي أصدرتها منتدى النشر تغذي هذه الأفكار الإصلاحية في موضوعاتها الخصبة، بيد أنّ هذا كله كان مثار جدل ونزاع مريرين في الوسط العلمي في النجف بين مؤيد ومفند وحياد، إلا أنّ المفندين كانوا من الكثرة بحيث تعرقل المشروع بحدود كثيرة.

وفي عام ١٩٥٨ م أجاز منتدى بفتح كلية الفقه في النجف إجازة رسمية، وأنتخب الأستاذ المظفر عميداً لها فانتقى للتدريس فيها من أساتذة الحوزة العلمية: السيد محمد تقي الحكيم، الشيخ محمد تقي الايرواني، الشيخ علي سبابة الحلّي، الشيخ عبد المهدي مطر، الشيخ هادي حموزي، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، والشيخ كاظم شمشاد الهندي.. وأضرابهم أضيف لهؤلاء عدد من أساتذة الجامعات العراقية كان من بينهم الدكتور عبد الرزاق محي الدين، والدكتور حاتم الكعبي، والدكتور أحمد حسن الرحيم، والدكتور قيس النوري، والدكتور عباس الوهاب وأمثالهم.

واستمرت مسيرة هذه الكلية أكثر من ثلاثين عاماً في عطاء علمي فريد استوعب الشريعة الإسلامية واللغة العربية في تخصصها الجامعي، وكان الهدف الأول لهذه المؤسسة إعداد علماء متخصصين في علوم الإسلام، والفقه الشرعي متساوياً مع فقرات

الزمن في النهوض والترقي.

رافق هذا المشروع الضخم وهو بإدارة رجل حديدي واحد هو الأستاذ المظفر، ومن استجاب له من الصفوة الخيرة البناء، أقول: رافق ذلك إصدار مجلة النجف باسم طلاب كلية الفقه، والتي تطورت فيما بعد إلى المجلة العلميّة لكلية الفقه في عمادة الأستاذ عدنان البكاء، فقد استمرت هذه المجلة الضخمة في الصدور ثلاث سنوات، في ثلاث مجلدات، وهي حافلة بأروع البحوث والتي يخضع نشرها للتقويم العلمي.

ولم يكن الفكر الإصلاحي والتجديد التراثي الأصيل في هذا الملحظ بالذات لدى الأستاذ المظفر وليد صدفة، وتفكير ساعة، وإنّما كان عصارة دراسة مستفيضة لتطور الزمن، ودراسة مستفيضة أيضاً لنظم الدراسات العلمية في الجامعات العالمية مناهج ومباحث ومقررات، أضاف لذلك كلّ تجاربه العالية، وجند طاقاته وخبراته تجنيداً تلقائياً لم يجبر عليه، فنهض بها نهض واثقاً، وعمد إلى ما عمد إليه مطمئناً، وما شاء ليعمل بمفرده لهذا، وإن خطط بمفرده لهذا، فمرحلة التخطيط شيء، ومرحلة التنفيذ شيء آخر، فانضم إليه جملة من الرجال العاملين يشدون أزره، ويرقبون مسيرته، ويواكبون فقهه ودرايته، وتشكلت لذلك كوكبة صالحة من رائدي التجديد لوجه الله تعالى، وهم يتأطرون بالعزم الذي لا يلين، أعطوا الكثير الباقي، وتمتعوا بالقليل الفاني، وهذا سبيل ما هو أصيل ومبتكر، عطاء بلا حدود، وتضحية دون مقابل، حتّى عاد ذلك مدرسة عملاقة يشار إليها بالبنان، وتبلور ذلك منهجاً يضطلع بأعبائه المصلحون في كلّ جيل، رائده مالحق، وهدفهم الصالح العام.

وهكذا كان دور المظفر، ورفاق المظفر، وتلامذة المظفر دوراً كبيراً في الجهد العلمي المتميز بأصالة التجديد، ولغة الحداثة، ومواكبة الزمن، وعمق التأليف.

ألف الأستاذ المظفر للكلية كتابين جليلين اشتملا على علم القدماء وتجديد

المحدثين، وهما المنطق في ثلاثة أجزاء، وأصول الفقه في ثلاثة أجزاء، وهما يدرسان في الحوزة العلمية إلى يومك هذا.

وألّف السيّد محمد تقى الايرواني للكلية والحوزة العلميّة الحقائق الناطرة في أحكام العترة الطاهرة في عشرين مجلداً وهو مظنة الاجتهاد، وسبيل المجتهدين للاستنباط^(١).
وحقّق الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء: حقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي (ت: ١٠٦٤هـ).

وألّف الشيخ عبد المهدي مطر للكلية دراسات في قواعد اللغة العربيّة في أربعة أجزاء.
وألّف الشيخ محمد مهدي شمس الدين للكلية: محاضرات في التاريخ الإسلامي بمراحله الثلاث.

وألّف الدكتور مصطفى جمال الدين للكلية: الإيقاع في الشعر العربي.
وألّف الدكتور محمود البستاني للكلية: في النظرية النقدية.
وألّف الدكتور حازم سليمان الحلّي للكلية: العروض وعلم القافية.
وألّف الشيخ أحمد البهادلي للكلية: محاضرات في العقيدة الإسلامية، ومحاضرات في أصول الفقه للمراحل كافة.
وألّف كاتب هذه السطور محمد حسين علي الصغير أحد عشر كتاباً منهجياً للكلية، خمسة منها على شكل محاضرات ما زالت مطبوعة على الآلة الكاتبة هي:

١ - تمهيد في الأدب الجاهلي.

٢ - الأدب في العصر الإسلامي.

(١) الحقائق الناطرة، تأليف العالم الموسوعي المتبحر الشيخ يوسف البحراني.

٣ - الأدب في العصر الأموي.

٤ - تفسير آيات الأحكام.

٥ - الفقه المقارن.

وستة كتب طبعت هي:

١ - المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم / ١٩٨٣ م.

٢ - تاريخ القرآن / ١٩٨٣ م.

٣ - المستشرقون والدراسات الإسلامية / ١٩٨٣ م.

٤ - أصول البيان العربي / رؤية بلاغية معاصرة / ١٩٨٦ م.

٥ - نظرية النقد العربي في ثلاثة محاور متطورة / ١٩٨٩ م.

٦ - علم المعاني بين الأصل النحوي والمورث البلاغي / ١٩٨٩ م.

كانت هذه المؤلفات متساوقة مع حركة التجديد التي أرادها المظفر، نهض بها إلى جنبه زملاؤه وخريجوه مدرسته على سواء.

وفي السادس عشر من رمضان ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤ م انطفأت تلك الشعلة الوضاء، وتوفي الأستاذ محمد رضا المظفر، وهو باق في قلوب الأصفياء حياً لا ينسى.

فيا أيها الفكر السائر مع الشمس، يهدي المضلّين السبيل، ويا أيها القلب النابض بالنقاء، يهب الأمة شريان الحياة، ما زلت سراجاً هادياً، وبرحت سفيراً خالداً.

فتحت لك النجف صدرها فأسست وخطبت وألفت.

وحبتك بغداد عضوية مجمعها العلمي فكتبت وحقت وأنجزت.

واستضافتك المغرب لتحدث في جامعة القرويين فأسمعت وأبنت وأعربت.

واستماحتك دور النشر لطبع مؤلفاتك فأذنت وباركت وأغنيت.

واختارك الله لجوار أمير المؤمنين فلبيت وقد أديت ما عليك، وبقي ما علينا، وإنّا

على خطاك لسائرون.

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ

وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(١) صدق الله العلي العظيم.

النجف الأشرف

الدكتور محمد حسين علي الصغير

الشيخ المظفر عالمًا ورساليًا

ساحة الأستاذ السيّد عدنان البكاء

عميد كليّة الفقه سابقاً

ليس سهلاً على من عرف المعاني الدقيقة التي تشكل ملامح الرجل الرسالي شخصية، وتاريخاً وعرف في الشيخ المظفر رحمته - عن معاشه - مصداقاً حقيقياً له - كما هو بالنسبة لي - أن يعطي عنه صورة قلمية مطابقة مهما حاول، فتلك المعاني بطبيعتها خارج حدود التأشير، إنك قد تحسّسها، وتلمس آثارها في نفسك، وفي الخارج ولكنك لا تستطيع أن تعطي صورتها ووجوه الدلالة فيها للآخرين.

إنّها نسيج من مجموعة مقومات شخصيته، وتاريخه ككل، نفساً وعقلاً وعلماً ووعياً ونمط تفكير، وحركة ومساراً.

وهي كذلك مجمل أخلاقه النفسية، والعملية التي مثلها سلوكه وتعامله في النظرة، والكلمة والموقف في ما يرى منها، أو غير مهم من الشؤون الخاصة، والعامة، مثلما مثلها الدرس والمنهج والمناقشة والمؤلف.

وليس شرطاً أن يترك الرجل الرسالي آثاراً مادية ذات أرقام وحجوم كما قد يتصور البعض، فذلك رهين الامكانيات التي قد تحددها الظروف الموضوعية.. وإنّما بحسبه: أن يعطي من نفسه مثلاً، ويجسد بها قدوة، وأن يختط منهجاً في السلوك والفكر والعمل. أقول: ذلك كقاعدة للنوع لا لشخص شيخنا - أعلى الله مقامه - فهو من يملك الشواهد على رساليته في هذه وتلك.. إلّا أن أرجع الأولى - في ما يبرز عليها من ملامح رسالية - إلى الثانية، فهي انعكاس وامتداد، وثمره لها، فليس من الممكن أن تتصور أثراً رسالياً من غير شخصية رسالية.

ومن الشواهد على ذلك: أننا نجد أمثلة وقدوات من الأنبياء والأئمة والعلماء دون أن يتركوا آثاراً منظورة، عدا بصماتهم في الأفكار والضمائر.

في الوقت الذي يموت فيه كثيرون من ذوي الآثار ذات الحجم والأعداد، حتى وهم أحياء في دنيا الناس.

وحين نلتمس شاهداً من التاريخ المتصل بشيخنا رحمته، ومحاولاته في الإصلاح والتجديد، نذكر أن أعلاماً كباراً لا يقلون عنه في امتداد القامات أدباً وعلماً ومكانة، قد شاركوا الرؤية والعمل في مرحلة أو أخرى، إلا أن أحداً - ومع الشناء الجميل عليهم جميعاً - لا يكاد يذكرهم معه، أو بعده في العملية الرسالية، ومستوى العطاء باستثناء من واكبه فكراً ومنهجاً وسلوكاً كأستاذنا العلامة الحجة السيد محمد تقى الحكيم - حفظه الله -، ومع ذلك، ورغم أنه جاوز في ما أعطى من آثار علمية مائة ومنهجاً، وأسلوباً، حدود المؤسسة والحوزة في النجف إلى العالم العربي والإسلامي لكن الموضوعية تقتضي أن أقول: بأنه وبالنسبة لتاريخ مؤسسات (جمعية منتدى النشر) ومحاولات الإصلاح في داخلها يأتي بعده بخاصة من حيث الاصرار، والقدرة على المواجهة، لذلك لم يطل وقوفه في موقعه من الساحة - لدى اشتداد الزحام - بعد رحيل الشيخ رحمته، وآثر ترك أعباء القيادة الإدارية لغيره.

وإذا كان ذلك يعبر عن سمو وزهد يعلوان على المنافسة - من جهة - وعن توجه - غير مفتعل - نحو البحث من جهة أخرى، فإن انسحابه أعطى - دون شك - من الناحية العملية مردوداً سلبياً، في المضمون العلمي والرسالي لهذه المؤسسات ومن داخلها قبل أن يكون من خارجها.

وبذلك يبرز لنا ما كان يمثلته شيخنا المظفر رحمته من دور حين كان يحمل اللواء، ويتقدم به بثبات، ورؤية، لا يتأثران بالمعوقات والأنواء على كثرة ما واجه منها.

فما هو السر يا ترى في ذلك، وهذا؟، إلّا ما أشرت إليه من المقومات الأخرى الفريدة اللامتظورة في شخصيته رضوان الله عليه.

وإذا كان كذلك، فهل يمكننا أن نرى هذه المقومات، ولو من بعيد؟ وكيف؟
يبدو لي أنّ لا مناص لنا من أن نستعرض بإيجاز في سبيل ذلك بعض بدايات هذا الرجل التاريخي العظيم في ما مثل وفكر وعمل، وأن نتبع مسيرته، وما فيها من منعطفات وإضاءات، فلعلّ تأشيرة هنا، وأخرى هناك، تعطي ما يقرب لنا معرفة ذلك.

ولادته ونشأته ودراسته الأولى

ولد شيخنا الحجة المظفر رحمته عام ١٣٢٢هـ يتيماً، فقد توفي والده العلامة الجليل الشيخ محمد الذي كان فقيهاً ومؤلفاً، قبل أن يولد بخمسة أشهر، فنشأ في ظلّ أخيه الأكبر الشيخ عبد النبي رحمته فكان كما قال عنه مكان الأب بالنسبة له، رعاية وحناناً حتّى توفاه الله في سنة ١٣٣٧هـ، فكفله وقام على توجيهه وتعليمه بعده أخوه العلم الفقيه الشيخ محمد حسن قدس الله نفسه صاحب (دلائل الصدق) المشهور، وكان لهذا الأخ في نفس وحياة ومسار شيخنا رحمته - كما تعكس ذلك مذكراته - أثر عميق أمتدّ إلى كلّ الأبعاد التي تشكل منها تاريخه.

إنخرط شيخنا رحمته في الحوزة العلمية سنة ١٣٣٥هـ وهو ما يزال في الثالثة عشرة من عمره فبرزت لديه - بما كان يملك من مؤهلات فطرية مورثة تعززت بالرعاية الواعية من قبل أخيه الجليل - قدّس الله نفسه - أمارات النبوغ والتفوق والفضل، وهو ما يزال في المراحل الأولى، لا في استيعاب المقررات الدراسية فقط بل في التحقيق والبحث أيضاً ثمّ في محاولة تجاوز المنهج الحوزوي - الذي كان وما يزال يعاني نقصاً - بدراسة الحساب والجبر والهندسة، وشيء من علم الهيئة (الفلك) والفيزياء، وما كان ذلك ليكون وهو

خارج المقررات الدراسية للحوزة - إلا بوعي متقدم، وطموح يجاوز الحدود العادية، لقد كان مدركاً للمتغيرات في العالم، متحسناً، ما يلزم الرسالي - لمواكبتها - من تجديد وإضافة، لا في مضمون الرسالة - بل في المنهج والطرح - واللغة والأسلوب، وبدأ بنفسه وهو ما تميز به كما يدلل تأريخه كله وكان من مؤشرات نبوغه في هذه المرحلة أن يبدأ محاولاته في التأليف في سن مبكرة نسبياً، ففي سنة ١٣٤٣هـ وهو ما يزال في الحادية والعشرين من العمر، ألّف كتاباً في العروض، وكتب - كما قال - بحوثاً أخرى مختلفة. أنهى دراسته الأولية (مقررات السطوح) وهي حافلة وكبيرة باتقان، وكان من أبرز أساتذته وأبقاهم في ذاكرته فيها بعد أخيه وأستاذه الأول الفقيه الباحث الشيخ محمد حسن رحمته، العلامة الجليل الشيخ محمد طه الحويزي رحمته الذي كان بالإضافة إلى كونه أستاذاً مرموقاً، أديباً وشاعراً منظوراً.

الدراسات العليا

لا يوجد ما يستدل به - بصورة مباشرة - على تأريخ التحاق شيخنا المظفر رحمته (بالدراسات العليا) أو ما يسمى في مصطلح الحوزة العلمية^(١) (بحوث الخارج)، لكن الخاقاني ذكر ترجمة للشيخ رحمته كتبها بخطه في ما قال - قبل أكثر من عشرين عاماً - وبما أنّ الجزء الثامن من شعراء الغري الذي يضم ترجمة الشيخ رحمته قد طبع سنة ١٣٧٥هـ ١٩٥٥ م تكون هذه الترجمة قد كتبت قبل سنة ١٣٥٥هـ أو ١٩٣٥ م وفيها يقول الشيخ رحمته: حضرت على جملة من الأساتذة الكبار - غير أخيه وأستاذه الأول الفقيه الشيخ محمد حسن - ومن هؤلاء الشيخ آغا ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين

(١) لأنّه خارج المقررات الدراسية، فالأستاذ فيها في الأصول أو الفقه حر في كيفية تناوله للموضوعات التي يبارس فيها عملية البحث والاستدلال واختيار الرأي، وقد يجعل كتاباً يختاره ركيزة ويجري مع مسائله بالصورة التي أشرنا إليها، وقد لا يختار.

الأصفهاني، يقول الشيخ: (والأخير إلى الآن أحضر بحثه) وكلمة (إلى الآن) التي كتبت قبل سنة ١٣٥٥هـ أي سنة ١٩٣٥ م:

تعني أنّ الشيخ رحمه الله، قد حضر هذه الدراسات قبل هذا التاريخ بزمان طويل، وتعني أنّه قد انقطع قبله عن غير أستاذه الشيخ الأصفهاني رحمه الله.

وقد ذكر في بعض المصادر أنّه حضر - بحث الشيخ النائيني رحمه الله - المتوفى سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٦ م وفي التعبير عنه بشيخنا لدى ذكر آرائه في كتابه (أصول الفقه) ما يشعر بذلك.

ورغم إفادته من جميع أساتذته إلا أنّ أخاه الشيخ محمد حسن في المراحل الأولى وأستاذه الشيخ محمد حسين الأصفهاني في الدراسات العليا، هما الأكثر أثراً في نفسه وسلوكه ومنهجه وفكره، ويبدو الثاني خاصّة، حاضراً في وجدانه وآرائه بصورة أكثر عمقاً لأنّه كان أديباً بارعاً في العربية شعراً ونثراً - بما لا يكاد يصل إليه إلا القلّة من أبنائها - كما يبدو في منظومتيه (تحفة الحكيم) في المنطق والفلسفة (والتي كتب الشيخ المظفر مقدمتها - لدى طبعها لأول مرّة سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٩ م)، ثمّ (الأنوار القدسيّة) في مدح الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين، ولا لأنّه قد لازمه - كما مرّ عليك - مدّة أطول ممّا هي لدى الآخرين، بل لأنّه كان معجباً به - بعمق - سلوكاً وفخراً ومنهجاً، ولأنّ دراسته عليه لم تقتصر على الفقه والأصول فقط، بل تعدتها إلى الفلسفة والعرفان، فقد كان هذا الشيخ من كبار - إن لم يكن أكبر - من عرف بهما في وقته، ولا ينفرد شيخنا المظفر رحمه الله بإعطاء هذه المكانة لأستاذه في الجوانب المشار إليها، بل يكاد يكون ذلك موضع اتفاق لدى كلّ من اتصل به، وتتلذذ عليه إلا أنّ شيخنا رحمه الله كان من أكثرهم استيعاباً لتوجهه وآرائه في الأصول والفلسفة خاصّة، وأكثرهم انطباعاً بسلوكه الأخلاقي مع خصوصية، وأصالة، وكان يصفه (بالعظيم) لدى ذكره وهو (يحاضرنا)

في الأصول أو الفلسفة، وعلى منهجه بوب كتابه: أصول الفقه، وانتصر في كثير من الموضوعات لآرائه محاولاً تجليتها والتدليل على صحتها:

ففي ص ٧ من الجزء الأول ط ٣، وهو يقسم مباحث علم الأصول إلى أربعة أقسام ويدخل في كل قسم موضوعاته الخاصة: ١ - مباحث الألفاظ، ٢ - المباحث العقلية، ٣ - مباحث الحجّة، ٤ - مباحث الأصول العملية، وخاتمة تبحث في (تعارض الأدلة). قال في الهامش: (هذا التقسيم حديث تنبه له شيخنا العظيم الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله المتوفى سنة ١٣٦١هـ، أفاده في دورة بحثه الأخيرة، وهو التقسيم الصحيح الذي يجمع مسائل علم الأصول، ويدخل كلّ مسألة في بابها، فمثلاً، مبحث المشتق كان يعد من المقدمات وينبغي أن يعد من مباحث الألفاظ (وذكر سبب ذلك لدى بحثه له) ومقدمة الواجب ومسألة الإجزاء، ونحوهما كانت تعد من مباحث الألفاظ، وهي من بحث الملازمات العقلية وهكذا (ويبين أيضاً سبب ذلك لدى بحث كلّ مسألة خالفت المنهج السابق).

ولا نعرف ما إذا كان شيخنا رحمه الله قد استمر بالحضور لدى أستاذه هذا حتى وفاته سنة ١٣٦١هـ، أم انقطع عنه واستقل قبل ذلك، إلّا أنّ المؤكد أنّه لم يحضر على أستاذ آخر بعد ذلك فهو بدءاً من هذا التاريخ وربما قبله قد استقل، وأجيز (بالاجتهاد المطلق).

نتاجه الأدبي والعلمي

١ - نتاجه الأدبي (الشعر):

يبدو أنّ لشيخنا رحمه الله في شبابه والمراحل الأولى من دراسته توجهاً ملحوظاً نحو الأدب وما يتصل به شعراً ونثراً، وهو أمر متوقع من أمثاله، بحكم المنهج الدراسي - الذي يعطى في هذه المراحل للغة وآدابها ما تستحقه من الأهمية كمقدمة لفهم الكتاب

والسنّة - ثمّ بحكم المحيط الثقافي والأدبي المتميز والمعروف في مدينة النجف الأشرف وخصوصية الحسّ والذوق التي تميز بها شيخنا رحمته بدءاً، وقد ترجم له كشاعر عدد مئتين كتب في الأدب والشعر وأرّخ لهما، ومن هؤلاء الأستاذ عبد الكريم الدجيلي في شعراء النجف، والسيد محمد جمال الهاشمي في الأدب الجديد، والشيخ علي الخاقاني في شعراء الغري وغيرهم، وذكر الأخير أنّ الشيخ رحمته (نظم الشعر مبكراً، وعرفته الأندية الأدبية شاعراً له وزنه بين أئدانه، وأنّه نظم أكثر من ألفي بيت لم يحتفظ بأكثرها)^(١).

وليس من شأننا هنا الوقوف على تجربته الشعرية، وموقع نتاجه قياساً إلى فترته وتجارب أمثاله، ممّن لم يعطوا للشعر - وهو ليس غاية في نظرهم - أكثر من كونه ترجمة لأوقات الفراغ، وتعبيراً يطلبه ويشجع عليه الوسط الأجنبي في مناسبة أو أخرى - لذلك فقد انصرف عنه في العقدين الأخيرين من عمره، وبدولي: أنّ النظرة الأولى - في ما تيسر الوقوف عليه - من شعره، أنّه من حيث المضمون لا يعدو أن يكون مرآة لثقافته الأدبية ورؤياه وعقيدته الفلسفية والدينية وفي بعضه محاكاة لشعراء المهجر، لا تستثنى من ذلك حتّى المناسبة الخاصّة (كالزواج) مثلاً، وفي قصيدته التي ألّفها في زواج أخيه الشيخ محمد علي وعنوانها (لك يا نفس) مثل لذلك، فمن قوله فيها:

لـك يا نفس مقام	فيه كم تاهت عقول
أنت فضل الله	والكلّ - بما ظنّ - فضول
لست أدري غير أنّي	بك يا نفس جهول
فاسمحي لي أن أقو	ل الحقّ فيك واسمعي لي
أنت كنز كشفه للناس	فوق المستحيل
أنت لا يحويك أين	لا ولا في الدهر آن

(١) الخاقاني، شعراء الغري م ٨: ص ٤٥٢ - ٤٥٤.

لست أدري ولكم يقصر عن نفسي البيان
كيف يحويك من الحس زمان ومكان
غير أي قاطع فيك مثال لثولي
وأنا منك وأنتك من مقامي ومقيلي

ويقول في مدح الإمام محمد الجواد (عليه السلام) والقصيدة من جيد شعره، نذكر منها

الآيات التالية:

أوقدوا لي من نور حبي مصباحا فقد أظلمت بي الطرقات
ظلمات هذي الحياة ولا مصباح إلا ما أوقدته الهداة
عنصر في الوجود كونه الله فكانت بنوره النيرات
مثل النور والزجاجة والمصباح أنتم، وأنتم المشكاة
أنتم باب حطة من أتاه كان أدنى الجزاء فيه النجاة
وكفى مفخراً بغير ولاكم لا يتم الصيام والصلوات
إلى أن يقول:

بالإمام الجواد منكم تمسك ت وحسي من قدسه النفحات
حدُّ قلد الإمامة فانقادت لعلياء حكمه الحادثات
ابن سبع ويا بروحي قد قام إماماً تجلّى به الظلمات
هو نور من قبل أن تتجلّى بسنا الحق هذه الكائنات
واصفاه الإله للخلق قواما فقامت لفضله المعجزات

وقد أخرج لنا الشيخ العلم القدوة الشيخ صادق آل الشيخ باقر القاموسي - أطال

الله بقاءه - في مولد الإمام الحسين (عليه السلام) من شعبان سنة ١٤١٨ هـ قصيدة من ٣٣ بيتاً، كان

قد ألقاها الشيخ المظفر (عليه السلام) في بيت الشيخ القاموسي سنة ١٣٥٢ هـ، وجبّد أن نقرأها

الليلة إحياء لذكراه ومنها:

بشرأي آني في ولاك متيم تقتادني السراء والضراء
ويقول:

بالمدح تكتسب الأنام ترفعا وعلاه منه على الشناء ثناء
فرقا تحاميت اقتحام ثنائه ومن الشناء على العظيم هجاء
فالجد ذاك الجد والأب ذلك النبأ العظيم وأمه الزهراء
بأسره العالي الجلي تقاصره عن كنهه الأفكار والآراء
في الأرض في الآفاق أنت وفي السما في الشمس في البدر المنير ضياء
سر النبوة والإمامة جمعا فيه فماذا يمكر البعداء

أسلوبه الكتابي

ليس - في ما بين يدي - لشيخنا نثر أدبي فني مستقل عمّا عاجله من موضوعات علمية وفلسفية وتاريخية، لكننا لا نعدم فيها شاهداً على قدرة متميزة تؤدي الأفكار مهما كان موضوعها، ومهما كانت دقتها وبأكثر من عبارة أحياناً، وتجري العبارات في قلمه فصيحة بليغة، وبانطلاق ويسر لا يسهل على غير من يمتلك ناصية البيان من الأدباء وأهل اللغة.

ولعلّ في خواتمه التي نشرها في (الهاتف) و(النجف) تحت عنوان (اسمعي) خاصّة وفي كتابيه (السقيفة) و(أحلام اليقظة) مثلاً يمكن أن نستجلي من خلاله قدراته الكتابية وأسلوبه المميز متانة وسهولة.

ورغم أنّ الجانب الأدبي - شعراً ونثراً - لدي ولدى الكثيرين من أمثالي - ليس ممّا ينظر إليه مستقلاً من تاريخ الشيخ وتراثه وإنجازاته العلمية والعملية، ولا هو في

الحساب عندهم في تقويمه، إلا أنه لابدّ من الإشارة إليه، لتفسير ما تميز به من إمكانية تقديم المعاني العلمية والفلسفية الدقيقة بوضوح لا يتأتى إلا للقلّة من أصحاب القدرات الأصيلة في إمتلاك المعنى والمبنى معاً.

ثمّ التفسير ذوقه اللغوي في فهم دلالة النصوص العربية الواردة في الكتاب أو عن الرسول ﷺ والمعصومين من أهل بيته ﷺ حين تأصيل دليل وتعضيد رأي منسجماً مع قواعد اللغة من جهة ومع الوجهة الصحيحة للدليل دون تكلف من جهة أخرى. ومن أمثلة ذلك - وهي كثيرة - مناقشته لرأي الشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله ومن تقدمه وتأخر عنه - باستثناء صاحب الكفاية - في التفرق في إجراء الاستصحاب بين الشكّ في المقتضي (ويعنون به هنا الشكّ في قابلية المستصحب للبقاء والاستمرار أصلاً) وبين الشكّ في الرافع: أي طرو الرافع عليه بعد فرض ثبوته وقابليته للبقاء، حيث أجروا الاستصحاب في الثاني دون الأوّل.

أمّا صاحب الكفاية وبطريقة أخرى من الاستدلال والشيخ المظفر رحمه الله كما سترى في مناقشته فريان إجراء مطلقاً - أي لدى الشكّ في المقتضي والشكّ في الرافع، ودليل الرأيين معاً هو ما ورد عن الأئمة المعصومين من أهل البيت ﷺ من قولهم: «إنّ الشكّ لا ينقض باليقين» و«لا ينقض اليقين بالشكّ».

فكيف كان ذلك ؟

يقول الشيخ الأنصاري رحمه الله مستدلاً على الرأي الأوّل: (إنّ حقيقة النقض هو رفع الهيئة الاتصالية كما في نقض الحبل، والأقرب إليه - على تقدير - مجازيته هو رفع الأمر الثابت^(١) إلى أن قال: «فيختص بما من شأنه الاستمرار».

(١) يقصد أنّه لا يراد من النقض معناه الحقيقي في الروايات الواردة عن أهل البيت ﷺ لأنّ المفروض في موارد طرو الشكّ في استمرار المتيقن، فتعين أن يكون إسناد النقض على سبيل المجاز،

وعليه فلا يشمل اليقين المنهي عن نقضه بالشكّ في الأخبار: اليقين إذا تعلق بأمر ليس من شأنه الاستمرار أو المشكوك استمراره.

وقد ناقش الشيخ المظفر رحمته ما ذكره الشيخ الأنصاري رحمته بمناقشات نوردها كما هي بطولها مع اختصار في بعضها ليتبين لنا أسلوبه في العرض والمناقشة والاستدلال على الرأي: ومن خلال ذلك ذوقه الأدبي وعلمه باللغة، على أن نأخذ في حسابنا الغاية التعليمية التي فرضت عليه التبسيط والتكرار أحياناً قال رحمته: (وقد وقعت فيه عدّة مناقشات نذكر أهمها ونذكر ما عندنا ليتضح مقصده ويتجلى الحق إن شاء الله:

أولاً: إنّ النقض يقابل الابرام وهو - كما فسّره في اللّغة - إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء أو جبل أو نحو ذلك، وعليه فإنّ تفسيره من الشيخ برفع الهيئة الانصاليّة ليس واضحاً بل ليس صحيحاً، إذ إنّ مقابل الانفصال، فيكون معنى النقض حينئذٍ انفصال المتصل، وهو بعيد جدّاً عن معنى نقض العهد والعقد.

وقال: إنّّه ليس من البعيد أن يريد الشيخ - يعني الأنصاري - من الاتصال ما يقابل الانحلال وإن كان ذلك على نحو المسامحة منه في التعبير، لا ما يقابل الانفصال فلا إشكال.

ثانياً: إنّ صحة استدلال الشيخ الأنصاري رحمته على التفصيل يتوقف على التصرف في اليقين بإرادة المتيقن منه، كما نبّه عليه نفسه، لأنّه لو كان النقض مستنداً إلى نفس اليقين كما هو ظاهر التعبير فإنّ اليقين بنفسه مبرم ومحكم، فيصحّ إسناد النقض إليه ولو لم يكن لمتعلقه في ذاته استعداد للبقاء.

ولمّا كان لاستعماله مجازاً معنيان:

١ أن يراد من النقض مطلق رفع اليد عن الشيء وترك العمل به.

٢ أن يراد منه رفع الأمر الثابت.

وهذا المعنى هو الأقرب إلى المعين الحقيقي فهو الظاهر من إسناد النقض.

قال رحمته: ولكن لا يصح إرادة المتيقن من اليقين على وجه يكون الاسناد اللفظي إلى نفس المتيقن؛ لأنه إنَّما يصح ذلك إذا كان على نحو المجاز في الكلمة أو على نحو حذف المضاف، وكلا الوجهين بعيدان كلَّ البعد، إذ لا علاقة بين اليقين والمتيقن حتَّى يصحَّ استعمال أحدهما مكان الآخر، على نحو المجاز في الكلمة بل ينبغي أن يعد ذلك من الأغلاط، وأمَّا تقدير المضاف بأن نقدر متعلق اليقين أو نحو ذلك فإنَّ تقدير المحذوف يحتاج إلى قرينة لفظية مفقودة، قال رحمته: ومن أجل هذا استظهر المحقق الاخوند عموم الأخبار لموردي الشكِّ في المقتضي والرافع لأنَّ النقص إذا كان مسنداً إلى نفس اليقين فلا يحتاج في صحَّة اسناد النقص إليه إلى فرض أن يكون المتيقن ممَّا له استعداد للبقاء.

ثمَّ يعتذر الشيخ رحمته عن ايراد ما قيل من أسأذته في ذلك، والتعقيب عليه الخروج عن حدود الرسالة قال: (فالجدير بنا أن نكتفي بذكر خلاصة ما نراه من الحقِّ في المسألة).

ويرى أن يقدم قبل بيان ما يختاره من رأي، مقدمات هي:

١ - أنه لا شكَّ في أنَّ النقص المنهي عنه مسند إلى اليقين في لفظ الأخبار، وظاهرها أنَّ وثاقة اليقين من جهة ما هو يقين هي المقتضية للتمسك به، وعدم نقضه في قبال الشكِّ الذي هو عين الوهن والتزلزل، لا سيَّما مع التعبير في بعضها بقوله رحمته: (لا ينبغي) والتعليل في البعض الآخر بوجود اليقين المشعر بعليته للحكم، كما سبق بيانه في قوله رحمته: (فإنَّه على يقين من وضوئه) ولا سيَّما مع مقابلة اليقين بالشكِّ.

ورفض بما مرَّ من مناقشة حمل اليقين على المتيقن.

قال رحمته: (ولذا استبعد شيخنا المحقق النائيني رحمته أن يريد الشيخ الأعظم من المجاز المجاز في الكلمة، وهو استبعاد في محله، وأبعد منه إرادة حذف المضاف).

٢ - أنه من المسلم به عند الجميع الذي لا شكَّ فيه أيضاً أنَّ النهي عن نقض اليقين في الأخبار ليس على حقيقته، والسرَّ واضح، لأنَّ اليقين حسب الفرض منتقض

فعلاً بالشكّ فلا يقع تحت اختيار المكلف فلا يصحّ النهي عنه.

وحينئذ فلا معنى للنهي عنه إلا أن يراد به عدم الاعتناء بالشكّ عملاً، والبناء عليه كأنه لم يكن لغرض ترتيب أحكام اليقين عند الشكّ.

ويتساءل بعد ذلك عن الوجه الذي يصحّ أن يكون التعبير بحرمة نقض اليقين تعبيراً عن ذلك المعنى، ويورد أربعة إفتراضات يرفض ثلاثة منها مختاراً الرابع، وهو أن يكون النهي عن نقض اليقين كناية عن لزوم العمل بالمتيقن وإجراء أحكامه، لأنّ ذلك لازم معناه، باعتبار أنّ اليقين بالشيء مقتضى للعمل به، فحلّه يلزم رفع اليد عن ذلك الشيء أو حكمه، إذ لا يبقى حينئذ ما يقتضي العمل به، فالنهي عن حلّه يلزمه النهي عن ترك مقتضاه، أعني النهي عن ترك العمل بمتعلقه، ويرى (أنّ هذا الوجه - أعني الاستعمال الكنائي أقرب الوجوه، وأولاها، وفيه من البلاغة في البيان ما ليس في غيره - كما أنّ فيه المحافظة على ظهور الأخبار وسياقتها في إسناد النقض إلى نفس اليقين، وقد استظهرنا منها كما تقدم في المقدمة الأولى أنّ وثاقة اليقين بما هو يقين هي مقتضية للتمسك به، وفي الكناية - كما هو المعروف - بيان للمراد مع إقامة للدليل عليه، فإنّ المراد الاستعمالي هنا الذي هو حرمة نقض اليقين بالشكّ يكون كالدليل، والمستند للمراد الجدي المقصود الأصلي في البيان، والمراد الجدي هو لزوم العمل على وفق المتيقن بلسان النهي عن نقض اليقين).

ثالثاً: بعد ما تقدم ينبغي أن نسأل عن المراد من النقض في الأخبار، هل المراد النقض الحقيقي، أو النقض العملي، المعروف أنّ إرادة النقض الحقيقي محال فلا بدّ أن يراد النقض العملي، لأنّ نقض اليقين كما تقدم ليس تحت اختيار المكلف فلا يصحّ النهي عنه وعلى هذا بنى الشيخ الأعظم وصاحب الكفاية وغيرهما.

قال رحمه الله: وأرجو ملاحظة ذلك لصلته بالغرض الذي سقنا هذا النصّ لأجله :-

(ولكن التدقيق في المسألة يعطي غير هذا، فإنما يلزم هذا المحذور لو كان النهي عن نقض اليقين مراداً جدياً، أمّا على ما ذكرناه من أنّه على وجه الكناية فإنّه - كما ذكرنا - يكون مراداً استعمالياً فقط) ولا محذور في كون المراد الاستعمالي - في الكناية محالاً أو كاذباً في نفسه، إنّما المحذور إذا كان المراد الجدي المكنى عنه كذلك.

وعليه فحمل النقض على معناه الحقيقي أولى ما دام أنّ ذلك يصح بلا محذور، وانتهى إلى الخلاصة فقال:

«وخلاصة ما توصلنا إليه هو: إنّ الحقّ إنّ النقض مسند إلى نفس اليقين بلا مجاز في الكلمة، ولا في الاسناد، ولا على حذف مضاف، ولكن النهي عنه جعل عنواناً على سبيل الكناية عن لازم معناه، وهو لزوم الأخذ المتيقن في ثاني الحال بترتيب آثاره الشرعيّة عليه، وهذا المكنى عنه عبارة أخرى عن الحكم ببقاء المتيقن.

وإذا كان النهي عن نقض اليقين من باب الكناية فلا يستدعي ذلك أن نفرض في متعلقه استعداد البقاء ليتحقق النقض لأنّه متحقق بدون ذلك.

قال: «وعليه فمقتضى الأخبار حجية الاستصحاب في مورد الشكّ في المقتضي والرافع معا»^(١) وله آراء كثيرة أخرى يمكن أن تساق للاستشهاد بها على هذا الجانب خاصّة.

نتاجه العلمي (مؤلفاته وبحوثه ومقالاته)

ذكرنا أنّ شيخنا الحجة المظفر رحمته بدأ التأليف وكتابة البحوث في سن مبكرة، وقد عالج في كتاباته موضوعات مختلفة، فلسفيّة ومنطقيّة وعقائديّة وتاريخيّة، عدا كتاباته في الأصول والفقه والتفسير، وكان بعض ذلك في مؤلفات مستقلة معروفة، وبعض ذلك

(١) المظفر، أصول الفقه ج ٣: ص ٣١٥، ص ٣٢١ ط ٣، باختصار قليل.

مقدمات لكتب أو بحوث ومقالات نشرت في المجلات، لذلك فإنّ شيوخنا قدّس الله نفسه - رغم ما أخذته مؤسسات جمعية منتدى النشر إدارة وتخطيطاً وتدرّساً من وقته - تراثاً كبيراً نسبياً لم يطبع بعضه حتّى الآن، ومّا استطعنا تسجيله منه التالي:

- ١ - السقيفة: (بحث تأريخي عقائدي، طبع عدّة مرّات).
- ٢ - عقائد الإماميّة: (طبع عدّة مرّات).
- ٣ - على هامش السقيفة: (إجابة على ما أثاره البحث الأوّل من تساؤلات) طبع.
- ٤ - المنطق في ثلاثة أجزاء، طبع عدّة مرّات.
- ٥ - أصول الفقه: في أربعة أجزاء، كتب في الرابع - وهو في الأصول العمليّة - الاستصحاب فقط، وهو ما عُثر عليه بعد أن وافاه الأجل (طبع أكثر من مرّة).
- ٦ - أحلام اليقظة: (في الفلسفة) نشر بعضه في مجلات (الهاتف والعرفان والدليل والفكر).
- ٧ - ابن سينا (دراسة في فلسفته) نشر بعضه في مجلّة (البذرة).
- ٨ - صدر المتألهين (سيرته وفلسفته) نشر في مقدمة كتاب (الأسفار الأربعة).
- ٩ - المثل الأفلاطونية: (نشر في مجلّة البذرة).
- ١٠ - الشيخ الطوسي: (نشر ملخصه في مجلّة النجف).
- ١١ - الشيخ صاحب الجواهر: (نشر في مقدمة كتاب «جواهر الكلام»).
- ١٢ - الشيخ النراقي وعلم الأخلاق (نشر في مقدمة جامع السعادات).
- ١٣ - دراسة عن أستاذه الشيخ محمّد حسين الأصفهاني رحمته الله نشرت في مقدمة حاشيته على المكاسب.
- ١٤ - دراسة أخرى لشيخه الأصفهاني أيضاً مع تقديم لمنظومته الفلسفيّة المعروفة

(تحفة الحكيم) المطبوعة.

- ١٥ - بحث حول (اللاجبر واللاتفويض) نشر كإجابة لسائل في مجلة النجف.
- ١٦ - محاضرات في الفلسفة: (طبع في مجلة النجف، ثم طبع ككتاب أخيراً).
- ١٧ - محاضرات في التفسير: (علمت أن بعض الأفاضل من أسرته يعده للنشر).
- ١٨ - تعليق على رسائل الشيخ الأنصاري رحمته (مخطوط).
- ١٩ - معجزة الإمام في علمه (بحث موسّع أُلقي في مهرجان أقيم في باكستان سنة ١٩٥٧ م في مولد الإمام علي عليه السلام) نشر في مجلة النجف ومجلة الرضوان الباكستانية.
- ٢٠ - بين النجف وجامعة القرويين: (بحث أُلقي في المغرب في المؤتمر الذي أقيم هناك سنة ١٩٦٠ م وشارك فيه الشيخ رحمته ونشر في عدّة مجلات).
- ٢١ - اسمعني: (خواطر) نشر أكثرها في مجلة الهاتف والنجف.
- ٢٢ - ديوان شعر: (جمعه وأعدّه للنشر السيّد محمّد رضا القاموسي).
- ٢٣ - مقدمات لكتب ورسائل منها: تاريخ الكوفة للبراقبي، ومالك الأشتر للسيّد محمّد تقي الحكيم، والمختار الثقفي للشيخ أحمد الدجيلي، وصور من الحياة لضياء سعيد، وتاريخ الديوانية والأزرية وتخميسها للكاظمي.
- ٢٤ - مذكرات: (مخطوط).
- ٢٥ - آراء صريحة: (مخطوط).
- ٢٦ - رسالة في الدفاع عن صدر الدين الشيرازي رحمته ورد ما وُجّه إليه من تهم نشرها السيّد حسن الأمين في ترجمة الشيرازي من أعيان الشيعة لوالده العلامة الحجة السيّد محسن الأمين.
- ٢٧ - مقالات ورسائل ونقود متفرقة نشر أكثرها في مجلات متفرقة: الهاتف

والنجف والدليل والعرفان اللبنانية والاعتدال والبيان والهدى والكحلاء ومجلة المجمع العلمي العراقي والمرشد والنهج اللبنانية والرسالة القاهرية والرضوان الباكستانية^(١).

ورغم أن كلّ ما كتبه شيخنا رحمه الله متميز مادّة ومنهجاً وأسلوباً في أي موضوع، وأن في أكثر ما كتبه آراء أصيلة وهامة، فإنّي أشير هنا إلى ما كتبه خاصّة كمنهج لكلية متدى النشر سلف كلية الفقه، أو لهذه الأخيرة في الموضوعات المختلفة، لا لتمييزها في ما أشرت إليه فقط، وإنّما لأنّه كتبها بدافع تعليمي ورسالي، فهي لا تعبر عن مستواه وإنّما بالصورة التي يفرضها مستوى الطالب في هذه المرحلة أو تلك.

ولأنّ ذلك كان منه بوعي للحاجة التي يفرضها الواقع، ولأنّه كان مخلصاً في ذلك لرّبّه ولرسالته، فقد تقبلها الله سبحانه وكتب لها من التوفيق وراء انتشارها، وما أعطيت من تقويم علمي متميز ما فرضت فيه نفسها - والحمد لله - على منهج الحوزة العلميّة في (العقائد) و(المنطق) و(الأصول)، وليس ذلك سهلاً لأكثر من سبب لدى من عرف الاعتبارات التي تحكم الحوزة.

كتابه (أصول الفقه) كمثال

لا مجال للوقوف عند كتبه ومؤلفاته لبيان قيمتها مادّة ومنهجاً وأسلوباً وإبراز ما ورد فيها أو في ما قدّم به لبعض الكتب الكبيرة من آراء وملاحظات هامة، ولذلك فبحسبنا أن نقف وقفة قصيرة عند كتابه أصول الفقه.

كتب شيخنا هذا الكتاب سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م، وكتب في الصفحة الثانية من طبعته الأولى: (وضع هذا الكتاب لتبسيط أصول هذا الفن للمبتدئين ليعينهم على

(١) اعتمدنا في نشر هذه الدراسات على الكراس الذي وُزّع في الندوة الفكرية التي أقامها إتحاد الأدباء والكتاب العراقيين بالاشتراك مع مركز دراسات جامعة الكوفة وأسرة الفقيد، إحياء لذكراه.

الدخول في بحره العميق عندما يبلغون درجة المراهقين^(١)، وهو الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الأصول، وبين كفاية الأصول، يجمع بين سهولة العبارة، والاختصار، وبين إنتقاء الآراء الحديثة التي تطور إليها هذا الفن).

وقدّم القسم الأوّل منه (مباحث الألفاظ) إلى الأستاذ الأكبر السيّد الخوئي رحمه الله ربّما لتحسّسه برغبته رحمه الله في تأليف مثله، وارتياحه أن تكون هذه الرغبة قد تحققت بقلمه، فكتب السيّد رحمه الله له تقويماً نشرت صورته في الطبعة الأولى - التي نشرها القصير - سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٩ م وطبعت بالمطبعة العلميّة في النجف.

ومّا جاء فيه وهو يتحدث عن الدور التجديدي للشيخ الأنصاري رحمه الله في تطوير علم أصول الفقه وتكامله قال: (فاجتهد في تنقيحه وتحريره حتّى أصبح خلوا من المباحث التي كانت تأخذ بالطالب يمّنة ويسرة دون أن تتفرّع عليها أيّة ثمرة فقهية، واستبدل بتلك المباحث مباني وأساساً رصينة كانت قبله على جانب من النقص أو الإهمال؛ ولذلك أخذت آراؤه محوراً للأبحاث العالية).

قال رحمه الله: (ومع ذلك فإنّ الكتب الأصوليّة التي نسخ كثير من مسائلها، وأقوالها هي التي بقيت يدرسها الطالب المبتدئ والمتوسط حتّى اليوم، ولذلك فإنّ الطالب حينما يصل إلى الدرس العالي يجد أنّه لا علاقة بين ما تعلمه وما يتعلمه الآن).

وكنّت منذ زمن بعيد أرغب في أن يؤلّف كتاب في هذا العلم تلائم أبحاثه الأبحاث العالية، ويعمم تدريسه على طلاب العلوم الدينيّة، حتّى قدّم لي العلامة الحجة الشيخ محمّد رضا المظفر - دامت تأييداته - ما رتبته من المباحث الأصوليّة في القسم الأوّل من كتابه (مبادئ علم الأصول) ترتيباً جميلاً، فألفيته - بحمد الله - وافياً بالمقصود، وجامعاً

(١) المراهقة: مرحلة ما قبل البلوغ في الحيوان، استعيرت هنا لمن شارف الإجتهد من طلاب

للموجز من القواعد والأصول التي تدور عليها رحي الأبحاث في عصرنا الحاضر.
فجدير بطالب العلم أن يدرس هذا الكتاب ليتهيأ بذلك للارتفاع بالدراسات
العلية) ودعا رحمته البارئ سبحانه أن يوفقه لانجاز القسم الثاني منه.

وأمّ الشيخ رحمته القسم الثاني من الكتاب بحمد الله باستثناء الأصول العملية - التي
هي الجزء الرابع - فلم يعثر بعد وفاته في مسودات الكتاب إلّا على (الاستصحاب).
لقد توسّع الشيخ رحمته في بعض مباحث القسم الثاني قليلاً بحكم المرحلة، وحكم
الموضوع نفسه، ورغم أن أسلوبه في التبسيط لم يختلف، وظلّ حريصاً على أن يختار أدقّ
الآراء وأحدثها، فإنّه كان يقف في مواضع كثيرة ليقدّم إضافة تمثل رأيه الخاص.

استقلاله في الرأي

لقد كانت شخصيته بارزة في دقّة ملاحظاته وقوّة مناقشاته، وهو يقابل الشيخ
الأنصاري مرّة، والشيخ صاحب الكفاية أخرى، والشيخ النائيني والأصفهاني ثالثة،
أو المجموع أحياناً ليعطي ما يراه بعدها من رأي باعتداد وثقة وأصالة.

ولقد أشرت إلى مواضع عديدة أثناء تدريسي له أكثر من مرّة إنتظار تقديمها حين
تتاح الفرصة، وفاء للشيخ رحمته، ولا مجال هنا إلّا للإشارة المجملّة، وبحدود المثال، فاقراً
إن شئت ما كتبه في الإجماع، والدليل العقلي وفي حجّة الظواهر، وحجّة سيرة المشرعة
والشهرة الفتوائية، تجد في ذلك أمثلة واضحة لتمييزه في العرض والمناقشة والاستدلال
والرأي.

ومن مميزاته حين يحاول تجلية ما ينتهي إليه من رأي في هذه المسألة أو تلك، أن يتتبع
البداية التاريخية والأساس لنشأة المسألة ثمّ ما انتهت إليه بعدئذ لتقتنع معه أنّ الخلاف
الحاد فيها أحياناً يفقد القاعدة موضوعاً كما هو في مسألتي دليل الإجماع والعقل (إقرأ

من ط ٣ من ص ٩٧ - ص ١٣٤).

ويحلل أحياناً النفسية الاجتماعية، وما يعطيه مرور الزمن من علاقة بالآراء أو العادات بحيث تأخذ طابعاً تقديسياً دونما أساس كما في سيرة المشرعة.

أو يحلل نفسية الفرد وموقفه من آراء مشهورة بين البارزين من أهل الاختصاص، فهو يتهيب من أن يتجاوزها حتى لو سمح الدليل بذلك كما في الشهرة الفتوائية.

أو يكتشف الخدعة التي يعطيها تعدد العناوين المعبرة عن واقع قضية واحدة تعددت مواردها، فعبروا عنها بعبارة أخذت خصوصية المورد، كحديثه في حجية الظهور، وما يتصل بالأصول اللفظية أو الوجودية التي يرجع إليها البعض لتعيين وضع الألفاظ أو ظهوراتها، كأصالة عدم الاشتراك، وأصالة الحقيقة، وأصالة العموم، وأصالة الاطلاق، وأصالة عدم القرينة، وأصالة الظهور، فقد رأى الشيخ الأعظم الأنصاري رجوعها إلى أصالة عدم القرينة بمعنى أنّ أصالة الحقيقة ترجع إلى أصالة عدم قرينة المجاز، وأصالة العموم ترجع إلى أصالة عدم قرينة المخصص وهكذا بينما رأى الشيخ صاحب الكفاية رجوعها إلى أصالة الظهور.

أما شيخنا المظفر رحمته الله فيرى: (إنّ الحق لا كما أفاده الشيخ الأنصاري ولا كما أفاده صاحب الكفاية رحمهما الله، فإنّه ليس هناك لدى العقلاء أصل غير أصالة الظهور، يصح أن يقال له أصالة عدم القرينة فضلاً عن أن يكون هو المرجع لأصالة الظهور أو تكون أصالة الظهور هي المرجع له).

ويرى أنّ بناء العقلاء في أصالة الظهور على إلغاء احتمال الخلاف وإعتبار الظاهر حجة.

وأنّ هذه الاصلالات لا أصل لها ولا دليل على اعتبارها وراء الدليل على اعتبار الظاهر، فتصبح في موردها تعبيراً عن حجية الظهور وإلغاء الخلاف لا غير.

وفي الإشكال على الاستدلال ببناء العقلاء على الاستصحاب: بأن بناء العقلاء بنفسه ليس حجة، فيحتاج إلى إمضاء من الشارع، رأى الشيخ المظفر رحمته: أن بناء العقلاء بنفسه كاشف عن رضا الشارع إذا لم يثبت ردعه عنه، فلا نحتاج إلى دليل في الامضاء غير ذلك.

وهكذا تبدو لنا شخصية شيخنا رحمته واستقلاله في الرأي ماثلاً في كل موضوع تناوله في الكتاب.

دوره الريادي في جمعية منتدى النشر ومؤسساتها

رأى شيخنا رحمته ومجموعة من طليعة الحوزة وعياً وفضلاً، أن الفكر الحضاري المادي الغريب وما يتصل به من رؤية، وخلق، يظلل باستمرار - عبر المذيع والتلفزة والمسرح والفلم السينمائي والصحافة - كل بيت من بيوت المسلمين، ويؤثر فيهم وأسرهم من جانب أو آخر شأواً ذلك أم أبوا.

يضاف إلى ذلك نشاط البعثات التبشيرية تحت واجهة مختلفة، وبوسائل متطورة، وهي بعثات يدعمها الاستعمار في طول البلاد الإسلامية وعرضها، ولا تأخذ المناهج الموضوعة للمدارس الرسمية آنذاك في حسابها مواجهة ذلك، والتصدي له بل هي قد تسهم في إدخال الكثير من توجهات الحضارة المادية ومفاهيمها.

ومقابل ذلك، فإن واقع المؤسسات الإسلامية يبدو مختلفاً عن مدى المقابلة، لا من حيث الكم والكيف فقط، بل حتى في مستوى الوعي للواقع الحضاري، وما حدث فيه من تيارات فلسفية ونظم ومسارات جديدة نحتاج معها لكي نقف على مستوى المواجهة ضمن مداها إلى تغيير كبير في المناهج والوسائل والأساليب لا في إعداد الطلبة والمرشدين الدينيين بل في كيفية الحوار والتصدي والمقابلة.

إنّ الحوزة العلميّة في النجف الأشرف كمثال - وهي من أعرق هذه المؤسسات تاريخياً وأعظمها عطاء ممّا يجعلها منظورة - كما هو المفروض - في هذا الجانب، تعتمد حتّى الآن في كلّ شيء على المبادرات والدوافع الفردية.

إنّ من يدخل فيها من الطلاب يعتمد دافعه وجهده الذاتي وكفالاته الذاتية لحاضره ومستقبله فيها بدءاً وانتهاءً، لا من الناحية الاقتصادية فقط بل من الناحية العلميّة أيضاً. فلا أحد يسأل من وكم دخل فيها هذا العام أو ذاك؟ ولا من وكم خرج منها؟ ولا كم قطع أولئك وهؤلاء من المراحل؟ ولا ما ينبغي أن يعملوا.

ومن الفضول أن نسأل ما إذا كان أحد يفكر في شأن المسلمين في العالم وحاجتهم إلى المرشد الديني في هذه البقعة البعيدة أو تلك في آسيا وأفريقيا فضلاً عن غيرهم، فإنّ اللامسؤولية في تلك تتصل باللامسؤولية في هذه بل هي تتفرع عنها.

وليس هناك - لنفس السبب - جهة تعنى بالتحقيق والنشر، وإصدار المجلات العلميّة، وإقامة الندوات الثقافية، فإذا كان شيء من ذلك فهو أيضاً بمبادرة فردية، وجهد فردي.

إنّ دور من يصل إلى المرجعية في الحوزة - مهما اتسع ظلّه، وعظمت إمكانياته - لا يتعدى الإجابة على الاستفتاءات الشرعيّة، وإلقاء الدروس على طلاب الدراسات العليا في الفقه والأصول وتقديم المساعدات المالية التي لا تفي بحاجة الطالب منفرداً فضلاً عن أن يكون ذا أسرة.

حتّى الوكلاء في المدن ليسوا باختيار ومبادرة من المرجع في الكثير الغالب، بل من الوكيل نفسه بحكم إنتائه لتلك المدينة أو من المتحسين للحاجة من الناس فيها وما يشبه ذلك.

والأمر لا يقف عند ذلك، بل إنّ الدراسة في الحوزة - في مثل ما أشرنا إليه من

واقعتها - تعتمد نظام المقرر، لا نظام المراحل، ومع أنّ لهذا النظام حسناته، فهو لدى الجادين من طلاب العلم يؤدي - دون شك - إلى إقتان واستيعاب قد لا يتيسر ان في نظام المراحل بحكم التحديد الزمني المفروض في المرحلة، إلّا أنّ هذا النظام - مع فقدان الضوابط وغياب المراقبة بدءاً وإنهاء - كما هو في الحوزة العلمية - مع ما في المنهج من نقص أساساً، يؤدي إلى ضياع وهدر زمني قد يكونان من الفداحة بحيث يصادران الغاية.

وهو ما جعل الكفاءات التي تبرز في الحوزة العلمية في النجف قليلة، فهي رهينة الحافظ الذي يعطيه للطالب وعيه وإيمانه، وليس شيئاً آخر.

وإذا كان من الممكن أن يتكفل لنا هذا النظام: إيجاد أفراد شاغخين من الأساتذة والباحثين والمجتهدين الكبار - بحكم أنّ هذه الدرجات بطبيعتها لا يمكن أن تحصل إلّا لدى من تتوفر لديه مع الدافع الذاتي والإيماني - قابليات متميزة، وجدية، ورغبة في البحث... فإنه - ومع غصّ النظر عن الهدر الزمني الذي أشرنا إليه - لا يمكن أن يوفر لنا نظام المقرر من المستويات المتوسطة - (ما قبل المرحلة الاجتهاد) - ما يفي بالحاجة. إنّ مستوى ما قبل هذه المرحلة من الطلبة ممّن أنهى الدراسة الأولى: هو ما يحتاجه المجتمع لسدّ مكان المرجع الثانوي والكاتب والمؤلف والخطيب والمبشر والمدرس الذي يمكن أن يتولى بكفاءة التدريس في المراحل الثانوية والأولى الجامعية.

وبأدنى ملاحظة - يبدو لنا بوضوح - أنّ الكفاءات في هذه المرحلة لا تتناسب مع الحاجة، وبصورة تدعو إلى الأسف بل لا تتناسب مع حجم الحوزة، ونفقاتها، والزمن الذي قضاه طلاب هذه المرحلة داخلها، ولا مع مستوى الآمال التي تعلقها الأمة عليها... وهو ما يقوم دليلاً على ما أشرنا إليه.

لقد فسخ هذا الوضع - بملاساته الأخرى - المجال واسعاً ليصاف المرتزقة

وأشباه الأميين داخل الحوزة: أهل الفضل والعلم فيها، بل أن يطغوا في مثل هذا الواقع بصورة محزنة وخائفة.

ومن السهل والأمر على مثل ما صورناه أن يحتلوا مكانة الوكيل والمرجع الثانوي والخطيب، وتلك مأساة يدفع ثمنها الدين والمجتمع معاً، ويتصاعد هبؤها الأسود في أفق الحوزة ليعطي عنها إنطباعاً مظلماً.

لذلك، كان لابد من معالجة ذلك بأناة، وعلمية، وطبقاً لخطة مدروسة، ولما كان لا يملك أحد في الحوزة بطبيعة بنائها، وتوزع مراكز القيادة فيها: كلمة: (لا) بالنسبة لهذا الأمر أو ذاك، ولا حتى من هو في مركز المرجعية فيها حين ينفرد بذلك دون الآخرين من المراجع، ولما كان أيضاً مما لا يتوقع أن يجتمع المراجع على رأي في ذلك - بحكم اختلاف وجهات النظر - فإنّ الحل أن تقوم مؤسسات علمية وثقافية بديلة تتجاوز الحوزة دون انفصال عنها من حيث الغاية ولا اتصال من حيث الإدارة والنظام والمنهج والوسيلة. فهذه هي التي يمكن أن تقوم بهذا الدور - ضمن هذا الظرف - دون معارضة مؤثرة ولا مزاحمة من آخرين.

وهكذا كان، وقامت جمعية متدى النشر سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥ م بعد أن وضع نظامها الأساس الذي يحدد أغراضها ووسائلها إليها ابتداء.. وكان الشيخ المظفر - بحكم السن لا الفضل - سكرتيراً لها حتى إذا كان العام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧ م انتخب رئيساً وظل في هذا المنصب حتى وفاته في ١٦ رمضان سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤ م.

لقد ضمت الجمعية عدداً من أبرز عناصر الحوزة علماً ووعياً ودينياً وأدبياً، وحاولت جاهدة بقيادة شيخنا المظفر رحمه الله أن تقوم بأوجه مختلفة من النشاط العلمي والثقافي، فإلى جنب المجمع الثقافي الذي كان يقوم بتحقيق ونشر الكتب التراثية^(١) وإقامة

(١) صدر له من ذلك حقائق التأويل للشريف الرضي (رضي الله عنه) والنص والاجتهاد للسيد

المواسم الثقافية، كانت هناك كلية منتدى النشر سلف كلية الفقه ومدرستها الابتدائية، والثانوية، ومجلتها (البذرة).

والعدّة والعدد الذي انضم للجمعية من المنظورين مكانة وعلماً، اعضاء أو مؤازرين أو في اللجنة المشرفة أو لجنة المجمع الثقافي أو أساتذة في الكلية، وللنجاح الذي حققته في الميادين التي أرادت أن ترميها أن تتقدم خطوة أخرى فتصلح الوضع اللامسؤول في إعداد الخطيب الحسيني الذي امتلك تأريخاً القاعدة الجماهيرية الأوسع داخل الأمة، وأصبح - بحكم ذلك - القناة الأهم لنشر الثقافة الدينية والتأريخية، وذلك بإنشاء كلية للخطباء.

ولما كان ذلك - كما حسب البعض - ينتهي مستقبلاً، وبصورة مفروضة، إلى حصر المؤهلين للخطابة بخريجي هذه الكلية، فقد عارضوها واستطاعوا أن يثيروا العامة بصورة أو بأخرى من التشويه لهدفها العلمي والاصلاحي، والتشكيك بنوايا القائمين عليه، وقامت عاصفة هوجاء تحدثت حدود المعقول حتى كادت أن تطيح بمشروع الجمعية ككل، لولا عناية الله وثبات الشيخ رحمته وزملائه^(١) وإصرارهم بإيمان وشجاعة على مواصلة المسيرة، ومُن سجل له دور بارز وملحوظ في هذه المواجهة خاصة العلامة الشيخ محمد الشريعة مدير الجمعية آنذاك.

ولهذا المشروع وما واجهه الشيخ المظفر رحمته وإخوانه العاملون بسببه، يشير الدكتور

عبد الحسين شرف الدين ط ١ بتقديم السيّد محمد تقي الحكيم.

(١) حدّثني آية الله السيّد محمد علي الحكيم حفظه الله في الأيام الأولى من رمضان ١٤٢٨ هـ وأنا أعيد كتابة هذا البحث من مسوداته: إن شيخنا المظفر رحمته لم يحاصر من الجهات المؤشر إليها فقط، بل من أوليائه حرصاً عليه وعلى مكانته، قال: فجاءني يوماً وبيده ظرف مغلق، وطلب إلي أن أكلف الإمام الفقيه السيّد محسن الحكيم أن يستخير له الله سبحانه على الترك، وبالقرآن الكريم وأن يتفضل بتسجيل الآية التي ستكون إجابة لاستخارته، وعندها فليفتح الظرف، قال: وحين استخار السيّد وسجلت الآية وكانت ناهية، فتح الظرف فإذا هي آية مماثلة ظهرت للشيخ لدى استخارته.

الشاعر مصطفى جمال الدين - أحد خريجي الدورة الأولى سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢م لكلية
الفقه، والأستاذ فيها بعدئذ - في مراثيه للشيخ المظفر رحمته فيقول:

والمنبر الحرّ إذ حاولت تصلحه ممّا به فأثار الشكّ مفسده
قد كان من يبس الأعواد جائمه فجئت بالخصل الزاهي تورده
وكدت لولا ضمور في قوائمه وجائم من وراء الستر يقعه
إن تستثير له الأجيال صاعده بشامخ يتحدى الجهل معده
وأنت من فوقه روح تطوف به ومقلة من وراء الغيب ترشده

ولا نريد أن نؤشر إلى الأرقام التي تمخض عنها عمل الشيخ رحمته وإخوانه^(١)، في ما أعطاه توجهه وخطّه أو ما أعطته مؤسسات متدى النشر وأبنائه من خريجي مدارسها، أساتذة وكتاباً ومؤلفين، ينتشرون في مدارس القطر وجامعاته، وبعض مدارس وجامعات الدول الإسلامية عربية وغير عربية فذلك معروف وإنّا بحسبنا أن نبه أنّ ما بدأ به الشيخ رحمته بوعي قبل أكثر من ستين عاماً من دعوة لتنظيم الدراسة الحوزوية، وفرض الضوابط اللازمة لها، قد انتهى الآن القائمون عليها إلى تبنيه والإيمان بضرورته بل بدأت الخطوات الأولى لتطبيقه.

إنّ امتحان الطالب الحوزوي شهرياً، أو سنوياً - ضمن مراحل محددة - لكشف
جديّة إنتائه للحوزة، وجعل ذلك شرطاً للمساعدة المالية من قبل المراجع لم يكن

(١) تأثر برأي الشيخ رحمته في ما يجب أن يكون عليه الخطيب وتقدير ما يؤدي إليه التسبب من آثار ثقافية ودينية سلبية، كاتب هذه السطور كتب شيئاً يتصل بذلك في افتتاحية العدد الثالث من السنة الأولى من مجلة رسالة الإسلام التي تصدرها كلية أصول الدين (الملغاة) سنة ١٩٦٥، وما جاء تحت عنوان (قال وقلت) في العدد الثاني من السنة الثانية ١٩٦٦ توقيع (ع ع ب).

وهناك أبيات في نفس المضمون أجاب بها صديقه فضيلة الأستاذ الشاعر الشيخ جميل حيدر ونشرها بعضهم، وعبر عن نفس المعنى في المقابلة التي أجرتها معه صحيفة المواقف البحرينية سنة ١٩٨٧.

مستساغاً، لدرجة أنّي رأيت رجلاً فاضلاً يؤلف كتاباً لاثبات عدم جواز ذلك بعناوين ثانوية، ذكر عدداً منها، إنكاراً على المرجع الكبير السيّد البروجرديّ رحمته حين فرض سنة ١٩٥٨ م، لكن الكتاب وما فيه لم يَر، لا لأنّ مقابلة أمثال السيّد البروجرديّ، وفرض الضوابط بالقدر الذي يكون حافزاً لطالب العلم للمواظبة على الدرس والجدية في استيعابه وبالتالي تحقيق أهداف الحوزة: أمر من لا ضرورة بحيث لا يمكن التسامح به في حال.

مؤشرات رسالية شيخنا المظفر رحمته في سلوكه وعمله

إنني أعتقد: أنّه رغم جوانب التأشير المعروفة والتي تحدّثنا عن الشيء منها: إلى مكانة شيخنا وأستاذنا الكبير الحجة المظفر - رضوان الله عليه - علمية وعملية، فإنّها قطعاً - أعني مكانته - أعظم من كلّ ما يمكن أن يرى في هذه الجوانب كلّها على أنّها رفيعة شائخة، لا من جهة أن ما فكر به واعتمل في نفسه وخطط له، وحوله مساراً وغاية لم يجد مجالاً ليرز؛ لما حفت من صعاب من جهة؛ ولأنّه ودّع الدنيا مبروراً وقصارى ما بلغته مشاريعه - كما أراد أن تكون - مرحلته الأولى من جهة ثانية، بل لأنّ نفس إختياره لهذا المسار أصلاً - مع غصّ النظر عن كلّ شيء - يتضمن لدى من عرف مكانة الشيخ العلمية من ناحية وبناء الحوزة وأعرافها التاريخية من ناحية أخرى تأشيراً هاماً أعظم ممّا هو المعروف لمكانته كرائد ورسالي.

لقد كان من حقّ شيخنا، وهو من عرفنا مكانته العلميّة أن يكون في مستقبله المنظور مرجعاً أو أحد المراجع البارزين للحوزة، وللمسلمين من الإماميّة بصورة عامّة، فلا أحد يناقش أنّ بعض من تسنم هذا المقام لم يكن ليجوزه في شيء لو شاء، وسلك صراطه، بل ثمة أكثر من دليل على أنّه يجاوز البعض في سعة أفق، وعمق معرفة وأصالة رأي.

نقل لي العلامة الحجة السيّد محمد كلانتر، وقد كنت أكتب هذا البحث، ونحن نتحدث عنه أنّه سمع الفقيه والفيلسوف المعروف السيّد حسن البجنوردي رحمته يقول عنه: أنّه لم ير له نظيراً لا في العرب ولا في العجم.

ولكنّ شيخنا رحمته هو من رفض أن يقف في ساحة المرجعية، لا لأنّه لا يرى أن يكون ضمن مجال فيه ما يجاوز الحاجة آنذاك، ولا لأنّه لا ينسجم بطبيعته وعفويته في السلوك مع إشتراطات المرجعية كما أصلتها أعراف الحوزة، وتقاليدها، بل لأنّ وعي الشيخ رحمته لعصره بخصوصياته الفكرية والحضارية من جهة ومعرفته بواقع الحوزة وطالب العلم في داخلها - كما صورناه لك - من جهة أخرى، فرض عليه مثل هذا الاختيار مع ما فيه من تضحية ومصاعب، وآية عظمة أكبر من أن يرى المرء مثله رسالة فيستجيب لها على حساب راحتته ورفاهيته ومكانته الدينية والاجتماعية طبقاً للقيم السائدة والمنظورة بحساب الناس في مجتمعه، لا بحساب الحق.

لقد واكب شيخنا رحمته بدءاً في رؤياه وفي عمله عدد من المعروفين بالعلم والفضل كالسيد يوسف الحكيم والسيد محمد علي الحكيم والسيد موسى بحر العلوم والشيخ عبد الحسين الحلي، والشيخ عبد الحسين الرشتي والشيخ محمد جواد الحجامي وآخرون، لكنهم تخلّوا واحداً بعد الآخر، وتركوا الشيخ مع قلّة من إخوانه الذين صمدوا معه حتّى النهاية، فما هو السبب في ذلك؟

إنّ آية إنعطافه عن المسار التاريخي للحوزوي لا في المضمون والغاية بل حتّى في الأسلوب والوسيلة ستواجه بدءاً باستيعاب وبغير استيعاب بالتشكيك، وسيتحول بعناوين ثانوية - إن لم يكن للعناوين الأولى مجال - إلى قضية تستوجب الإنكار... ولا أحد من الناحية الشخصية يجب أن يكون محل تأثير أو حرب في حقّ أو باطل.

ثمّ إنّ ترك المسار الحوزوي حتّى دون ذلك كلّ بالنسبة لأصحاب المواقع المتقدمة

- ما وراء المراجع - يعني التخلّي عن الغاية التي لا يبلغها أحد - بحكم اشتراطها الواقعية - خارج هذا المسار... وهي المرجعية.

إنّ المرجعية العلميّة والافتائيّة في الحوزة لا تحصل إلّا عبر عمليّة ترشيح، وبروز طبيعي تدريجي عبر التفاعل مع الأقران والطلبة، ومن خلال المعاشية العلميّة بمستوياتها العالية، وذلك لا يحصل إلّا بالتدريس لطلبة الدراسات العليا أو (الخارج) أو بالتأليف والكتابة على هذا المستوى حتّى تنتزع شهادة اجماعية بالمكانة العلميّة المتميزة لصاحبها بما فيها شهادة المراجع الأسبق طبقة أو تأريخاً، وحين يختار شيخنا العظيم أعلى الله مقامه أن يكتب استجابة للرسالة التي رآها ما دون هذا المستوى أو ما دون مستواه أي بالصورة التي تحددها حاجة الطلبة في الدراسة الجامعيّة الأوليّة، فيختصر معرضاً عمّا لا يراه أساسياً من الأفكار والمناقشات مسقطاً ما أقحم من مصطلحات غريبة، أصبحت مع الزمن كما لو كانت لغة للعلم نفسه، فيتبسط وربما كرّر بعبارة أو أخرى بغية الايضاح. وحين يختار أن يوجه، ويدرس هذا المستوى من الطلبة في مؤسسات الجمعية، وحتّى يخرج على اشتراطات المسلك الحوزوي فيقبل أن يكون عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي الذي انتخب فيه سنة ١٩٦٣ م، وأن يساهم في جلساته ودراساته، وأن يشارك في المؤتمرات والمهرجانات العلميّة والدينيّة داخل القطر وخارجه، ويتفاعل مع الأحداث والمتغيّرات على الساحة السياسيّة، فيعطي - في ما يتصل بالرسالة سلباً وإيجاباً - رأيه مشجعاً أو محتجاً.

فإنّه - دون شكّ - سيخسر في المقابل المرجعيّة، لكنّه سيربح الرسالة، وهذا ما كان.

وكان إيمان الشيخ رحمته بخطه، ورسالة مؤسساته عظيماً^(١) وكان عمله فيها يبلغ

(١) كنت قد سعدت برفقته في العودة من زيارة الحسين (عليه السلام) من كربلاء إلى النجف فحدّثني رحمته

درجة التضحية لا بها أشرنا إليه فقط، بل بها هو أبعد من ذلك.

فكان لا يبالى أن يدخل فيدرس بعض فصول المدرسة المتوسطة أو الإعدادية، حين يراها شاغرة ويعامل الطلبة بحنان، وينزل في الدرس لما هو مستواهم، وذلك ما لا يقبله إلا خلق رسالي لم ير نفسه ولا مكانته بإزاء ما آمن به من دور تربوي وتعليمي.

ومثل ذلك، وفي الوقت الذي هو مشغول فيه بالكتابة والتأليف والتدريس على مستوى الخارج: أن يعمل الليل والنهار، فيقوم بوظيفة رئيس الجمعية وعميد الكلية والسكرتير وكاتب الطابعة، وربما أمسك سجل الصادر والوارد، ثم يوقع على أحد عشر ديناراً ويكمل دخله بعمل خارجي يمارسه في البيت.

خلق الرسالي العارف

إن خلق الزهادة والتواضع والقناعة وكرم النفس ودماثة الخلق والحب لأخوانه وطلبته، والبساطة في السلوك يصحبه بعد في النظر وقوة في الشخصية وحدية في المبادئ وشجاعة في الاختيار والتوجه، شأن الرساليين، وذلك ثمرة عرفانه وأثره

عما لاقاه في تأسيس الجمعية ومؤسساتها وعن آلامه وآماله واستكثرت وأنا أصغر طلابه في الدورة الأولى من كلية الفقه أن يخصني بهذا الشرف، واستدعاني لبيته صباحاً ليسجلني بيده الكريمة عضواً في الجمعية وعمل لي هوية العضوية، وحين أنهيت السنة التحضيرية للماجستير في معهد الدراسات العليا بغداد عام ١٩٦٧ وكنت معارفاً لجمعية الصندوق الخيري الإسلامي لهذا الغرض اتصل بي أستاذي الحجة السيد محمد تقى الحكيم حفظه الله ليبيّن لي أن مكاني هو النجف، وحدثني الأستاذ الشاكري: أن الشيخ كان يوصيه كثيراً بي وأبدى استعداده لتحمل ماتعطي لي جمعية الصندوق الخيري الإسلامي من مرتب وعدد، وعينت سنة ١٩٦٨ مدرساً بشهادة عالمية صادرة عن آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين حسب نظام الكلية آنذاك.

قلت وأنا أتذكر ذلك: هل كان الشيخ رحمته الله يرى أن أصغر طلابه هذا سيكون يوماً أول وآخر عميد لها بين طلابها ورغم أنه تولّاها وهي كلية رسمية تابعة للجامعة المستنصرية، لمدى عقد وبجامعة الكوفة بعدها، فقد كان الشيخ قدوته ومؤثر خطه في الرؤية والتعامل والهدف.

النفسي والعملي فيه أنّه في ذلك يقف على خط أصحاب الرسالات من الأنبياء والأئمة والأولياء عظمياً أغنته عظمة نفسه عن الكبر الزائف والادّعاء الفارغ.

وفاته وأصدائها

لبى نداء ربّه ليلة (١٦ رمضان سنة ١٣٨٣هـ) المصادف (٣١ / ١ / ١٩٦٤م)، فطويت صفحة نفس مطمئنة كادحة إلى ربّها كدحاً فبكاه المحراب والقلم والكتاب والمدرسة وسبل الدعوة إلى الله.

كان صورة مجسّدة لقيم الإسلام وأخلاقه نفسياً وعملياً، ومثالاً للعالم العامل بعلمه وللرسالي الذي حدد ضمن الواقع الموضوعي السبل والوسائل الكفيلة بنشر هذه الرسالة، وترسيخ مفاهيمها وقيمها، ومضى فيها على بصيرة دون تلوّؤ.

كان لنعيه - الذي بثّته الإذاعة العراقيّة - فعل صاعق لدى إخوانه وطلّبه، أقعد القائم وأقام القاعد وذلك ما يندر أن يكون نظيره لأحد.

وإذا كان هناك من المفقودين - من تعمّ بهم المصيبة، وتتساوى في وقعها - لدى القريب والبعيد بدواعي وعي الصلة الكيانيّة العامة التي تتجاوز أحياناً الصلة الشخصية، فالشيخ لا شكّ أحد هؤلاء.

وعبر من شارك في ذكره الأربعينية عن تقويمهم له، وعواطفهم إزاءه، فكانت متمازجة كما لو كانت تصدر عن شخص واحد رغم ما بينهم في حسابات القرب والبعد عن الناس من ذوق.

جاء في كلمة جماعة العلماء في النجف: (عرف بالصبر والمثابرة الكبيرين في مجالي العلم والعمل إلى جانب ما كان يتحلّى به من خلق إسلامي رفيع، قل أن يوجد في غير أمثاله من ذوي القلوب التي عرفت الله تعالى فعشقه ورأت اللذة والألم في سبيله العزّة، وفي الخضوع له كرامة).

وفي كلمة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية: (كان من أعز أمانيه أن يلتقي المسلمون على مبدأ التفاهم والمودة والأخوة في الله، وأن ينزعوا لباس العصبية المذهبية، ويرتدوا رداء المنصفين الطالبين للحق المدعين للحجة، النازلين على حكم الله من أي طريق وصل إليهم، لذلك كان من السابقين الأولين في إعتناق فكرة التقريب). وجاء في كلمة الشيخ محمد رضا الشيباني قوله: (إن سيرته الطاهرة لتشهد بأنه كان ذا إيمان راسخ إقترن فيه العرفان بالعاطفة الروحية، ولا يخفى أن المربي الصالح والراعي الرفيق، هو الذي يجمع بين هاتين الخصلتين).

وجاء في كلمة الدكتور عبد العزيز الدوري قوله: (لقد كان مثال العالم العامل استطاع برأيه ونشاطه ودماثة خلقه أن يكون مع الطليعة العاملة من علماء هذا البلد، الأمين في النهضة العلمية).

وفي كلمة الشيخ عبد المقصود شلتوت أحد كبار علماء الأزهر قوله: (كان رحمه الله عميق الإيمان فقيه العقل صوفي النفس، رباني الروح، دافق العاطفة، دائب العمل). وفي كلمة الشيخ محمد الشريعة: (كثير حسّاده، قليل خصماؤه، أمين إذا استشير، لا يقتحم بنفسه في أمور لا تهمه، ولا يتراجع عما ابتدأ به، لم يعمل شيئاً بدافع الظهور، بل كان تلبية لوحي ضميره).

وللشعراء في ذلك ديوان يخلل بالماثر وبالدموع.
أما كاتب هذه السطور فقد ناجاه حزينا وهو يغيب في طيفه، وذكراته معه بقوله:
يا شيخخي الأجل الحبيب.

على امتداد المسار، ونهاية مطاف هذا العمر سأرجع - كلما تذكرت - كل ومضة معرفة، ومدى إبصار، وكل ما ألتمسه في داخلي من حبّ لله، ولحججه ﷺ وللعمل في سبيله، وكل خلق خير أوفق إليه، وأنطبع به نفسياً وعملياً، سأرجعه إليك.

إلى البداية معك إلى توجيهاتك، وإيهااتك، وبصماتك بفكرك ونفسك وخلقك
صلّى الله عليك.

النجف الأشرف
عدنان السيّد علي البكاء

نجفیات الشیخ محمد رضا المظفر

الأستاذ الدكتور حسین عیسی الحکیم

رکّز العلامة الکبیر ساحة الشیخ محمد رضا المظفر فی کتبه وبحوثه ودراساته علی مدينة النجف الأشرف متناولاً مدرستها العلمیة ورجال فکرها ومؤسساتها الثقافیة، وهو فی کلّ ذلك کان مؤرخاً معاصراً فی زمانیة الأحداث ومکانیتها، الأمر الذی جعله قادراً علی التشخیص، وملماً بدقائق الأمور الّتی مرّت بها مدينة النجف، لذا أصبحت کتاباته مصدراً أصیلاً لمن یرید الکتابة عن النجف وصلاتها الفکریة والاجتماعیة سواء علی الصعيد المحلّی أم علی الصعيد الخارجی فی فترة التاریخ الحدیث، والتاریخ المعاصر، وتبرز نجفیّات الشیخ المظفر فی المحاور الآتیة:

١ - مدرسة النجف وأعلامها.

٢ - الحركة الإصلاحیة وأسسها.

٣ - النهضة الثقافیة ومؤسساتها.

وكانت «مدرسة النجف» موضع اهتمام الشیخ المظفر، فأولاهها اهتماماً بالغاً، وكان بحثه المعنون «جامعة النجف فی جامعة القرویین» عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م، قد أعطى فیهِ صورة واضحة لواقع النجف العلمی وما أنجبته من أعلام الفكر والمعرفة، فی الوقت الذی لا یساعد موقعها الجغرافی علی ذلك العطاء العلمی الکبیر الذی قدّمته مدينة النجف الأشرف خلال أكثر من عشرة قرون فیقول: «تقع النجف فی صحراء مرتفعة قاحلة محرقة لا ماء فیها ولا کلاء إلا ما كانوا یستنبطونه من ماء أجاج فی آبار عمیقة الغور»^(١).

(١) المظفر: (جامعة النجف فی جامعة القرویین) ص ٨.

ولكن مجتمع النجف قد قاوم هذه الطبيعة القاسية، وأثر جوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، والدفن حول مرقد الشريف، واقتباس علومه وأفكاره ومعارفه، وقد أشار الشيخ المظفر إلى هذه الحقائق عند حديثه عن الشيخ أبي جعفر الطوسي المتوفى عام ٤٦٠هـ بقوله: «إنّه المؤسس لجامعة النجف ومركزها، فإنّ الذي يبدو أنّ النجف قبل أن ينتقل إليها لم تكن إلّا مزاراً ومدفنًا، وحول القبر جماعة من المجاورين لا عمل لهم إلّا خدمة الزوار والقاصدين»^(١)، وكان الشيخ المظفر مصيباً في رأيه عند عد الشيخ الطوسي مؤسساً لمدرسة النجف، ومنظماً للدراسة العلميّة فيها، كما يوضح ذلك كتابه «الأمالى» لأنّ هذا الكتاب يعدّ من أعلى مراتب التعليم وكيفيته أن يملّي «الشيخ» أو العالم في مجلس أو عدّة مجالس تعقد له في الجامع أو المدرسة على طلبة العلم ما توصل إليه في بحوثه وتحرياته فكتب عنه^(٢).

ولكنّا لن نوافق الشيخ المظفر في رأيه القائل: أنّ مدينة النجف الأشرف لم تكن قبيل الشيخ الطوسي مدرسة علميّة سوى كونها مدفنًا ومزاراً، فإنّ المصادر تشير إلى وجود حركة علميّة في مدينة النجف تعود إلى نهاية القرن الثالث الهجري، أي قبيل ورود الشيخ الطوسي إلى النجف بأكثر من قرن ونصف، ولما حطّ الشيخ الطوسي رحاله في النجف عام ٤٤٨هـ، التفّ حوله رجال العلم، ممّا ساعده على ارساء قواعد المدرسة النجفية المنظمة، وأنّ بعض الباحثين من يجعل مدرسة النجف امتداداً لمدرسة الكوفة بعد بروز القبر العلوي الشريف في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، ومنذ هذا التاريخ هاجر بعض أعلام الكوفة إلى النجف وجاوروا المرقد الشريف، وقد أخذ بهذا الرأي الشيخ علي الشرقي بقوله: فامتدت المدرسة من الكوفة إلى النجف، وفي القرن

(١) المظفر: (الشيخ محمد بن الحسن الطوسي مؤسس جامعة النجف) مجلة النجف ص ٢، العدد السادس والسابع، السنة الثانية ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨ م.

(٢) ناجي معروف: علماء النظاميات ص ٢٣٩.

الثاني للهجرة بدأت العمار والتشييد لمدرسة النجف، فانتقلت المدرسة من الكوفة إليها، وبقيت الكوفة تصبّ في بحر النجف إلى القرن الثامن للهجرة، وعند ذلك استوعبت النجف كلّ ما كان في الكوفة^(١)، ويبدو أنّ الشيخ المظفر قد عدل عن رأيه، وأخذ بالرأي القائل بوجود حركة علميّة في مدينة النجف الأشرف قبيل وصول الشيخ الطوسي إليها بقوله: «الكوفة كانت مركزاً علمياً مشهوداً في تلك القرون يقرب إلينا أنّ النجف لم تعدم في مجاورها من يشتغل في العلوم الإسلاميّة يومئذ ولم نعدم الشواهد التاريخيّة على ذلك مثل الإجازات التي صدرت من مدينة النجف في ذلك العهد»^(٢).

وقد ذكر الشيخ أبو العباس النجاشي المتوفى عام ٤٥٠ هـ في كتابه «الرجال» عند ترجمته للحسين بن أحمد بن المغيرة البوشنجي: أنّه كان ثقة فيما يرويه، له كتاب (عمل السلطان) أجازنا بروايته أبو عبدالله بن الحمري الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربع مائة^(٣)، ولما زار السلطان عضد الدولة البويهّي مدينة النجف الأشرف عام ٣٧١ هـ، فرّق خمس مائة ألف درهم على المجاورين للمرقد العلوي الشريف، وعلى الفقهاء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم^(٤)، وأنّ وجود الفقهاء في هذه الفترة، وصدور الإجازات العلميّة في القرن الرابع الهجري له دلالة على وجود المدرسة النجفية قبيل وصول الشيخ الطوسي إلى مدينة النجف، والأمر الذي يدعم هذا الرأي أنّ أسرة آل طحال، وأسرة آل سدره، وأسرة آل شهريار، كانت من أسر العلم المعروفة في مدينة النجف الأشرف في هذه الفترة، وقد تولت أسرة آل شهريار مفاتيح الروضة

(١) الشرقي: الأحلام: ص ٤٢.

(٢) المظفر: جامعة النجف الأشرف في جامعة القرويين: ص ٨.

(٣) النجاشي: الرجال: ص ٥٤.

(٤) ابن طاووس: فرحة الغري: ص ١١٤.

الحيدريّة واستقلت بالخازنيّة^(١).

وقد عاصر بعض أعلام النجف السفراء الأربعة في عصر الغيبة الصغرى، وعاصر آخرون الشيخين الجليلين أبا جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى عام ٣٢٩هـ، وأباجعفر محمد بن علي الصدوق المتوفى عام ٣٨١هـ، ومن أبرز هؤلاء الأعلام السيّد شريف الدين محمد المعروف بابن سدره المتوفى عام ٣٠٨هـ، والشيخ أحمد بن عبد الله الغروي^(٢).

وقد أكّد الشيخ المظفر على أنّ الشيخ أبا جعفر الطوسي قد وضع القواعد الدراسية المنظمة لمدرسة النجف، وقد وصفه بالعظيم وشيخ الطائفة، فيقول: هو صاحب الموسوعات والمؤلفات الخالدة في الحديث والتفسير والفقه وغيرها، إنّ هذا الرجل من عظماء التاريخ فيما ألف وأسس^(٣)، وقد تناول الشيخ المظفر أسلوب الدراسة في مدينة النجف بقوله: إنّها دراسة خصوصية لا صفية، وكذلك في اختيار الكتب، وما تزال جارية على الأسلوب القديم وأنّ غاية الطالب الديني القصوى أن يبلغ هذا الدرجة العليا (الاجتهاد) التي لا ينالها إلاّ ذو حظّ عظيم^(٤)، وقد أوجز الشيخ المظفر مراحل الدراسة الدينيّة في مدرسة النجف بما يلي:

المرحلة الأولى:

خصّصت المرحلة الأولى لدراسة المقدّمات، فيتناول الطالب فيها مقدّمات النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق والمتون الفقهيّة، وقد أوضح الشيخ المظفر خصائص هذه المرحلة من الدراسة الحوزويّة في النجف بقوله: «نوعية الدراسة في هذه المرحلة

(١) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٢: ٤٢٢.

(٢) م. ن ٢: ٤٠٤، البراقي: تاريخ الكوفة: ص ٢١٨.

(٣) المظفر: جامعة النجف في جامعة القرويين: ص ٩.

(٤) م. ن. ص ١٠.

فردية على الأكثر وربما اشترك فيها أكثر من طالب واحد، فيشكلون حلقة صغيرة، وللطالب الحرية في اختيار المدرّس بل الكتاب وليس عليه رقيب إلا نفسه أو ولي أمره^(١).

المرحلة الثانية:

لقد خصّصت هذه المرحلة الدراسية في الحوزة العلميّة لدراسة السطوح، فيتناول الطالب فيها دراسة متن الكتب الموضوعة في الفقه الاستدلالي وأصول الفقه، وقد أشار الشيخ المظفر إلى خصائص هذه المرحلة: «ويتبع فيها محاكمة الآراء ومناقشتها بحرية كاملة فيقول: «إنّ الحرية مطلقة للطالب في اختيار الكتاب والمدرّس والكتب التي يرجع إليها للمطالعة»^(٢)، وإذا انتهى طالب العلم في هذه المرحلة، وأتقن مفرداتها الدراسية اقترب من درجة «الاجتهاد» فيطلق عليه لفظ «المراهق».

المرحلة الثالثة:

تدعى المرحلة الأخيرة من الدراسة الحوزوية النجفية بالبحث الخارج، وتلزم الطالب حضور مجالس ودروس كبار المجتهدين من الفقهاء والأصوليين وبها يبلغ الطالب درجة الاجتهاد.

وقد أشار الشيخ محمد رضا المظفر إلى هذه المرحلة من الدراسة بقوله: «تكون هذه المرحلة عادة فيها دورات يتولّاها كبار المجتهدين، ويتدعى المدرّس منهم في دورة أصوليّة أو فقهية يلقيها بشكل محاضرات يومية فيشرح المسألة شرحاً وافياً بعرض الأقوال ومناقشة الآراء فيها»، وصف الشيخ المظفر أهمية هذه الدورات بقوله: «عمق

(١) م. ن ص ١١.

(٢) م. ن ص ١١.

البحث ودقته وسعة أفقه والحرية الكاملة في نقد الآراء ومناقشتها»^(١).

وكان العلامة الشيخ المظفر قد تعرض إلى المرجعية الدينية العليا في مدينة النجف الأشرف بدءاً من القرن الثالث عشر الهجري وحتى عصره فيقول: «حيث ألفت المرجعية العامة للتقليد عصا ترحالها في النجف وذلك بنبوغ المجتهدين الكبيرين السيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء»^(٢)، فقد كشف عن جانب من حياة الشيخ الأكبر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ هـ) وموقفه من الصراع العسكري بين العثمانيين والفرس بقوله: «في أخريات أيام الشيخ جعفر كاشف الغطاء، إذ سافر إلى إيران بقصد إطلاق سراح أسرى جيوش الحكومة العثمانية، بعد موقعة حربية سنة ١٢٢١ توغلت فيها إلى حدود إيران ففشل الجيش العثماني وأسر أكثره، فاستطاع الشيخ كاشف الغطاء ان يقنع شاه إيران فتح علي شاه وابنه مرزا محمد علي قائد الجبهة بالعفو عن الأسرى وإرجاعهم إلى حكومتهم بعد أن فشلت كل الوسائط التي استعملتها الحكومة العثمانية» وأشار إلى جهود الشيخ موسى نجل الشيخ كاشف الغطاء (ت ١٢٤١ هـ) في إنهاء القتال بين الدولتين حتى أنه سمي «مصلح الدولتين» وأطلق عليه الشيخ المظفر لفظ «العظيم»^(٣)، ومن خلال سيرة الشيخ كاشف الغطاء تحدث الشيخ المظفر عن بناء سور النجف لصدهمجهات الوهابية وتدريب شباب النجف على حمل السلاح لحماية مدينتهم، وقد قتل الشيخ محمد حسين شقيق صاحب الجواهر خطأ أثناء التدريب العسكري حتى أصبح «حمل السلاح» والتدريب عليه فرضاً دينياً للدفاع، حتى ألف السيد الجليل صاحب مفتاح الكرامة السيد جواد العاملي المتوفى عام ١٢٢٦ هـ رسالة في وجوب الذب عن النجف، وهو أحد تلامذة كاشف الغطاء المبرزين وأستاذ

(١) المظفر: جامعة النجف الأشرف في جامعة القرويين: ص ١٣.

(٢) م. ن. ص ٩.

(٣) المظفر: ترجمة الشيخ صاحب الجواهر: ص (ز).

صاحب الجواهر.

وأشار الشيخ محمد رضا المظفر إلى بروز جماعتي الشمرت والزكرت في مدينة النجف الأشرف في هذه الفترة، وإلى إكمال بناء السور عام ١٢٢٦ هـ بأموال الصدر الأعظم نظام الدولة جد أسرة آل نظام الدولة النجفية، فصارت النجف بسببه قلعة حصينة لا تستطيع أي قوة في ذلك العصر أن تقتحمها، وبسببه استطاعت أن تقاوم الجيوش البريطانية أكثر من شهر في حصار النجف المعروف سنة ١٣٣٦ هـ^(١).

وقدّم الشيخ المظفر دراسة مستفيضة عن حياة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب «جواهر الكلام» المتوفى عام ١٢٦٦ هـ، ففي عهده ازدادت الهجرة إلى مدينة النجف من أهل العلم زيادة ملحوظة، وانصرف أهل العلم إلى التحصيل والجد والدرس والتدريس والتأليف، فلذلك كان نشاط الحركة العلمية في ذلك العهد إلى القمة، وإلى جانب ذلك نشطت الحركة الأدبية نشاطاً لم تعهده البلاد الإسلامية بعد القرن الخامس الهجري^(٢).

وعقد الشيخ المظفر دراسة لكتاب «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» للشيخ محمد حسن النجفي، وبين أهمية الكتاب بقوله: «والسر في هذا الاقبال على الكتاب يرجع إلى أنه كتاب لم يؤلف مثله في سعتة وإحاطته بأقوال العلماء وأدلتهم ومناقشتها مع بعد نظر وتحقيق»^(٣)، وقال أيضاً: «وهو كتاب كامل في أبواب الفقه كلّها جامع لجميع كتبه، وآنه احتوى على كثير من التفرعات الفقهية النادرة بما قد لا تجده في غيره من الموسوعات الأخرى، فهو جامع لأمّهات المسائل وفروعها»، وذكر الشيخ المظفر أربعين عالماً وفقيهاً من تلاميذ صاحب الجواهر ثم قال: «وكان درس الشيخ

(١) المصدر السابق.

(٢) م. ن.

(٣) م. ن: ص (س).

بالخصوص ملتقى النواذب والمجتهدين من الطلاب، فتخرج على يديه جماعة كبيرة من أعلام الفقه انتشر أكثرهم في البلاد^(١)، ولذلك أصبح عصره مزدهراً بكبار الفقهاء وفطاحل العلماء من أساتذته وأقرانه وتلاميذه ما لم يشهد أي عصر مضى^(٢).

وقد تطرق الشيخ المظفر إلى مرجعية صاحب الجواهر وأهليته لها بقوله: «وقد انتهت إليه الرئاسة العامة والمرجعية في التقليد باستحقاق، فنهض بها خير ما ينهض به المجاهدون العاملون وتفرد بها لا يشاركه مقارن ولا يزاحمه معارض في النجف وخارجها مع وفرة العلماء الكبار في عصره»^(٣).

وقد أصبح الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ) خلفاً للشيخ صاحب الجواهر، فهو وإن لم يكن معدوداً من تلاميذه وإنما كان يحضر درسه في أواخر أيامه تيمناً لا حضور التلميذ المستفيد، هكذا عبر الشيخ المظفر عن صلة الشيخ الأنصاري بالشيخ صاحب الجواهر^(٤).

وكان تقييمه للشيخ الأنصاري نابعاً من تفهم تام لعقليته ومكانته الفكرية فيقول: «إنه حبر الأمة وإمام المحققين الذي أنسى الأولين والآخرين، إذ تجدد على يديه الفقه وأصوله التجدد الأخير، وخطأ بها شوطاً بعيداً قلب فيه المفاهيم العلمية رأساً على عقب»^(٥).

وانتقل بعد ذلك الشيخ المظفر إلى دراسة مدرسة النجف في القرن الرابع الهجري، ووصف مرجعية الإمام السيد حسن الشيرازي المتوفى عام ١٣١٢هـ بالقول: «فصار

(١) المصدر السابق.

(٢) م. ن: ص (ذ).

(٣) م. ن: ص (أ).

(٤) م. ن.

(٥) م. ن: ص (ذ).

الزعيم الديني له من الشأن ما يفوق به الملوك والأمراء»^(١).

وقد جاء تقويم الشيخ المظفر، للإمام السيّد الشيرازي دقيقاً، فقد أشارت بعض المصادر إلى أنّ الأموال التي كانت تجبى إلى الإمام الشيرازي من أقصى الصين وما وراء النهر، فكان ينفقها في وجوهها^(٢).

ولمّا حلّ الغلاء والقحط في مدينة النجف الأشرف في بعض المواسم انبرى الإمام الشيرازي لتخفيف الضائقة عن الناس، فعين لكلّ طرف من أطراف النجف - الواقعة داخل سورها الأخير - وكلّ فئة من سكّانها أناساً يوزعون الحبوب على المحتاجين، واستمر في ذلك حتّى حلّ موسم الحصاد الجديد، وارتفعت الشدّة عن الناس^(٣).

وكانت «مشكلة التباك» من أخطر المشكلات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي عاصرها الإمام الشيرازي، وادى دوراً حاسماً في حلّها، عند إصداره فتوى بتحريم شرب التبن والتباك^(٤)، ولمّا شعر الشاه ناصر الدين القاجاري بخطورة الموقف، وتعاظم الأزمة، اضطر إلى إلغاء الامتياز الذي أعطاه للشركات الإنكليزيّة^(٥).

ويقول الشيخ محمد جواد مغنّية: أنّ مدير الشركة البريطاني سأل كم يملك هذا السيّد من الجيوش والأساطيل؟ فقل له: لا يملك شيئاً، فقال: إنّ هذا لا يمكن مقاومته^(٦).

وأثّما أوردناه من نصوص يسيرة من حياة الإمام السيّد حسن الشيرازي فهي

(١) المظفر: آراء صريحة، ورقة ٢٥.

(٢) الأمين: أعيان الشيعة ٢٣: ٢٦٦.

(٣) الوردي: لمحات اجتماعية ٣: ٨٨.

(٤) م. ٣/ ٩٣، الأمين: أعيان الشيعة ٢٣: ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٥) حرز الدين: معارف الرجال ٢: ٢٣٥.

(٦) مغنّية: مع علماء النجف الأشرف: ص ١٠٩.

مطابقة تماماً مع رأي الشيخ المظفر بالإمام الشيرازي «له من الشأن ما يفوق به الملوك والأمراء».

وقد كشف الشيخ محمد رضا المظفر في «آرائه الصريحة» عن تقويمه الدقيق لبعض مراجع الدين في النجف الأشرف، وكان ذلك جريئاً وصريحاً، ولم تأخذه في الحق لومة لائم، فهو عند حديثه عن الإمام الميرزا محمد حسين النائيني المتوفى عام ١٣٥٥هـ قال: أنه أوثق العلماء عند أهل العلم وأهل الورع والتقوى، ومن الناحية العلمية هو الأول الذي لا يخطر بذهن أحد مساواته بغيره^(١).

وهذا الرأي مطابق بتمامه وكما له مع المصادر التي تناولت الإمام النائيني، فهو صاحب الآراء السديدة في علمي القفه والأصول، وفي الحكمة والفلسفة^(٢)، ويقول السيد محسن الأمين: «وكانت حوزته العلمية كبيرة وبحثه من أكبر مجالس البحث في النجف الأشرف»^(٣).

وبما أن الشيخ النائيني أحد تلاميذ الشيخ الأنصاري، فهو بذلك يعد امتداداً لأفكاره الإصلاحية وآرائه العلمية، وقد أشار الشيخ المظفر إلى ذلك بقوله: «وفي الحقيقة كان الميرزا النائيني يعد فاتحاً مظفراً ومجدداً موصلاً لما انقطع أو كاد من المنهج البحثي للشيخ الأنصاري وهو وتلاميذه يعتزون بهذه الصلة والوصلة العلمية بالشيخ الأنصاري»^(٤).

وقد نافسه في المرجعية الدينية الإمام السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني، المتوفى عام ١٣٦٥هـ، الذي قال عنه الشيخ المظفر: «كان كثير من أهل العلم يشكون في

(١) المظفر: آراء صريحة، ورقة ٢٤.

(٢) شمس الدين: حديث الجامعة النجفية: ص ٣٣.

(٣) الأمين: أعيان الشيعة ٤٤: ٢٨٥.

(٤) المظفر: ترجمة صاحب الجواهر: ص (د).

اجتهاده»^(١).

ولم نجد من بين أهل العلم في النجف الأشرف صريحاً في رأيه ودقيقاً في تقويمه عند الموازنة بين الإمامين النائيين والأصفهاني مثل ما وجدناه عند الشيخ المظفر رحمته، وأنّ العامة من الناس بها حاجة إلى مثل هذه الواقعية عند تقليد الأعلام من المراجع في حالة وجود أكثر من مرجع كبير، وقد تدخل المصالح الشخصية والمنافع المادية في إعلاء شأن، وانخفاض منزلة، وكان الأولى بذوي الخبرة من رجال العلم ابداء الرأي الصريح في الأعلام والأورع والأعدل بالمرجع الديني الأعلى.

وكانت للشيخ محمد رضا المظفر مع فقهاء النجف الأشرف وأدبائها وكتابها مواقف نقدية تتناسب مع مقامهم العلمي والأدبي والاجتماعي، فكان قد وصف الشيخ جواد بن الشيخ علي الجواهري، المتوفى عام ١٣٥٥هـ بالزعيم الموهوب للنجف^(٢).

انطلاقاً من مواقفه الوطنية في ثورة العشرين المديدة واحتلاله موقعاً متميزاً في المجتمع النجفي، يقول الشيخ محمد حرز الدين: إنّه استطاع أن يهيمن على رؤساء النجف ورجال السياسة وبعض المسؤولين الروحانيين في النجف^(٣)، ويقول السيّد محمد علي كمال الدين: إنّه الرجل الغيور على مصلحة النجف^(٤)، وقد رثاه الشيخ المظفر بقصيدة عبّر فيها عن موقعه الديني ومكانته الاجتماعية منها^(٥):

أتاج العلى في أيّ در تفاخر وهيها بعد البحر تصفو الجواهر
وفي أي عين ينظر الشعب رشده وهل بعد فصل الرأس يسلم ناظر

(١) المظفر: آراء صريحة، ورقة ٢٤.

(٢) م. ن.

(٣) حرز الدين: معارف الرجال ١: ٢٠٠.

(٤) كمال الدين: معلومات ومشاهدات: ص ٣٦.

(٥) المظفر: الديوان، ورقة ٩٨.

ومن أي أي تستقيم حياته
فوالهف قومي من خطوب ممضة
وياهف نفسي من حديث إذا جرى
حديث ولكن من شجون حروفه
بمن يرفع الرأس (الغري) ورأسه
طوته على رغم المعالي المقادر

ويبدو أنّ صلة الشيخ محمد رضا المظفر بالشيخ جواد الجواهري كانت وثيقة وعميقة، فقد أشار إليه في كتابه المخطوط «آراء صريحة» ورثاه بقصيدة أثبتتها في ديوانه المخطوط وكتب عنه بحثاً نشره في مجلة «المصباح» النجفية، في الجزء الخامس من المجلد الثاني للسنة الأولى ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦ م.

وتبرز انفعالات الشيخ المظفر بشعره ونثره في رثاء الأعلام النجفيين الذين يرتبط معهم بروابط علمية وأدبية واجتماعية، ومن هؤلاء الشيخ طاهر بن الشيخ عبد علي الحجامي، المتوفى عام ١٣٥٧هـ الذي رثاه بقصيدة منها^(١).

جفّ الغدير فلا زرع ولا ثمر
محافل كن بالإيمان حافلة
وكم مجالس علم زانها أدب
وكم بيوت بإذن الله قد رفعت
قضى الردى أن يبوح الدهر شرته
أرض (الغري) اندي حظاً بلغت به
لا تطمئني لشيء طاب ظاهره
مضت شيو خك وهي الأسديوم علا

والربع أقوى فلا عين ولا أثر
من سامها غير أنّ الحقّ منتحر
مضت ولم يبق إلّا ذكرها العطر
وكان من دونها العيوف والقمر
فيها فيخبو زناد كله شرر
من رفعة العلم ما انقادت له الغير
فالماء بصفو ولكن تحته الكدر
وما انتفعنا بمن من بعدهم زاروا

(١) المظفر: الديوان، ورقة ١٠١.

قد كنت عاصمة الإسلام وانعكست
تلك القضية لولا الذكر والصور
في كل يوم هلال منك منكسف
ضياؤه وظلام الحزن معتكر
مضى وكل فؤاد بعده ألم
منّا وكلّ محب خلفه نظر
مضى فلاحت نقيات مآثره
إنّ الكواكب خلف الشمس تنتشر

ولم يغفل الشيخ في نشره متتديات النجف ومجالسها الأدبية ومناظراتها الفكرية، فقد تركت في نفسه أثراً بعيد الغور، وطالما تأسف لفقدان بعض أحبته الذين كانوا نجوم تلك المجالس العامرة وقد أفصح عن ذلك في قصيدته التي أنشدها في زفاف المشايخ مجيد ومحمد كاظم الشيخ راضي، ومحمد جواد الشيخ صالح الشيخ راضي عام ١٣٤٧ هـ منها^(١).

سر على اليمن يا شباب الغري
تتهادى على الصراط السوي
سر على اليمن حاملاً راية الشـ
-عزلتمثيل دوره الذهبي
خل عن ذكر زينب وسليمي
وطلول من عهد (هي بن بي)
سر على اليمن فالزمان حري
بفتى بالهدى القويم حري
لا تغرّك الزخارف وما
كلّ جديد في العصر بالمرضي

وفي عقد قران زميله في جمعية منتدى النشر الشيخ جواد قسام، أنشد موشحة على طريقة المساجلة بين حمام الكوخ وهزار القصر الأمر الذي يدل على يقظته وحسّه المرفه منها^(٢):

تضاحكت آفاقنا الضاحية
فلاطففتها خطرات النسيم
والحمد لله على العافية
حتّى الربا تزهو بثغر بسيم

(١) المظفر: الديوان، ورقة ١٤٣.

(٢) الآصفي: مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها: ص ٧٠-٧١.

وابتهج الروض بالوانه فانفتقت تضحك أوراده
ودجلة فاض بطغيانه فاستبشرت بالنور بغداده
وغرّد الطير بالحانه فانفلتت تصفق أولاده
لكن بكسر الكوخ في ناحية حمام كوخ في الظلام البهيم
يصرخ في أصواته العالية والطيّر يلهو بالهنا والنعيم

وكان الشيخ المظفر قد رثى بعض أعلام النجف الأشرف بكلمات نابغة من احساساته العميقة، وإفصاح عن مواقفهم العلميّة والاجتماعية كالشيخ عبد الحسين مطر، والشيخ محمد جواد مطر، والسيد جعفر ربيع، وتصدى للدراسة والتمحيص لبعض المؤلفات النجفيّة كبحثه المعنون «على هامش كتاب ماضي النجف وحاضرها»^(١) للشيخ جعفر محبوبة، وكتاب «اليوميّات» للأستاذ جعفر الخليلي^(٢)، وكتب الشيخ المظفر حاشية على «خيارات» كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري، وقام بتحقيق كتاب «جامع السعادات» للشيخ النراقي، وكتاب «تحفة الحكيم» للشيخ محمد حسين الأصفهاني، الذي كان أستاذه الأوّل الذي شهد له بالاجتهاد^(٣)، وقد سار الشيخ المظفر على آراء أستاذه الشيخ محمد حسين الأصفهاني، وجرى على منهاجه في كتابه «أصول الفقه»^(٤) وكان الشيخ المظفر قد تتلمذ على أعلام النجف الأشرف وحصل على إجازات علميّة في الفقه والأصول والفلسفة من بعضهم، وأبرز شيوخه هم^(٥):

-
- (١) مجلة المصباح، الجزء الأوّل، المجلد الثاني، السنة الأولى ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥ م.
 - (٢) مجلة المصباح، الجزء السادس، المجلد الثاني، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦ م.
 - (٣) الأصفى: مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها: ص ٧٤.
 - (٤) الأصفى: مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها: ص ٦٣.
 - (٥) محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ٣ / ١ ق ٣٧٤، الخاقاني: شعراء الغري ٨: ٤٥٢.

١ - الشيخ عبد النبي المظفر.

٢ - الشيخ محمد حسن المظفر.

٣ - الميرزا حسين النائيني.

٤ - الشيخ محمد حسين الأصفهاني.

٥ - الشيخ محمد طه الحويزي.

٦ - الشيخ ضياء الدين العراقي.

٧ - السيّد عبد الهادي الشيرازي.

وقد توسم هؤلاء الأعلام بالشيخ محمد رضا المظفر النبوغ على حداثة سنّه^(١)، ويقول الأستاذ الخليلي: كان الشيخ المظفر يجلس مع الشيخ عباس الشيخ مشكور والسيّد جعفر الكيشوان لتحضير الأرواح، وأخذ يقرأ الكتب التي تتحدث عن هذا الموضوع، وقد ساقته إلى التعمق والتغلغل في دراسة الإلهيات والتصوف ودراسة فلسفة الملأ صدرا وتفهم أسفاره فيها بعد، ولعلّ هذه الميول هي التي جعلته يبحث عن الأسس والأصول الإسلامية^(٢).

أمّا المحور الثاني من هذه الدراسة، الذي أولاه الشيخ محمد رضا المظفر اهتماماً بالغاً هو النهوض بالمدرسة النجفية وتطوير الحركة الإصلاحية في مناهجها الدراسية وأساليب نظمها، فقد انصبت اهتماماته للإصلاح من جهة وبالنهوض من جهة أخرى، وغرضه وصول المدرسة النجفية إلى المستوى العالمي، فقد خطط لإصلاح المنبر الحسيني كـما يؤدي وظيفته الإرشادية وفق أسس علمية رصينة، ولكن هذه الدعوة قد لقيت معارضة شديدة، وكادت الفتنة تقع بين صفوف المجتمع النجفي، وقد أوضح الشيخ

(١) حرز الدين: معارف الرجال ٢: ٢٤٧.

(٢) الخليلي: هكذا عرفتهم ٢: ١٨-١٩.

المظفر أبعادها بقوله: «الإختلاف على تحريم بعض الشعائر الحسينيّة فحدثت فتنان، فئة سُمّيت (الأموية) وعلى رأسها كان السيّد أبو الحسن تأييداً لرأي السيّد محسن الأمين في الشام، وفئة سُمّيت (الحسينيّة) كان يمثلها من العلماء ميرزا حسين النائيني، والشيخ عبدالله المامقاني، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وأمثالهم من العلماء تأييداً لرأي الشيخ عبد الحسين صادق بجبل عامل، والفتنة كانت على أشدها بين الفئتين، وألفت لذلك عدّة مؤلفات ثائرة صاحبة»^(١).

وقد مضى الشيخ المظفر وصحبه من أعضاء جمعية متدى النشر في المشروع الإصلاحي ففي عام ١٣٦٣هـ تأسست كليّة «الوعظ والإرشاد» وكانت تستهدف تهذيب الخطباء وتنزيه المنبر الحسيني الموضوع من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وألفت لجنة لهذا الغرض برئاسة الخطيب الكبير الشيخ محمد علي قسام وعضوية كلّ من:

- ١ - السيّد جواد شبّر.
- ٢ - السيّد حسن الشخص.
- ٣ - السيّد حسن اليعسوبي.
- ٤ - السيّد عبد الأمير الأعرجي.
- ٥ - الشيخ عبد الرضا شريف.
- ٦ - السيّد عبد الحسين الحجار.
- ٧ - الشيخ عبد الهادي الأسدي.
- ٨ - الشيخ محمد جواد قسام.

(١) المظفر: آراء صريحة ورقة ٣٧.

٩ - الشيخ محمد سعيد مانع.

١٠ - الشيخ مسلم الجابري.

وكان الشيخ محمد الشريعة أحد أعضاء جمعية منتدى النشر من أكثر الأعضاء إيماناً بهذه الفكرة الإصلاحية وأجرئهم في الصرخة لإعداد خطباء تتوفر فيهم شروط الخطابة^(١)، وقد عهدت لهذه اللجنة وضع المناهج السليمة وقد تمّ فعلاً فتح الصف التجريبي، ولكن لم يمض شهر واحد على فتح هذا الصف حتّى ثارت الثائرة، وألصقت التهم الباطلة ضدّ اللجنة المشرفة، فما كان من الشيخ المظفر وزملائه إلّا الإسراع على إلغاء المشروع، ولكن هذه الانتكاسة لم تثن الشيخ المظفر في المضي بإنجاز مشاريعه الإصلاحية بنفس مطمئنة، شديدة الإيمان في تنفيذ مشاريع جمعية منتدى النشر التي أقدم على تأسيسها عام ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥ م مع نخبة من أعلام الفكر والعلم في النجف وهم:

١ - الشيخ عبد الهادي حموزي.

٢ - الشيخ جواد قسام.

٣ - السيّد محمد علي الحكيم.

٤ - السيّد يوسف الحكيم.

٥ - السيّد موسى بحر العلوم.

٦ - السيّد هادي فيّاض.

وفي الإنتخابات التي جرت في الجمعية عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٦ م تولى الشيخ محمد رضا المظفر وظيفة «الكاتب العام» في الجمعية، وفي عام ١٩٣٨ م أصبح «معتد الجمعية»

(١) الخليلي: هكذا عرفتهم ١: ٢٤٥.

وعند ذلك وضع خطة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية أو كلية للاجتهد، يدرس فيها الفقه الاستدلالي والتفسير وعلم الأصول والفلسفة وكان يسانده في مشروعه هذا علما كباران هما^(١):

١ - الشيخ عبد الحسين الحلي.

٢ - الشيخ عبد الحسين الرشتي.

وأخذت منتدى النشر تسير في خطواتها الاصلاحية بصورة هادئة، بعيدة عن الإثارة والإستفزاز، ففي عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩ م تشكلت لجنة الخطابة من الأعلام:

١ - الشيخ محمد رضا المظفر.

٢ - السيد هادي فياض.

٣ - الشيخ محمد الشيخ راضي.

٤ - الشيخ عبد الرضا صادق.

وبقي الشيخ المظفر يتابع أعمال الجمعية ومؤسساتها الثقافية الأخرى بصفته «المعتمد العام» لها في دوراتها الانتخابية المتعاقبة حتى وفاته رحمته الله عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤ م.

وكان الشيخ المظفر في فترة رئاسته لجمعية منتدى النشر يخطط لتأسيس «كلية الفقه»، وفتح فروعاً للجمعية في الكاظمية والبصرة والحلة وكربلاء، وفتح المدارس الابتدائية والثانوية في النجف وغيرها من المدن على وفق الخط الاصلاحى الذي تبنته الجمعية وذلك لتلافي النقص الحاصل في المدرسة النجفية، والسعي لتعميم الثقافة الإسلامية بوساطة النشر والتأليف وغيرها من الطرق المشروعة الصحيحة^(٢)، وقد أوضح التقرير العام للجمعية الذي أعدّه الأستاذ السيد محمد تقي الحكيم عام

(١) الأصفى: مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها: ص ١٢٧.

(٢) الدليل الرسمي لعام ١٩٣٦: ص ٨٣١.

١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م أهداف الجمعية ومشاريعها العلمية والثقافية^(١).

وقد أعدت جمعية منتدى النشر مشاريع علمية نقلت فيها واقع النجف إلى مستوى أرحب وأسهم فيها أعلام حوزويون وجامعيون، وتألفت لجان علمية عديدة لإدارة هذه المشاريع وهي:

١ - لجنة المجمع الثقافي والديني.

٢ - لجنة الوعظ والخطابة.

٣ - لجنة تأخي الطلاب.

وكانت لجنة المجمع الثقافي والديني منذ تأسيسها عام ١٣٦٣هـ قد أخذت على عاتقها رفع المستوى العلمي والثقافي عن طريق النشر وإلقاء المحاضرات، وقد تولى رئاستها الشيخ محمد حسين المظفر، وعضوية كل من: السيد محمد جمال الهاشمي، والشيخ محمد صادق القاموسي، والشيخ محمد سعيد مانع^(٢)، وأخذت هذه اللجنة تعقد الاجتماعات الأسبوعية فتلقى فيها المحاضرات العلمية والثقافية والفكرية ومنها انبثقت أربع أسر علمية هي:

١ - أسرة التحقيق والنقد.

٢ - أسرة الأدب.

٣ - أسرة المكتبة.

٤ - أسرة النشر.

ومنذ عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م انتظمت أعمال المجمع الثقافي والديني، وقد شارك

(١) الحكيم: التقرير العام لجمعية منتدى النشر بعد حلّها: ص ٩٧.

(٢) جريدة الهاتف، العدد (٣٦٩) السنة العاشرة ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م.

في أعماله هذه الشيخ محمد رضا المظفر، والسيد محمد تقي الحكيم، والسيد محمد جمال الهاشمي، والسيد عبد الحسين الحجار، والشيخ عبدالله السبتي، والسيد جواد شبر^(١)، وأقام هذا المجمع مهرجاناً فكرياً كبيراً بعنوان «أسبوع الإمام» وقد خصّص لاستشهاد الإمام علي عليه السلام، وكان مهرجاناً منقطع النظير^(٢).

أما لجنة «الوعظ والخطابة» فقد أشرنا إلى أهدافها ومؤسساتها، وكان غرضها تهذيب ناشئة الخطباء وتثقيفهم، وقد فتح صف خاص لهؤلاء لتدريس الفقه وعلوم العربية وأصول الدين وعلم الحديث، وكان من ثمار هذه اللجنة من الخطباء العصريين الشيخ أحمد الوائلي، والسيد جواد شبر^(٣).

وأما لجنة «تأخي الطلاب» فقد تألفت من الطلبة النابهين في كلية متدى النشر، وبإشراف أساتذة الكلية والجامعة، وكان هدفها مراقبة النشاط العلمي والثقافي للطلاب، وبث الروح العلمية في نفوسهم، وقد أصدرت هذه اللجنة نشرة مدرسية أطلق عليها اسم «البذرة»، ولعل أبرز أعمال جمعية متدى النشر ولجانها الثقافية والعلمية تحقيق العاملين الكبارين وهما:

١ - كلية متدى النشر.

٢ - كلية الفقه.

عدّ تأسيس كلية متدى النشر خطوة كبيرة في تاريخ النجف العلمي، لأنها جمعت بين الدراسة الحوزوية النجفية، والدراسة الجامعية الحديثة، ويقول الشيخ علي الشريقي: «وأني لأتشوف في صفوف مدرسة متدى النشر بعض الطلائع المبشرة بإنقلاب المنهج

(١) مجلّة البذرة، العدد السادس، السنة الثانية، والعدد السابع، السنة الثالثة.

(٢) الأصفى: مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها: ص ١٣٥.

(٣) الخليلي: هكذا عرفتهم ١: ٢٤٥.

ووضع الأساس الرصين للنهضة الأدبية اللائقة بالنجف وتأريخها»^(١).

وأشار الشيخ محمد رضا المظفر إلى أهمية هذه الكلية وأبعادها المستقبلية بالقول: «رأينا أن الوقت مناسب لفتح المدرسة وتطبيق النظام على الدراسة الدينية، فنهضنا نهضة واحدة، وإذا الناس معنا أكثرهم حتى جماعة من العلماء الأعلام فأدخلوا أولادهم، وإذا المدرسة تضم (١٥٠ طالباً دينياً) في ثلاثة صفوف أكثرهم من بيوتات النجف العلمية الشهيرة»^(٢) وكان الصف الأول في كلية منتدى النشر قد فتح عام ١٩٣٨ م، وقد خصص لدراسة علوم اللغة العربية والمعارف الدينية^(٣)، وأصبح لطلاب الكلية نشاط ثقافي في ليلة الخميس من كل أسبوع بتوجيه من أستاذ الكلية، إذ يلقي أحد الطلبة بحثاً علمياً ومن ثم تبدأ مناقشته^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ محمد رضا المظفر على الرغم من رعايته لكلية منتدى النشر، وتحمسه الكبير في إبرازها، كان قد أعدّ داره مكاناً لتدريس الفقه والأصول والفلسفة والمنطق، ويحضر حلقاته الدراسية جماعة من طلاب العلم لدراسة الأسفار الأربعة في الفلسفة، وكان قد استرسل في ميدان الفلسفة حتى استمكن من علمها، لذا تطغى الروح الفلسفية على أسلوبه مهما كانت نوعية الكتابة^(٥).

وقد مهدت «كلية منتدى النشر» إلى تخطيط جامعي أوسع، وضع أسسه الشيخ محمد رضا المظفر، وكانت بداياته الأولى «كلية الفقه» التي تأسست عام ١٩٥٨ م، وقد

(١) الشرقي: الأحلام: ص ٤٨.

(٢) المظفر: (منتدى النشر) بحث في مجلة العرفان، الجزء الثامن والتاسع، المجلد (٢٩) لسنة

١٣٥٨ هـ / ١٩٤٠ م.

(٣) مجلة الاعتدال، العدد العاشر، السنة الرابعة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م.

(٤) مجلة البذرة، العدد الأول، السنة الثانية ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م.

(٥) الناهي: دراسات أدبية ١: ١٢٩.

أوضح الشيخ المظفر أهدافها بقوله:

«لتخريج طلاب لهم الاستعداد الكافي لحضور مجالس دروس كبار المجتهدين بالإضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الدين الإسلامي وتبليغ مبادئه بمنابرهم وأقلامهم»^(١)، وقد أراد أن تكون جمعية منتدى النشر ومؤسساتها الجامعية والثقافية منابر لا يصال صوت النجف الأشرف إلى العالم، وقد أشارت الرسالة التي بعثها الشيخ علي الشراقي إلى الشيخ محمد رضا المظفر في ٢٥ / ٨ / ١٩٥٥ إلى هذه الحقيقة بقوله: إنَّ منتدى النشر هي «أزهر العراق» وقد أقيمت أركانه معتمداً على الباعثين المجددين^(٢).

وقد اعترفت وزارة المعارف العراقية بكلية الفقه، وعدت شهادتها عالية على نحو الكليات العراقية الإنسانية التي تمنح شهادة «البكالوريوس» في الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وقد تولى الشيخ المظفر عمادة كلية الفقه حتى وفاته عام ١٩٦٤ م، إضافة إلى رئاسته لجمعية منتدى النشر، وقد كانت مؤهلات الشيخ المظفر العلمية الواسعة قد أوصلته إلى عضوية المجمع العلمي العراقي عام ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م^(٣).

وقد مثل مدرسة النجف في المؤتمرات العالمية، فحضر الاحتفال الدولي الكبير الذي عقد في باكستان بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على مولد الإمام علي عليه السلام عام ١٩٥٧ م، واحتفالات جامعة القرويين في مدينة فاس المغربية عام ١٩٦٠ م، وأجرى حواراً مع الدكتور أحمد أمين ودعا فيه إلى إقامة مؤتمر إسلامي للتقريب بين المذاهب، وقد نشر الحوار على صفحات مجلة الرسالة المصرية^(٤).

وكان الشيخ المظفر في لقاءاته الشخصية وبحوثه العلمية يبرز دور النجف العلمي

(١) المظفر: جامعة النجف في جامعة القرويين: ص ١٢.

(٢) أحتفظ بهذه الرسالة الخطية في خزانه كتيبي.

(٣) الأصفى: مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها: ص ٧٤.

(٤) الخاقاني: شعراء الغري ٨: ٤٧٨.

ورسالتها الإسلامية العالمية، ففي برقيته التي رفعها للمسؤولين المصريين عام ١٩٥٦ م، مستنكراً العدوان الثلاثي الآثم على مصر الشقيقة كانت باسم «محافل النجف الأشرف» وقد جاء فيها: «محافل النجف الأشرف تعج صارخة إليه تعالى بدعائها لإنقاذ مصر المسلمة وتبتهل إليه أن يأخذ بناصركم ويرفع لواءكم والقلوب تقطر دماً من الإعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشية أعداء الإسلام والإنسانية، والمسلمون في جميع البلاد يد واحدة في شدّ أزركم»^(١).

وكان الشيخ المظفر على الصعيد المحلي يمثل النجف وأعلامها ومؤسساتها العلمية والثقافية، فهو في أثناء المدّ الشعبي الشيوعي الذي اجتاحت العراق بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ م، انبرى مع جمع من الأعلام إلى تأسيس «جماعة العلماء» في محاولة لإيقاف التيار الالحادي، ونشر الكتب وإقامة الاحتفالات الإسلامية لتوعية الناس إلى أهمية الإسلام ومبادئه السامية، وكان الشيخ المظفر قد أحتج مع علماء النجف على تشريع قانون الأحوال الشخصية الذي اصطدمت بنوده مع تعاليم الدين الإسلامي ونصوص القرآن الكريم، وقد أعدّ تقريراً مفصلاً باسم «كلية الفقه» رفعه للجهات الحكومية المسؤولة، شرح فيه أوجه الاختلاف بين مواد قانون الأحوال الشخصية والدستور الإسلامي^(٢).

وكان الشيخ محمد رضا المظفر قد تناول في كتبه وبحوثه ودراساته مختلف فروع المعرفة، ولكنّه خصص جزءاً منها لمدينة النجف الأشرف، وقد نشر بعض بحوثه في جريدة «الهاتف» للأستاذ جعفر الخليلي، وفي مجلة «النجف» للسيد هادي فيّاض، ومجلة «المصباح» للسيد محمد صالح بحر العلوم، ومجلة «الدليل» للشيخ هادي الأسدي، ومجلة

(١) الأصفى: مدرسة النجف: ص ٨٨.

(٢) الأصفى: مدرسة النجف: ص ٩٢.

«الحضارة» للشيخ محمد حسن الصوري، عدا بحوثه الأخرى التي نشرها في المجلات العراقية والعربية، وكانت صحف النجف ومجلاتها قد احتلت القسم الأكبر من تراث الشيخ محمد رضا المظفر، وكانت له مع الدكتور مصطفى جواد «حوارية» حول كلمة «فوضى» نشرت على صفحات جريدة الهاتف^(١)، وكان من رأي الشيخ المظفر أنه لا يجوز دخول الألف واللام على كلمة «فوضى» بينما يرى الدكتور مصطفى جواد جواز ذلك، وقد استلزم هذا الموضوع الأخذ والرد على صفحات جريدة الهاتف، وبعد مناقشات طويلة، طلب الشيخ المظفر من الدكتور مصطفى جواد أن يأتيه بالنصوص والدلائل التي قبلت دخول الألف واللام على «فوضى» فأجابته الدكتور مصطفى جواد بما مضمونه أنه إنما يرى الجواز بمقتضى ما يستطيعه اجتهاداً، وهنا استراح الشيخ المظفر وقال: لم تَقُلْ يا سيدي أنك ترى هذا الرأي بداعي الاجتهاد لأوفر لنفسي مشقة الأخذ والرد منذ الساعة الأولى^(٢).

وهكذا كان العلامة الراحل الشيخ محمد رضا المظفر نجفياً في كتاباته وآرائه ومناظراته فهو يصوّر خصائص المدرسة النجفية بدقّة، ويبرز معالمها الفكرية على جميع الأصعدة، وقد أشاد أعلام الفقه واللغة والتاريخ والفلسفة بفكره وعلومه في الحفلة الأربعينية الكبرى التي أقيمت في جامعة النجف الدينية التي شارك فيها أساتذة جامعة بغداد، وسفير المغرب، وممثل دار التقريب الإسلامية في القاهرة، وجمع من أدباء وشعراء النجف وبغداد وبيروت^(٣)، وحينما يقيم أئمة الأدباء والكتاب في النجف هذه الحفلة الاستذكارية يوم ٤ / ٤ / ١٩٩٧ تميّناً وتكريماً لجهود ابن النجف ومحبي آثارها وتراثها العلامة الكبير الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله تعالى وأسكنه الفسيح من جنّاته.

(١) جريدة الهاتف، العدد (٢٨١) السنة السابعة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١ م.

(٢) الأصفى: مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها: ص ٧٥.

(٣) مجلة الإبيان، العددان الخامس والسادس، السنة الأولى ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤ م.

مصادر البحث ومراجعته :

أولاً: المخطوط

الشرقي: الشيخ علي

١ - رسالة خطيّة من الشيخ علي الشرقي إلى الشيخ محمّد رضا المظفر، في خزانة كتبي.

المظفر: الشيخ محمّد رضا

٢ - آراء صريحة، مخطوطة مصورة في خزانة كتبي.

٣ - ديوان المظفر، مخطوط في مكتبة الشيخ عبد الحسن الغراوي.

ثانياً: المطبوعات

الأصفى: محمّد مهدي

٤ - مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها، مطبعة النعمان / النجف الأشرف.

الأمين: السيّد محسن العاملي (ت ١٣٧١هـ)

٥ - أعيان الشيعة، مطابع الانتقان والانصاف / بيروت ومطابع ابن زيدون والترقي / دمشق

البراقى: حسين أحمد النجفي (ت ١٣٢٢هـ)

٦ - تاريخ الكوفة، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م.

حرز الدين: الشيخ محمد

٧ - معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء / مطبعة الآداب / النجف ١٣٨٣هـ

/ ١٩٦٤ م.

الحكيم: السيّد محمد تقي

٨ - التقرير العام لجمعية منتدى النشر بعد حلها / مطبعة النجف ١٣٧٤ هـ /

١٩٥٥ م.

الخاقاني: علي

٩ - شعراء الغري أو النجفيات، المطبعة الحيدرية / النجف ١٣٧٣ - ١٣٧٦ هـ /

١٩٥٤ - ١٩٥٦ م.

الخليلي: جعفر

١٠ - هكذا عرفتهم، مطبعة الزهراء والتعارف / بغداد ١٩٦٣ - ١٩٦٨ م.

الشرقي: الشيخ علي

١١ - الأحلام، شركة الطبع والنشر الأهلية / بغداد / الطبعة الأولى ١٩٦٣.

شمس الدين: الشيخ محمد رضا

١٢ - حديث الجامعة النجفية، المطبعة العلمية / النجف الأشرف ١٣٧٣ هـ /

١٩٥٣ م.

ابن طاووس: غياث الدين عبد الكريم (٦٩٣ هـ)

١٣ - فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في النجف،

المطبعة الحيدرية / النجف، الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ.

كمال الدين: السيّد محمد علي.

١٤ - معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ م.

محبوبة: الشيخ جعفر الشيخ باقر (ت ١٣٧٧ هـ)

١٥ - ماضي النجف وحاضرها، مطبعة الآداب / النجف الأشرف، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨ م.

المظفر: الشيخ محمد رضا

١٦ - جامعة النجف في جامعة القرويين، مطبعة الآداب / النجف الأشرف ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م.

مغنية: الشيخ محمد جواد

١٧ - مع علماء النجف الأشرف، مطبعة غنم / بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٠ م
المملكة العراقية.

١٨ - دليل المملكة العراقية ١٩٣٥ - ١٩٣٦، مطبعة الأمين / بغداد ١٩٣٥
ناجي معروف: (الدكتور)

١٩ - علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد / بغداد،
الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م.

النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)

٢٠ - الرجال، مطبعة مصطفى.

الناهي: غال

٢١ - دراسات أدبية، مطبعة دار النشر والتأليف / النجف ١٣٧٣هـ / ١٩٥٠ م.

الوردي: الدكتور علي

٢٢ - لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطابع الإرشاد والشعب
والأديب والمعارف / بغداد ١٩٦٩ - ١٩٧٦ م.

ثالثاً: البحوث والمقالات

المظفر: الشيخ محمد رضا

٢٣ - (الشيخ محمد بن الحسن الطوسي مؤسس جامعة النجف)، مجلة النجف
الأعداد (٤، ٥، ٦، ٧)، السنة الثانية ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.

٢٤ - (على هامش كتاب ماضي النجف وحاضرها)، مجلة المصباح، الجزء الأول
/ المجلد الثاني، السنة الأولى ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م.

٢٥ - (متن الشرح) مجلة العرفان، الجزء الثامن والتاسع، المجلد (٢٩) لسنة
١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م.

٢٦ - (اليوميات) مجلة المصباح، المجلد الثاني ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.

ذكرىات المظفر في جامعة القرويين

بقلم الدكتور عبد الهادي التازي

سفير المغرب ببغداد

وبعد، فقد وصلني كتاب منكم كريم... يحمل الدعوة للاسهام في رثاء سماحة الأخ الشيخ محمد رضا المظفر... وهي دعوة بارّة إلى عمل بار، من أجل مجاهد بار، في أرض البررة.

لقد عرفته فعلاً هناك في أرض المغرب، كان لقاء لأول مرّة، وتعلمون أنّ المرء يحتفظ في أول حديثه إلى المرء بذكرىات لا تنسى... لأنّ الحديث الأول هو كلّ شيء... وقديماً قالوا: «تكلّموا تعرفوا» وقد قدرت من أول يوم المغفور له... لماذا لأنّ أول مزية برزت لي فيه كانت مزية الصراحة النادرة، ثمّ كانت المزية الثانية اعتزازه بالنجف، هذا الحصن الحصين الذي يرباط على تراثنا الإسلامي هنا.

إنّ جامعة القرويين - بالنسبة إلينا نحن المغاربة على الأقل - تعتبر الكنز الوحيد والذخر العظيم، والملاذ الأكبر لكلّ حضارتنا ولكلّ ثقافتنا، ولكلّ ما قد يعزى من خير وطيب، وإنّ اشعاعها حقّاً عمّ الجبل والكوخ، وانساب في الوهاد والشعاب يطهرها من أدران الجهالة والعماية، ويخلصها من شرور الفتنة والغواية، وإنّ الذي زاد في قيمة هذه الجامعة التي نسمّيها اجامعة القرويين أنّها عريقة في التاريخ، أثيلة في المجد، أصيلة في النشأة، لقد أسست في أواسط القرن الثالث الهجري، وظلّت منذ يومها الأول كعبة لعلماء الشرق وعلماء الأندلس، حتّى قيل: «إنّ العلم كقمح نتج بالمدينة وصفى ببغداد، وطحن بالقيروان وغربل بقرطبة وأكل بفاس» يعني بفاس حيث توجد جامعة القرويين.

وقد أخذت اسمها هذا «القرويين» من أن المنشئ لها أوّل الأمر كان - فيما يذكر المؤرخ ابن أبي زرع - هو السيّد فاطمة القيروانيّة التي شاءت أن تخصص للمهاجرين من القيروان إلى مدينة فاس هذا الجامع الذي يحمل حروف القيروان ومعاني القيروان. هذه الجامعة كلّها وهذا التاريخ كلّ... كان غير معروف أو يكاد، بين ظهرائي أخواننا في النجف الأشرف... لماذا؟ لأنّ بعد الشقّة من جهة، ودأب الاستعمار على تغذية القطيعة بين الشرق والغرب من جهة ثانية، جعلتنا في المغرب محرومين من أنوار النجف، وجعلت أخواننا هنا في المشرق لا يتوفرون على المعلومات المفصّلة عن بلاد تربطهم بها أكثر من أصرة! وأوفر من خاطرة!

كنّا ننتظر من كلّ الخطباء أن يقوموا فينا مشيدين بماضي جامعة فاس وبما حققته للإسلام والعروبة.... كأنّه لا يوجد في الدنيا غير جامعة فاس!.. لكن المغفور له الشيخ رضا المظفر انتصب ليقول لنا في صراحة نادرة: «نحن لا نعرف شيئاً عن جامعتكم... بل أنّ فينا من لم يسمع بصداها ولا باسمها!» وزاد يقول: «وما أظنّ أنّ جامعة النجف أكثر خطأً من جامعة القرويين عندكم يا أهل المغرب».

فعلاً كنّا بعيدين عن النجف، وكان النجف بعيداً عنّا، ولهذا تصدى الشيخ رضا ليحمل حملة شعواء على القطيعة التي كانت مضرّبة علينا وعليكم، وقد فضّل أن لا يقول شيئاً عن القرويين لأنّه كان لا يقنع بترديد المعلومات المبتذلة عنها، ولكنّه كان يريدنا معرفة كاملة شاملة.

وقد كانت هذه التذكرة من أستاذنا تذكرة نافذة عن قلب مؤمن بما تملّيه عليه صراحته وما يوحى به إيمانه، ولذلك فقد تلقّيناها، ولو أنّها كانت مرّة، تلقيناها بغاية الرضى، ولم يسعنا غير ذلك لأنّا فعلاً كنّا يجهل بعضنا بعضاً وقد قال جلاله المغفور له محمّد الخامس في حديث له أثناء المهرجان المخصص لعيد جامعة القرويين قال: «اننا لم

نقم بالذكرى فقط من أجل التعريف بالقرويين كذلك من أجل التعريف بأخواتها في سائر أطراف البلاد الإسلامية، لأنّ تلك الجامعات كلّها كانت حصوناً للعلم تتبادل المشورة، وتتبادل المعرفة وتتبادل المناصرة».

لأجل ذلك فقد أبى سماحة الشيخ رضا المظفر إلّا أن يغتنم فرصة الذكرى ليعطينا نظرة صادقة ومدققة عن جامعة النجف الأشرف، كان الجمهور يستمع إليها في كثير من العناية، لأنّها دلّت على مزيته الثانية، لقد كان هو عمدة المغرب حقّاً في التعريف بهذا البدل الطيّب... وبجامعتها وبرجالها... وقد بقيت صورته ماثلة أمامي كلّما استعرضت مناهل العلم والمعرفة في العالم الإسلامي.

وقد أسعدني الله فوردت رسولاً للمغرب في العراق، وكان في أبرز ما كنت اعتزمته - وقد أعرقت - أن أصل رحم القريبى مع أخوة من العراق عرفت فيهم مثال العلم والصيانة، والمقدرة والدراية... وقد تلقيت أول ما وصلت إلى بغداد رسالة من الشيخ المظفر يدعوني فيها لزيارة النجف... وقد قدر الله أن لا أزورها إلّا في لمحة عابرة ونحن نقوم بتدشين المدرسة، وافترقنا على موعد، لكنّ قضاء الله كان أقوى وكان أعظم، فعزاء لنا جميعاً... أيها الأخ وحسبي أنني تعرفت على عنصر من عناصر الخير هنا... وأسفي أنني تعرفت عليه في لقاء قصير، وماذا تكون هذه الدنيا إلّا لمحات عابرة... ومجازات قصيرة.

حضرة الأخ

اسمحوا لي إذا لم ألّب رغبتكم كلّها فأنتم تعلمون مشاغلي وتكاليفي، لكن الظنّ فيكم جميل أن تغفروا لي هذا التقصير، وإلى الله المصير...

عبد الهادي التازي

المظفر ودار التقريب

كلمة دار التقريب

بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة

أيها الأخوة الأفاضل:

إنّ (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) لتشارككم بالروح في حفلكم هذا، الذي أقمتموه تقديراً لذكرى رجل من كبار أهل الدين والعلم، جاهد في الله حقّ الجهاد، بفكره وقلمه، وعلمه وعمله، وما كان يمثلُه من قدوة صالحة للشباب المؤمن، يوم كان شاباً، ومن أخوة صادقة مخلصة، لزملائه في العلم والدين، يوم كان كهلاً، حتّى رفعه الله إليه كما يرفع عباده الصالحين، راضياً مرضياً، ظافراً مظفراً، ندي الذكر، خالد الأثر، مشكوراً من الله ومن المؤمنين.

إنّ المغفور له، أخانا آية الله العلامة الشيخ محمد رضا المظفر كان شعلة متوقدة في الذكاء، والعلم، والثابرة، وكان قسماً وهاجاً في ميادين العمل الصالح، والسعي الحميد، فيما ينفع المؤمنين، وكان من أعزّ أمانيه أن يلتقي المسلمون على مبدأ التفاهم والمودة والأخوة في الله، وأن ينزعوا لباس العصبية المذهبية، ويرتدوا رداء المنصفين الطالبين للحق، المذعنين للحجّة، النازلين على حكم الله من أي طريق وصل إليهم، ولذلك كان من السابقين الأوّلين في اعتناق فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، ومؤازرة دعوتها، والاتصال بأقطابها.

ولقد كانت حياته خيراً وبركة على المسلمين، في كلّ جانب من جوانب نشاطه وسعيه الموفق، ولا سيّما تأسيسه لجمعية منتدى النشر وكلية الفقه، وتفرغه على خدمتها وتثبيت أركانها، قرابة ثلاثة عقود من عمره المبارك، ولسوف يبقى هذان الأثران الطيبان

النافعان، ما بقيت عقول تفكر، وقلوب بالإيمان تحفق، ووعي وإدراك عميق لما ينبغي أن يقوم عليه أمير المؤمنين، وما به تصلح شؤونهم.

إن «جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية» لتعزّز بكلّ جهد يبذل، في سبيل التنوير والتبصير، لأنّ الحقائق كلّها وضحت، التقت عليها العقول، والتفت حولها القلوب، وإنّما لتعلم، أنّ كثيراً من الخلافات، التي مني بها المسلمون باصطلاء نيرانها، ترجع إلى الجهل بالحقائق، أو غموضها في أذهان الناس، ومن هنا كنا دائماً نرقب بارتياح ما يقوم به الفقيد العظيم، من جهود مشكورة في تطوير الدراسات المتبعة لدى الحوزة العلمية في النجف الأشرف، واثقين بأنّ ذلك سيعود بأطيب الثمرات في تقريب العلم، وتيسير الإدراك والفهم، وتأليف القلوب حول كلمة الحقّ.

إنّ الإسلام لم ينتصر بشيء كما انتصر بالوضوح، ولم يعز ولم تعل كلمته إلاّ باعزازه للعلم، وإعلائه لكلمته، ولو كان في الإسلام غموض لران على القلوب والعقول من ذلك الغموض، سواد وظلام، ولكن الله تعالى أنزله نوراً وضياءً، وبرهاناً تطمئن به القلوب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(١) ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢).

وإنّ سنة التقريب لسنة الإسلام: قصاره أن يشرح ويوضح، ويضيء الطريق للسالكين، ويزيل الحجب عن أعين الناظرين، ويحمي العقول من جمود المتعصّبين، ويدعو إلى الانصاف في الحكم، والتثبت قبل ابداء الرأي، والتشاور بين أهل العلم، والاجتماع على موائد المعرفة، وتذوق ألوانها حيثما تيسرت.

وإذن فمتمتدى النشر من روح التقريب، لأنّه من روح الإسلام، وكلية الفقه من

(١) النساء: ١٧٤.

(٢) الحديد: ٩.

سبل التقريب، لأنها موطن واع من مواطن دراسة نظام الإسلام للحياة، ولقد كنّا هنا نطور دراسة الفقه في كليّة الشريعة في جامعة الأزهر، وكان الفقيد يطور دراسة الفقه في كليّة الفقه بالنجف، فالتقينا -بتوفيق من الله- على هذا الأمل الموحد، وخطونا إليه أهم الخطوات، وما زال علينا جميعاً أن نخطو خطوات أخرى مباركات بإذن الله، وإنّا على الطريق لسائرون.

ولقد أدرك الفقيد العظيم ما أدركنّا، من أنّ أعداء الإسلام والمسلمين، ينظرون إلى قوّتين أصيلتين، يعملون على سلبهما من أصحابهما: القوة الطبيعيّة فيما للمسلمين من ثروات وكنوز و ذخائر أرضيّة، والقوة المعنوية فيما لديهم من روح أصيل، مبعثه دين الفطرة والصفاء، والحنيفية البيضاء، التي ليلها كنهارها في الوضوح والجلاء، فلا التواء فيها ينكره العقل، ولا خفاء يستريب به الفكر، ولا قصور عن مواجهة الحياة بكلّ ما يصلح لها ويصلحها، فإذا وجدناهم يحرصون على استلاب كنوزنا الطبيعيّة، و ذخائرنا الأرضيّة، ليغنوا بإفقارنا، ويترفهوا على حساب يؤسنا، فلنبعلم أنّهم أيضاً حرصون على أن يشغلونا بخلافاتنا عن أصول ديننا، ووحدّة أمتنا، وعلى أن يزلزلونا بذلك عن مثلنا، التي فيها حصانتنا، ومنابع قوتنا.

وآية ذلك، أنّنا نراهم يدعون فيما بينهم إلى التقارب، وهم المختلفون في الدين، المتفرقون في الأصول، بينما يعملون على إثارة الأحقاد بيننا، وإحياء النعرات والعصبيات بين طوائفنا، التي تتفق في الأصول اتفاقاً واضحاً، ولا تختلف إلّا في الفروع، اختلافاً طبعيّاً هو سنّة الله في أصحاب العقول وأرباب التفكير.

ولقد سبقناهم بحمد الله فدعونا إلى التقريب بين المسلمين منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً، ولم يكن أحد من أهل الغرب يفكر في مثله بين طوائفهم، فضلاً عن أن يعمل له، وها هم أولاء يدركون الآن أنّ التقارب والتكتل هو سرّ النجاح والتقدم،

فناهم يدعون إلى المؤتمرات، ويحاولون التوحد بالقرارات، والنداءات، والاتفاقات، وما نحسبهم بالذين يلاقون من النجاح، ما لاقيناه نحن الذين دعونا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، ذلك بأننا ندعو إلى شيء واقعي في ديننا، يدعو إليه كتاب ربنا، وينادي به رسولنا، وتتوحد عليه عقيدتنا، وأصول ملتنا، أمّا هم فالخلاف بينهم أصلي جوهري لا يمكن حسمه، ولا درء آثاره، وشتان بين الطبع والتطبع، والجمال والتجمل! على مبدأ التقريب، ودعوة الوحدة، تلاقت قلوبنا وأفكارنا، وبهذا الإيمان والثبات، جاهدنا وجاهد معنا فقيدنا المظفر طيّب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه، وأحسن جزاءه مع الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، وأغفر لنا وله إنّك أنت الغفور الرحيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دار التقريب

بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة

الشيخ المظفر ومنتدى النشر

بقلم السيّد هادي فياض

نائب رئيس منتدى النشر

لم تكن فكرة منتدى النشر في تأسيسه لتوجيه النشر الديني وتطوير دراساته وليدة ابتكاره الخاص وتلمسه حاجة النجف إلى ذلك، كلاً بل كانت هناك عدّة محاولات من هذا النوع سبقته في تلمس هذه الحاجة والعمل عليها، فمنتدى النشر في الواقع وفي محاولته هذه لم يكن إلا امتداداً لتلك المحاولات النجفية المتمثلة في شخصية بعض أعلامها الخالدين.

وكانت أولى تلك المحاولات ما قامت به جماعة من قادة النجف وزعمائها الروحانيين، منهم الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجواهري والسيّد محمد علي بحر العلوم والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي حين دعوا لتأسيس كلية دينية منظمة وعملوا على قيامها بعد استئناسهم برأي الشيخ محمد رضا الشبيبي، كان يومها وزيراً للمعارف ورفعت مذكرة في هذا الشأن إلى وزارة المعارف وأخذت طريقها وتخطت الحواجز، ولكن لم تمض إلا مدة قصيرة حتى انهالت على الوزير الرسل والرسائل بسحب المذكرة والله أعلم بما دار يومئذ بالنجف من معوقات للفكرة...

ومرة أخرى في سنة ١٣٥١ هـ بلغت المحاولات لتأسيس كلية القمّة في المسعى وكان من دعائها والعاملين عليها الشيخ محمد حسين المظفر والسيّد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الحجامي، وتوالى الاجتماعات بمستوى عالٍ ونظم لها محضر فوقع عليه جماعة كبيرة من العلماء والأعيان كان منهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ هادي كاشف الغطاء والشيخ محمد جواد الجواهري والشيخ عبد الكريم

الجزائري والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي والسيد محمد علي بحر العلوم والشيخ ميرزا مهدي الآخوند والشيخ محمد حسين الأصفهاني والشيخ محمد رضا آل ياسين وجماعة أخرى من أضرابهم، وكان فقيدنا العظيم هو المحرر للمقررات، وبعد عرض المشروع على المغفور له السيد أبي الحسن الأصفهاني وموافقة عليه بعد ذلك بأيام قليلة، ثارت زوبعة عاتية من أوساط النجف قادها أولئك الذين اعتادوا أن يقفوا بوجه كل حركة إصلاحية، وبذلك أسدل الستار مرة ثانية على حركة إصلاحية ثانية كانت أملاً لأبناء هذا البلد، وبعد سنتين وعلى أعقاب فشل تلك الحركة رفع الستار مرة ثالثة عن محاولة ثالثة اشترك بالتفكير بها جماعة كان منهم شيخنا المظفر والشيخ عبدالله السيستاني برعاية المغفور له الشيخ محمد جواد البلاغي الذي كان يرى ضرورة الإصلاح إلا أنه يفضل أن يكون من طريق التأليف والنشر، بينما يرى الآخرون ممن التفوا حوله أن يكون عن طريق تطوير الدراسة وتعزيزها بالمفاهيم الحديثة مما جعل الحركة تموت قبل أن تنشر في أجواء النجف وبذلك تلاشت الآمال بامكان نجاح حركة من هذا القبيل، ومع ذلك فلم تطل الأيام التي مرت على الحركة الأخيرة الفاشلة حين كان فقيدنا الخالد على رأس جماعة من الشباب المؤمن الذين لم يشنهم فشل الحركات الإصلاحية السابقة من أن يواصلوا اجتماعاتهم بتشكيل جمعية يعترف قانوناً بوجودها وبحقها في العمل في حدود اختصاصها، فكان المنتدى النشر في سنة ١٣٥٤ هـ وكانت المادة الأولى في نظامه الأساسي كما يلي: (مقاصد المنتدى تعميم الثقافة الإسلامية والعلمية بواسطة النشر والتأليف وغير ذلك من الطرق المشروعة)، وكان القصد من الاجمال في التعبير عن مقاصده الأساسية هو تجنب إثارة العواطف التي كان يثيرها كل جديد مهما كان سليماً ونافعاً، وكانت البادرة الأولى من أعمال المنتدى طبعه ونشر كتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل للسيد الشريف الرضي، وكانت الثانية فتح صف الدراسة المنظمة بمستوى عال

ولم يثن عزم شيخنا المظفر اعتزال قسم كبير من مؤسسي الجمعية في السنة الرابعة من قيامها حينما بدا لهم ضرورة الاقتصار على التأليف والنشر فقط، بينما يرى القسم الآخر وعلى رأسهم المظفر أنّ التأليف والنشر من الأعمال الثانوية بالنسبة إلى تطوير الدراسة وتنهيجها وتهيئة شباب له المقومات العلميّة الكافية لصدّ موجة اللادينيّة التي انتشرت وقت ذاك وساعد على انتشارها الاستعمار للقضاء على سلطان الدين.

وواصل المنتدى أعماله ففتح مدرسة دينيّة منظمة ضمت قسماً ابتدائياً بارك له المغفور له السيّد أبو الحسن الأصفّهاني وصرف عليها، ثمّ فتح كليّة باسم كليّة منتدى النشر استمرت ستّ سنوات وتخرّج فيها عدد من الشباب المؤمن المثقف، إلّا أنّ التدريسات فيها قد توقفت بسبب حركة اثّرت ضدّ المنتدى في سنة ١٣٦٤هـ عندما حاول فتح كليّة أخرى لخطباء المنبر الحسيني لتيسر لهم دراسة المواد العلميّة والأدبيّة بالإضافة إلى مادّة التاريخ التي كان يعتمدونها أكثر الخطباء، وكادت هذه الزوبعة أن تؤدي بحياة المنتدى لولا قوة الاستمرار الكامنة في شخصية الشيخ المظفر المستمدة من إيمانه بالفكرة، واستمر هو وجماعته فكانت بعد ذلك مدرسة منتدى النشر الابتدائيّة الأهلية، وكانت متوسطة منتدى النشر وكانت ثانوية منتدى النشر التي طعم منهاجها في هذا العام بمبادئ الفقه وأصول الفقه والمنطق والعقائد بالإضافة إلى مواد الفرع الأدبي، وكانت أخيراً وليس بآخر كليّة الفقه التي قدمت نتاجاً عرف المجتمع بنفسه وعرف كليته إلى المجتمع، فكان من خريجيها من مثل المرجع الديني في بعض المدن العراقيّة، وكان منهم المدرس الذي أشاع في وسط طلابه مفاهيم الإسلام ممّا جعلهم يتسابقون إلى تفهم تلك المفاهيم، وكان منهم من ضمته جامعة بغداد في قسم الماجستير لعلوم الشريعة الذي فتح هذا العام كما فتح غيره من أقسام الماجستير الأخرى بفضل جهود قيادتها الرشيدة، وسيضاف في المستقبل القريب إلى كلّ هذه الأعمال مشروع جديد هو

جامعة منتدى النشر الأهلية، كل ذلك من مآثر شيخنا المظفر الذي برهن عملياً أن لا مانع جمع بين أن يكون مرجعاً دينياً معترفاً له بالقدسية وبين أن يكون رئيس جمعية وعميد كلية وعضو المجمع العلمي العراقي من دون أن تترك الصفة الأخيرة أي لمز في مقامه الديني ومن دون أن تصرفه الصفة الأولى عن متابعة خدماته الإصلاحية العامة، ولا أدل على ذلك مما حدث في العراق حين اهتز لنبأ وفاته من أقصاه إلى أقصاه، وحين أعلنت النجف حدادها الذي لا تعلنه عادة إلا لوفاة المرجع الديني الاعلى فسلام عليك أبا محمد فقد مضيت نقي السيرة طاهر السريرة مؤتمناً على الدين ومجاهداً في سبيله، وعز علي أن يعقد هذا الحفل لتأبينك ولكنه أمره تعالى الذي لا يسلم منه الا ذو الرسائل الخالدة، فسلام عليك وعلى هذه الوجوه الكريمة التي جاءت لتعظم في تأبينك شعائر الله التي هي من تقوى القلوب.

هادي فيّاض

جسر المظفر

جعفر الخليلي

من الحقّ أنّ نؤمن بأنّ من المصائب ما يشلّ حركة الفكر ويعقد اللسان، وقد والله حدث لي ما يشبه هذا ساعة نعى إليّ الناعي فقدينا العظيم، ولهذا السبب اعتذرت حين طلب إليّ أن ألقى كلمة بهذه المناسبة، ولكن قيل لي لأن أقف وأنا متلجج غير عارف بمواضع الكلم خير من احجامي وقيل: أنت أعرف بما ينبغي قوله في هذا الحفل بالنظر لصلاتي القريبة بالفقيد فامتثلت.

يشدني أيّها السادة إلى الفقيد الراحل سبيان:

(السبب الأول) شخصي خاص يعود إلى صداقة تمتد جذورها إلى أيام الصبا، فرحنا نقطع مراحل هذا العمر حتّى ذرفنا إلى الشيخوخة أو كدنا، ونحن وإن كنّا مختلفين في الطريقة والمسلك، فقد كنّا متفقين في كثير من الغايات والآراء، وشدد من أزرنا الأدب فرحنا نعمل معاً في كثير من الميادين، وقد حققنا شيئاً من غاياتنا وأخفقنا في أشياء كثيرة.

وحين أصدرت جريدتي «الهاتف» كان أكثر الأصدقاء حذباً عليها ورعاية لها واهتماماً بها، وإنّ صداقة كمثل هذه لتترك أعمق الآثار في نفس الصديق.

ومع هذا فليس كلّ هذا ما كان لي مع الراحل المظفر أو ليس هذا كلّ ما يربطني بالفقيد الخالد... وإنّما كان هناك شيء أعظم من هذا بكثير... لقد كانت السيرة أيّها السادة... السيرة التي جعلت من هذا الرجل شخصاً فذاً، كان كثير العلم واسع الصدر نقي السريرة طيب النفس... لم أجد صفة طلبها الإسلام للمؤمنين أن يكون المؤمن هشاً بشاً كما وجدت في الشيخ المظفر... هذه السريرة هي التي حملت صديقنا العالم الشاعر

الكاتب الشيخ جلال الحنفي أن يقول عنها بأنه كاد يجعل منه رجلاً شيعياً.

هذه أمور أيها السادة لها كلّ التأثير على نفس صديق مثلي.

أما (السبب الثاني) فيعود إلى شيء عام... يعود إلى ملتقانا في معترك هذه الحياة ونحن عاملان للمصلحة، أو هو العامل للمصلحة كان سبباً عميقاً يتعلق بهذه الميزة، فأنا مواطن نجفي شأني شأن المواطنين النجفيين الذين يريدون الخير لهذا البلد ولسائر البلدان الأخرى، وقد وعيت أيها السادة والنجف تنوح بطائفة كبيرة من طلاب العلم كانت تؤمها من بلاد الصين، من بلاد التبت، ومن التركستان، ومن سواحل أفريقيا الشرقية ومن جنوب آسيا... حتى لقد قيل بأن معدل الطلاب لم يقل عن عشرة آلاف طالب، وحتى لقد قيل بأن معدل المجتهدين أو المراهقين للاجتهد لا يقل عن مائة مجتهد أو مراهق.

وحين دبّ الوعي أيها السادة وأخذ منه كلّ قطر مأخذاً أو أخذ كلّ قطر ملكاته... تسرب هذا الوعي والتطور إلى النجف وتناول كثيراً من المناحي خاصة الشعر، ففي سنة ١٩١٢ حين غرقت الباخرة «تيتانك» كان شيخ الأدباء محمد رضا الشيباني وكان الشاعر الشيخ علي الشرقي في مقدمة الشعراء الذين استطاعوا أن يصفوا هذه الأحاسيس لجمهرة من الرجال والنساء والأطفال وهم يصارعون الموت من تلك اللجج في المحيط الأطلنطي.

هذا الوعي قد تناول كثيراً من النواحي... أما طريقة التدريس وأما طريقة التفكير فمع كلّ أسف بقيت على حالها وجودها.. وهنالك كما مرّ في ذكر الخطباء تحسّس جمع من العلماء بالبعد الشاسع الحاصل بين هؤلاء الذين يلجئون إلى الغاية من طريق ديني ضيق وبين الطفرات التي بدأ العالم يقفرها.. فحاولوا أن يقربوا بين هذه الجهات، وحاولوا أن يوجدوا الحلقة المفقودة ليؤلفوا بين القلوب وليعيدوا المارقين إلى حضرتهم، وكان

بين هؤلاء طبقة من العلماء أشار إليها الخطباء من قبل... وجاء دور القفيد الخالد فعمل لايجاد هذه الحلقة المفقودة لكي يخفف من غلواء جانب ويهيء إلى جانب آخر طريقاً واضحاً، وهنا بدأت المعركة بين القفيد الراحل وبين ما وضع أمامه من عقبات.. وهنا لقي ما لم يعرفه إلا الله تعالى، وفي هذا العمر المديد الذي قضاه نحو أربعين سنة وهو يجالذ، وقد لقي ما لقي حتى استطاع أن يتم هذه المؤسسة... المؤسسة التي قامت بدور الحلقة المفقودة على أكمل وجه.

وأي أيها السادة أحب أن أكون من المتشبهين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، فأنا كصديق الراحل المظفر لا أجد طريقاً إلا التأسّي بقول الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولي على أمواتهم لقتلت نفسي

وأنا كمواطن نجفي لا أستطيع التأسّي إلا من بقي بعده من هذه الزمرة الطاهرة التي رافقت الراحل ومشّت في طريقه آملاً أن تمشي حتى تتم رسالته، غفر الله للفقيد بمقدار ما أدى من خدمات للأدب والعلم والإنسانية وإنا لله وإنا إليه راجعون.

بغداد

جعفر الخليلي

طراز من العظمة

الشيخ محمد الشريعة

رئيس جمعية علماء الإمامية في باكستان

أيها الجمع الحاشد اجتمعنا لنؤبن عظيماً متواضعاً وناهماً هادئاً.

كان يتحمل الشدائد بابتسامة ويلاقي الصعوبة ببرودة، يمضي في رأيه ويرضي الجميع بدافع الزواجع ويشق طريقه غير متهيب كأنه لم يشعر بشيء يزاوجه.

أعماله كانت تنبئ عن شخصيته لا هيكله اللحمي، كان مؤمناً بالدين الحنيف ولم يعتبره قنطرة للحياة المادية، فقيراً مع أهله وولده غنياً مع ضيوفه وزواره.

كثير حساده قليل خصماؤه أمين إذا أستشير لا يقتحم بنفسه في أمور لا تهمه، ولا يتراجع عما ابتدأ فيه لم يعمل شيئاً بدافع الظهور بل كان تلبية لوعي ضميره، إن أهدم دينك وقومك، فيجيب ويعلم.

أنا لم أرته لأنه ذهب ليحصد أعماله البارة، ذهب ليستريح من الأعباء التي أثقلت ظهره، ذهب لكي يتبعد عن التناقض الذي كان يقرأ في الكتب وبين ما يراه في أيدي الناس، ذهب ليمتزج بالحقيقة التي كان يتمناها، ذهب ودفع بروحه في أفق أعلى لينظر ويتبرج على ميادين الألعاب التي تجري في الأرض باسم الساء والحقيقة وكأني اسمع قهقهته المدوية، ذهب ليلبي نداء ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

ولكنني أرثي أنفسنا حيث فقدناه، أرثي الجمعية التي فقدت زعيمها، أرثي الطلبة الذين فقدوا مرشدهم، أرثي العلم والأدب حيث فقدوا أحد عشاقها فرد خدمها لأنفسها لا ليستغلها.

يا محمد يا رشاد يا ضياء فقدتم من كان يكتنفكم بظله ويكلفكم بجهوده.

فقدتم من كان يتعب ليريحكم فقدتم من كان يتحمل عنكم متاعب الحياة، فقدتم منبعاً عذباً كنتم ترتون منه، فقدتم شجرة نضرة كنتم طيورها وترقصون بين أغصانها، أولادي فقدتم شخصه لم تفقدوا اسمه، لم يترك لكم مالا ولكنه ترك لكم ثروة من الفضيلة لا تفتنى، ترك لكم الوفاء من الأخوان البررة الذين يمتون إليكم بصلة العلم والتقوى لا بصلة الدم واللحم، وتلك لا يتقرب إليها الفناء والثانية تخفيها كومة صغيرة من التراب.

يا أبا حميد... ما أعظم صبرك وأقوى جلدك ذهب فقيدنا وجدد أحزانك بالسابقين من أخوتك، أحدث خلاء لا يجبر وفراغاً لا يسد، فهل لك إلا الصبر فصبراً صبراً أيها الجليل فاجمع فراخهم وأمدد عليهم ظلك.

سادتي: الحياة الاجتماعية ليست كالعلوم الفلسفية والرياضية، يجلس الرجل في زاوية حجرته ويعمل فكره ويستخرج نتائج من المقدمات التي مهدها لنفسه، بل هي كالطب يجب على المعالج أن يفحص المريض ويعين داءه، فهل درستم سادتي الوضع الحاضر وما يهدد ديننا وقومنا من الأخطار؟ وهل عرفتم أعداءنا من الداخل والخارج؟ وهل جهزتم أنفسكم بالأساليب التي تكافحون هذه الأمراض الروحية لئلا تتسرب؟ ولكنها تسربت وشملت جميع مناطقنا وجميع نفوسنا فهل اتخذتم علاجاً لهذه الأوبئة الاجتماعية العامة؟

وأنا أكتفي بالتساؤل وأكنم رأيي لأني أخشى أن تضطربوا اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة أو ترموني بالتشاؤم واليأس، وفقدنا المظفر فقد أسس الجمعية لتحقيق هذه الفكرة بطريق النشر والتأليف والتعليم لا أن هذه الثلاثة كانت غاياته، فالرجاء من أخواني أن لا ينسوا الهدف المقدس ويقصروا همتهم على مقدمات غير موصلة ويفرضوها

نتائج فتبجحوا بها.

سادتي: التقيت بالفقيد من أعوام الصبا واكتسب كل منّا اعتماد الآخر، وأصبح كل واحد منّا يعلم أنّ صاحبه في ماذا يفكر، واشتركنا في الحياة الاجتماعية وظهرها المنتدى، وهذه جمل أنقلها من آخر كتاب وصل إليّ منه وأنا محتفظ به يقول: (أخي كم ذكرتك شوقاً وحنيناً وأنا في غمرة المرض الذي انتابني هذا العام حتّى بلغ بي سكرات الموت، وفي تلك الحالة لم أنسك بالخصوص وأنا الآن بعد أن تماثلت للشفاء أعود فتخطر على بالي فأحن وأحن) ولكيّ لا أقول أنا لم نختلف، فإنّي لم أكن أتحمل أناته وصبره وبطئه ولعلّه كان على حقّ فإنّ المريض المحتضر لا يعالج بالأدوية المؤثرة القويّة ولكنه كم من فرص ثمينة فاتته أو ضيّعها.

سادتي وأخواني: المنتدى تراث المظفر تركه في أيديكم فأحسنوا العمل فيه، فإنّ جمعيتكم لا تهتم بشيء من نهب الأموال والانحراف والركون إلى من لا يحسن الركون إليه، فاحفظوا بهذه السمعة الطيبة وذلك خير ثواب تهدونه لروح فقيدكم المقدس فيأنس به في قبره.

يا أبا محمد: عشت نزيهاً شريفاً وذهبت عزيزاً فقيداً وخلفت آثاراً باقية صالحة تحيي بها هنا وهناك رحمك الله يا أبا محمد.

محمد الشريعة

لوبيقي المظفر

الشيخ جلال الحنفي

من علماء بغداد

ما أعجب أمر الموت...!

فما شهدنا حقيقة أكثر منه ثبوتاً، ولا حقاً أجلى منه وضوحاً، وما علمنا وعداً
أصدق من وعده، ولا محنة أشدّ من المحنة فيه، ولا صبراً أشقّ من الصبر عليه.

فلقد صنع هذا الموت بالناس ما صنع، فله ما جمعت الأرض من قتلاه، وما لمت
من ضحاياه... والله ما ذرفت له العيون من دمع وما احتملت به النفوس من هم، وما
حصرت من جزّائه الصدور، وانشقت بسببه المرائر.. والله ما نسقت الحياة فبدد، وما
وصلت فقطع.

إنّ من دأب الناس أن تتوخى الحقيقة وتتحراها وترفض وراءها، ولكن الحقيقة
التي يتقمصها الموت أبعد شيء عن هذا المعنى وأبغض شيء إلى كلّ نفس من نفوس
أهل هذه الدنيا... فأية حقيقة هذه الحقيقة التي كان اللاشيء خيراً من شيءها وكان
اليأس منها أجلب للراحة من الرجاء فيها..؟

ولقد رأينا الحق لا يطيب الناس عن شيء منه نفساً، ولم يكن الموت شيئاً من هذا
الضرب، فأَيّ حقّ هذا الحقّ الذي كان الباطل أهون خطباً من خطبه وأيسر شراً من
شرّه؟

ولقد كان البرّ في الوعود محمّدة من محامد من وعد، وكان الوفاء بالعقود ماثرة من
مآثر من عقد إلا الموت.

فإنّ الخصيصة التي امتاز بها في صدق الوعد جرت على أهل الأرض الجرائر الثقّل.

ويصدق وعدها والصدق شر إذا ألقاك في الكرب العظام
فأي وعد هذا الوعد الذي كان الكذب فيه لو كذب أب من صدقه في وعده وبرّه
بيمينه.

أقول هذا ولست ناحياً فيه إلى هجو الموت، فما كان لي هجوه وأنا أحد طردائه
وبعض حاجاته وأغراضه.

ولكن القلب ليعجز، والعين لتدمع، والذكريات تستنبض أوتار النفوس
فتستصرخ آهاتها وأنينها، وتبعث فيها الشجا بعد الشجا والأسى أثر الأسى.

وليس ثمة من شيء يعدل النفس البشرية ضعفاً يوم تطول عليها الهموم وتصول
الكرب، وكان أقسى كرب عليها كرب الموت، يصيب العزيز من أفرادها والجليل من
رجالها... ولقد كان لفقد الشيخ الألعبي الفذ فقيد الإسلام والنبل والمروءة والجهاد في
سبيل الله أبي محمد المظفر أثر عميق في النفس دونه آلامه التي تشج الدماغ.

لم أر أحداً من أصحابنا لقيه إلا كان عظيم الاعجاب به، والتلهف إلى مجالسته
ومصاحبته.

ولقد كان أكيس من لقيت من رجال الدين، فما علمت في قومنا من لم يتعب شفّتيه
بالكلام فيما جد وفيما لم يجد، إلا أبا محمد رحمته فإنه كان على عظم رفقه ولطف دعابته كثير
الأناة والوقار والحدق والكياسة بما لا تصنع فيه ولا تخلق، ولكنها سجيّة في نفسه عريقة
غير محدثة، وخلة فيه أصيلة غير ملفقة.

ولئن كان أتعب شفّتيه في شيء فلقد أتعبهما بتلك البشاشة التي كانت في الجاهلية
أجمل ضروب القرى، وكانت في الإسلام من علامات الإيمان وطهارة القلوب.

وما أحسب بشاشة الشيخ المبرور فارقت شفّتيه وهو مسجى في جدته الكريم، ولا
أخال الملكين يوم زاراه في قبره فألقيا ابتسامته التقليديّة ما تزال طافحة على شفّتيه إعراباً

عن الرضا بأقدار الله في خلقه على أي حال شاءته مشيئة الله الحكيمة في هذا الملكوت العريض إلّا هسّاً له أطيّب هشاشة وبادلّاه ابتسامة بابتسامة.

كانت تردني من الشيخ المظفر رسائل تفيض بصدق التوجيه وحسن النصيحة وكان ذلك دأبه وخلقه، فما وصلني منه رسالة ولم استمع من بين سطورها بالرأي الرشيد والموعظة الحسنة... وأنا امرؤ أنكر من نفسي قلة الأصاخة إلى نصيحة الناصحين إلّا من وثقت بهم واطمأنت إلى رأيهم وأنست فيهم الفضل والرشد والمروءة.

وكانت المقادير قد ساقنتني يوماً ما إلى الكويت فطفقت أدون ألفاظ الناس في هاتيك الديار، وعراقي يومئذ من العناء الشيء الكثير، وكنت كتبت إليه رسالة أنبئه فيها بأنّي متسكع هناك على نحو ما كان يتسكع الأصمعي رحمه الله في البوادي يكتب ألفاظ الأعراب... وحدثته بعظم بلواي في ما أدركني من حرفة الأدب، وبعد أيام يسيرة جاءني رسالة منه حناناً ورفقاً، فوالله لقد كنت أقرؤها كلّ صباح ومساء لاستمد منها خير دروس الصبر والجلد والرضا بقضاء الله.

لقد كانت في خاطر هذا الرجل العظيم أمور وأمور غير أنّ الأجل كان القوة الوحيدة التي انفردت دون سواها من القوى في الحد من طاقته العظيمة واندفاعه البليغ، نحو تحقيق ما كان يتلجلج في صدره من مطالب وغايات كريمة بناءة، لقد كان الموت وحده هو السد المنيع الذي لم يستطع شيخنا الراحل أن يرقاه ليصنع المعجزات. ففي مدينة كمديتكم المجيدة لم يكن من حقّ الشباب أن يتربعوا على تركة الشيوخ الطاعنين في السن والموغلين في العلم، ولكن الأستاذ الشيخ المظفر استطاع أن يلفت إلى شخصيته انظار القوم من كلّ جانب، وينال اعجاب المشيخة من أهل الفقه جميعاً، وهو ما يزال في غلالة شبابه، وكان هذا أمراً من فلتات ما وقع في النجف... ولو بقي الشيخ حيّاً إلى أمد لآلت إليه فيما بعد - على ما يطيب لي أن أتخيل - إمامة المسلمين من

كل فج عميق.

ولئن قيل أن «عرفة» كلها موقف واحد فإنه ليصح أن يقال أن النجف كله كلية واحدة فإن على كل شبر من أرضه مدرسة، وفي كل ركن من أركانه جامعة.

غير أن الشيخ المظفر رحمته شاء أن يأخذ هذا الأمر بعقلية العصر، فصنع في هذا الوجه صنيعاً صفقت له أجنحة الملائكة طرباً واستبشاراً يوم أقام في النجف دعائم كلية الفقه، وكان مثل ذلك ظاهر العصبية لو انبرى إليه أحد غير العلامة المظفر، فلقد كانت الناس مطمئنة إلى أن العلم غزير في النجف ولم يكن الشيخ يخالفهم في شيء من هذا المعنى، ولقد وفقه الله لما طمح في تحقيقه فحققه له.

كان الشيخ رحمته أول عالم من علماء المنطقة طاب لي أن أحبه حباً جمّاً، وأن أجد نفسي طيبة مرتاحة إلى حدوده وأقيسته، يوم كان يأخذ بي إلى المنطق بشيء من الهوادة والرفق، يحسب ذلك ممّا يستدرجني إلى هذا العلم العجيب فيجيبه إلى نفسي، وكان هذا أمراً لم يقدر لي أن أطيعه فيه، فلست حتّى يومي هذا أفقه مسألة واحدة من مسائل المنطقة ممّا يتصل بمقدمة ونتيجة، أو يتعلق بكلّ جزء، أو يميز بين ما جمع وما منع، أو يفصل بين حد ورسم، إلى غير هذه المصطلحات التي كنت استمرئها ما تحدث بها أبو محمد رحمته ولا استمرئها ما تحدث بها غيره، فإنّ ذلك ممّا شقّ عليّ بين علوم الجادة.

وأنا أريد أن أخلص من هذا إلى الإشارة إلى المعية الشيخ المظفر وقوة أثره في نفسي وفرط استحقاقه لكلّ ما أثرته من ود وإخلاص ووفاء.

بغداد

جلال الحنفي

مكان المظفر من النهضة

الدكتور عبد العزيز الدوري

رئيس الجامعة العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١).

أيها الحفل الكريم...

يعز علي أن أقف مؤبناً عميداً لكلية الفقه وزميلاً عاملاً موجهاً في المجمع العلمي العراقي وعلماً من الأعلام، ولئن انطفأ المصباح فإن نوره باق في آثاره باق في تلاميذه وصحبه، لقد تكونت قيم هذه الأمة ورسخت مثلها وأخلاقها بتوجيه العلماء والفقهاء، وتحددت نظرتها للحياة من خلال دراساتهم وجهادهم فطبعت حضارتنا بطابع من جهودهم وبحوثهم، وحرى بنا في هذه الفترة الحافلة من مجتمعتنا أن نعني ببث فضائل الخلق، وبترسيخ المثل الإسلامية وسط هذه التيارات المضطربة.

لقد جاهد الفقيد في العلم وجاهد في وضع دعائم متينة في كلية الفقه وفي المدارس الأخرى وفيما ألفت وكتب وحاضر في سبيل الله وفي سبيل العلم وفي سبيل الإنسانية.

إن النجف التي شاركت العواصم العلمية منذ ألف عام وحررت بيد فقهاءها موسوعات كبرى وخرجت بمدارسها وبمناهجها أعلاماً في الأدب والدين لجدير بكليتها الناشئة القوية أن تخطو خطوات جديدة في التأليف والتحقيق وأن يبرز طلابها في الدراسات الإسلامية، ولكلية الفقه صلات بجامعة بغداد نثمناها ونعتز بها وسنعمل على تدعيمها ما وسعنا ذلك اعتزازاً بالجهاد في العلم ومشاركة في سبيل العلم.

لقد كان فقيدنا الغالي مثال العالم العامل استطاع بدأبه ونشاطه ودماثة خلقه أن يكون مع الطليعة العاملة من علماء هذا البلد الأمين في النهضة العلمية وفي تطوير مناهج الدراسة الدينية الكثير في ذلك.

فجزاه الله عن الإسلام خيراً وأسكنه فسيح جنّاته.

الدكتور عبد العزيز الدوري

رئيس جامعة بغداد

ورئيس جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين

ذكريات شخصية عن الشيخ المظفر

الأستاذ الدكتور أحمد حسن الرحيم

مركز البحوث التربوية والنفسية - جامعة بغداد

- محاضر في كلية الفقه سابقاً -

كان العلامة المغفور له الشيخ محمد رضا المظفر شخصية ودّية متألقة تنال الاحترام والاعجاب والتقدير بدمائه الخلق وبشاشة الطلعة وسداد الرأي وألمعية الفكر وسعة الاطلاع والدقة في الفقه والفلسفة واللغة والأدب وغيرها.

ذكرت بعض المصادر الحديثة أنّه من قبيلة حجازية الأصل هي قبيلة مسروح من حرب، وكانت أسرته تسكن البصرة ثم سكنت النجف رغبة في مجاورة الإمام علي عليه السلام وحباً في طلب العلوم الإسلامية لا سيما الفقه والتاريخ والفلسفة وغيرها.

وكان الشيخ المظفر محباً للتراث العربي الإسلامي مخلصاً في خدمته وإحيائه والاعزاز به، أسس جمعية منتدى النشر الدينية في النجف سنة ١٣٥٣هـ الموافقة لسنة ١٩٣٥ م وكان عميدها الأول، من أنشطتها المحاضرات الدينية والاجتماعية والأدبية، كما أنّها طبعت بعض الكتب بأقلام أعضائها الفضلاء.

إنّ حبّ التراث العربي الإسلامي لم يقيد اهتمام الشيخ المظفر ولم يثنه عن الاتصال بالعلوم الحديثة التي امتازت باستعمال الأسلوب العلمي في البحث كفن له اتصال ثقافي وثيق وعميق بالعلوم الطبيعية والبحوث الفلسفية الحديثة والتاريخية والاجتماعية وكان من مصادرها لديه بعض المجلات العلمية الرصينة منها مجلة «المقتطف» المعروفة بعلميتها ومستواها الرفيع، وكان من الواضح والصريح أنّ جليس الشيخ المظفر بعد

سماع حديث قصير منه يشعر أنّه يجالس عالماً واسع الاطلاع جمع بين الثقافتين القديمة والحديثة، واختار أفضل ما فيهما، فليس في تفكيره تعصب لقديم على حديث أو تمسك بحديث ضدّ قديم، كما أنّ كلامه بعيد عن التعصب في الفقه أو الفلسفة أو النظم الاجتماعية ولكنه يتحدث بحياد العلماء وأصحاب النظرة المصيبة الواسعة المحلقة، وهذه النظرة الثاقبة والحيادية في البحث والرأي وحبّ وصل القديم بالحديث، واستعمال العلم الحديث لتتقى بعض المصادر التراثية وتخليصها ممّا دخل إليها من المزيادات والاضافات والأوهام والآراء اللاعلميّة، حثّ الشيخ المظفر وأخوانه في منتدى النشر على الاتصال بالعلوم الحديثة على اختلافها، ووسيلتهم في ذلك فتح مدارس ابتدائيّة وثانويّة تدرس فيها العلوم الإسلاميّة والعلوم الحديثة بنظرة علميّة سليمة بعيدة عن الغلو والعنجهيّة والشطط في الفكر أو العمل، كما أنّ هذه أصبحت بتساهلها في القبول عدا الشروط الأساسيّة في قبول التلاميذ والطلبة جهة واسعة سليمة لطلبة المدارس الابتدائيّة والثانويّة.

أ - لقد لمس الشيخ المظفر وأخوان له أيّدوه في الرأي والعمل أنّ من الضروري فتح مدرسة أخرى على مستوى الدراسة الجامعيّة، فكثير من الطلبة في النجف وغيرها يطلبون الدراسة الجامعيّة ولكنهم عاجزون عن تحصيلها لأسباب مختلفة منها العجز المالي وعدم الاستطاعة على السفر لدخول الكليّات في بغداد.

ولعلّ هذا أهم سبب لتأسيس كليّة الفقه في النجف الأشرف التي أجزيت سنة ١٩٥٧ م بطلب من الشيخ المظفر ومن معه من أخوانه كالعلامة السيّد هادي فياض رحمته، وكان سنداً للمظفر ومنفذاً دؤوباً لآرائه وتوصياته، وقد تولى عمادة الكليّة بعد وفاة الشيخ المظفر بإدارة حازمة حصيفة وكان نائبه في العمادة رحمهما الله.

وقد علمت من الشيخ المظفر رحمته في بيان العوامل المسببة لتأسيس «كليّة الفقه»

وهي عوامل أساسية ومنطقية لمسها المظفر في دراسته في النجف منذ شبابه، قال أن الكتب المنهجية الدراسية في مدارس النجف الدينية كتبت بأقلام علماء أجلاء على مستوى أنداد لهم أو شبه أنداد في المستوى العلمي، كما أنها كتبت بأسلوب عصرها من حيث التركيز والتكثيف في التعبير وقلة الأمثلة وتصور المواقف التخيلية في المسائل الشرعية وغيرها مما يسبب تعقيداً في فهمها واختلاف وجهات النظر في تفسيرها وصعوبة الالمام بها إلا على قلة نادرة من الطلبة ممن يسهرون الليالي لفهمها وينشغلون عن أعمالهم لادراك أمورها.

ب - وفي بعض الكتب المتبعة في المناهج الدراسية القديمة كثير من المادة الدراسية المسهبة لا يحتاج إليها الطالب ولا تمس الضرورة الدراسية إليها في هذا العصر الذي يلزم أن يتوجه فيه الطالب إلى المادة الأساسية لا إلى كتابات أو موضوعات استطرادية تعسر الفهم ولا تيسره.

ج - افتقار بعض الكتب المنهجية المتداولة إلى المبادأة العلمية الصحيحة وإلى استعمال الأسلوب العلمي في البحث والتمحيص والاستغناء عن المعلومات التي لا يقرها العلم الحديث، وقد صار بعض رجال الدين أو المحسوبين على رجال الدين واسطة لنقل تلك المعلومات الخاطئة إلى الناس.

إنّ بعضاً من ذوي الثقافة الدينية ممن يتصلون بالمجتمع ومنهم بعض خطباء المنابر الحسينية يذكرون على المنابر الشريفة معلومات خاطئة هي في ظنهم مما ورد في القرآن الكريم، من ذلك أن ينكروا أن يكون المطر من البخار المتصاعد من البحار والأنهار والمحيطات ويردون هذا القول الصحيح بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ

الْحَصِيدُ^(١) ويقولون أَنَّ الآيةَ الكريمةَ تعزو نزول ماء المطر إلى قدرة الله من السماء لا إلى البخار، كما ينكرون أن يكون الكسوف والخسوف من حركة الأرض والقمر لأنَّ الأرض في نظرهم ثابتة ولو كانت دوارة في حركتها لأصاب الناس الدوار من حركتها ويؤيدون قولهم ببعض الآيات الكريمة منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾^(٣) ففي رأيهم وتفسيرهم أَنَّ هذه الآيات الكريمة تدلُّ دلالة واضحة على ثبات الأرض واستقرارها وأنَّ الشمس متحركة لقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي مُسْتَقَرًّا هَٰذَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٤).

أما المحرمات الهوائية التي حاربوا بها طلبة المدارس الحديثة وهم خصومهم الألداء، فمنها أن يطيل الرجل شعر رأسه، فقد زعموا أَنَّ الأنبياء سيبرؤون يوم القيامة من الشاب أو الرجل الذي أطال شعر رأسه وسيبقى منبوءاً في ذلك اليوم العظيم، حيث يلجأ كلُّ فرد إلى نبيه للشفاعة والغفران، أمَّا ذوو الشعر الطويل في هذه الدنيا فليس لهم إلا الضياع والأسف العميق، كأنَّهم لم يشاهدوا البدو إلى اليوم يطيلون شعر رؤوسهم ويجعلون منها ضفائر صغيرة.

إنَّ بعضاً من قراء المجالس الحسينية في الألوية سابقاً والمحافظات حالياً كانوا يقدون إلى النجف الأشرف ويحضرون بعض المجالس الحسينية الموقرة فيحفظون بعض ما يذكر فيها من الأخبار غير المحصنة أو القصص الخيالية عن الأنبياء والأولياء ثم يعودون إلى مدنهم وقراهم لذكراها من على المنابر في يوم وصولهم قبل أن تنسى، ومنهم

(١) ق: ٩.

(٢) الرعد: ٣.

(٣) لقمان: ١٠.

(٤) يس: ٣٨.

من يعزّو ما أصاب آل البيت من ظلم وجور إلى ما كتبه الله عليهم وقدره بقضائه وقدره فيرفعون بذلك المسؤولية الأخلاقية والدينية عن المجرمين الذين ظلموا آل البيت.

إنّ حملة هذه الآراء الخاطئة قلّة بين قراء المجالس الحسينية ولكن ضررهم بليغ حتّى لو كان في كلّ مدينة فرد واحد منهم، وأنا أعلم ولا أخفي تقديرى لقراء المجالس الحسينية الذين يذكرون من على المنابر الأخبار الممحصّة والتفاسير الصحيحة والنظريات العلميّة السليمة، وقد شرحوا أمور الدين وحوادث التاريخ شرحاً صحيحاً وفسروها تفسيراً سليماً فأدّوا جهداً ثقافياً واسعاً وصاروا من الأقباس المضيئة التي تبدد الجهل والظلام، والذين يدرسون العلوم الصحيّة والوقائية يعلمون بصورة خاصّة أنّ مريضاً واحداً إن وجد يلزم أن نحتاط له وأن نأخذ وقاية دقيقة لتطويق مرضه خشية الانتشار والعدوى، لمثل هذه الرواسب القديمة وغيرها في تفكير بعض الناس في المجتمع العراقي خصوصاً في تفكير أفراد يعدون من وسائل التثقيف والتنوير، أسس الشيخ المظفر (رحمه الله) «كلية الفقه» في النجف الأشرف فدخلها طلبة عراقيون وعرب وأجانب من أقطار متعددة.

ولم يكن هذا السبب العظيم هو السبب الوحيد لتأسيس الكلية، فقد أراد بتأسيسها أن تكون نبعا ينهل منه طلبة العلم الحديث والدراسة الفقهية، ولكن ليس لهم من الموارد المالية ما يفي بمتطلبات ذلك، فلما أنشأ كلية الفقه في النجف ذوو المقدرة التعليمية وإن كانوا على مستوى ضئيل لا يفي من المقدرة المالية، وقد أشار إلى هذا الغنم العلمي والأدبي الذي يسره المظفر أحد الشعراء الذين رثوا الشيخ الفقيه بقصيدة جاء فيها:

رثيتك للخلق الطيب رثيتك للأمل المذهب

رثيتك للعلم يسرته فنالته كف فتى مترب

ويزيد من قيمة جهود الشيخ المظفر في محاربة الجهل وانتشار الآراء الخاطئة

والتطبيقات المضرة أنّ جماعة غير قليلة ولا ضعيفة كانت تقاوم جهوده وجهود أعوانه الإصلاحية والعلمية وتتهمه بالخروج على الشؤون الدينية وتقايلدها الصحيحة في رأيهم، ولكنه احتمل ذلك وعده ثمناً أو بعض الثمن لهدف سام جدير بالتضحية، وقد استمرت جهوده ومسايعه في مشروعاته طيلة حياته التي انتهت مشرقة سنة ١٣٨٤هـ وكانت قد ابتدأت في النجف الأشرف سنة ١٣٢٢هـ.

جهود الشيخ المظفر العلمية والتربوية

لم تكن أفكار الشيخ المظفر رحمته أفكاراً على المستوى النظري، فقد قرن الفكر العلمي بالتطبيق التربوي وكانت له مقدرة لغوية وتعبيرية لتوضيح الغامض وتيسير المعقد وانتقاء الأفضل والأيسر فألف بهذا الصدد بعض الكتب الثقافية الأساسية بلغة سليمة واضحة وانتقاء سديد يدلّ على الفهم والذوق والشمول، من ذلك كتابه المعنون بـ «عقائد الإمامية» الذي صدرت طبعته الثالثة سنة ١٩٧٣ م في القاهرة وقال عن مؤلفه الناشرون المصريون أنّه أحد أعلام الإمامية ومجتهديها اللامعين المجددين، وهو مؤلف معروف صدرت له كتب منهجية قيمة في شتى حقول المعرفة الإسلامية^(١).

وفي كتاب «عقائد الإمامية» الذي ألفه الشيخ المظفر ليكون صورة واضحة لما يعتقده «الشيعية الإمامية» في أصول الإسلام وفروعه دلالة على تمكن الشيخ المظفر من الإحاطة الواسعة والدقة الضرورية في هذا الموضوع وقد ألفه وهو بين مجتهد الشيعية الإمامية وأعيان علمائها فلاقى قبولاً واستحساناً.

وفي هذا الكتاب الرائع دراسة تحليلية عميقة للصحيفة السجادية لا أعلم أنّ أحداً من المختصين بالفلسفة الإسلامية أو التراث الديني الإسلامي قد سبقه إليها، فقد

(١) الشيخ المظفر، عقائد الإمامية، المطبعة العالمية، القاهرة ١٩٧٣ كلمة الناشر في الغلاف الثاني من الكتاب.

استنبط الشيخ أغراض الإمام السجاد عليه السلام التي أرادها من تحرير تلك الصحيفة فكانت ستة أغراض تعبدية إيمانية هي:

- ١ - التعريف بالله تعالى وعظمته وقدرته.
 - ٢ - بيان فضل الله تعالى على العبد الحر وعجز العبد عن أداء حقه تعالى.
 - ٣ - التعريف بالثواب والعقاب والجنة والنار.
 - ٤ - سوق من يدعو بهذه الأدعية إلى الترفع عن مساوئ الأفعال وخسائس الصفات لتتقية ضميره وتطهير قلبه.
 - ٥ - الإيحاء إلى من يدعو بها بلزوم الترفع وعدم التذلل لغير الله.
 - ٦ - تعليم الناس وجوب مراعاة حقوق الآخرين ومعاونتهم والشفقة عليهم والرافة بهم والإيثار فيما بينهم^(١).
- وقد استشهد الشيخ المظفر لكلّ غرض من هذه الأغراض باقتباس مقنع أو اقتباسين ليبين صحّة الاستنتاج أو الاستنباط ويوثق القول المذكور.
- وهذا الكتاب الموجز المقنع مقسم إلى أربعة وأربعين جزءاً تتناول عقائد الشيعة الإمامية ابتداء من المبحث الأول وهو عقيدتنا في النظر والمعرفة إلى الجزء أو المبحث الرابع والأربعين وهو عقيدتنا في المعاد الجسماني، والكتاب على اختصاره احتوى على أساسيات العقيدة الإسلامية بأسلوب واضح واقناع عميق.

كتاب المنطق:

قال في إهدائه: إلى أعزائنا الذين وهبنا لهم زهرة حياتنا، ومن ينتظرهم الغد قدوة صالحة، إلى الشباب المتحفز.

(١) المظفر، الشيخ محمد رضا، عقائد الإمامية، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٣ - ص ٩٨ - ١٠٢.

وهذا الاهداء يدلّ على الاهتمام العميق بتربية الشباب من وجهة دينية ووطنية لخدمة أمتهم وبلدهم، وقد نبّه إلى أنّ وطنهم ينتظرهم في غده، وهو يريد منهم أن يصبحوا بثقافتهم العلمية والدينية قدوة لغيرهم من الشباب.

وفي هذا الكتاب الدراسي القيّم ظهرت بعض مزايا الشيخ المظفر والرائعة في الفكر والمادة العلمية، ولعلّ أبرز مزايا هذا الكتاب ما يأتي:

١ - اللغة والأسلوب: وهما على درجة واضحة من السلاسة والدقة وجمال العبارة وخلوها من الحشو والزيادات ولا سيما في التعاريف.

٢ - وجود الأمثلة التي توضح المقصود وتقربه إلى الفهم.

٣ - وجوب التمرينات الضرورية لاكتساب المهارة والخبرة وترسيخ المادة العلمية.

٤ - أظهر هذا الكتاب الاطلاع الدقيق للشيخ المظفر على العلوم الطبيعية والرياضية، من ذلك التوضيحات التي ذكرها في موضوع «القسمة» في الكتاب «مثل قوله: إذا قسّمنا الماء بالتحليل الطبيعي إلى أوكسجين وهيدروجين وعرفنا أنّ غيره من الأجسام لا ينحل إلى هذين الجزأين، فقد حصل تمييز الماء تمييزاً عرضياً عن غيره بهذه الخاصية فيكون ذلك نوعاً من المعرفة للماء نظمّن إليها».

ومن أمثله في الهندسة قوله في التصور والتصديق وهما في المنطق غير ما هما عليه في البلاغة، قال وقد طلب أن يرسم مثلث ثمّ خطان متقاطعان أحدهما عمودي والآخر أفقي وقد حدث على جانبي الخط العمودي زاويتان قائمتان ثمّ قال ~~فمنه~~: إذا أردت أن تقارن بين الزاويتين القائمتين ومجموع زوايا المثلث فتسأل نفسك هل هما متساويتان وتشكّ في تساويهما فتحدث عندك «صورة» لنسبة التساوي بينها وهي من التصور المجرد، فإذا برهنت على تساويهما حصلت لك حالة جديدة مغايرة للحالات السابقة، وهي ادراكك لمطابقة النسبة للواقع التي تعقلتها وأدركتها هي التي تسمى بـ(التصديق)

لأنّها ادراك يستلزم تصديق النفس وإذعانها وهي تسمية للشيء باسم لازمه الذي لا ينفك عنه.

ثمّ يضيف رحمه الله قوله لإجمال الموضوع والالمام به بصورة شاملة: إذن ادراك زوايا المثلث وادراك الزاويتين القائمتين وادراك نسبة التساوي كلّها «تصورات مجردة» لا يتبعها حكم وتصديق، أمّا ادراك أنّ هذا التساوي صحيح واقع مطابق للحقيقة في نفس الأمر فهو «تصديق».

وفي جمل قليلة لخص رحمه الله الفصل بكامله إذ قال: إذا لاحظت ما مضى ظهر لك أنّ التصور والادراك والعلم كلّها ألفاظ لمعنى واحد وهو حضور صورة الشيء عند العقل.

«والتصديق» أيضاً تصور ولكنه تصور يستتبع الحكم وقناعة النفس وتصديقها. ومن استشهاده العلميّة ما ذكره في الجزء الأوّل من كتابه القيم «أصول الفقه» عند الكلام عن القبح والحسن في مناقشته رأي المعتزلة في الموضوع نفسه، قال عن الألوان: «إنّها تحصل من انعكاسات أطيايف الصور على الأجسام، ففي الظلام حيث لا ضوء ليست هناك ألوان موجودة بالفعل، بل الوجود حقيقة أجسام فيها صفات حقيقيّة هي منشأ لانعكاس الأطيايف عند وقوع الضوء عليها»^(١).

وقد ظهر في كتاب المنطق للشيخ المظفر أنّه رحمه الله متتبع لما يصدر حديثاً في اختصاصه في المنطق وهو يقرأه قراءة تمحيص وتدقيق وتقييم، ظهر ذلك من هذا التمرين الذي يوضعه في كتابه «المنطق» وهو أحد تمرينات كثيرة احتوى عليها الكتاب قال: جاء في كتاب حديث للمنطق تعريف «الفصل» بأنّه «صفة أو مجموعة صفات كليّة بها تتميز أفراد حقيقة واحدة من أفراد غيرها من الحقائق المشتركة معها في جنس واحد، انقده

(١) المظفر، أصول الفقه، مطابع دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧١، ١: ٣٢١.

وأذكر وجوه الخلل فيه على ضوء ما درسته في تعريف «الفصل» وشروط التعريف.

وفي تمرين آخر نقد الشيخ رحمته أحد المؤلفين المعاصرين وكان هذا المؤلف قد اعترض على أرسطو في ما يسمى بالمنطق «بالمحمولات»^(١)، فطلب الشيخ المظفر من طلابه أن يردوا الاعتراض منطقياً وأن يظهرُوا صواب ما قاله أرسطو.

والمقصود «بالمحمولات» في كلام الشيخ ومفردتها محمول هو الخبر في المنطق Predicate أو ما يقال عن القضية Proposition في المنطق أيضاً لشرحها وتوضيحها.

وقد كتب رحمته كتابه أصول الفقه في ثلاثة أجزاء وضعه للطلبة المبتدئين في هذا الاختصاص وقد عبّر في أهدافه عن روح سامية وطيّة ودينيّة وإنسانية، قال في مقدمته: «وضع هذا الكتاب لتبسيط أصول هذا الفن للمبتدئين ليعينهم على الدخول في بحره العميق عندما يبلغون درجة المراهقة (لعلّه يقصد التوسط في طلب علم الفقه) وهو الحلقة المفقودة بين كتاب «معالم الأصول» و«كفاية الأصول» ويجمع بين سهولة العبارة والاختصار وبين انتقاء الآراء الحديثة وسهولتها»^(٢).

والظاهر من كلام الشيخ رحمته أنّ «معالم الأصول» و«كفاية الأصول» كتابان في أصول الفقه يعاني طلبة المدارس الدينيّة من أسلوبهما الكثيف ومادتهما الواسعة، وقد وضع الشيخ المظفر هذا الكتاب الميسر تمهيداً وتوضيحاً لهذين الكتابين وهذا همل تربوي له قيمته السامية، وفي إهداء الكتاب عبر رحمته عن حبّه لشباب الوطن ورغبته في تثقيفهم وتيسير العلم لهم وهم الذين وهب لهم زهرة حياته، قال في الإهداء الكريم: «إلى أعزائنا الذين وهبنا لهم زهرة حياتنا ومن ينتظرهم الغد قدوة صالحة، إلى الشباب الديني المتحفز».

(١) أو Predicate بالانكليزية.

(٢) المظفر، أصول الفقه، مطابع دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧١، المقدمة.

ومن السمات المهذبة والخلال الحميدة، إنّ الشيخ المظفر يشعر بالاحترام والتقدير لأساتذتنا القدماء الذين عملوا واجتهدوا في سبيل الله وأخوانهم في العقيدة والإنسانية، فكان إذا ذكر أبا الحسن محمد بن محمد الطوسي الفيلسوف والرياضي العربي الكبير وصفه «بالعظيم»، قال مشيراً إلى مقدرته العلمية في علم المنطق: «القسمة من المباحث التي عني بها المنطقة في العصر الحديث وظنّ أنّها من المباحث التي تفتق عنها الفكر الغربي غير أنّ فلاسفة الإسلام سبقوا إلى التنبيه عليها، وقد ذكرها الطوسي «العظيم» في منطق التجريد لتحصيل الحدود واكتسابها وأوضحها العلامة «الحلي» في شرحه «الجواهر النضيد» والمقصود بالقسمة تفصيل الموضوعات إلى أنواع وأصناف ثمّ إظهار ما بينها من تمايز، وقال أيضاً عن أحد الفقهاء الكبار الذين درس كتبهم وصفه بأنّه الشيخ «العظيم» ولعلّه الشيخ المفيد، وقد أشار الشيخ رحمته إلى أنّ بعض طلبتنا يدرسون علوماً في كتب غريبة فيظنون أنّها غريبة الأصل ولم يسبقهم إليها الشريكون، وهي شرقيّة في أصلها واستشهد لذلك بما كتبه نصير الدين الطوسي مؤسس الهندسة التقليديّة عن «القسمة» في المنطق، فقد فصلها وذكر أنواعها كما تقدم.

ولعلّ من الأسباب التي دفعت بعض الغربيين إلى حثّ الشباب العربي على ألاّ يدرسوا تراثهم وأن يهجروه ويتنصلوا منه، هو أن يظنّ بعض الناس أنّ ما جاء به بعض الغربيين من آراء ونظريات هي غربيّة في أصلها وهي في دافع الأمر شرقيّة أقتبسها الغربيون، فإذا جاءت إلى قراء التراث من العرب ميزوها وقالوا فيها قولة أخوة يوسف عليه السلام: ﴿هَذِهِ بَصَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾^(١)، من ذلك النظرية المعروفة بنظرية فيثاغورس في الهندسة، فقد عثر قبل عدّة سنين في «تل الحرمل» قرب بغداد على حجر بابلي عليه تمرين هندسي قال عنه الرياضيون العراقيون الذين شاهدوا الحجر أنّ هذا

التمرين لا يمكن حله إلا إذا اعتمد من يحله النظرية المعروفة بنظرية فيثاغورس في الهندسة وهي النظرية القائلة «إن مربع وتر المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الضلعين القائمين».

وقد غربت هذه النظرية وشرقت باسم نظرية فيثاغورس وهي لرياضي بابلي وقد اقتبسها فيثاغورس من بابل عندما كان اليونان يجوبون العراق ومصر طلباً للعلم، وقد شاهدت نسخة من حجر هذ التمرين في وزارة التربية ببغداد وعلى زواياه الحروف بالأبجدية المسماة كما قد ذكره وصوره الأستاذ الآثاري طه باقر في كتابه القيم: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة^(١)، وقد أصاب الشيخ المظفر في ملاحظته وانتباهه إلى ما سبق به علماء الشرق ولا سيّما علماء العرب بعض العلماء الغربيين في العلوم وإلى غفلة بعض العرب عن ذلك، وهذه صورة التمرين البابلي نقلاً عن الكتاب المذكور وهي صورة تقييية لصعوبة تقليد الكتابة المسماة.

رحم الله الشيخ المظفر لقد ترك تراثاً سخياً وفكراً نيراً وعملاً يعدّ بحق من الباقيات الصالحات فله أوفر الجزاء.

(١) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (الفصل السادس عشر: العلوم الرياضية والطبيعية، ١٩٥٥، ص ٣٤٤).

الشيخ محمد رضا المظفر مجدد التعليم الديني^(١)

الدكتور إبراهيم العاتي

رئيس قسم الدراسات العليا

للجامعة العالمية للعلوم الإسلامية - لندن

لم يحظ جانب من جوانب المجتمع بالعناية والاهتمام من قبل المصلحين والمجددين المسلمين كما حظي موضوع التعليم، فقد أدرك هؤلاء المصلحون، بعد أن إطلعوا على ما وصلت إليه الحضارة الحديثة من تقدم وتطور يتسارع يوماً بعد يوم، إنّ السبب الرئيس في تخلف المسلمين يرجع إلى تأخرهم في ميدان العلم والمعرفة.

وحينما بدأت المدارس الحديثة تؤسس منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، شخّص فيها المصلحون عيباً خطيراً، وهو أنّ هذه المدارس تعتمد مناهج تربوية غريبة لا تتفق مع القيم الخلقيّة والروحيّة للأمة.

وإذا انتقلنا من المدارس إلى الجامعات نجد أنّه نشأ منذ بداية النهضة الحديثة في العالم الإسلامي جيل من الخريجين الجامعيين المستغربين الذين يرون أنّ سبيل النهضة هو اتباع الغرب في مسيرته الحضارية خطوة بخطوة.

لكن السائل له الحقّ في أن يتساءل: ألم تكن هنالك مدارس أو جامعات في العالم الإسلامي يتعلم فيها أبناء المسلمين بدلاً من المدارس والجامعات التي تسير على النمط الغربي؟ نقول: بلى... كانت هناك مدارس وجامعات قصارى همّها تعليم الطالب علوم اللغة وحفظ القرآن ودراسة العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير وعقائد

(١) مستل من كتاب آفاق التجديد الإسلامي أعلام وتيارات، بقلم د. إبراهيم العاتي، إصدار دار

وأصول وغيرها مما يصبّ في إطار معرفة النصّ الديني والتفقه في أبعاده وأهدافه، لكن المصلحين شخّصوا مجموعة من السبلات التي تكتنف مسيرة التعليم الديني، يمكن تركيزها في نقطتين أساسيتين:

الأولى: أنّ مؤسساتنا التعليميّة القديمة لا تعلم شيئاً من العلوم العصرية الحديثة الرياضية والطبيعيّة التجريبيّة، فينشأ الطالب مقصراً في جانب مهم من المعارف العلميّة الضرورية، ولا يكاد يعرف ما يدور حوله من تطورات علميّة وحضاريّة متلاحقة، فتكونت لهذا السبب الفجوة المعروفة بين التعليم الديني والتعليم المدني أو بين ثقافة العصر وثقافة الماضي.

الثانية: وهي تلك المتعلقة بالمناهج وطرق التعليم التي لم تعد متناسبة والتطور الذي حصل في ميدان المناهج وطرق إيصال المادة العلميّة، كذلك فإنّ نظام الحوزات والحلقات المتبع في الجامعات الإسلاميّة العريقة كان يفتقر إلى الضبط والقياس والتدرج العلمي الواضح قياساً إلى الأسلوب المتبع في المدارس والجامعات الحديثة، وبما أنّ المناهج هي الوسائل لايصال المعلومات وتحصيلها أو لاكتشاف معارف جديدة، وليست هي غايات في حد ذاتها، فقد رأى هؤلاء المصلحون ضرورة الاستفادة من المناهج الحديثة بما يخدم الأهداف المتوخاة للتعليم الديني والتعليم العام.

هذه الأفكار والمشكلات كانت حاضرة في ذهن العلامة المجتهد الشيخ محمّد رضا المظفر مجدّد التعليم الديني في جامعة النجف، وهو يباشر مشروعه الاصلاحية.

في بيوت العلم

إذا كان للبيئة والنشأة الأولى من أثر في حياة الإنسان وتكوينه الذهني والروحاني، فإنّ هذا الأثر أوضح ما يكون في حياة الشيخ محمّد رضا بن الشيخ محمّد بن عبد الله

المظفر الذي ولد في النجف الأشرف عام ١٣٢٢ هـ الموافق ١٩٠٣^(١)، فقد نشأ في أحضان أسرة علمية ورثت العلم كابراً عن كابر، فأبوه الشيخ محمد كان عالماً مجتهداً، وأخوه الأكبر الشيخ عبد النبي كان عالماً فاضلاً وإماماً للجماعة، وأخوه وأستاذه الشيخ محمد حسن كان عالماً مجتهداً ومن مراجع التقليد المبرزين، وقد خلف عدداً من المؤلفات القيمة أشهرها كتاب «دلائل الصدق»، أمّا أخوه الثالث الشيخ محمد حسين فهو عالم جليل وباحث محقق، وقد ألّف الكثير من الكتب التي طبع قسم منها ولا يزال القسم الآخر مخطوطاً^(٢).

ورغم أنّ القدر القاسي رماه باليتيم وهو طفل رضيع، فقد ولد الشيخ المظفر (رحمه الله) بعد وفاة والده بخمسة أشهر، فإنّه وجد في عطف أخوته الكبار ما عوضه عن عطف الأبوة وحنانها.

وكانت بيئة النجف العلمية الخصبة هي المجال الأوسع الذي نمت ملكات الشيخ المظفر وشحذ مواهبه، ففضلاً عن تتلمذه لأخيه الشيخ محمد حسن تتلمذ لكبار علماء عصره كالشيخ آغا ضياء العراقي والشيخ محمد حسين الأصفهاني الذي تأثر به كثيراً وخصوصاً في مجالي الفلسفة والأصول، ونال الشيخ بعد دراساته العالية درجة الاجتهاد، وقد شهد له بذلك أساتذته وشيوخه في التدريس.

ويبدو أنّ الشيخ كان متجهماً خلال هذا الطور من أطوار حياته ليكون مرجعاً دينياً، غير أنّ المشكلات التي كانت تعاني منها الحوزة العلمية في النجف دعتّه إلى أن ينصرف عن تلك الفكرة ويتجه بكامل تفكيره نحو الإصلاح.

(١) علي الخاقاني، شعراء الغري ٨: ٤٥١.

(٢) الشيخ محمد مهدي الاصفهاني، مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها، ص ٦١، منشورات دار النعمان (بدون تاريخ).

الحركة الاصلاحية في النجف

كان للنجف وجامعتها العلمية العريقة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين دور قيادي مركزي في العالم الإسلامي على الصعيدين العلمي والسياسي، وخصوصاً حينما آلت المرجعية إلى الإمام الشيخ محمد كاظم الخراساني (١٨٣٩ - ١٩١١) الملقب بأبي الأحرار لمناهضته للاستبداد، ولعلّ ممّا تفرد به هذا الإمام العظيم هو إدارته حلقة علمية كبرى ضمتّ المئات من المجتهدين، بحيث أنّ أعظم مراجع الإمامية في العصر الحديث كانوا من تلامذته أو تلامذة تلامذته.

وكذلك مشاركته الواسعة في الأحداث السياسية التي كانت تعصف بالعالم الإسلامي في ذلك الحين، ممّا جعل العلماء والقادة السياسيين التواقين إلى الحرية يستنجدون به حينما تستبد بهم المحن لا في العراق وإيران وحسب بل في الهند وتركيا وغيرهما من البلدان^(١).

وبعد وفاة الخراساني فإنّ جيلاً من الطليعة النجفية من رجال العلم والأدب الذين تأثروا به، قد واصلوا مسيرته في مشاركاتهم السياسية المناهضة للاستبداد والاستعمار معاً، وكانت لهم أدوار فاعلة فيما تلا الحرب الكونية الأولى من أحداث جسام مرّ بها العراق، سواء في جيش الجهاد الذي التحم مع الجيش الانكليزي المحتل في جنوب العراق عام ١٩١٦م، أو في ثورة النجف عام ١٩١٨، أو الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ التي اضطر بالانكليز إلى الغاء مشروعهم لحكم العراق عن طريق الاحتلال العسكري المباشر والقبول بقيام حكم وطني.

فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ رائد التجديد الإسلامي في العصر الحديث السيّد جمال

(١) علي الخاقاني، مقدمة (نهضة الحسين) للسيّد هبة الدين الشهرستاني، ص ٨، طبعة كربلاء، العراق، ١٩٦٩.

الدين الحسيني الأفغاني قد درس في النجف لعدة سنوات، وأنّ علاقته لم تنقطع مع علمائها وهو يتنقل في بقاع العالم الإسلامي المختلفة ناشراً آراءه التجديدية، فإنّنا نخلص إلى أنّ النجف كمركز إشعاع علمي وقيادة سياسية روحية كانت على اتصال بالعالم الخارجي وما يدور فيه من تطورات سياسية واجتماعية أو حضارية عامة، ولكن بمعايير بلد خاضع للإدارة العثمانية التي كان يسود التخلف كلّ ولاياتها.

غير أنّ انشغال المرجعية الدينية في النجف بمواكبة الأحداث السياسية الخطيرة التي عصفت بالعراق وغيره من البلدان، جعلها تغفل عن مواكبة أحداث أخرى تتعلق بتطور العلوم والمناهج وطرق التعليم ونظم الدراسة وغير ذلك ممّا يمكن الاستفادة منه في تطوير نظامها التعليمي ليكون مواكباً لروح العصر وطبيعة المرحلة، وقد طبع هذا الأمر النظام التعليمي في جامعة النجف بطابع المحافظة والجمود، وجعل أمر الإصلاح غير يسير، ولمّا بدأت الطليعة الواعية من أساتذة الحوزة تشعر بالمشكلات التي تعاني منها الجامعة النجفية، كانت تتناقل ذلك سرّاً وفي غرف مغلقة، وقد صوّر الشيخ المظفر بداية الحركة الإصلاحية في مذكراته المخطوطة، فأشار إلى أنّ بعضاً من رجال الدين «كانوا يحلمون باصلاح نواقص الدراسة العلمية في معاهد النجف الأشرف، فإنّ هذه النواقص، كفقْدان نظم التربية والتدريس في الامتحانات والمواد العلمية والأوقات والشهادات، كانت تهدد المفكرين ممّا يشلّل الحركة العلمية في مستقبل الجامعة القريب أو البعيد، يوم أن اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار هذا العصر الذي تركها في بحر متلاطم بالميل، ولكن في الوقت الذي كانوا يفكرون في هذا كان يعوقهم عن التقدم في العمل ذلك التفكير المؤلم»^(١).

(١) الشيخ محمد رضا المظفر، المذكرات المخطوطة، نقلاً عن الأصفي، المصدر السابق، ص ١٢٢.

تأسيس جمعية منتدى النشر

لقد ابتدأ هذا التفكير الصامت بضرورة اصلاح النظام التعليمي في الحوزة منذ أوائل العشرينات كما يشير الشيخ المظفر في مذكراته، وكان جل أصحابه من شباب علماء الدين الذين تحمسوا الثغرات والنواقص الموجودة، ولكنهم تخوفوا من ردة فعل المحافظين وأعداء التجديد غير أن تعرض النجف لكتب عدائية عام ١٣٤٩ هـ حسّس الشعور العام بضرورة وجود جمعية للنشر والتأليف تتولى مهمة الردّ والدفاع ونشر التراث محققاً، لكن بعض دعاة الاصلاح وجد في تأسيس هذه الجمعية فرصة سانحة لإصلاح الدراسة الدينية^(١).

ويبدو أن الجمعية قد وضعت لها أهدافاً قريبة وأهدافاً بعيدة، أما القريبة فهي تأليف الكتب وتحقيقها ونشرها، وأما البعيدة فهي اصلاح النظام التعليمي في الحوزة تحاشياً لردود الفعل التي قد تجهز على المشروع وهو وليد، ولذا فإن هذه الفكرة لم تتحقق إلا بعد سنوات من ذلك التاريخ.

ففي عام ١٩٣٥ م قدم الشيخ المظفر مع ثلّة من أصحابه العلماء طلباً إلى السلطات العراقية المختصة لتأسيس جمعية دينية في النجف الأشرف باسم (جمعية منتدى النشر)، وبعد أخذ ورد أجزت الجمعية.

البرنامج الاصلاحى في موضع التنفيذ

كان الهدف المعلن لـ (جمعية منتدى النشر) - كما سبق وأشرنا - هو طبع ونشر كنوز التراث العربي الإسلامي الذي تزخر به مكتبات النجف بعد تحقيقها تحقيقاً علمياً، وقد ابتدأت الجمعية عملها بنشر بعض النصوص التراثية المهمة مثل كتاب «حقائق التأويل في متشابه التنزيل» للشريف الرضوي، كما نشطت في حقل التأليف، حيث اقترحت على

(١) الأصفي، المصدر نفسه، ص ١١٤.

العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي تأليف تفسير مختصر للقرآن ليكون باكورة أعمالها، فاستجاب وألف تفسير «آلاء الرحمن»، وخرج منه جزآن وطبعاً، غير أن المنية عاجلته قبل اكماله.

وفي وقت مواز لهذا العمل ابتداء الشيخ المظفر تطبيق برنامج لاصلاح التعليم عملياً، وكانت نظرت له للعلمية التعليمية شاملة وكلية، إذ لم تقتصر على التعليم الأساسي (ابتدائي، ومتوسط، وثانوي)، بل تجاوزته إلى التعليم العالي، وهو في هذا يتميز عن غيره من المصلحين الذين قصرُوا جهودهم على مرحلة معينة من مراحل التعليم واجتهدوا لاصلاحها.

التعليم الأولي والأساسي

اهتمّ الشيخ أيضاً بالتعليم الأولي والأساسي والابتدائي والمتوسط والثانوي، لذا أسس سنة ١٩٣٦ م مدرسة للعلوم الدينية ابتداءً بصف واحد ثمّ توسعت إلى ثلاثة صفوف وإعترفت بها وزارة المعارف العراقية في حينه، ومع تقدم الزمن ونجاح التجربة الأولى استطاعت جمعية المنتدى أن تنشئ مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية في النجف تهدف من ورائها إلى تطوير الدراسة الدينية أسلوباً ومنهجاً، وتفاعلاً ببعض ما جد من الفكر التربوي المعاصر^(١).

ولم يتقصر نشاط الشيخ على النجف وحدها، بل راح يوسع من دائرة عمله الاصلاحية لتشمل مناطق العراق المختلفة، فمنذ عام ١٩٣٧ أسست جمعية المنتدى وأدارت عدداً من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في البصرة والحلة وكربلاء والكاظمية والشامية، نجح بعضها وتعثر البعض الآخر لأسباب محلية.

(١) الدكتور محمود المظفر، مقدمة الاقتصاد في الاعتقاد للشيخ الطوسي، الصفحة (ز)، ط ٢، دار

الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.

بل أنّ فكرة الجمعية في محاربة الجهل بشتّى ألوانه دعتّه إلى تأسيس وإقامة أول مركز أهلي لمحو الأميّة في العراق قبل أكثر من نصف قرن، أي في عام ١٩٤٤م، ثم أعادت فتحه سنة ١٩٥٨م، وفتحت مركزاً آخر ظلّ يؤدي مهمته حتّى فترة قريبة.

التعليم الجامعي: تجديد المناهج والأساليب

كان الشيخ المظفر فقيهاً مجدداً يستجيب لروح العصر وتطورات العملية التعليمية والمنهجية، وهذه الاستجابة تقتضي الانتقال بالدراسات الدينية من نظام (الحوزات) أو الحلقات المسجدية إلى الدراسة الأكاديمية المنظمة، وخصوصاً في الدور الأول من الدراسة الحوزوية المشتملة على المقدمات والسطوح، التي تعدّ الطالب لمرحلة البحث الخارج أو الاجتهاد، حيث يكون اعتماد الطالب على نفسه غالباً، وقد وجد الشيخ أنّ طبيعة المرحلة الثانية تأبى أي تعديل في شكلها ومحتواها، ولا يمكن اخضاع هذه المراحل من الدراسة لأي تنظيم خاص، وتبقى المرحلة الأولى هي التي تعاني من النقص وتحتاج إلى التنظيم والمنهجية، وقد شخّص الشيخ عوامل النقص في المادة العلمية والضعف في الأسلوب.

فبخصوص المادة العلمية التي يتناولها طالب الحوزة في المرحلة الدراسية الأولى لا تخرج عن النحو والصرف والبلاغة والمنطق والتفسير والفقه والأصول مع توسع في المادتين الأخيرتين، لكن هذه المواد رغم أهميتها لا تنهض وحدها بواجبات الطالب الرسالية من توجيه ودعوة وثقيف، ولا يستطيع الطالب أن يقتصر على هذه المادة التي يتلقاها في هذا الدور لو أراد القيام بدوره من التوجيه والدعوة على أوسع نطاق، بل لا بدّ له أن يتعرف على مناهج الفكر الحديث وبعض الدراسات البشرية وحقول من المعرفة التجريبية، هذا فضلاً عن امتلاكه الأداة البيانية الكافية من كتابة وخطابة للقيام بواجبه الرسالي في حقول الدعوة والتوجيه، ولو أراد طالب الحوزة أن يوفي هذه

الحقول الجديدة من الفكر حقّها من الدراسة والمعرفة فلا يتاح له بعد ذلك أن يتوسع هذا التوسع الهائل في دراسة النحو أو الصرف أو البلاغة وما يحمل في طيّاتها من أبحاث طويلة هي إلى الترف الفكري أقرب منها إلى أي شيء آخر^(١).

إنّ الشيخ المظفر يريد داعية أو عالم دين يعيش عصره ويلم بثقافته التي يتأثر بها سلباً أو إيجاباً، ولذا فإنّ الدروس التي يدرسها طالب الحوزة في نظام الحلقات المسجديّة التقليديّة لا تلبي احتياجات رجل الدين أو الداعية المعاصر، أضف إلى ذلك أنّ ما يدرسه الطالب يحتاج إلى تنظيم وترتيب من حيث الكيف والكم، فهناك توسع زائد في دراسة بعض المواد كالنحو والصرف والبلاغة قد يحتاج إليه المتخصص في هذه العلوم، أمّا طالب العلوم الدينيّة فهو يحتاج إلى اللغة لفهم النص الديني وبيان مرآيه وأهدافه للناس، ويجب أن يعطى من هذه تلك الحاجة وإلاّ انشغل بنحت العبارة وتفكيكها عن فهم محتواها ومقصودها، كما أنّ اختصار هذه المباحث المطولة قد يوفر عليه جهداً يبذله في حقول المعرفة الجديدة التي تتقدم كلّ يوم ولا يستطيع الإنسان المعاصر اللحاق بها إلاّ إذا بذل جهداً غير عادي.

هذا من حيث المادة العلميّة، أمّا من حيث الأسلوب فقد لاحظ الشيخ أنّ الكتب التي يدرسها طلاب الحوزة العلميّة في النجف يطغى عليها طابع الغموض والتعقيد، ممّا يحوج الطالب إلى أن يصرف جهداً كبيراً في فهم العبارة وما يظهر عليها من غموض وتعقيد، هذا بالإضافة إلى سوء التنظيم في تنسيق الأبحاث، ولو قدر للطالب أن يصرف هذا الجهد الذي يبذله في فهم العبارة في تلقي المادة نفسها أو الاحاطة بمعارف فكريّة أخرى تهم الطالب في أداء مهمته الرسالية، لو فرّ على نفسه كثيراً من الجهد وفتح أمامه

(١) المصدر السابق، الصفحة (خ).

أبواباً جديدة من الفكر^(١).

والحقّ أنّ صعوبة الكتب الدراسية المقررة في الحوزات العلميّة هي ممّا عانى وما زال يعاني منه طلبة العلوم الدينيّة حتّى اليوم، لأنّها كتبت بلغة قديمة ومعقدة يعسر فهمها، وقد بذل الشيخ المظفر جهوداً كبيرة لتيسير المادّة العلميّة على الدارسين، فألّف في العلوم العقليّة «المنطق، وأصول الفقه، والفلسفة الإسلاميّة» كتباً جديدة تضم عمق المادّة إلى جمال الأسلوب ووضوحه، وقد حلّت هذه الكتب محلّ الكتب والمتون القديمة، فكتابه المنطق باجرائه الثلاثة، كتبه بلغة حديثة واستفاد فيه من الرياضيات لكي يقرب قضاياها الصعبة من الافهام، وقد أصبح هذا الكتاب معتمداً للتدريس في جامعاتنا الدينيّة بدلاً من (الشمسيّة) و(حاشية الملا عبدالله) وغيرهما.

وقد سار رفاق الشيخ وتلامذته على نفس المنوال، فكتب العلامة السيّد محمد تقّي الحكيم كتاب «الأصول العامّة في الفقه المقارن»، وهو فتح جديد في هذا الباب، حيث قارن مذهب الإماميّة بالمذاهب الإسلاميّة الأخرى، ولم يكن مثل هذا الموضوع معتمداً للتدريس في النجف من قبل، كما كتب الشيخ محمد تقّي الايرواني في الفقه كتاباً عوضاً عن كتاب «اللمعة»، وألّف الشيخ مهدي مطر كتاباً في اللغة العربيّة، وكتب الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين كتاباً في العروض^(٢)، كما كتب الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي مجموعة من المؤلفات المهمة في «المنطق والفقه والأصول» و«تاريخ التشريع الإسلامي»، وهو أيضاً كتاب جديد في بابه عند الإماميّة، وكذلك في «رجال الحديث والدراية» وقد سار في تأليفه على منهج أستاذه المظفر في تبسيط المادّة العلميّة، والبعد عن التعقيد، والحفاظ على ما هو جوهري، والكتابة بلغة حديثة.

(١) الأصفى، السابق، ص ١٢٠، وانظر السيّد محمد تقّي الحكيم، المتندى تاريخ وتطور، مجلة النجف، السنة الثالثة، العدد الثاني، آذار، ١٩٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

طرق التدريس

لاحظ الشيخ المظفر أنّ الدراسة الفردية أو دراسة الحلقات المعروفة في الحوزة العلمية في النجف وغيرها من الحوزات المنتشرة في الوسط الشيعي لها جانبان: أحدهما إيجابي والآخر سلبي.

أمّا الإيجابي فكونها تدفع الطالب إلى الشعور بالمسؤولية إزاء نفسه، وتدفعه إلى البحث والتحضير أكثر ممّا تدفعه الدراسة المنظمة التي تعتمد على الامتحان وعلى مسؤولية المدرسة دون مسؤولية الطالب نفسه، وأمّا الجانب السلبي فيتمثل في أنّ الطالب قد يقضي وقتاً طويلاً في العثور على الأستاذ الخاص، وقد لا تتوفر في الطالب الدواعي النفسية التي تبعثه على العمل الضروري ولا يشعر بالمسؤولية التي يشعر بها الآخرون^(١).

ويمكن أن نضيف إلى ما سبق من الجوانب السلبية في نظام التدريس في الحوزة، انعدام شروط القبول، وغياب المقاييس والاختبارات التي تسبر قدرات الطالب وتبين مدى تقدمه، حتّى يتميز السليم من السقيم، ويعرف من جاء لأجل العلم ممّن جاء لمجرد طلب الرزق أو لأية أغراض أخرى، ولم يكن عدد هؤلاء قليلاً، فأصبحوا عالة على الجامعة الدينية وأمرأ مرهقاً للطلبة الأكفاء الذين نذروا أنفسهم لمهمة علمية جليّة. يقول المرحوم العلامة الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين الذي واكب حركة التجديد في الدراسات الدينية في النجف تلميذاً وأستاذاً، وهو يشير إلى تلك القضية: «كنّا نشكو من عدم وجود شروط لقبول الطالب في الجامعة الدينية، إذ كان بمقدور أي شخص أن يصير طالباً ويلف له عمامة ويقعد، وهذا الشيء كان مرهقاً لنا، لأنّه يفترض

(١) انظر، اللقاء الطويل مع المرحوم الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين، مجلة «النور»، ص ٤٨،

أن لا يقبل في الجامعة إلا من كانت عنده قابليّة وتهيؤ لمثل هذه الدراسة... وبالنتيجة فإنّ كثيراً من الذين دخلوا للحوزة في هذا الجيل لم تتوفر فيهم شروط القبول وأصبح وجودهم عالة على الحوزة والدراسة فيها^(١).

تأسيس الكليات الجامعية

لكي يأخذ البرنامج العلمي الجديد الذي وضعه الشيخ المظفر طريقه إلى التنفيذ، فقد وضع سنة ١٩٣٦ م، أي بعد سنة واحدة من تأسيس منتدى النشر الخطة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية أو كلية للاجتهد بفتح الصف الأول الذي كان يدرس فيه أربعة علوم هي: الفقه الاستدلالي والتفسير والأصول والفلسفة على شكل محاضرات توضع بلغة سهلة، وقد تولى تدريس هذه العلوم اثنان من كبار العلماء في النجف، واعتبر الشيخ المظفر قبولهما بالتدريس دراسة منظمة من أهم الأحداث في تاريخ النجف الأشرف، ويعدّ تضحية نادرة منهما تذكّر مدى الدهر بالتقدير والاعجاب بروحهما الإصلاحية^(٢)، غير أنّ هذا المشروع قد تعطل بعد سنة من البدء به لأسباب لا يذكرها المؤسس صراحة، وإن كنّا نستطيع استقراءها من واقع الصراع الذي نشأ بين المجددين والتقليديين، والمعوقات والضغوط الكبيرة التي مارسها أعداء الإصلاح ضدّ الشيخ المظفر ورفاقه.

بعد تعطيل المشروع السابق لم تفتر همة الشيخ لأنّه كان يستفيد من تجاربه سواء في الفشل أو النجاح للسير بخطوات حثيثة إلى الأمام، فقام بخطوة أقوى وأوسع حينما أسس عام ١٣٦٣ هـ/ ١٩٥٧ م (كلية منتدى النشر) تدرس فيها - لمدة أربع سنوات - العلوم العالية من الفقه والأصول، والكلام، والتفسير، والحديث، وأصول الحديث،

(١) الأصفي، المصدر السابق، ص ١٢١.

(٢) الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين، المصدر السابق، ص ٥١.

والتاريخ الإسلامي، وعلم النفس وعلم الاجتماع، والحساب، والهندسة، والجغرافيا، واللغة الانكليزية^(١).

استمرت كلية منتدى النشر في عملها إلى أن قرر الشيخ تأسيس كلية الفقه والتي اعترفت بها وزارة المعارف العراقية بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨، واعتبرت شهادتها معادلة للشهادات الجامعية (البكالوريوس)، وقد ضُمت في السبعينات إلى الجامعة المستنصرية في بغداد، ولعلها قد ألغيت الآن.

أمّا العلوم التي كانت تدرس فيها فهي: الفقه الإمامي، والفقه المقارن، وأصول الفقه، والتفسير وأصوله، والحديث وأصوله (الدراية)، والتربية، وعلم النفس، والأدب وتأريخه، وعلم الاجتماع، والتاريخ الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، والفلسفة الحديثة، والمنطق، والتاريخ الحديث، وأصول التدريس، والنحو والصرف، وإحدى اللغات الأجنبية^(٢).

وواضح من قائمة المواد التي كانت تدرس في كلية الفقه أنّ حوالي نصفها من العلوم الحديثة التي لم تكن مدرجة ضمن المنهاج التقليدي للحوزة، ولا يكاد طالب العلوم الدينية يعرف عنها شيئاً إلاّ بجهد فردي خاص، وقد وجد الشيخ المظفر أنّ الاطلاع على العلوم الاجتماعية ومناهجها الحديثة ضرورة لازمة للطلاب لأنها توسع من آفاقه وتربطه بالعصر ومستجداته، بل أنّ تدريس بعض المواد الرياضية كالحساب والهندسة وكذلك الجغرافيا في كلية منتدى النشر السابقة، وهي كلية دينية متخصصة، يعدّ خطوة جريئة لردم الهوة القائمة بين ما سمي علوم الدين وعلوم الدنيا، وتدللّ على فكر حضاري متقدم، وقد لا توجد له سابقة غير كلية دار العلوم التي أنشأها علي باشا

(١) الشيخ محمد رضا المظفر، منتدى النشر أعماله وآماله، ص ٨-٩، نقلاً عن أحمد القبيسي، حياة الإمام شرف الدين.

(٢) القبيسي، المصدر السابق، ص ٩٧.

مبارك في مصر في القرن التاسع عشر وكانت تدرس فيها العلوم الدينية والأدبية فضلاً عن العلوم الرياضية والتجريبية، لكنّها استحالَت فيما بعد إلى كَلِيّة للأداب فقط.

ولكي تستفيد المعاهد الدينية من المناهج الحديثة علماً، فإن الشيخ قد استعان بمجموعة من أكفأ الأساتذة في الجامعات العراقية للتدريس في كَلِيّة الفقه، كما استضاف عدداً من الأساتذة الزائرين من الجامعات المصرية لالقاء المحاضرات ليحقق ارتباط المؤسسة بالجامعات العربية، وكان لهذه الخطوة أكبر الأثر في معادلة شهادة كَلِيّة الفقه من قبل الجامعات المصرية، وإقبال أجيال من خريجي الكَلِيّة على اكمال دراساتهم العليا في مصر وغيرها من البلدان العربية والإسلامية والأجنبية، وقد برزت منهم نخبة لها مقام الريادة في مجال الفكر والأدب والدراسات الإسلامية في مختلف فروعها.

ولا أجد صورة تبين مقدار جهود الشيخ المظفر وتضحياته في تأسيس كَلِيّة الفقه، خيراً ممّا دونه أحد تلامذته، حيث يقول: «وقد بذل فقيدنا الشيخ حياته في سبيل تنمية هذه المؤسسة باخلاص وإيمان يعز مثيله في نفوس المجاهدين، فكان يقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية، وإدارة الصفوف عند غياب بعض المدرسين، في سائر العلوم، وكان في الوقت نفسه يعدّ مجلدات كتابه «أصول الفقه» للتدريس في كَلِيّة الفقه وفي حوزة النجف الأشرف باعتباره الحلقة المفقودة بين كتب معالم الأصول وكفاية الأصول، وبيّش مهام الإدارة والعمادة والتأليف، وحتى تدوين السجلات في بعض الأحيان، وكم رأيت الشيخ وهو يقوم بتدوين سجلات الطلبة أو مراجعتها، أو طباعة بعض الرسائل بالآلة الطابعة، وحاول في الوقت نفسه أن يقوم بتبسيط الكتب الدراسية وإزالة التعقيد والغموض عنها، ليسر للطلاب المادة الدراسية في الدرس من غير جهد ومشقة، وليوفر على الطالب كثيراً من الجهود التي يبذلها في هذا السبيل ليصرفها في مجالات الفكر الرحبة، وحرّر لذلك كتابيه «المنطق» و«أصول الفقه» فحرر بهما هذين

العملين من غموض وتعقيد الكتب القديمة»^(١).

إصلاح وضع الخطابة وتأسيس كلية الوعظ والإرشاد

يمتلك الشيعة وسيلة مهمة للدعوة وأداة حساسة للاتصال بال جماهير ألا وهي المنبر الحسيني، لكن هذا المنبر بقي مشلولاً وعاجزاً عن أداء دوره الحقيقي في نشر الوعي الديني بين الناس وتعريفهم بحقائق الإسلام الخالدة التي لم يثر الحسين عليه السلام إلا من أجلها، ولكي يؤدي الخطيب رسالته على الوجه الأمثل لابد له من الإحاطة بشؤون الفكر الإسلامي من فقه وتفسير وحديث وتاريخ وغير ذلك، ولابد له أيضاً أن يطلع على آفاق الفكر الحديث وشؤون المعرفة التجريبية، لأن الخطيب داعية، ومهمة الداعية أوسع وأشمل من مهمة عالم الدين المتخصص.

ولتحقيق تلك الأهداف وضع الشيخ المظفر ضمن برنامجه الاصلاحية فكرة تأسيس معهد خاص للخطابة باسم (كلية الوعظ والارشاد) تتيح للمتخرج «أن يعظ باسم الدين وأن يكون ذاكراً للحسين عليه السلام»، وقد ألفت لجنة خاصة لهذا الغرض عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣ م برئاسة خطيب العراق الشهير الشيخ محمد علي قسام «وذلك على أثر التحسس العام الذي ظهر في جميع الأوساط المثقفة في العراق بضرورة تهذيب ناشئة خطباء المنبر الحسيني وتثقيفهم ثقافة عالية تليق برسالة الإمام الحسين عليه السلام»^(٢).

وقد باشرت اللجنة عملها بفتح صف تجريبي أول لدراسة الفقه والعلوم العربية وأصول الدين وأصول الحديث (علم الدراية)، ولم يمض شهر واحد على الافتتاح حتى ثارت على تلك اللجنة زوبعة عنيفة بحجة أنها تسعى لتحديد نوع خطابة المنبر الحسيني وتحديد أشخاص الخطباء، وأنها تريد تقليص ذكر الحسين عليه السلام وغير ذلك من

(١) الآصفي، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٩-١٣٠.

التهم الباطلة التي كانت تكال لهذه اللجنة، في حين أنّ أعضاءها من مشاهير الخطباء وأتقيائهم الذين يحرصون كلّ الحرص على خدمة الحسين عليه السلام ومنبره، وما كان تأليفهم لتلك اللجنة إلا بدافع الاخلاص للدعوة الحسينية لغرض تثقيف ناشئة الخطباء، وللأسف فإنّ الجهات المستفيدة من بقاء الخطابة على ما هي عليه، استطاعت تحريك العامة بتلك التهم الباطلة، وثارَت في النجف عاصفة هوجاء ضد المتدّي ومشروعه ممّا اضطر المشرفين على لجنة كلفة الوعظ والارشاد إلى إلغائها تفادياً لحصول ما لا تحمد عقباه، فخرست الجامعة العلمية في النجف مشروعاً اصلاحياً مستنيراً لو قدر له البقاء لكان له أكبر الأثر في مسار الحركة الإسلامية والحفاظ على أجيال من الشبيبة الذين جذبتهم منابر أخرى تجيد لغة الخطاب المعاصر وتعالج هموم الشباب ومشكلاتهم النفسية والاجتماعية من منطلقاتها الايديولوجية الخاصة.

آثاره العلمية

إنّ أفذاذ الرجال لا تقاس حياتهم بطول أعمارهم بل بضخامة أعمالهم، والشيخ المظفر من هؤلاء الرجال الذين تركوا أثراً كبيراً فيما شيد من مؤسسات ومدارس وكيّات، وما خرّج من طلاب نشروا رسالته العلمية الاصلاحية في أنحاء مختلفة من العالمين العربي والإسلامي، بل وفي الغرب أيضاً، وكذلك فيما كتب من مؤلفات أصبحت مراجع لا يستغنى عنها في المعاهد العلمية القديمة والحديثة.

طبع للشيخ المظفر كتاب: المنطق في ثلاثة أجزاء، وأصول الفقه في جزأين، وعقائد الإمامية، والسقيفة، وعلى هامش السقيفة، أجب فيه على الردود التي صدرت أثر ظهور كتابه، وحاشية على خيارات مكاسب الشيخ الأنصاري، أحلام اليقظة «في الفلسفة»، فلسفة ابن سينا، ترجم حياة الشيخ الرئيس ونقد بعض آرائه ولا يزال بعض مؤلفاته مخطوطاً، مثل محاضراته في الفلسفة الإسلامية التي ألقاها على طلبة كلية الفقه

في النجف، ومذكراته.

وفاته

لقد تركت الأعمال الكبيرة التي نهض الشيخ المظفر (رضي الله عنه) بتخطيطها وتنفيذها، وكذلك الضغوط النفسية التي مارسها ضده أعداء الإصلاح، أثرها الكبير على صحته، ولعلها كانت السبب المباشر في وفاته المبكرة وهو لما يبلغ الستين من عمره، إذ فاجأته نوبة قلبية لم تمهله طويلاً، ففارق الحياة عام ١٩٦٣، وشيّع تشييعاً مهيباً، ودفن في مقبرة خاصّة في النجف الأشرف.

المعاصرة والمستقبلات في مشروع المظفر

أ.م.د. عبد الأمير كاظم زاهد

المبحث الأول تمهيد،

المطلب الأول: فرضيات البحث:

تطرح هذه الورقة مجموعة تساؤلات، نحاول الإجابة عنها، وأبرز هذه التساؤلات:

١ - هل كان للشيخ محمد رضا المظفر مشروع ثقافي؟ وهل له من يناظره في العالم؟

٢ - ما عناصر ذلك المشروع؟

٣ - ما المساحة التي تحتلها المعاصرة، والمستقبل في هيكل ذلك المشروع؟

٤ - ما الذي حققه ذلك المشروع من الأهداف المرسومة له؟

قبل الشروع بالإجابة عن هذه التساؤلات، من خلال الانجاز العلمي للشيخ

المظفر، أو من خلال سيرته ومن كتب عنه.

أولاً: لا بدّ من إيضاح المراد بمصطلح المشروع الثقافي.

المطلب الثاني: تحديد مصطلحات البحث:

المشروع الثقافي:

يراد بالمشروع الثقافي: تخطيط لنهوض ثقافي يبدأ من حساب «إمكانيات الوضع

الثقافي السائد في أكثر من نطاق «محدد الأهمية» ودراسة لمعوقات النهوض.

وتشخيص حاجات الحاضر والمستقبل وبرمجة التأهيل المعرفي في ضوء تلك

الحاجات».

إذن المشروع الثقافي: فهم دقيق للتراث وإمكانياته «وضع ثقافي معيّن» وتشخيص لمعوقات النهوض، وبرمجة للفعاليات الثقافية ضمن تنبؤات حاجات الحاضر والمستقبل. وأغلب الظن: أنّ المراد بالمشروع الثقافي... مفهوماً وتطبيقاً أعمّ من مصطلح (التجديد) لأنّ التجديد: قد يكون جزءاً من مشروع في نطاق محدد على مستوى تنظيم فكري ما، أو مستوى برنامج تأهيل... أو غيره.

أمّا المشروع، فهو حركة فكرية تعمّ أكثر من نطاق، رؤية تتسع لأكثر من مجال وربما يشكل المشروع نظرية في وجهة الثقافة أو مشكلاتها ويضم أسباباً موجبة للتفكير به، ومجموعة إجراءات مخططة وأهدافاً قريبة وبعيدة، ونتائج تطبيقية تستحدث ظواهر في الحاضر والمستقبل فالتجديد بناء على هذه التحديدات أخصّ في أغلب حالاته من المشروع.

أمّا المعاصرة:

فهي تشخيص لمتطلبات التطور الفكري الحالي في المعلومات والمنهج بما يتناسب مع حاجات «حاضر ذلك المشروع».

وتوظيف الإمكانيات المتاحة وما يلزم استحدثاته من إمكانيات أخرى.

أمّا المستقبلية:

فهي رؤية تنبؤية لامتدادات وتطور العلاقة بين الإمكانيات الثقافية المتاحة والحاجات المتوقعة ظهورها في الوضع الحضاري لمجتمع ما، بما يغطي زمناً منظوراً.

التصور المستقبلي: هو جهد يحاسب لصيرورة ثقافية تفي بمتطلبات، ومن منظور ولا ينفى أنّ الدراسات المستقبلية تحظى حالياً بالأهمية البالغة في الجامعات المتقدمة ومراكز البحوث العالمية، وترصد تلك الدراسات حاجات المجتمع الثقافية في زمن

منظور.

المطلب الثالث: مشاريع ثقافية مماثلة:

في هذا البحث نتساءل:

هل بالامكان الإشارة إلى مشروعات ثقافية عرفها التاريخ الحديث ؟

ونجيب: بنعم.

ولنضرب على ذلك مثالين: لمشروعين ثقافيين في العالم العربي (ومصر بالتحديد).

أ - ففي أوروبا مثلاً: طرح توما الاكويني (١٢٧٤ م)، الأستاذ في جامعة باريس مشروعاً لشرح كتب أرسطو، واهتم بالمنهج في كتابه (الخلاصة اللاهوتية).

وألفت النظر هنا إلى (كتاب الشيخ، عقائد الإمامية) الذي يتوازى في الأثر مع كتاب الخلاصة اللاهوتية، وقد كتب الاكويني مشروعه عن التعليم، معتمداً على طرائق العقل في تحصيل العلم وانتهى مشروعه إلى أنه:

«يجب أن يكون هدف كل نظام تعليمي، تعويد المتعلم أن يستخدم طاقاته الفكرية كافة» لا يزال من يتأثر بآرائه في فلسفة العلوم في نطاق الدراسات الأكاديمية العالمية.

ب - وفي عام ١٦٥٠ م طرح رينية ديكارت العالم الرياضي مشروعه في تطبيق المنطق الرياضي على الفلسفة.

ورفض الاعتماد على المنهج الاسكولائي فأقام فلسفته على الشك المنهجي الذي انتهى به إلى إثبات وجود الله تعالى.

«وهنا نشير إلى إهتمام الشيخ بالمنطق، بإعادة صياغة منهج للتفكير موصل إلى نتائج يقينية».

ولديكارت رسالة في المنهج، أحدثت أثراً كبيراً في تاريخ التربية، فقد كان مشروعه

يهدف إلى تدريب العقل على التفكير الحر المنطقي ويقول عنه مالك بن نبي، المفكر الجزائري: «إنّ ديكارت هو الذي بنى للثقافة الغربيّة طريقها الموضوعي»^(١).

أمّا في العالم العربي لنا أن نستشهد بالشيخ حسونة النواوي في الأزهر (١٨٩٦ م) الذي حلّل أوضاع الأزهر، وأدخل التعديلات على نظامه وفقاً لمسيرة الزمن وتطور الأوضاع واختلاف أساليب الحياة، ثمّ صدر لمشروعه قانوناً شاملاً مكوّناً من ٦٢ مادة أعطى للأزهر فيه صفة (الجامعة الحديثة) وكان في القانون نظام للإدارة وطريقة للدراسة ونظام للقبول ونظم أخرى متفرقة.

وبالقانون: عين الشيخ محمّد عبده ضمن أعضاء مجلس إدارة الأزهر.

ثمّ مشروع الشيخ محمّد مصطفى المراغي:

الذي تحول مشروعه أيضاً إلى قانون عام ١٩٣٦ م، فتحول الأزهر به إلى كليات ثلاث ومعاهد إسلاميّة، وصدرت عام ١٩٣٩ لائحة البعثات العلميّة للأزهر، وبه: خرج الأزهر إلى الدنيا الواسعة.

وفي ضوء هذه التحديدات نعود للتساؤل المهم هل كان للشيخ المظفر مشروع ثقافي؟

أقول: إذا عرضنا لمجموعة من أركان «فكر المظفر» وإنجازاته يمكننا أن نعيد رصفها من جديد ليظهر لنا أنّ الشيخ كان يفكر بعمق بمشروع ثقافي ذي مفاصل مترابطة.

(١) ظ: مالك بن نبي: مشكلة الثقافة.

المبحث الثاني: عناصر المشروع الثقافي للمظفر:

أمّا عناصر ذلك المشروع فتتكون من:

١ - دوافع المشروع، ومعوقات الوضع الثقافي النجفي في الربع الأوّل من هذا القرن، وآثارها في الهدر الزمني وهدر الجهد.

٢ - أهداف المشروع: ضمن تصورات حاجات الحاضر والمستقبل.

٣ - برنامج المشروع ويشتمل على:

أ - برنامج التأهيل «للاجتهاد».

ب - مؤسسات التأهيل.

ج - مكملات التأهيل.

٤ - نتائج المشروع - بعد التطبيق:

أ - على مستوى المتحقق الملموس فعلياً.

ب - على مستوى الوعي التاريخي بأهمية المشروعات الثقافية.

المطلب الأوّل: الدوافع العامّة للمشروع الثقافي:

أمّا دوافع مشروع المظفر:

فإنّها تبدأ من نقطة تقييمه لدور النجف العلمي والفكري ضمن مجموعة حقائق:

الحقيقة الأولى:

فالشيخ المظفر: كان يرى أنّ النجف الأشرف مركز بيئة ثقافية فكرية عالمية النطاق، ويراها مدينة تكون مؤسسة علمية لها رؤية فكرية ومنهج علمي ومنظومة من المعارف والمصاغة بجهد مجموعة من الأجيال.

ويرى: أنّ المهمة الضخمة التي تقع على النجف:

تخريج قادة علميين يقودون الجهد المعرفي في بلدان العالم ويصوغون العقل الإسلامي ويكونون الرأي العام.

ونستطيع أن نبرهن على هذه الرؤية للشيخ المظفر من خلال نصوص عديدة سأكتفي منها بهذين النصين:

١ - جاء في ترجمته للشيخ صاحب الجواهر وهو يصف مهامه فيقول: «كان عليه أن يدير شؤون النجف والعالم الإسلامي التابع لها»^(١).

ويثني عليه فيقول: «إنتهت إليه الرئاسة - كذا - وتفرد بها لا يشاركه مقارن ولا يزاحمه معارض في النجف وخارجها».

وبهذا: يجعل النجف في كفة، وخارجها كلّ في كفة.

٢ - لم يسلم الشيخ المظفر أنّ الشيخ الطوسي، قد هاجر إلى مدينة قفراء من الدرس العلمي، بل لم يسلم بانتقال الدرس الحوزوي إلى كربلاء فيقول:

«إنّ النجف بقت تنازع قوة جذب الوحيد (١٢٠٨)»، ويشيد بالسيد بحر العلوم (١٢١٢) والشيخ جعفر الكبير (١٢٢٨) اللذين حولاً الاتجاه شطر النجف^(٢).

ونظائر هذه النصوص كثير تجدها في مجلة النجف، ومطالبتها للمدينة.

الحقيقة الثانية:

إنّ كتابات الشيخ عن النجف كانت تفوح عطراً عندما يتوقف إزاء حركة تجديد تحصل فيها، وتعظيم لشخوص المجددين عبر تاريخها - بدءاً من الشيخ المؤسس لعلوم الشيعة، مروراً بتجديد المحقق لترتيب أبواب الفقه في كتابه الشرائع، بل تجده إذا مرّ بالأنصاري - يصف عبقرياً وصفاً أقله أن تشم عطر شذاه من حقبة الزمنية

(١) المصدر السابق ١: ٣.

(٢) الجواهر ٩: ١.

(١٢٦٠هـ)، وهكذا يشير قلمه المبجل للريادات المجددة مثل أستاذه الأصفهاني فيتابعه في منهجه الجديد في الأصول.

الحقيقة الثالثة:

كان المظفر يرى أنّ النجف «خزين للفكر الإسلامي، والبحث العلمي في علومه أكثر من أي حاضرة أخرى، ويعتقد أنّ إمكانياتها العلمية مبدعة ومتفوقة فيما تملكه من عقيدة أصيلة بمواصلة الاجتهاد في الأصول والفروع وتراث ضخم بدءاً من «روايات الأئمة عليهم السلام» ثمّ بالمدونات التأسيسية، ثمّ اللاحقة، ثمّ المطورة» إلى جانب عقل علمي متميز.

هكذا كان يرى النجف:

وإلى جانب ذلك: كان يرى أنّ مجموعة من المعوقات تمنع هذه الطاقات والإمكانيات من أن تحقق هدفها الذي وجدت من أجله وهذه المعوقات هي:

أ - تقاليد منشؤها العرف تمنع من التواصل مع الحاضر والمستقبل.

ب - غموض في المتن الفقهي والأصولي بل في أغلب متون الدراسة.

ج - عدم وجود مؤسسات حديثة.

د - ضيق التخصص، وفقدان البرنامج العلمي الناضج والدقيق.

وهذا يؤدي بها إلى:

١ - الهدر في الجهد والزمّن.

٢ - تناقض المعطيات سواء في كم ونوع المجتهدين الذين تخرجهم المدينة أو في كم ونوع المنجز العلمي لها.

وبهذا تفقد المدينة فرصتها التاريخية في أن تكون «مركز العالم الإسلامي» لذلك

توجب عليه:

أن يخطط لها مشروعاً ثقافياً يستهدف إجرائياً ربط إمكانيات المدينة بالأهداف الحاضرة والمستقبلية لها ببرنامج إعادة تأهيل علمي دقيق.

المطلب الثاني: البرنامج العام للمشروع الثقافي:

برنامج المشروع الثقافي للشيخ المظفر

يشتمل المشروع الثقافي للمظفر على ثلاثة اجراءات:

أ - ايجاد برنامج تأهيل المجتهدين.

ب - ايجاد مؤسسات لتطبيق البرنامج.

ج - ايجاد المكملات الملبيه لضرورات الحاضر والمستقبل.

أمّا برنامج التأهيل فيتفرع إلى:

أ - ١ - إعادة صياغة المتن الدراسي.

أ - ٢ - إعادة تخطيط مراحل التأهيل.

أ - ٣ - توسيع مواد التأهيل كماً ونوعاً.

أمّا المؤسسات:

فلابدّ من هيكل مؤسسي ظهر في «متنّدى النشر» تتفرع منه مدارس ابتدائية /

إعداديّة / جامعيّة.

أمّا المكملات:

فأبرز عناصرها المنتقيات العلميّة كالمؤتمرات.

وضرورة إصدار الدوريات (كأنشط حلقة للتواصل العلمي).

وتحقيق المخطوطات، ونشر الكتب، وتنشيط الفعل الثقافي منها.

ماذا تحقق من المشروع؟

فعلى مستوى برنامج التأهيل: تمت إعادة صياغة المتون بما يتناسب مع لغة العصر وحاجاته فقام - هو - بإعادة صياغة مادّة أصول الفقه فأسس حلقة تصلح لخريج الاعدادية، وتصلح لطالب الحوزة حلقة وسطى بين المعالم والقوانين أو بين المعالم من جهة والرسائل والكفاية من جهة أخرى، وهكذا نلاحظ هذا الجهد في المنطق والفلسفة «يلاحظ ذلك في مجموعة مقالاته في (النجف) وكتابه أحلام اليقظة».

وشجّع تحقيق كتاب شرائع الإسلام، وكانت تهمة بدرجة كبيرة (مسألة إعادة صياغة المتون).

إنّك لتجده يشخص عناصر القوّة في كتاب الجواهر فيذكر أنّها «براعة البيان، وحسن التدريس، غزارة العلم، وثاقب الفكر والبحث الدؤوب في الدرس والتأليف»^(١).
لذلك يقول عن المظفر أحد مترجميه.

«تمتاز كتابته بجمال التعبير وسلامة الأداء، وجدة الصياغة وروعة العرض ودقّة الفكر وعمق النظرة وجدّة المحتوى»^(٢).

ثم يركز هذه الفكرة بقوله:

«والدهش أنّ ذلك كلّ في مواضيع علميّة معقدة كالأصول والمنطق والفلسفة التي يعرف الجميع أنّه ممّا تعسر صياغتها بأسلوب أدبي».

وإذا توقفنا عند كتابه أحلام اليقظة تجده يحاور صدر المتألمين بإعادة صياغة الأفكار

(١) مقدمة الجواهر ١: ٩.

(٢) مقدمة عقائد الإماميّة.

الفلسفة عالية المضامين بحيث اضطر قلم يكتب عن المظفر أن يقول: «لا أبالغ إذا قلت أن كتابه أحلام اليقظة فتح كبير في الكتابة الفلسفية... فلقد حاول أن يخضع الكتابة للفلسفة والفلسفة للكتابة»^(١).

ولعله - بإعادة المتن الأصولي والفلسفي ومتن المنطق - قد انضج بما لم ينهض به الآخرون، تاركاً الأدب والتاريخ والتفسير والحديث لغيره.

ومع ذلك ظلت على ما هي عليه.

أمّا في مجال إعادة تخطيط مراحل التأهيل.

فإن للشيخ رؤية تدل على الوصول إلى مرتبة الاجتهاد عبر ثلاث مراحل.

أ - مرحلة المقدمات: وتقابل «مرحلة الدراسة الأولية والإعدادية».

ب - المرحلة الوسيطة: وتقابل «المرحلة الجامعية».

ج - المرحلة الأخيرة: مرحلة البحث الخارج «الدراسات العليا».

وفي تقدير الباحث أنّ صورة هذه المراحل صورة هرمية تبدأ بقاعدة واسعة من المعلومات التي تتركز بالتالي عليها حتى التخصص الدقيق.

إنّ هذا التخطيط: هو بالضبط «العرف الجامعي العالمي» الذي أنقذ في ذهن الشيخ من دون أن يكون عضواً في أكاديمية علمية.

وهكذا تحولت هذه المراحل إلى مؤسسات علمية تغطي كلّ مؤسسة مرحلة معينة ستتضح أثناء حديثنا عن فقرة المؤسسات المطبقة للمشروع.

بقيت قضية واحدة: وهي أنّ الشيخ اعترض على ضيق (مواد التخصص) في مدرسة النجف فخطط أن يضيف «للفقه والأصول والمنطق والكلام» العلوم العصرية

(١) مقدمة عقائد الإمامية.

المساعدة لتكوين أيتمولوجيا تأهيلية موظفة لصالح الاجتهاد، منها إتقان لغات أجنبية. وتكمل فقرة «المؤسسات العلمية» أركان المشروع.

فقد تقدم في كانون الثاني ١٩٣٥ بطلب تأسيس جمعية منتدى النشر ليجعلها أم المؤسسات، ومن خلالها وجدت:

١ - مدارس المنتدى الابتدائية.

٢ - مدرسة الإعدادية.

٣ - المدرسة العالية - قبل اجازة الكلية.

وبذلك وقف الشيخ المظفر وقفة (دقيقة) بين نظرية تحريم الإنخراط بالمدارس الرسمية، وبين الموقف غير المبالي، والإنخراط في مدارس رسمية، فاعتمد «إنشاء البديل لما هو مرفوض» كما نصّت عليه فتاوى عصره وزاوج في مناهج المدارس بين المواد العصرية، والمواد الإسلامية، إنه بهذا يحلّ مشكلة الصراع بين التعليم الديني والتعليم المدني كما كان يسمى، ولعلّ في رؤيته أن ينقل المتفوقين النابهين من كلّ مرحلة إلى التي تليها، ليحقق تعليم الصفوة أو النخبة رافضاً نظرية التعليم الجماهيري، وبذلك أصبحت الكلية الرسمية ضرورة لاستكمال عناصر المشروع، فوضع عام ١٩٣٧ مشروع كلية تهيم للاجتهاد من جهة مستمراً إياها أيضاً: لتخريج مجموعة من خطباء المنبر جرياً وراء أهداف المشروع الذي تقدم في الأهداف العامة له.

في عام ١٩٥٦ أسس كلية الفقه، وحصل على الاعتراف الأول بشهادتها عام ١٩٥٧، ثم أعيد الاعتراف بها عام ١٩٥٨ وتخرجت الدفعة الأولى في العام الدراسي ١٩٦١ - ١٩٦٢.

وبذلك: تكون المؤسسات الثقافية خطاً متوازياً في معادلة إعادة التأهيل.

المطلب الثالث: المكملات العامة للمشروع الثقافي:

أمّا ثالث الفقرات في عناصر المشروع فهو المكملات:

- فقد بادر الشيخ إلى عقد الملتقيات العلميّة والمؤتمرات، فساهم في بعض منها كإسهامه في ملتقى الباكستان والمغرب ممثلاً للنجف ونشاطها العلمي.
- وأدرك الشيخ أنّ هذا المشروع الضخم يحتاج إلى «دوريّة» معبراً عن فعالياته فأصدر مجلة النجف، وقبلها مجلة البذرة.
- فضلاً عن أنّه واصل الكتابة في مجالات أخرى خارج النجف منها مقالاته في مجلة الرضوان.

- على أن يجدر التنبيه أنّ للشيخ ممارسة وإطلافاً على المجالات الصادرة في عصره، فقد كان يطلع عليها اطلاع الناقد لمضامينها والمستفيد من تقنياتها كالهلال والمقتطف.
- وثالث المكملات: أنّ المشروع يرصد جزءاً من جهده وإمكانياته لتحقيق المخطوط، فقد أسهمت المنتدى بتحقيق المراسم^(١) والوسيلة إلى نيل الفضيلة^(٢) وشجعت تحقيق السرائر لابن إدريس^(٣) والاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد^(٤) وغيرها من المخطوطات.

بل: شجعت تحقيق بقية أمهات الفقه الإمامي، ولعلّ تقديم الشيخ المظفر لموسوعة الجواهر يشعر بدوره في التعجيل بهذا المشروع ودعمه يكشف عن ذلك رجاء الشيخ المظفر للقائمين على تحقيقها بما يكشف عن حرص بالغ مصاغ من نبضات قلبه إذ يقول:

(١) صدر بتحقيق د. محمود البستاني / ١٩٨٠.

(٢) صدر بتحقيق د. عبد العظيم البكاء / ١٩٧٩.

(٣) حققه السيّد محمّد مهدي الخرسان ولم يطبع.

(٤) حققته لجنة في منتدى النشر.

«عليهم - أي المحققين - ابرازه بحلّة جميلة تريح الطالب وتملأ نفس المطالع اطمئناناً وثقة»^(١).

المطلب الرابع: نتائج تطبيق المشروع الثقافي:

هذا هو المشروع الثقافي للشيخ المظفر، وهذا بعض ما تحقق منه.

ولعلّنا: بعد عرض مفاصله في غنى عن الإشارة إلى «هواجس المعاصرة والمستقبلات فيه» فهو عملية استفادة دقيقة من الإمكانيات المتاحة، وعلاج علمي لمعوقات النهوض وتشخيص دقيق لمطلوبات الحاضر ومحاولة جريئة لتليبيتها وتحديد تنبؤي لحاجة المستقبل وتهيؤ واستعداد لأستيفائها، لقد انتهى تطبيق هذا المشروع إلى مجموعة نتائج.

أ - إنّه تغلب على عناصر الشد إلى المتن القديم، فحقق نقلة بعرض المضمون العلمي بلغة وأسلوب معاصر ليربط بين الكتاب القديم ومقالات وتقنيات العرض المتخصص للمعلومة في الحاضر.

ب - واجه المشروع - سمة العصر - السرعة والاختزال ليحمي مستقبل النجف من أن يتأخر عن ركب الحواضر الثقافية، فسعى إلى تكثيف وتعميق برنامج التأهيل.

ج - اندفع المشروع لكي لا يكون خريج مدرسة النجف بعيداً عن علوم عصره المتعددة وأساليبها في النشر والتحقيق والدوريات والمؤتمرات العلميّة.

د - شكل مشروع المظفر تجربة رائدة كانت توازي تجربة اصلاح الأزهر في مصر.

هـ - خرجت الكلية أكثر من (٣٠٠٠) حامل شهادة بكالوريوس في اللغة وعلوم الشريعة أكمل عدد كبير منهم دراساتهم العليا.

- و - أنجز المشروع عدداً من الكتب الجديدة، والمحقة وأصدر أكثر من دورية.
- ز - لا يزال هذا المشروع «ورقة اصلاحية قائمة» تصلح خطاباً موجهاً إلى النجف وبنائها.

المبحث الثالث،

آراء للشيخ محمد رضا المظفر، ورصد للمعاصرة والمستقبلات في مشروعه الثقافي: إذا كان المشروع الثقافي - نظيراً - هو مجموعة من الآراء والمواقف إزاء قضية معينة، فإنّ للشيخ مجموعة من الآراء العلميّة تكون مجموعة مواقف أحاول رصد صلتها بالمشروع - وما يميزه من منظور للحاضر وتحسب للمستقبل.

وسأصنف هذه الآراء وفقاً لمحاوّر المشروع وهي:

١ - آراؤه في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة.

٢ - آراؤه في التقليد - في الأصول والفروع.

٣ - آراء فنيّة في فلسفة اللغة.

٤ - آراء متفرقة.

المطلب الأوّل: فكرة التقريب بين المذاهب:

يرى أحد الباحثين المرموقين، أنّ الحوار بين الاتجاهات الإسلاميّة في القرن الثالث الهجري كان يجري على مسرح الخلاف العقائدي، لوجود ما يتنافس مع النظام العقائدي من النظم العقائدية الموروثة عن الحضارات السابقة.

أمّا اليوم: فإنّ بؤرة الحوار متركزة في التشريع والقانون، للصدام بين التشريع الإسلامي والمناهج الأوروبيّة في الاقتصاد والعلوم الاجتماعية الأخرى ويكسب خصوم

الشريعة الموقف إذا استغلوا الخلافات الفقهيّة^(١) بين المذاهب ليظهروا عجز الفقه الإسلامي عن مجارة النظم القانونيّة الوضعية، أدرك الشيخ هذه المشكلة فاعتنى بمهمة إعادة بناء الفقه الإسلامي بتوظيف المناهج والمفاهيم الحديثة، بإعادة بناء عقل المجتهد في ضوء ذلك وتوظيفه في عرض المفاهيم الإسلاميّة عرضاً معاصراً، فمن دون عقل جديد لا يمكن أن يقوم اجتهاد جديد.

وإزاء فكرة التصارع بين المذاهب نلاحظ أنّ الشيخ يضع يده على أفضل علاج فيقول: «وإنّي لو اتق أن فكرة التقريب بين المذاهب أصبحت حاجة ملحةً وهدفاً رفيعاً لكلّ مسلم غيور على الإسلام، مهما كانت نزعتة المذهبيّة»^(٢).

ويصرح: «أنّ مواقف الأئمة عليهم السلام توجب تبني الدعوة إلى وحدة المسلمين» ويستدل بسيرتهم ويتوقف ملياً عند دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام لجيوش المسلمين^(٣)، ويقرر الشيخ المظفر: «ليس مهماً اثبات أنّ الأئمة عليهم السلام هم الخلفاء الشرعيّون، وأنّ اثبات ذلك لا يعيد دورة الزمن من جديد، إنّما المهم لزوم الرجوع إليهم»^(٤)، إنّ هذا الموقف: ربّما يشكل سبباً في آراء كثيرة تظهر في أكثر من موضع ومنها ما ظهر في مبحث التعارض والترجيح.

فيقرر لقاعدة «الرشد في خلافهم» تفسيراً علمياً منطقياً مقبولاً^(٥).

ومن يطلع على حواراه مع «أحمد أمين» على صفحات مجلة الرسالة يلحظ أنّه يركز

(١) الجابري: الدين والدولة: ص ١٥٥.

(٢) عقائد الإماميّة: ص ٢٧.

(٣) عقائد الإماميّة: ص ١١٥.

(٤) ن. م.

(٥) للمظفر: أصول الفقه ٢: ٢٥٠، ظ الأصول العامة.

على ضرورة البحث والنقاش في جو طليق، وضرورة الدراسة العلمية والبحث الحر^(١).
إذا كان المظفر في الخمسينيات يضع هذه التصورات لرصّ الصف الإسلامي وتحديد ما هو عملي وناضج وملبي لحاجاته الحاضرة والمستقبلية فإنّ أبعاد رؤيته تكاد تكون فريدة إذا ما قسناها مع ما هو سائد آنذاك.

المطلب الثاني: آراؤه في التقليد / في الفروع والأصول:

يعرف الجميع ما تسالم عليه عرف العلماء أنّ أصول العقيدة ممّا يجب على المسلم عقلاً قبل وجوبه شرعاً التوصل إلى إحرازه على وجه القطع، لكن المظفر يستثني منه موضوع القضاء والقدر والرجعة، حيث يرى أنّه لا يجب فيها النظر والفحص الذاتي، ويجوز فيها الرجوع إلى الغير لا سيّما لغير المختصين بعلوم الشريعة، لأنّها في رأيه من أدقّ مباحث الفلسفة لا يدرك الموقف منها إلّا الأوحدي من الناس لذلك زلت بالبحث فيها أقدام كثير من المتكلمين.

والمظفر: إذ يعرض قضية الأمر بين الأمرين، إنّها يتجاوز في ذلك تنظيرات الأشاعرة في نظريتهم المسماة بنظرية الكسب.

ونلاحظ في بعض آراء المظفر مرونة رائعة كما هو رأيه «في موضوع الرجعة» يقول الشيخ: «ليس القول بالرجعة من الأصول التي يجب الاعتقاد بها، والنظر فيها، والاعتقاد بها إنّما حصل للأثار الصحيحة، ولأنّها ممّا لا يتمتع عقلاً وشرعاً»^(٢).

أمّا في الفروع:

فيرى المظفر أنّ الاجتهاد في الفروع هو وظيفة ثلّة من المختصين وهم الذين يجب الرجوع إليهم، لثلاث يشقّ على الناس فرداً فرداً تحصيل الملكة لكنّه لا يرى حصر التقليد

(١) المظفر: السقيفة، وعقائد الإمامية: ص ٣٠.

(٢) المظفر: عقائد الإمامية: ص ٨٤.

بالأعلم إنّها يكفي له (جامعية الشرائط)، ويرى أنّه لا يجوز للناس تقليد من مات من المجتهدين انسجماً مع خصيصة مذهب الإمامية في الإستمرار بالاجتهاد المسائر للزمن والتطور الحضاري للأمة.

ويمنح المظفر - المجتهد الجامع للشرائط صلاحيات واسعة، فهو ليس مرجعاً في الفتيا فقط، وبمتابعة هذا الخط من الآراء، نجد أنّ للحاضر والمستقبل هاجساً واضحاً في آراء الشيخ المظفر وأنّ مجتهداً كهذا الذي يريده المظفر يلزم أن يؤهل بجهد منظم ودقيق ليلاحق متطلبات حاضرة ومستقبلية لا سيما إذا استندنا إلى بناء المظفر من أنّ ملاكات أحكام الشريعة مصالحة العباد في نفس أفعالهم، إذن فلا بد من حكم لكلّ واقعة أو تصرف وإن انسند على المجتهد طريق علمه.

إذن لا بدّ للمجتهد أن ينظر لعصره، ومن الأفضل أن يضع الحلول للمشكلات المفترضة أو المتوقعة للأجيال المتعاقبة.

المطلب الثالث: آراء فنية في فلسفة اللغة:

١ - اختار المظفر أولاً لأن تكون مباحث الألفاظ من صلب مباحث أصول الفقه خلافاً لمن يراها أجنبية عنه، وفي مباحث الألفاظ يمكننا تشكيل نظرية أصولية في مباحث في فلسفة اللغة منها:

أ - في نشأة اللغة: يتوسط المظفر - فيما يقرره من إجابة - بين القول بالتوقيف، والقول بالجعل، فهو يراها ملكة واستعداداً من الله للناس (قدره)، أمّا وضع الألفاظ للمعاني فهو جعل من الإنسان بتوفيق من الله.

ب - في المعنى الحرفي: إنّّه ليس رابطاً فقد لا يتضمن معنى، وليس هو لفظاً له معنى مستقل كالأسماء، لأنّها - الحروف - لو كانت كذلك لاحتاجت إلى رابط - والرباط حرف - فنقع بالتسلسل، فتقدر أنّها ممّا لها معاني غير مستقلة بنفسها، إنّما

تستفاد معانيها في السياق، وبهذا يفسر لنا المظفر تجاور المفردات وتبادل مواقعها في تركيب الجملة العربيّة، لذلك اعتبر الوضع فيها عاماً والموضوع لها خاصاً.

ج - في الأساس لمشروعيّة المجاز: يرى المظفر أنّه أساس طبعي ذوقي، فأساس المجاز غير ثابت بقوانين علميّة كثبوت المعاني الحقيقيّة للألفاظ، فمتى استحسن الطبع معنى مناسباً للفظ إلى جنب المعنى الحقيقي قُبِلَ مجازاً، وهذا لا يجري في العربيّة فحسب إنّما يجري في كلّ اللغات والافتراض متى صدق على «كلّ المصاديق» تحول إلى نظرية.

د - تعجّ اليوم في كتابات المغاربة نظريّة الخطاب، وبالتفتيش في أدبيات المظفر نلاحظ أنّه يضع أسس نظريّة الخطاب، من خلال موافقته للخواجة نصير الدين في أنّ الإرادة علّة في الدلالة، ورجح أن التصديقيّة منها هي المقصودة لما سَمّاه بمقدمات الحكمة...

هـ - يرى الشيخ المظفر أنّ الدلالة أعمّ من اللفظ، وأحسب أنّ ذلك إسهام مبكر في علم سيميائي مستفاد من مباحث علم الأصول، لا سنّياً إذا جمعنا من نظريّة عموم الاستعمال على الحقيقة والمجاز، حيث لا يرى المظفر أنّ المرجع في صحّة الاستعمال أصالة الحقيقة، إنّما يمكن أن تكون أحدهما، وبه يتحفظ على رأي السيّد المرتضى الذي يذهب إلى أنّ الأصل في الاستعمال - عند فقد القرينة - أصالة الحقيقة مطلقاً.

و - يقرر المظفر وجود الترادف والاشتراك في اللغة، ويفسر الترادف بإحتمال تعدد الوضع للمعاني أو تعدد الواضعين، كاللهجات، بينما يفسر نشوء الاشتراك بتعدد نظر الجاهل للمعنى من لحظات متعددة.

ز - ينقل المتأخرون عن المظفر نظريته في إفادة لفظ الأمر وصيغته للوجوب إذا خلا من القرينة، ويذكرون دليله العقلي بالانبعاث والانزجار.

المطلب الرابع: آراء متفرقة:

أ - يظهر مسلك المظفر في الأصول أنّه يلتمس العذر لمن يخالفهم في أكثر من موضع.

حرصه على تقرير القاعدة القائلة: إنّ كلّ ما نقوله صحيح يحتمل الخطأ وما يتبناه خصومنا خطأ يحتمل الصحة، نجد ذلك مثلاً في إلتماسه للعذر لصاحب الفصول في إنكاره، للملازمة بين ما حكم به العقل وما حكم به الشرع (مبحث التحسين).

ب - من الغريب أنّنا نجد أنّ الشيخ المظفر لا يرى قياس الأولوية، ويراها من جنس فحوى الخطاب، مخالفاً في ذلك عدداً من علماء الطائفة.

ج - يرى المظفر على الرغم من المحاسن الكثيرة التي يذكرها لكتاب الجواهر، أنّه لا يخلو من لعلّ وعسى، ويرى أنّ أبرز ما يلاحظ عليه أنّه كتب كمذكرات لصاحبه، ويعتقد أنّ صاحب الجواهر لو كان له وقت لأجرى عليه إعادة نظر لايضاح عباراته وتنظيم عرض أدلّته.

ويرى الباحث أنّ مقدمة كتاب الجواهر لا تكشف أنّه قد كتب هذا التفصيل مذكرات، بل مجموعة قرائن تكشف أنّه مؤلف جامع.

ونتساءل: أليس كتاب الأصول قد كتبه الشيخ بأسلوب المحاضرات ولم يتسن له إعادة النظر به ليكون كتاباً منهجياً، وهذا هو دأب العلماء.

رحمك الله أيها الشيخ المجدد، وجعلنا ثمرات طيبة لجذك الشريف.

الخاتمة :

في الختام:

ومن مجمل ما عرضناه ظهر لنا:

- إنّ الشيخ محمد رضا المظفر مشروع ثقافي واضح التنظير.

- وأنّ لهذا المشروع ما يناظره في فترات معيّنة في أوروبا ومصر «أبان نهضة كلّ منهما» وأنّ للمعاصرة في مشروع المظفر مساحة واسعة كما أنّ للمستقبلات - هاجساً كبيراً - ولشروعه مجموعة من الأسباب الموجبة والدوافع العامة، وقد أوضح البحث (برنامج) ذلك المشروع وأهدافه وما تحقق منه على الأصعدة كافة.

وإنّ النجف كحاضرة ثقافية لا تزال بحاجة إلى تطبيق مثل ذلك المشروع أولاً ثمّ تطويره ثقافياً، نرجو أن يوفق المخلصون من أبنائها وأبناء العراق سواء في مستوى التحصيل الأكاديمي أو الحوزة العلميّة أن يطبقوا أو يفكروا بمثل ما فكر به وطبقه العلامة المفكر شيخنا محمّد رضا المظفر، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مصادر البحث:

- ١ - الشيخ عبد الحسين المظفر: الشافي في شرح الكافي.
- ٢ - محمّد حسن النجفي: جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام، تقديم: محمّد رضا المظفر.
- ٣ - النظام الداخلي لكلية الفقه.
- ٤ - محمّد رضا المظفر: عقائد الإماميّة.
- ٥ - محمّد رضا المظفر: أصول الفقه.
- ٦ - محمّد رضا المظفر: السقيفة.
- ٧ - الجابري: الدين والدولة.
- ٨ - محمّد رضا المظفر: المنطق.
- ٩ - مجلة النجف: (أعداد مختلفة) تصدر عن كلية الفقه.
- ١٠ - مقالات في الصحف والمجلات.

مقاربات في خطاب النهضة عند الشبيبي والمظفر

د. محمد جواد الطريحي

مركز دراسات تاريخ النجف الأشرف^(١)

كلمة لا بد منها

لا غرو أن مدينة النجف الأشرف تستحق اليوم التكريم بوسام الازدهار والتقدم بعد معاناتها الطويلة من الاجحاف في حقها الذي قدمته بتواصلها في التطوير وتجديد البنى الراسخة في علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية، من خلال مواكبتها لما يستجد على الساحة الفكرية في العالم، ومحاولة التلقي والإضافة النوعية والتقويم بما يرفع ذاتها من الأصالة في كيانها العلمي وتطلعات أعلامها في الحفاظ على ريادة المواقف البناءة من عطاء المبادئ الخيرة استلهاما من قدسية الجوار العلوي فكرا وروحية وأساليب ورؤى ونتائج.

ومن حيث نتلمس الخيوط الذهبية في إطار هذه المناسبة بمستوى ما تسعى إليه جامعة الكوفة في مركز دراسات العتيد، فلا بد من تقديم وافر التقدير في تخصيص هذه الحلقة الدراسية بأعلام النجف ممن حازوا قصب السبق في اختيارهم أعضاء عاملين في الجامعات العلمية بالعراق ومصر والشام والأردن وغير ذلك.

وحسبنا من هذا الاستذكار الجميل أن نفهم جيدا آلية الاختيار بمدد الليلها الدقيقة ذاتا وزمانا ومكانا من حيث المؤهلات الشخصية لهؤلاء الأفاضل، وبما تحكمه موازين الدرجة العلمية والإبداع في مجال التخصص بالعلوم والآداب والفنون على مختلف

(١) ألقى البحث في الحفل التكريمي الذي أقامته جامعة الكوفة (مركز دراسات الكوفة) بعنوان (مجمعيون كوفيون).

مسايراتها فنكتشف حينئذ ان المقدمة إذا كانت صحيحة فإن النتيجة صحيحة حتماً، لا كما يحكيه اليوم حال عالمنا المعاصر من البوار الذي حل بواقعنا العلمي والثقافي عموماً أو على صعيد التخصص في علم من العلوم الإنسانية إلا ما رحم الله.

وإنها لمناسبة رائعة لأن تكرم النجف نفسها - وهي تعيش احتفالياتها عاصمة للثقافة الإسلامية - وهي قمينة بذلك لأنها حاضرة المجد العلمي في عمق التاريخ بما رفدت جامعتها على ساحة الفكر والمعرفة من أثر خالد في خطاها نحو الإصلاح والتجديد لعلوم الشريعة الإسلامية وآداب اللغة العربية والمساهمات النوعية والجادة في إطار هموم وطموحات الأمة العربية والإسلامية بمعتركها في صراع الأفكار والأحداث والرؤى بالتقويم والإضافة والتخطيط.

ولابد في الختام من الاعتراف بأن ما يطرح على بساط البحث لا يمثل إلا إثارة سريعة في أبعاد ذكرى العلمين (الشيباني والمظفر) رحمهما الله داعياً الله تعالى بحسن التوفيق والسداد.

محمد جواد الطريحي

وجوه المشابهة في السيرة والمسيرة

إن الاحتفاء برجال المبادئ الخيرة يجسد للأمة ملامح النهوض ويؤكد الهوية العلمية للشخصيات التي أسهمت في دور الريادة في بناء الكيان المعرفي، وشاركت في رفد الأجيال بدروس العطاء والوفاء والأسوة الحسنة.

وانطلاقاً من ذلك تبرز أهمية المبادرة الرائعة لإحياء ذكرى فريدة في تاريخ النجف الأشرف بما تصطف به من معالم في واجهة المضمار الحضاري لتاريخها العريق الحافل بروائع حياة الأفاضل من الأعلام الذين تستموا -بأفق عطائهم الفكري- قمة ثمار المدرسة النجفية عبر مشوارها الشامخ بأعمدة النور من أولئك المتميزين من الهداة الذين سطع بهم الأفق ونوروا الدنيا بشموع الفضيلة وقناديل العلم في لوحة خالدة تعهد مجدها مجدداً أثر مجدداً.

ونود الإشارة إلى أن هذه الدراسة ستقتصر على معالم التشابه في حياة كل من الشيخ الشيببي والشيخ المظفر.

فحينما نحاول أن نستجلي حياتهما تستوقفنا حقيقة أنهما قد اجتمعا في أكثر من وحدة بالمشاركات الذاتية الشخصية والموضوعية في السيرة والمسيرة وآفاق التطلعات والطموحات، وما حاول كل منهما أن يحقق على مستوى النتائج من ثمار كان لها أثرها على الواقع المعاش أبان الزمن الماضي وفي مستقبلات الأيام التي أثبتت صحة التنبؤات والوعي المبكر بما هدفا إلى إقراره وقدا التضحيات الغالية من أجله.

وحين نقف على عتبة أوجه التشابه بين شخصيتيهما فلا بد أن نلاحظ ذلك في ضوء:

١. المستوى الشخصي: إن كلا منهما اسمه (الرضا) ووالديهما بنات عم^(١) من

(١) فوالدة الشيببي (محمد رضا) بنت العالم الأديب الشيخ مهدي بن الشيخ نعمة الطريحي (ت ١٢٨٩) ووالدة المظفر بنت الفقيه الشيخ عبد الحسين الطريحي (ت ١٢٩٣) وكلاهما ولدا الفقيه

أسرة علمية عريقة في النجف.

وإنهما ولدا في محلة البراق وترعرعا في نشأة دراسية تجتمع بها وحدة الأسلوب والمنهج على الطريقة التقليدية في مجال تحصيل الدراسات الدينية في الحوزة العلمية، يضاف إلى هذا الجانب التعليمي لهما أن الأداء التربوي لكليهما في الأسرة أو في حضور الدرس سواء عند الكتابات أو في مراحل التحصيل العلمي مكانا وزمانا وأسائدا إلى حد قريب كان لا يفرق كذلك، وإنهما بعد وفاتهما دفنا في النجف.

٢. المشابهة بينهما في النشأة الدراسية في الكتابات ثم في أروقة الحوزة العلمية بزم من متقارب بحدود (سنة عشر عاما)^(١)، وأنها مراحل الدراسة بالطريقة التقليدية، وإذا قيل عن الشيبسي أنه بعد مرحلة المقدمات أحس بالفور وانقطع ليتجه إلى الدراسة الحرة والتفكير المجرد وقد أعرب الشيبسي في بعض خواطره بقوله:

(كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكر تارة في رسم أهدافنا وطورا في الوسائل التي توصلنا إليها، ولم نكن نستهدف في الواقع إلا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والواجبات وتفصح في كنفه المساعي ويتيسر النهوض بالبلاد كما كان في مقدمة العقبات الشاقة التي تواجهنا دائما استفحال الجمود).

فان المظفر يذكر عن هذه المرحلة عدم رغبته في الدرس على الطريقة المألوفة، فكان يتهاون في الاشتغال بقراءته لباقي كتب النحو التي تداركها بعد ذلك في حضوره على الشيخ محمد طه الحويزي الذي يفيد بأنه: استفاد منه فائدة كلية في التوصل إلى التنقيب عن المسائل العلمية بما كان يتوسع به في بسط المسائل وتحقيقها^(٢)، وقد استمر في إكمال

المرجع الجليل الشيخ نعمة الطريحي.

(١) كانت ولادة الشيبسي عام ١٣٠٦، ولادة المظفر عام ١٣٢٢.

(٢) فيما ترجم لنفسه بخطه، علي الخاقاني، شعراء الغري ٨: ٤٥١.

دراساته الفقهية والأصولية حتى بلوغه درجة الاجتهاد، على أن الشيبسي وإن أكمل سعيه الدراسي عند أعلام عصره في علوم العربية والمنطق والفقه والأصول وصولاً إلى مستوى البحث الخارج، إلا أن تفكيره الحر استماله إلى دراسة الفلسفة والفنون والآداب والعلوم المتنوعة، كما كان له ولع بأيام شبابه بتعلم اللغات حيث يقول: (لم أجد لغة غير العربية إجادة تامة، إني أعرف طرفاً من الفارسية ومن اللغات الشرقية الأخرى ومن بعض اللغات الغربية)^(١).

٣. نستطيع القول أنهما تأدبا وتربيا في أحضان مجلس واحد هو مجلس شيخ الأدب وعميده الشيخ جواد الشيبسي^(٢)، الذي هو ندوة جامعة وملقى عامر بأدباء النجف وعلماؤه بتطارحون فيه الشعر ويتداولون الشؤون العامة المختلفة، وتجري فيه المناظرات العلمية، فهو بهذا الاعتبار مدرسة تفتح عليها قرائح الأبناء الشباب في تربيتهم لخوض غمار الحياة الاجتماعية وافتتاح عقولهم على ما يدور في تلك المجالس كما تنبسط المواهب وتنشط القابليات بهذه الخبرة لتنهض بتكوين العبقرية والألمعية التي امتاز بهما الشيبسي والمظفر.

٤. أضف إلى ذلك أن مجلس الشيبسي الكبير امتد في حياة المظفر بعدئذ حين انتقل بيت الشيبسي إلى بغداد، فحل آل المظفر في بيتهم حيث عاش به أشقاء المظفر الثلاثة ونشؤوا بمكانة مرموقة كانت مضرب المثل بين الناس من حيث الخلق الرضي والصفاء والوفاء والإخلاص، وقد شق الأخ الأكبر طريقه في هذا الزحام حتى بلغ

(١) انظر علي عبد شناوة في دراسته الموسومة (الشيبسي في شبابه السياسي): ٢٥.

(٢) وصفه الشيبسي بقوله: (ولم يزل ناديه من امهج نوادي الادب في النجف تلقى فيه المحاضرات النافعة، وتجري فيه المناظرات المفيدة، والمذاكرات العلمية فهو مجتمع الطبقة العليا من المهرة الذين يفعل أحاديثهم في الأبواب ما لا تفعل السحرة)، نبذة من سيرة المرحوم الوالد الشيخ جواد الشيبسي الورقة ٣ مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي.

درجة الاجتهاد وأصبح من أهم المراجع الدينية، وتميز الأخوة جميعاً عن بقية الناس ببشرة طافحة على وجوههم وجاذبية من نوع خاص التي هي مظهر من مظاهر الوداعة والطيبة وصفاء النفس في نسج واحد، من دماثة الخلق وإشراق الوجه وكان هؤلاء الإخوة يسكنون داراً واحدة ولدوا فيها ونشؤوا وترعرعوا في أفيائها وتزوجوا وأولدوا بها، ولم يتحولوا عن دارهم إلا بعد أن ضاقت بهم وبأولادهم إلى الانتقال إلى بيوت مستقلة^(١).

٥. عاش كل منهما الفترة التي أعقبت الدولة العثمانية وتطلع المجتمع الشرقي وانهياره بالنهضة الحديثة في أوروبا، وأدركا كذلك المعاناة التي كانت تعيشها الشعوب الإسلامية والعربية - ومنها العراق - من التفكك والتشرذم وتداعيات الاحتلال الأجنبي من الاستعمار الحديث، وشاهدوا الأوضاع الاقتصادية للناس من الفقر والجوع والأمراض الفتاكة وحالة الجهل والامية وطبيعة المؤثرات السلبية الداعية للاخفاق في التقدم على المستوى الفردي والاجتماعي، مما ولد فيهما روح النهضة والتصدي الشجاع لمشاريع اصلاحية بناءة وفق منهجية نجحت في النتائج التي انطلقت لتحقيقها، فقد كان الشيبسي رائداً من العراقيين في عصر نهوضهم الفكري والسياسي الجديد، فقد دق ناقوس في شتى الميادين الدين، اللغة، الادب، العلم، التاريخ و الاجتماع وكان يروم من ذلك تنبيه الازدهان وتهيئة لوازم النهوض ومقاومة الاستبداد، فالوعي لديه أمر لا بد منه لتحقيق الهدف المنشود ويتجلى موقفه حين يقول: (إنني لا أدعي بانني صاحب رسالة بل أنا أبذل جهدي في سبيل المصلحة العامة والعمل في سبيل المصلحة العامة ليس له نهاية فهو عمل باق ما بقيت الحياة وما ترددت الأنفاس).

وعندما حدد غرضه بالإصرار على مواصلة التصدي للظلم عبر عن ذلك بقوله:

(١) انظر جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم ٢: ١١.

انفض غبار الذل عنك ناهضاً فالصقر لما صافح الترب نهض
 فدولة الجور مع الجور انقضت عنك وعصر الظلم كالظلم انقرض
 مضى زمان قولك الحق به اثم وقول الاثم حق مفترض
 واليوم هذا قولنا فمن نهي وهذه الفاظنا من اعترض

٦. تحقق لكل منهما دور رئيسي في المجال الاصلاحى العام، حيث برز هدف الشيبى في الاصلاح الوطنى والسياسى والاجتماعى حيثما حل موقعه بصفته وزيراً ونائباً ورئيساً لمجلس النواب أو الأعيان ثم رئيساً في المجمع العلمى وعضوا عاملاً في المجمع العلمى العربىة.

فالمعروف عنه بعد اكتسابه العلوم على أيدي المشاهير من أعلام عصره وتفوقه على معظم اخدانه تفوقاً اكسبه شهرة وهو بعد في ريعان شبابه، فانبرى الى مواجهة مجتمعه المتلبد بالتقاليد والعادات والاساطير وبصور من التجديد والتطلع الى استعادة الحضارة العربىة في دور انحلال الدولة العثمانىة ثم تلاشيها، وناوأه نفر بدعوى انه النازع عن حضيرته والخارج على نواميسه جهلاً منهم انه عدو لمعتقداتهم وخصم لسيرتهم، ولكنه كان قوى الشكىمة للتطلع والطموح الى مجده، والثورة التى تبعث بها اصداء الفئات المتحررة فى العالم، وعانى من ابناء بلده ما عاناه الأحرار فى التاريخ، فقد تصوروه خارجاً على منهجهم فى وقت التصارع الفكرى بين القديم والجديد الذى كان على اشده، فاصبح من الاعلام الذين يحملون مشعل الحرية ومن الابطال الذين يهجمون على تلك الحضائر التى نسج فيها العنكبوت بيوته، وعلى العقول التى تحجرت حتى عادت لا تقبل أى فكرة او رأى، وسار لا يلوي على شيء سوى تحقيق أهدافه من كفاح المستعمرىن والجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الحق والعدل والحرية وظل يخاصم الاقوياء مخاصمة عنيفة.

وهو شخصية تتسع أبعادها إلى آفاق معرفية متعددة فهو العالم المؤرخ البلداني الرحالة الأديب الشاعر اللغوي الوطني الاصلاحى، تمتاز سيرته بانها مشرقة معطاء ذات تاريخ ناصع لم يلوث بدران الالتواء مع المستعمرين وبالروح النقية والصبر على المحن والاحن المادية التي خرج منها رافع الراس لم يخضع لشيء يقلص من ظل كرامته ويخجل جاهه، فيستولي على أرض أو عقار أو استغلال المنصب للمصلحة الخاصة.

وهو شاعر غنى بشعره العالم العربي ورددته المحافل الادبية والسياسية وكررت نشره الصحف والمجلات، وقرضه الاعلام من مشاهير الشرق، والحق انه شاعر فعل قوي الديباجة جزل الالفاظ مبدع في الخواطر مرهف الحس يحمل نفسا كبيرة وروحا وثابة وقلبا مفعما بحب الدين والوطن وله لفتات قد لا يزاحمه عليها احد، واما ديوانه فكان احد العوامل التي خطت بالفكر العربي واخصبته وعاونت على بعث الادب العربي من جديد.

وقد حظي بدراسات وبحوث عن حياته ونضاله الفكري فكان الاوفر حظا اكثر مما توفر منها لأقرانه من اعلام عصره، الا ان الانصاف له ولا مثاله في زمن القحط الحاضر - إلى اليوم - لم يكن بالمستوى الذي يستحقه، شأنه بذلك شأن الخيرين الذين بذلوا المهج وخاضوا اللجج وامتازوا بالتألق وسبقوا إلى تعاطي خلود الذكرى والأثر، ومحصلة دارسي حياة الشيخ الشبيبي اختصرها الاستاذ عباس محمود العقاد بقوله: كان متعدد الجوانب متسع الآفاق، واصفا له انه: دخل المجمع من أكثر من باب^(١).

(١) في الكلمة الترحيبية بمناسبة انتخاب الشبيبي عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٤٨. يقول حسن الامين: كانت في الشيخ محمد رضا الشبيبي عدة صفات تحله كل واحدة منها في النفوس اكرم محل فكيف بها مجتمعة، فلا بد ان يعنى به الدارسون وان تكون له في تاريخنا الادبي والعلمي والكفاحي مكانة رفيعة. انظر، الشيخ محمد رضا الشبيبي علامة العراق وشاعر العرب ونقلا عن علي عبد شناوة الشبيبي في شبابه السياسي: ٥.

واتصفت سيرته النقية بالاتزان والاستقامة لم يدنسها المال الحرام، فالشبيبي لم يكن ضعيفا امام المال بل انه جرب الحاجة مرارا في حياته ولم يتخذ من الوظيفة ومن الادب والعلم حرفة تدر عليه، ومن اجل سلامة مبادئه وتضحياته في سبيل مثله العليا عرف دائما بالوزير المستقيل، وما جعله رئاسيا في ميدان المعارضة بحيث ان المعارضين كانوا يلتفون حوله عادة.

اما صفاته الشخصية فقد كان معتدل البنية حنطي اللون مربوعا أقرب الى الطول طبيعي النظر خفيف اللحية جاد المظهر متواضعا في الهيئة يلبس قباء بلون داكن وعباءة سوداء وعلى رأسه عمامة بيضاء ليبدو متأنقا حسب مفاهيم المجتمع يومذاك، عرفه الجميع منذ شبابه وقورا متزنا بسيطا الى الحد الذي تجاوز فيه ثوابت ابناء طبقته.^(١)

يقول الشبيبي: كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكر تارة في رسم أهدافنا وطورا في الوسائل التي توصلنا اليها، ولم نكن نستهدف في الواقع الا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والواجبات وتفلح في كفه المساعي ويتيسر النهوض بالبلاد كما كان في مقدمة العقبات الشاقة التي تواجهنا دائما استفحال الجمود وفقدان الشعور بالواجب خصوصا لدى المسؤولين وعدم اكتراثهم أو مبالاتهم بالأخطار فتضطرم النفوس وتثور الارواح المتمردة وتتضاعف الهواجس والآلام ثم تفيض بهذه الصور الشعرية كما يفيض القلب المלא.

الشبيبي أول من فكر بالنجف بإحياء التراث الادبي وتأسيس جمعية تقوم بدراسة المخطوطات وتحقيقها وتولى طبعها ونشرها على غرار لجنة التأليف والترجمة والنشر التي تأسست بعد ذلك في مصر، وقد باشر الشبيبي وجماعته حضور بيع الكتب بالمزاد

(١) حسب وصف أخيه محمد حسين الشبيبي في مقابلة بتاريخ ١٢ آذار ١٩٩٢. انظر عباس عبد شناوة، المصدر السابق: ٦٧.

الذي كان يجري كل اسبوع في النجف.. وقد تجمعت لدى الشيبسي طائفة كبيرة من المخطوطات والكتب القديمة التي اعتمدها فيما كتب من بحوث وما حقق من مسائل، وكان له الفضل في الاحتفاظ بعدد من النسخ المنفردة وبالتف التارخيية عن النجف بصورة خاصة وعن تاريخ ثلة من رجالات الادب والعلم في العراق.

وهو ممن شارك في اجتماع النجف الذي ضم زعماء العراق من العلماء ورؤساء القبائل، وبعد اعتراضهم على مطالب الحاكم الانكليزي حمل الشيبسي اول وثيقة في تاريخ العراق المعاصر ذات قيمة كبرى، وقد وقعها رجالات العراق الوطنيون تضمنت طلب الاستقلال وتحديد رغبة العراق في قيام دولته دون وصاية ولا انتداب. وقد حقق على هذا الصعيد انجازات كبيرة يشار لها بالتقدير والاحترام.

أما المظفر فكان مجاله الاصلاح في مجال دراسات الحوزة العلمية، حيث وجه عنايته الى النظر والتقويم ورسم المناهج التعليمية والتربوية وما يشير اليه فيما يسجله عن استاذ الكمباني قوله: (وكثيرا ما كان يوحى اليها في الخلوة به من خواطره في سبيل اصلاح الحركة العلمية والمجتمع الروحي، ولم يكن يواتيه - يومئذ - ان ينهض بواحد منها حتى خسر العلم والدين عمادا لقبة الإسلام وعميدا لخزان الشريعة وخزاناً للفيض الالهي).

وعندما يقف بشجاعة لإنجاز طموحاته في زمن ارتسمت فيه معالم السبات والاثام يقول: (ان من اصعب الاشياء ان يفكر الإنسان تفكيراً حراً حتى في ابسط الامور ولو في ساعة الخلوة بنفسه، فانه حينئذ تتحاجله من الآراء الموروثة من جهة ومن المخاوف والوساوس من جهة اخرى ما تجعله ينوء بحمل ثقل لا تقوى عليه نفسه مهما عظمت وشمخت...).

وقد تجسد اهتمامه الى واقع منظور فأسس جمعية متدى النشر والمجمع الثقافي

وكلية منتدى النشر وكلية الفقه، وكان اول المبادرين لضرورة تأسيس جامعة الكوفة ثم انه لغرض تحقيق طموحاته في العملية التربوية في ضوء ما يتبناه اسس مدارس بمراحلها المختلفة الابتدائية والمتوسطة والاعدادية، وفي ما هدف اليه في رفق الاصلاح الاجتماعى مبادرته الى تأسيس كلية الوعظ والارشاد في خطوة لإصلاح المنبر الحسينى بتخريج نخبة واعية تعي مسؤوليتها في اهمية هذا الدور الاعلامى البناء، ثم كان لمؤسسته (المنتدى) سبق المبادرة في تأسيس اول مركز اهلى لمحو الامية في العراق سنة ١٩٤٤، وفتح دورات زمنية خاصة مهمة لتنظيم الحياة العامة، مثل دورة مسك الدفاتر التجارية ودورة قسم من العلوم الرياضية واخرى لتعليم اللغات الاجنبية، ومن المهم الاشارة الى انه كان من جملة من كان يستفيد بخبرة هذه الدورات، حتى اثر عنه بانه كان لا يستلم راتباً من الحوزة العلمية بل كان يعمل بشخصه بناء على خبرته التى اكتسبها في مسك الدفاتر التجارية في بعض المحال.

وبذلك فالمظفر بإيمانه لضرورة الاصلاح والتجديد في المجتمع الروحى وما يتعلق بالمنهج الدراسى واساليبها اتخذ الخطوات الجادة لإقرار نظام تعليمى يتناسب مع المرحلة التى تعيشها الامة آنذاك فيعد مستشرفاً آفاق المستقبل، ومن طليعة القادة الدينين الذين بذلوا جل طاقتهم في سبيل المصلحة الإسلامية انطلاقاً من غيرته الدينية لإصلاح مجتمعه على اسس الصلاح والتقوى، وبذلك نراه مظفراً فيما سعى اليه من خطوات ايجابية وانه عاش لدينه ولفكره الاصلاحى ولامته انتصاراً لمبادئ الحق أكثر من همته واكثرائه بنفسه وأهله ومصالحه الشخصية.

من خلال ما تقدم عرضه يتضح أن ما توصل إليه الشيبى والمظفر أنهما نهضاً بمنهجية علمية أعدت لهما بعد خبرة ومران وفهم وإعٍ للواقع المعاش تناولت معالجة الأمور بموضوعية وشجاعة متناهية في ظروف صعبة، وقد ساعدت تربيتهما أن يكونا

على درجة واحدة في معالجة المواقف الصعبة والاتزان في السيرة؛ لأن كلا منهما لم يتجها منذ ريعان شبابهما إلى أن يقتطعا فسحة من العمر إلى التنزه والتفسيح على غرار ما يجري في أوساط مجتمعهما.

وكان كل منهما يتحلى بسرعة البديهة وبعدم المجاملة في مواقف احقاق الحق، فلم يسكت الشيببي او المظفر عن كائن من كان إذا احس ان في كلامه ما يمس الدين او الوطنية أو يتناول أحد على مقدسات وقيم عليا، حتى وان كان المقابل شخصا او هيئة ذات قدرات وقابليات ضاغطة، بل كانا يتعاملان بطبع هادئ ويكتم كل منهما غيظه، ولم يعرف عنهما طيلة حياتهما ان ردا على منتقديهما في ميدان العلم شفاها أو كتابة كما لم يعرفا للتعصب معنى أيا كان شكله.

وكانا رحمهما الله مثالا للوفاء للجميع.

منهج المظفر في دراساته وأفاق مدرسته^(١)

د. محمد جواد الطريحي

حاولت في المقدمة - عند التمهيد لأصول العقيدة - أن استشهد بها كان يتبنّاها الشيخ المظفر^{رحمته} من خلاصة الفكر العقائدي الإمامي، إلا أن ملاحظة الكتاب عند تحقيق نصوصه أبرزت خصائص ومميزات تصلح لاعتبارها عناصر لمنهج الشيخ المظفر في عرض العقائد، لذلك نحاول أن نستعرضها كما يلي:

أولاً: يتميز أسلوب الشيخ في عرضه للأفكار العقائدية بسلاسة التعبير، وجزالة اللفظ، واستعمال الكلمات المعبرة القريبة إلى ذهن القارئ مع مراعاة مستويات الفهم لدى المتلقي؛ حيث يصلح أسلوبه لأن تعيه الطبقة العامة وفي نفس الوقت يستلذّ قراءته طبقات المثقفين والمعنيين.

وهذه القابلية في العرض للمفاهيم لم تأت عفوَ الخاطر، بل إن الشيخ تمتّع بها من خلال أصالته وطول بابه في دراسة آداب اللغة العربية، واستيعابه لمفرداتها، ولا يمكن بحال أن نغفل بالذكر عن مستوى الدراسات الإسلامية والعربية في طور نشأته ونبوغه المبكر، وولعه في مستقبل عمره إلى التمعّن والإحاطة بالعلوم العربيّة، وولعه بالإحاطة بالمعارف العقلية وإغناء عقلية بالتراث الكلامي، ودراسة مختلف وجهات النظر في مسائل الفكر والعقيدة، خاصّة وأنّه خريج مدرسة أخيه الإمام الشيخ محمد حسن، الذي كان (من مشايخ التدريس، دقيق النظر، عميق التفكير، والتحقيق، حسن الأسلوب في التفهيم.. وكان يجرّ المسألة بتحريّر واضح يتبيّن فيه موضع الخلاف جلياً؛ لثلاً تلبس الآراء من حيث تداخل بعض المصاديق ببعض، ثمّ يُبدي رأيه معتضداً بالحجّة، ذاباً عمّا

(١) أعدت هذه الدراسة من خلال تحقيق كتاب عقائد الإمامية للشيخ المظفر ولم تنشر في حينه.

اختاره في تفنيد ما قيل أو يمكن أن يقال على خلافه، مؤيداً بالذوق الصحيح العالي، والفطرة السليمة الحرّة، غير مأخوذ بما يستدعي اتباع المشهور لكونه مشهوراً من دون أن تسنده الأدلة^(١).

هذا، بالإضافة إلى تمرّسه وتجربته العلميّة في التلمذة على شيخ العلماء المحققين استاذة الشيخ محمد حسين الاصفهاني، الذي أضفى عليه من غزير علمه، وبصره بالمعاني الدقيقة للمباحث الفلسفيّة، والمسائل العويصة، وهو العَلَمُ الفرد، الذي لا يشقّ له غبار، وتشهد بمنزلته الأفاضل من الأعلام.

ثانياً: امتاز الشيخ بطابع التجديد في التعبير والاختيار شكلاً واسلوباً ومضموناً، ولذلك فهو يمثل - بالنسبة إلى تأريخنا العلمي المعاصر - رائداً في أسلوب النشر الفني الجديد، خاصّة بالنسبة لمدرسة الأدب الحديث في النجف، ولا نستطيع أن نلّم هنا بواقع هذا الاتجاه الجديد إلّا من خلال دراسة النصوص التي قدّمها في دراساته وبحوثه المتعدّدة في علوم الشريعة، وفي أدبه وشعره، وسائر رسائله.

أمّا في كتاب العقائد، فلم يسبق لأحد من أعلامنا الأفاضل أن كتب في هذا الموضوع

(١) آل الشيخ راضي: الحجة الكبير الشيخ محمد طاهر، مقدّمة كتاب دلائل الصدق للشيخ محمدحسن، هذا الذي (ردّ فيه على الفضل بن روزبهان في مناقشة كلاميّة في المسائل الخلافية بين الشيعة الإمامية وأهل السنّة والجماعة، وهو عديم النظر جمعاً وتحقيقاً وتأسيساً؛ يستقصي كلام الفضل ابن روزبهان نقطة نقطة، ولم يفته منه شيء أصلاً، فيرفع مبناه في أساسه وشجرته من عروقها وأفاناه من أعداقها، فيعود ولا حبّ لحصيده، ولا عدّة لعديده، مع أدب كامل ومجاملة تامة، لا يشذّ قلمه، مع أن المخاطب ابن روزبهان الذي لم يلتزم بأداب المناظرة بما ظهر في ردّه على العلامة الحلي من ألوان السباب، ولو كال له بصاعه لما كان ظليماً وتعدياً من شيخنا عليه، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ اغْتَبَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤)، ولكن شيخنا أعلى الله مقامه أثر الاتزان والرصانة، عففاً وأعرض، فإذا وقفت على ذلك عجبت من أسلوب ابن روزبهان ونزاهة شيخنا، وعلوّ مقامه، وأحسب أنّه لا يتكلّف أن يكون كذلك؛ لأنّه مجبول على ذلك ومطبوع عليه، ولم يسمع عنه مدّة عمره الشريف ما ينافي المروءة والكرامة). ص ٢٥ من المقدمة.

الخطير على طريقة شيخنا المظفر، وطبيعته في لمّ شتات المكونات من المسائل الاعتقادية مع الإمام بإشكالياتها الدقيقة؛ حيث أنّ الأسلوب التقليدي كان هو الصفة الغالبة؛ لأنّ الأصل في الدراسة هو الشروح على الباب الحادي عشر، وبهذا يكون الشيخ المظفر قد بدأ مرحلة جديدة لإثارة مباركة في تدريس العقائد والاصول الاخرى.

على أنّ البعض قد يزهد في القول، فيحاول أن يقلّل من أهميّة ما كتبه المظفر في عقائده، إلّا أنّ الحقيقة هو الاقرار بسبقه إلى طرح هذا الاسلوب الدراسي الجديد في التعرّف على العقائد.

ثالثاً: يستطيع المعنيون بالبحث العقائدي اعتبار كتاب عقائد الإمامية محاولة لرسم الخطوط العريضة للنظرية العامة في العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، بحيث أنّ الكتاب وفرّ - إلى حدّ ما - فهرسة لمهّمات المسائل الاعتقادية.

إلّا أنّ هذه المهمة التي اضطلع بها شيخنا المظفر لم تستكمل صورتها الكاملة، بسبب أنّ الشيخ بدأها بعنوان محاضرات ألقاها، ومن ثمّ كان لانشغاله بصيانة مؤسسته وحصانته ممّا لحق بها - في حينه - من العنت والمواجهة العنيفة من الوسط الذي كان يقف قبال حركة الإصلاح والتجديد موقف التنديد.

ولذلك لم نفلح منه فيما يخصّ موضوع العقائد في حدود ما رسمه من منهج يتطلّبه البحث العلمي الرصين، بل كانت له عودة لمّرات عديدة حاول الشيخ من خلالها أن يستجلي واقع الفكر العقائدي عند الإمامية في بحوثه ودراساته التي قدّمها في المجلّات أو المؤتمرات العلميّة، مثال ذلك ما قدّمه حول فلسفة الإمام علي عليه السلام والكندي، وابن سينا، وكذلك ما أفاده في محاضراته الفلسفية، وغير ذلك ممّا يعتبر مادّة دسمة جاهزة لدراسة منهجه ورؤاه.

رابعاً: من مزايا الاطروحة العقيدية عند الشيخ المظفر أنّه يحاول أثناء طروحاته

الإشارة إلى بعض النكات الفقهيّة والمباحث الأصولية؛ إيماناً منه بنظرية الوحدة التشريعية لأحكام الشريعة الإسلاميّة وترابطها مع البعض، وأنها سلسلة مترابطة الأبعاد، متقاربة المناحي في اتجاه واحد، وأن النظرة إلى الشريعة لا بدّ وأن تكون في إطار هذا الأفق الذي يحقق لها إنسانيّتها وخلود آثارها.

وأما الجانب الهام الذي يظهر بجلاء في أثناء تقريره لمبادئ العقيدة، فهو اهتمامه بمعالجة القضية الاجتماعية في أثناء الطرح العقائدي، وذلك لقناعته بأنّ محصّلة البحث تتعيّن في البناء الاجتماعي السليم الذي يحققه العقل المسلم بإيمانه وموقفه العقائدي؛ حيث يستشفّ من خلاله الفهم الاجتماعي للنصوص المتعلّقة برؤية الشريعة إلى نواحي الحياة المتعدّدة.

خامساً: منذ نشأة التشيع الأولى، باعتباره أطروحة الإسلام الحقيقية، فقد واجه إثارة الشبهات حوله، ما جعل موجة التشكيك تتلوّن في كلّ عصر بطابع معيّن وبصيغ متعدّدة، حتى بلغ الحال أن استخدمت بعض الدوائر المشبوهة طبقة ممتدّة إلى الشيعة انتساباً لا يبلغ حدّ الاسم !

ومّا يلاحظ - هنا - من جهاد الشيخ المظفر هو قيامه بتقصّي الشبهات المثارة حول معتقدات الشيعة الإماميّة ونقدّها برّد مناسب يحمل مصداقيّة المبدأ، والجدوى في فهم المقصود بأسلوب يحمل براعة الفهم الواعي، والحجّة الدامغة التي تحطّم هيكلية الخاصمة، وقد أشبع لذلك طريقة استعراض الشبهة في مقوماتها الدقيقة، ومن ثمّ الردّ عليها بأسلوب يتناسب مع حجمها وعمقها، وبعد ذلك يرتّب نتيجة ما يتوصّل إليه في لغة الاستنكار والتعجّب.

سادساً: بادر رحمه الله إلى معالجة موضوع في غاية الأهميّة عند التعرّض لبحث العقائد، وهو ما يمكن أن يثار بصدد نسبة كثير من المسائل التي تنتسب إلى طوائف

وفرق نسبت إلى الإسلام أو إلى الشيعة زوراً وهتاناً، بل ربّما أنّ البعض منها ليس له وجود، بل هو من مبتكرات أفكار الحاقدين، الذين يحاولون - بشتى وسائلهم - تشويه صورة الإسلام أو التشيع بشكل خاص، ولهذا فإنّ الشيخ المظفر قام برصد هذه النسبة؛ ليفضح زيفها في كلّ مورد وردت فيه.

سابعاً: لم يكن من منهج الشيخ رحمه الله أن تتسرّب العاطفة إلى كتاباته وتسوقه إلى لغة الطائفية الضيقة، ومن خلال ما يعالج من موضوعات عقائدية تنتسب إلى مذهب أهل البيت (عليه السلام)، فإنّه يعرضها على أنّها أطروحة إسلامية، وأنّها تمثّل الوجه الحقيقي الذي صدعت به الرسالة، وهو حينما ثبت ذلك، فإنّما يؤكدها على سبيل اليقين الراسخ الذي يتولّد من خلال الولاء والحب، وما يقتضيانه من وفاء وإخلاص مبدئي، ذلك لأنّ طريقة أهل البيت (عليه السلام) هي السبيل الأقوم، والنهج المستقيم، فتراه حين يقول في معرض حديثه عن طاعة الأئمة (عليهم السلام): (ولهذا نعتقد أنّ الأحكام الشرعية لا تستقى إلّا من ندير مائهم، ولا يصحّ أخذها إلّا منهم، ولا تفرغ ذمّة المكلف بالرجوع إلى غيرهم، ولا يطمئنّ بينه وبين الله إلى أنه قد أدّى ما عليه من التكاليف المفروضة إلّا من طريقهم)^(١).

كذلك نجده يقول: (لا يبقى للمكلف مجال أن يتخيّر ويرجع إلى أيّ مذهب شاء، ورأي اختار، بل لا بدّ أن يفحص ويبحث حتّى تحصل له الحجّة القاطعة بينه وبين الله تعالى على تعيين مذهب خاص يتيقّن أنّه يتوصّل به إلى أحكام الله، وتفرغ به ذمّته من التكاليف المفروضة)^(٢).

(١) المظفر: الشيخ محمد رضا، عقائد الإمامية: ص ٩٢.

(٢) المصدر السابق ص ٩٣، على أنّ أهمية منهج المظفر تبدو أكثر عند قراءة كتابه «السقيفة»، حيث (وفق في عدّة نواحٍ في نظريته لبحثه نظرة موضوعية خالصة لا يلبس للمؤلف أيّة عاطفة ولا يدرك فيها أيّ تحيّر، وإذا قدر له أن ينتهي في بحثه إلى حيث تنتهي عاطفته المذهبية، فليس ذلك إلّا لأنّ

ثامناً: ومما يلاحظ على ما أورده الشيخ في كتابه بخصوص إثبات الصانع جلّ وعلا بأنه لم يستوف هذا البحث على أهميته، إلا أنّ الحقيقة أنّه قد عاجله من خلال ما طرحه في بحوث ودراسات أخرى، وقد كان الأمل كبيراً أن يقوم رحمه الله بجمع هذا التراث الكلامي في كتاب مستقل، إلا أنّ تناثره في مقالات لا يعني عدم انتباه الشيخ إلى أهمية دراسته^(١).

ولهذا فقد حاولت ما أمكنتني الفرصة إلى بذل المهمة في تقصي واستيعاب ما كتبه الشيخ في مثل هذه المباحث والإشارة إليها أو التنويه عنها، وقد يوفق الباري في مستقبل الأيام إلى إعادة نظم هذه الدرر الفاخرة من كلام شيخنا قدّس سرّه، خاصة بعد أن مرّ الزمن على اعتبار ما أورده الشيخ وصفاً لكتابه العقائد بأنه (مذكّرات أُمليتها...).

تاسعاً: حاول الشيخ بمنهجه الرائع اختصار الإطناب والمناقشات المفصلة في كتب علم الكلام والبحوث العقائدية عند الشيعة الإمامية، ومن هذا يتّضح مكانة الجهد العلمي الذي بذله الشيخ من خلال اطلاعه على الآراء والأفكار المتطاحنة، على أنّ مهمّة تنقية هذه الآراء وتوحيدها، ومعرفة الغث والسمين منها ليس بالأمر السهل، وتبدو هذه الأهمية بجلاء في قيام الشيخ بعد ذلك بصياغتها في أسلوبه المعهود، وطريقته في التعبير وأداء المعنى في سر ووضوح، وهذا يدلّ على قابليّة فذة قلماً تجتمع إلا للصفوة القلائل من أعلام الفكر والعقيدة.

منهجه العلمي الدقيق، القائم على التماس ملاسبات شتّى، ألقت كثيراً من الأضواء على هذه الحادثة التاريخية، بالإضافة إلى ما عرض من النصوص الواردة فيها خاصّة، ناقداً لها جميعاً نقداً دليلاً دقيقاً، مجلياً مفاهيمها على ما يقتضيه الفن، معتمداً في ذلك أصحّ الطرق الموصلة إليها، مختاراً من الأحاديث ما اتفق عليه الثقات من أئمة الحديث لدى الطائفتين المسلمتين). مقدّمة المجمع الثقافي الديني لمتنّى النشر للكتاب ص ١٠.

(١) كما أورد ذلك سماحة السيد محسن الخرازي في كتابه الموسوم بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية.

عاشراً: بات من الجلي جداً أنّ شيخنا المظفر لم يتخلّ عن مهمّته في الإصلاح المنشود الذي كان يتوخّاه من خلال حركته المباركة، سواء في العمل المؤسّساتي، أو فيما حكاه وجدانه وضميره على صفحات ما كتب وطرح من أفكار وآراء ودراسات، ولذلك بالرغم من أنّ كتابه هذا ينحصر في الجانب العقائدي، إلّا أنّه عندما يجد الفرصة مؤاتية للحديث عن الإصلاح فإنّه يتعرّض لها، ويضعها ضمن وظائف وأهداف الكتاب، ولذلك نجده - مثلاً - يقول في حديثه عن الإسلام: (ولو طبّقت الشريعة الإسلامية بقوانينها في الأرض تطبيقاً كاملاً صحيحاً، لعمّ السلام بين البشر، وتمت السعادة لهم... وإذا كنّا نشاهد اليوم الحالة المزرية عند الذين يسمّون أنفسهم بالمسلمين، فلأن الدين الإسلامي - في الحقيقة - لم يطبّق بنصّه وروحه - إلى قوله - وكيف ينتظر من الدين أن ينتشل الأمة من وهبتها وهو عندها حبر على ورق، لا يُعمل بأقل القليل من تعاليمه)^(١).

ثم يعرض المشكلة بقوله: (ولا شكّ أنّ أعظم ما مني به الإسلام والمسلمون هو التساهل مع أهل الجور، والتغاضي عن مساوئهم، والتعامل معهم، فضلاً عن مملأتهم... وما جرّ الولايات على الأمة الإسلامية إلّا ذلك الانحراف عن جدد الصواب والحق...)^(٢).

(١) انظر: عقائد الإمامية، عقيدتنا في الإسلام.

(٢) المصدر السابق، عقيدتنا في التعاون مع الظالمين.

٣. المراثي الشعرية

أبا محمد

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

بتاريخ ٢١/٣/١٩٩٩

ما نال من اسماعنا اصغاء لم تبق في اسماعنا وعيوننا
 من راح بعدك في الوجود وجاء ملكت هوانا من رؤاك ملامح
 افقا لساطعة ولا اجواء دعنا على الذكرى نهوم بعدما
 عشناك فيها الصوت والاصداء كذب الردى ماحال وجهك بالثرى
 عشناك في ملء العيون لقاء لكنه الدر الثمين وقبره
 بل ما يزال بوعيننا وضاء حجب الثرى منك الجبين ولمحه
 كالجوهري يزيده اخفاء

أبا محمد لم اصدق قبلها موتى تعيش امامنا احياء
 بعد الثلاثة من عقود ونيف مرت ووجهك يستفيق رواء
 فكأنك الحي الذي كنا على اخلاقه نتفياً النعماء
 نفس تسامت بالمواهب جوهرها وتواضعت بك مظهرها ورداء
 وسخت على ضيق الزمان وعسره وبطيب نفس بزت الكرماء
 وتسامح حتى على اعدائه ما جرب الأحقاد والبغضاء
 ولسان عف رغم دهر فاحش لكنه لم يعرف الفحشاء
 فتخاله من عالم غير الذي نحيا به وتخالهم غرباء
 ويجيء بعض الناس معجزة كما تأتي المعاجز آية بيضاء

أبأ محمد هل دريت بأن ما	شيدته ورفعت منه لواء
كنت المظفر في بناء صروحه	والمستراب عزيمة ومضاء
أيام دربك محنة وحواجز	قاسيت فيه الجهد والأواء
فرحمتها شوطا وخضت لهيها	جمرا وقمت بحملها اعباء
حتى غرست براعما صارت إلى	روح يمد الظل والافياء
انحى عليه الحاقدون فازعجوا	قرآنه والسنة الغراء
واتوا على المضمون منه وافرغوا	من محتواه وحولوه غشاء

أبأ محمد حال بعدك افقنا	فخبنا نجوما واكفهر سماء
وتباعدت اشواطنا فوهى بنا	عزم وعادات خيلنا انضاء
وتمزقت اهدافنا وتناحت	ما بينها حتى غدت اشلاء
وهفت فصائل للتشرذم وهي في	حسابنا تغدو به رؤساء
وحسابها خطأ فان الكل ما	أجدى فكيف وقد غدا اجزاء
فانهار بيت لم ينل ابناؤه	نفحا ولا وجدوا به آباء

وحسبت ميراث التسيب قد مضى	فاذا به مازال فينا الداء
سرنا فلا نحن الدليل فيقتدى	فينا ولم نك كالقطيع سواء
ولقد اضعنا المشيتين فيا لنا	لاسوقة عدنا ولا امراء
ومن الرزايا ان نسير ولم تعد	تدري اماما بالسرى ووراء

أمناب القيصوم في صحرائنا لافارقت جذواتنا الصحراء
أيام كنا الامنيات بافقنا فرسا أغرو صارما وخباء
ليل مواقده النجوم ويحتسي سمارهم من مجده صهباء
وصباحنا حمر الملاحم نتقي من بينها أيا من الغراء
ويح الزمان ونحن من ملء الفضا فتحا نعود أذلة أسراء
وتعود بعض شرائح نأسى لها في بيتنا لعدونا اجراء
اللهم اجدى من حياة أجذبت فيها الكرامة ان نموت حياء

أبأ محمد رملة ضمتك في احشائها وسقت بك الاحشاء
وغفى بجنبك في ثراها صفوة ساروا بدربك اخوة رفقاء
بعدت علي فصغت كل مشاعري لتكون فوق ترابكم انواء
ورثتك كي تجلوك افقا شمساً فرثاء مثلك لا يكون رثاء
والى ثرى ضم الرضا في عفره حبرا ونال بما يضم ثراء
والى اب اعطى الكثير من ابنه هذي القوافي الحائرات وفاء

واليك يام الروائع ياهوى يجري بابعاد العروق دماء
يا حلوة التلعات فضض افقها صبح وذهبها الأصيل مساء
وجثا بها الماضي خورنق اخضرا حضن الفرات وكوفة حمراء
وثوى ببطن رمالها الف من الأجيال ضمت سادة كبراء
وتحضنت حمى بهامات حوت فضلا ودينا صادقا وصفاء

هذي الشواظ من اللهب باضلع تشكو الظما واللوعة الخرساء
قد كان نجوى في الفؤاد فاصحرت فبعثتها لك ياهوي نداء

رائد الفكر

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

أكبرت أمسك أن يأسى عليه غد ولم يزل يرفد الدنيا بما يلد
و أمسك النبع ثرا في تدفقه رحب بافنائهم يوفي بما يعد
وطئت من فجره جمرًا فما احترقت رجل ولذ لها في الجمر مقتعد
ورضته فأحلت الجمر دالية يحلو لضاحين في أفيائها برد
وما لعنت صخورا فيه قد زرعت ليوعر الدرب و هو المهيح الجدد
بل باركتها أياد منك مخصبة حتى تبرعم فينا صخرها الصلد
وسر أما وان آدت بما حملت ان الذي هو في أحشائها ولد
فجرت للرهط شهدا اذ تفجر من حقد وكل على ينبوعه يرد
حتى انتخى الشوط مزهوا بفارسه وقام عن هبوات رائد جلد
تعثرت في مجالي الشوط سابقة في حين يرنو من الغايات مبتعد
فغبت عنا وحاشا أن تموت فما يموت فكر ولا يغتاله اللحد

مازلت اجحدو الأمس القريب على كفي يرعف منه العطر والشهد

والسمع أنشودة والفكر معتقد
 بالنيرات و للأعجاء منعقد
 رؤى ويلطم وعي واقع نكد
 مددت كفي الى كفيك لا أجد
 من الكرى أخبرت ما ليس يعتمد
 نعتك يدفعها للفرية الحسد
 يشدني فاذا كل المنى بدد
 رحبا يشع على أبعاده رأد
 شوامخ في نداها للسما نهد
 بل كل ما للتراب الشلو والجسد

وأنت تملؤني في مقلتي ألق
 لا لن يموت ندي منك مؤتلق
 اني وحققك لا أنفك تؤنسني
 تراك عيني وذهنى يحتويك فان
 فكم مسحت عيوني على خادعة
 وكم رعيت ظنونا أن كاذبة
 لكن قبرا على رحمين من بصري
 فأرعوي للنهى تجلوك لي أفقا
 و من عطائك فيه ألف باسقة
 لا يأكل الترب روحا منك خالدة

أيام من كل فكر رائد كبد
 وان معجزة أن تحصر المدد
 وان تبدى قصيرا عندها العدد
 عن ألف شهر بما تعطي وما تعد
 طال المدى بعدها أم قصر الأمد
 أفكار أبنائك الأخيار يتقد
 نحو الهبوط سينجي نهجك السدد

اني لأعذر دهرًا لم يسعك فبال
 لخصت في عزم عملاق مطوله
 ستون عاما ضخاما في حصائلها
 عمر كما القدر في خير فليلته
 و العمر أن تصنع الأعجاء باذخة
 ليهن روحك أن النجم سوف على
 وأن من كل اسفاف و منعطف

وليهنها أن أم الصقر قد ولدت
تجسّدوك سلوكا خيرا و هدى
شدت أهدافهم بالنجم فاحتقروا
صقرا وأن الحمى من دونه رصد
وسوف تبقى بهم حيا ومن ولدوا
ما دون ذاك فباركهم اذا سعدوا

يا أيها النبع ثرا في تدفقه
امنت أنك ما خضت للهب لكى
أو يجلب الضرع في هو وفي دعة
أو أن تتيه بألقاب وغاشية
لكن غملت جيلا ألف وافدة
يمشي به الصبح في رأي وينقضه
تهفو نوازعه لكن الى خدع
ولست أنعت جيلي أنهم فطر
وملء سمعي شهيق من جراحهم
فلودنت قمم منا متوجة
ولاستراحوا الى فكر دعائمه
فليس في ديننا عقم ليعدهم
فرحت تعمل لا تجتر حولقة
وعشت والجو فيه ألف عاصفة
أيام أغزر ما في دهرنا الثمد
تمت ذات ويحني الدرهم اللبد
لاهون ان قام خطب فيهم قعدوا
ونائل وحياة كلها رغد
للأجنبي على أفكاره تفد
عند المساء برأي كله فند
كذوبة ما لي راوي وعدها سند
سقيمة أم على ما لقنوا جمدا
يدعو المغيث ولم تأس الجراح يد
الى سفوحهم لارتد من بعدوا
الى السماء ودنيا الله تستند
وانما نحن منا العقم والأود
فالأمر جد وما نال المراد دد
ترب غرسا وينسيك العنا الجلد

حتى نماك سجل الخالدين الى رهط الى غير وجه الله ما قصدوا

قالوا لقد عق أما في تصرفه أنى و أنت وأم يجمع الصدد
فأنت أكرم أن تزري بمن سهروا على الرسالة من ألف وما رقدوا
الحاضنين من القرآن شرعته ومانعي الضاد ممن رام يختضد
لكن رأيت جديدا عاف أوله الجديد ذاب به فانصاع يتعد
كما رأيت جديدا عاف أوله خوف التحجر فيما يدعى الجدد
فرحت تأخذ من هذين ما سلمت أصوله وتدانيه وتجتهد
حتى استراشت فراخ رحت تعهدا واشتد من جنحها ما كان يرتعد
قامت تبضع منك الجهد هائلة في جيدها يتلوى حبلها المسد
وعز أن يتلهى بابن باقعة جهام ما مطروا لكنهم رعدوا
مهلا فما راع قلب اللج قوقعة والشمس ما انكدت لكنه الرمد
فأنت كالنجم لا يثنيه شامه عن الضياء ولا من شاتم يجد
وأنت كالعود تشدو فيه ان ضربت أوتاره النغمات البكر والغرد

يا زارعين على الوادي ثغورهم زهرا ترف به الآكام و النجد
وتائقين الى نجوى أحببهم لو ترجم الترب للأحباب ما نشدوا
ابي و ترب ودادي ثم بعدهما شيخي بهذي الرمال السمر قد همدوا

مازال يجمعني رجع الخيال بكم فألتقي بأحبائي وان بعدوا
ليهنكم في تراب الطهر حيدرة وذاك ما يتمنى النجم متسد
ولتكفني لوعة بالقلب لاهبة أروح من حرها بالجمر أبرد

رائد الجيل

الدكتور السيد مصطفى جمال الدين

بكاكَ لو أَنَّ فَيَضُ الدَّمْعَ يُسَعِدُهُ جِيلٌ تَحَرَّفَتْ، كِي يَحْيَا بِهِ غَدُهُ
طَافَتْ بِهِ ذَكْرِيَّاتٌ كُنْتَ ذُرُوتَهَا وقد خَلَتْ مِنْكَ - إِذْ أَثْقَلَتْهَا - يَدُهُ
أَيَّامٌ كَانَ الْعَسِيرَ، الْوَعَرَ، مَسْلُكُهُ والمُبْهَمَ، الشَّاحِبَ، الرَّجْرَجَ، مَقْصِدُهُ
وَكَانَ أَنْكَدَ مَا عَانَاهُ أَنْ يَدَا تَضَمَّدُ الْجُرْحَ، تُدْمِيهِ وَتُفْسِدُهُ
جِيلٌ يَعِيشُ بِأَحْلَامٍ مُخَادِعَةٍ تُدْنِيهِ، مِنْ قَصِيدِهِ حِينًا، وَتُبْعِدُهُ
يَنَامُ مِنْهَا عَلَى حُلْمٍ يُهْدِيهِ وَيَسْتَفِيقُ عَلَى حُلْمٍ يُسَهِّدُهُ
تَقَاتُ مِنْ رُوحِهِ غَرْنِي وَسَاوَسَهُ يَأْسًا.. وَيَسْمَنُ مِنْ خَوْفٍ تَرَدَّدُهُ
حَتَّى طَلَعَتْ، فَجَسَّدَتْ الرُّؤْيَى، وَمَشَى فِي الْلاَحِبِ السَّهْلِ مِمَّا كُنْتَ تُوعِدُهُ
وَمَا ابْتَدَعْتَ غَرِيبًا عَنْ مَدَارِجِهِ وَلَا انْحَرَفْتَ بِهَا قَدْ كَانَ يَقْصِدُهُ
لَكِنَّهُ النُّورُ، إِذْ يَجْلُو الطَّرِيقَ لَنَا فَإِنَّهَا هُوَ يُنْشِيهِ وَيُوجِدُهُ

أَبَا مُحَمَّدٍ، وَالْجِيلُ الَّذِي وَرَدَتْ ظِلْمَاؤُهُ مِنْكَ، وَاسْتَنْتَكَ شُرُودُهُ
سَيُوسَعُ الدَّرَبَ لِلْأَجْيَالِ صَاعِدَةً عَلَى مَدَبِّ الرَّجَافِيَا يُمَهِّدُهُ
أَنْتَ الَّذِي كُنْتَ نَارًا فِي غَزِيمَتِهِ وَفِيضَ نَوْرِ بَعَيْنِيهِ يُسَدِّدُهُ
وَمَا بَرِحْتَ تُنْمِي رُوحَهُ حَذْرًا أَلَّا يُبَدِّدَهَا فِيهَا يُبَدِّدُهُ

حتى إذا ذُبَّتْ فيه رحمةٌ وهوى
سَكَبَتْهُ، مِنْ جَدِيدٍ.. ثُمَّ قُلْتَ لَهُ:
جِيلٌ نَمَتَهُ إِلَى دُنْيَاكَ فِكْرُهُ
أَبُو الْفَتَى لَيْسَ مَنْ أَلْقَى بِهِ جَسَدًا
أَبِي الَّذِي إِنْ يَرُعْنِي مُشْكَلٌ وَقَفْتُ
وإِنْ تَخَاذَلَ عِزْمِي فِي مَجَالِدَةٍ
وَالْمَرْءُ لَوْلَا أَبٌ يُعْنَى بِفِكْرِيهِ

وَذَابَ تَحْتَ شَوَاطِئِ مَنْكَ عَسَجْدُهُ
ذَا سُلِّمَ الْمَجْدُ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَصْعَدُهُ
وإِنْ نَمَاهُ إِلَى الْآبَاءِ مَوْلَدُهُ
مَا أَهْوَنَ الصَّرْحَ لَوْلَا مَنْ يُمَرِّدُهُ
أَفْكَارُهُ بَيْنَ أَفْكَارِي، تُفَنِّدُهُ
وَجَدْتُ عِزْمًا يُغْذِيهِ وَيَرْفُدُهُ
لَكَانَ بِالْحِمَا الْمَسْنُونِ سُودْدُهُ

أَبَا مُحَمَّدٍ، لَيْلُ الْهَانِئِينَ كَمَا
تَنَاهَيْتَكَ غَرِيضَ اللَّحْمِ^(١) سَمَرُهُ
فَلَمْ تَحْجِدْ فِيكَ مِنْ قَوْلٍ تُعَابُ بِهِ
(مُجَدِّدٌ يَبْتَغِي لِلدِّينِ فِلَسْفَةً
حَنَا عَلَى الْبَذْرِ يُؤْلِيهِ عَنَائَتُهُ
دَعَاهُمْ فَلَيْلَتْهُمْ لَا بَدَّ وَاجِدَةٍ
مَنْ مِنْهُمْ عَاشَ هَمُّ الْجِيلِ فِي دَمِهِ
وَمَنْ رَأَى بَابِنِ سَبْعٍ ثَقُلَ مُشْكِلَةٌ
كَانَتْ لِيَالِيَهُمْ بَيْضًا مُعْطَرَةً
وَلَيْلُكَ (النَّابِغِي)^(٢) الْفَذُّ تَقَطَّعُهُ:

عُودَتْ.. لَيْلٌ عَلَى الْإِرْجَافِ مَوْعِدُهُ
وَقَلْبَتِكَ عَلَى الْأَحْقَادِ حُسَدُهُ
إِلَّا الَّذِي رَاحَتِ الدُّنْيَا تُمَجِّدُهُ:
هُوَ جَاءَ، تَهْدِمُ مَا كُنَّا نُشِيدُهُ
وَأَسْلَمَ الْحَقْلَ لِلْآفَاتِ تَحْصِدُهُ!!
ضَحَى يُفْسِرُ مَا كَانَتْ تُعَقِّدُهُ
يَقْتَصُّ مِنْهُ الَّذِي يَأْتِي بِهِ غَدُهُ
عَلَى ابْنِ سَبْعِينَ، أَخْفَى وَجْهَهَا دَدُهُ^(٣)
مَا شَابَ أَنْفَاسَهَا إِلَّا تَنْهَدُهُ
بِكَيْفَ تَدْفَعُ عَنْهُ مَا يُهْدَدُهُ

(١) الغريضة من اللحم: الطري.

(٢) الدد: اللهو واللعب، يقول مَنْ مِنْكُمْ كَانَ ثَاقِبَ الْبَصَرِ بَحِيثٌ يَرَى عَلَى وَجْهِ الطِّفْلِ اللَّاعِبِ الْإِلَهِ مِشَاكِلَهُ وَهُوَ رَجُلٌ أَوْ شَيْخٌ فِي السَّبْعِينَ.

(٣) النابغي: نسبة إلى النابغة الشاعر العربي الذي كان يتذمّر من طول ليله.

وَتَفْرُشُ الْجَفْنَ.. يَهْنَا فِيهِ مَرْقَدُهُ
عَفْوًا.. وَيَوَسُّعُكَ التَّجْرِيحَ مُوقَدُهُ
عَلَى طَوَيْتِهِ، وَاَصْفَرَ أَسْوَدُهُ

تُذِيبُ قَلْبَكَ.. تَرَوِي مِنْهُ غُلَّتُهُ
وَأَنْتَ تَحْتَ لَهَبِ الْحَقْدِ، تَوَسَّعُهُ
حَتَّى انْتَصَرْتَ، وَضَاقَ اللَّيْلُ مَنَكُوشًا

مِنْ تَوَلَّاهُ أَضْنَاهُمْ تَجَلَّدُهُ
عَلَى رَعِيلٍ مِنَ الْأَمَالِ تَفْقَدُهُ
قَلْبٌ مَعَ الزَّفَرَةِ الْحَرَّى تُصَعَّدُهُ
فَلَمْ يُعِنِكَ عَلَى صَبْرِ تَمَرُّدُهُ..
لَوْلَا شُمُوحُ ضَمِيرٍ مِنْكَ يُوقِدُهُ
يَمَّابَهُ، فَأَثَارَ الشَّكِّ مُفْسِدُهُ
فَجِئْتَ بِالْحُضْلِ الزَّاهِي تَوَرَّدُهُ
(جَائِمٌ) مِنْ وَرَاءِ السَّيْرِ يُقَعِّدُهُ -
لَشَاخٍ يَتَحَدَّى الْجَهْلَ (مَعَهْدُهُ)
وَمُقَلَّةٌ مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ تُرْسِدُهُ
أَفْضَى إِلَى سَمَرِ الْأَجْيَالِ مُوَصَّدُهُ
نُذْنِي.. وَلَا جَهْرَهُ الْمَسْعُورَ نُخِيدُهُ

وَكَانَ حَوْلَ الْجِهَادِ الْمُبْتَلَى نَفْرٌ
يَسْتَعْرِضُونَكَ أَلَامًا مَوَزَّعَةً
هَنَا.. عَلَى نُظْمٍ أَوْشَكَتْ تُصْلِحُهَا
وَتَمَّ.. فِي الْجِيلِ إِذْ طَالَ الْمَتِيُّ بِهِ
...بَقِيَّةٌ مِنْ حَنَانٍ كَدَتْ تُطْفِئُهُ
(وَالْمَنْبَرُ) الْحَرُّ إِذْ حَاوَلْتَ تُصْلِحُهُ
قَدْ كَانَ مِنْ يَسْرِ (الْأَعْوَادِ) جَائِمُهُ
وَكَدَتْ - لَوْلَا ضُمُورٌ فِي قَوَائِمِهِ
أَنْ تَسْتَشِيرَ لَهُ الْأَجْيَالَ صَاعِدَةً
وَأَنْتَ مِنْ فَوْقِهِ رُوحٌ تَطُوفُ بِهِ
أَمَنْتُ أَنَّ طَرِيقَ الْخَالِدِينَ، وَإِنْ
دَرَبٌ، بَغِيرِ الَّذِي حُمِلْتَ، لَا غَدَهُ

وَحَاشِدِي الْحَسْبِ الْمَوْفُورِ مَحْتَدُهُ
وَسَالِكِي الدَّرَبِ، مَا أَعْيَى مُعْبَدُهُ

يَا سَادَةَ النَجْفِ الْمَرْمُوقِ جَانِبُهُ
وَرَائِدِي الرِّكْبِ، مَا ضَلَّتْ قَوَافِلُهُ

تَجْلُو الظَّلَامَ دَرَارِيهِ وَخَرَّدُهُ
لِلآنَ (تَعَجُّهُ) الْأُخْرَى، وَ(تُنْهَدُهُ)
لِلنُّورِ، مَنَّهُلُهُ الصَّافِي وَمَوْرِدُهُ
مِنَ الْأُمُورِ، قُصَارَاهُ وَمَقْصِدُهُ
أَنْ لَا تَشْذَّ مَعَ الْأَهْوَاءِ شُرْدُهُ
إِذْ رَبِّمَا ضَاقَ عَمَّا كُنْتُ أَقْصِدُهُ
لَمْ يَحْتَجِزْكُمْ، عَلَى جَهْلٍ، مُعَقِّدُهُ
أَنْ يَتْرَكَ الْمَاءَ، أَوْ يَصْفُو مُبَرِّدُهُ
أَنْ لَا يَتِيَهُ، عَلَى قَصْدٍ، تَجَبُّدُهُ
مِنَ الْكُؤُوسِ، وَخَلَّوْا مَا يُنْكَدُهُ
طَرَفُ السَّلِيمِ، وَيَعْشَى فِيهِ أَرْمَدُهُ

وَحَاضِنِي الْعِلْمِ مِنَ الْفِ، وَمَا فَتَيْتُ
وَيَا مُعْذِّيهِ بِالْفَصْحَى، وَمَا بَرَحْتُ
أَنْتُمْ إِذَا الْجَلِيلُ أَظْمَاهُ تَلْهَفُهُ
وَأَنْتُمْ، إِنْ يَضِيقُ ذُرْعًا بِخَابِطَةٍ
فَحَاوِلُوا - وَلَكُمْ مِنْ يَوْمِنَا عِبرٌ -
وَإِنْ يَكُنْ قَدْ قَسَا شِعْرِي فَمَعْذَرَةٌ
عَشْتُمْ بَعْصِرٍ، مَضَى صَحْوًا بِأَعْيُنِكُمْ،
وَجِلْنَا عَاشَ عَصْرًا مِنْ سُهُولَتِهِ
فَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ فِي الْجَلِيلِ مِنْ أَمَلٍ
فَاسْقُوهُ نَوْرَ الْهَدَى فِيمَا تَعَوَّدُهُ
فَقَدْ رَأَيْنَا بَيَاضَ الصَّبْحِ يَأْلَفُهُ

إِذْ صَوَّحَ النُّبُعُ، أَقْسَى مَا سَنَفَقَدُهُ
هُوجَاءُ طَالَ بِغَاشِيهَا تَأْوُدُهُ
أَنْ لَا يَقَرَّ بِعَصْفِ الرِّيحِ أَيْدُهُ
يَمْتَدُّ ظِلٌّ عَلَى الْأَجْيَالِ تَعَقُّدُهُ
مُورَثٌ، أَنْ تُزَكَّوْا مَا بَنَتْ يَدُهُ
لَكُمْ، فَيُسْرِجُ هَذَا اللَّيْلَ مُجْهَدُهُ
فَأَنْتُمْ عُمُرُهُ الثَّانِي وَمَوْلِدُهُ

وَيَا لِدَاتِ طَرِيقٍ كِدْتُ أَحْسَبُهَا
هَبَّتْ عَلَى الْوَارِفِ الْمُخْضَلِّ عَاصِفَةٌ
وَكَادَ لَوْلَا جُذُورٌ مِنْهُ خَيْرَةٌ
(كَلِيَّةُ الْفَقْهِ) أَنْتُمْ غَرَسُهَا، وَبِكُمْ
مِيرَاثُكُمْ وَقُصَارَى مَا يُؤْمَلُهُ
مُدُّوْا بِأَعْمَارِكُمْ عُمَرًا يُحْرِقُهُ
وَجَدَّدُوا مَا تَنَاهَى مِنْ كُھُولِيهِ

لو أدركوا^(١)

محمد حسين المحتصر

لو أدركوا بعدها رؤياك واعترفوا	لكان ما ابطأت في شوطها النجف
و كان للركب درب غير ما بعدت	به الطريق و لا هم فيه قد وقفوا
و كان حاضره من هدي سالفه	ما راح يغبطه في هديه السلف
يا شيخ حسبك أجر المحسنين لهم	بكل ما زاد في أتعابهم شغف

ماذا أحدث هل يجدي الحديث عن الـ	ماضي وقد طويت في وقتها الصحف
مادام فينا الذي ما انفك لو خطرت	عليه خاطرة الاصلاح يرتجف
ها أنت قد وصفوك اليوم رائدهم	وحسب فضلك ما قالوا وما وصفوا
رأيت فيما رأيت الدار أهلها	حتى على أتفه الأشياء يختلف
في كل منعطف رهط يكائره	رهط تحار بأي منهما تقف
غير الذي اندس في أوساطهم طمعا	الوى به الجوع أو جاءت به الصدف
فرحت تبحث في صبر تكابده	في كيف عن دره يستبعد الصدف

(١) قاعة جامعة الكوفة بتاريخ ١٤ - ٤ - ١٩٩٧ م. استذكراً لجهاد العلامة الجليل المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر.

وقائل لي ماذا أنت بينهم
حتى كأنك في أعمالهم طرف
سفينة لك كانت في مرافئهم
فأقلعت و تناسى الموج من جدفوا
فما يهكم ان طالوا و ان قصروا
وان تعافوا مع الأيام أو ضعفوا
أجبت حسبي مما أستشار به
بأنني نحوهم ما زلت انعطف
و انني لست انسى أن جذرهم
جذري و أن انحداري منهم شرف

وبعدها ولهذي الأرض حرمتها
وليس سرا لدينا اليوم يكتشف
تأريخها حلية التاريخ ما كتب
الكتاب فيه بها زادوه أو حذفوا
بوابة النصر في الإسلام رملتها
جيش ابن وقاص فيهما من هنا زحفوا
ما زال رجع صهيل الخيل في أذني
أكاد أسمعه أنى بها أقف
و أنت لو عدت للعشرين تسألها
عن الدماء التي سالت و من نزفوا
لقص لون احمرار الرمل قصتها
حتى الرمال هنا تحكي و تعترف

وربما راح بعض الناس يسألنا
لأي أمر هنا التاريخ يختلف
علي وماذا بعد يا قلمي
تريد مني غير المرتضى، أصف

فقد الرضا

الشيخ محمد رضا فرج الله

وللشيخ محمد رضا فرج الله قصيدة رثاء أرسلها الى الشيخ محمد علي المظفر شقيق

الشيخ الرضا وبعثها برسالة يقول:

فقد الرضا جددي	ذكرى (الحسين) و (الحسن)
لقد نعاها السلك في	انحس اوقات الزمن
أثكلتنا ويحك يا	مذيع هل تدري بمن؟؟
رزء أذاب مهجتي	وألزم القلب الحزن
وابيض من عيني	سوادها والفت الوسن
يامنتدى النشر الا	فديت موليك المنن
غاب محمد الرضا	فمن عليه يؤمن
هل بعده من غارة	نأملها فيك تشن
يحق للفضل اذا	بكى عليه من شجن
اذ كان توأمننا له	بل كان روحا وبدن
لتندب الاخلاق من فيه	صفو معناها الحسن
فاجمل الصبر (ابا	الجميل) فالدنيا محن
انت الذي طابعك	التقوى بمحمود السنن
فاصبر لوقع خطبه	والصبر بالخطب اقترن
خفف حن رزئي به	ان الفناء كل من
ولم تكن ذي وطننا	بل انما القبر وطن

أنى تموت

الأديب الشاعر محمد جواد الغبان^(١)

أنى تموت وانت فكر نير بسناه يهدى التائه المتحير
 أنى تموت وانت ذكر خالد بفم الزمان وفيه تشدو الاعصر
 أنى تموت وذا غراسك يانع بالطيبات من الاماني يثمر
 أنى تموت وذا طريقك لاحب للسالكين بنور هديك مقمر
 ذكراك عابقة الشذا فواحة تذكو اريحا كلما تتكرر
 وب (منتدى النشر)^(٢)
 الأغـرـر صحائف لك بالمحامد والمفاخر تنشر
 فلکم بمغناها الكريم أکـام ورد فاح منها العنبر
 ومشى الربيع بها يجز ذیوله زهوا فاینع فيک واد مقفر
 وتدفقت فيها علومک ثرة للواردین فقيل هذا الکوثر
 فتبارکت من نهضة فکریة لا ينطفی منها أوار یسر
 بورکت معطاء فکم لك من ید بیضاء تذکر بالثناء فتشکر

(١) ديوانه على مرفأ الجراح - دار الشؤون الثقافية العامة ووزارة الثقافة العراقية وكان قد ارسل برقية تعزية ضمنها الابيات التالية:

دموعي لايجف لها انسكاب ولا عجب فقد جل المصاب ؟
 أحقا غيب القدر الاماني وغيب ذلك البطل التراب
 فمن يجلو الغياهب والدياجي وشمس العلم عاجلها الغياب

(٢) كلية منتدى النشر واحدة من اهم منجزات الفقيد من بين اعماله الكثيرة التي تتوخى الاصلاح والتجديد في دراسة علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في النجف الاشرف وكان الشاعر واحدا من طلبتها وتخرج فيها عام ١٩٥٠.

فاذا الشباب مواهب تتفجر
متأنق فيها الربيع الاخضر
يمشي بنا للخير وهو مظفر
يمحو دجاها منك عقل نير
أنقى من الغيث العميم وأطهر
طبع يكاد من العذوبة يقطر
فيه دروب الخابطين تنور
برحاب فكرك في الليالي نسمر
صنع الذين تقولوا وتنكروا
لاتنثني وبعزيمة لاتقهر
ضيق وفي لب العقول تحجر
بمجالس الكبراء ان يتصدروا
فاذا مشى فبمشيه يتبخر
ولخده بين الجموع يصعر
يوم المحامد في المحافل مفخر
وصلوا الى مايتغون تجبروا
أسد بميدان البطولة يزأر
أو رام تغيير النظام مفكر
ماكنت تبنيه لهم وتعمر
سكتوا وعن رد الجواب تحيروا
مهما اكفهر الافق لايتغير

فجرت من اجل العلا طاقاتها
ايام كنت تقودنا نحو المني
سرنا جميعا تحت راية رائد
واذا دجت آفاقنا وتجهمت
خلق كريم زينته شمائل
وخشونة في الحق كان يشوبها
ونهار ذهنك مشرق متألق
واذا علينا الليل جن فاننا
نقفو خطاك ولم نكن نعبأ بما
حتى تحدينا الصعاب بهمة
ان حاربوك مجددا بفكرهم
أو قاوموك فان كل طموحهم
رهط يرى ان التجدد مظهر
واذا يمر عليك ينفخ نفسه
وتراهم يتفاخرون ومالهم
وتراهم يتواضعون فان هموا
هم كالذباب وهل يخاف طنينهم
يتراجعون اذا اتاهم مصلح
حملوا معاولهم لكيما يهدموا
فاذا سألتهم البديل فانهم
يتلونون وان لونك واحد

فكشفت زيفهم وزيف مظاهر
 قد كنت ابعدهم مدى فتقدمت
 ان حاولوا ان يطمسوك معالما
 يا رائد الاصلاح همك ان
 ان يأخذ الرأي السديد مكانه
 ان يدلي العقل الجريء برأيه
 ان ينشر المعروف فينا ظله
 وبأن يكون الحق غاية جهدنا
 آراؤك الغراء كانت صفحة
 وجهودك الشباء في الاصلاح ما
 و (الحوزة) ازدهرت بما اعطيتها
 فلقد اردت لها تواكب عصرها
 آمنت انك مصلح ومجدد
 والنابعون وانت فيهم غرة
 ماج الحمى لما نعت باهله
 واذا العيون مدامع تتحدّر
 واذا اللسان يخونه نطق فلا
 واذا بأفاق الخيال تضيق لم
 حملوك فوق رؤسهم فمهلل
 اوضارب كفا بكف لم يكن
 يتساءلون بلوعة وبحرقة

خداعة ببريقهن تستروا
 منك الخطى للمجد حين تأخروا
 فالله للحق الصراح سيظهر
 ترى التفكير من قيد الجمود يحور
 ويظل في حلباتنا يتصدر
 حرا صريحافهو لايتستر
 ليزول عن وجه الحياة المنكر
 مهما يطول طريقنا ويقصر
 بيضاء كالصبح المنور تسفر
 زلنا - باعجاب - لهاتذکر
 من فيض روحك فوق مانصور
 ويكون فيها منهج متطور
 لك من خلود الذكر حظ اوفر
 عز المشيل لها فلاتتكرر
 فاذا الشفاء تسائل وتحير
 واذا الصدور تنهد وتحسر
 يدري عن الاحزان كيف يعبر
 تعرف شجون الوجد كيف تصور
 - ضاقت به آفاه - ومكبر
 يجديه من هول المصاب تصبر
 وعلى الوجوه كآبة وتكدر

يرعاهم لو في الطريق تحيروا
فالليل بعدك بالاسى متعكر
تزهو وانت لجمعهم تتصدر
فاذا التقدّم بالمسير تأخر
لتقيل من في سيره يتعثر
ولمن يسير على هداه سينصر
فمتى نرى بركانه يتفجر
دمع غزير من فؤادي يعصر
حرى قصيد ثاكل يتحدر
دمعي كحبات اللآلى يثر
ان استطيع القول عما اشعر
ان شعري عن مداك يقصر
والفكر في اعتابها يتعثر
فعظيم مجدك عن علاك يعبر
صفحاته بالعلم فهو منور
منه يتيه به الخلود ويفخر
وبكل سفر من جهادك اسطر
بيد الوفاء على ضريحك تنثر

هل انت حقا راحل عنهم فمن
ومن الذي يجلي الغياهب عنهم
كانوا ورايتك المهيبة فوقهم
واليوم بعدك قد تشتت شملهم
يتلفتون فلم يروك امامهم
آمنت ان الله خير حافظاً
قالوا فأين الشعر ؟ هذا يومه
فاجبتهم شعري وكل مشاعري
والشعر اصدقه البكاء فدمعة
ان خانني نظم القريض فذلکم
الخطب قد اعايا الشعور فكيف لي
عذرا ومثلي عند مثلك يعذر
أعجاذك الشاء كيف بلوغها ؟
ان خانني التعبير عنها هيبة
تاريخك الألق الجبين تلاًلاً
رسمت على جيد الخلود روائعا
في كل روض من اريجك نفحة
فاليك ازهار الثنا عباقرة

رثاء البستاني

الدكتور محمود البستاني قصيدة مطلعها:

كلمات الرثاء سنبله موجوعة العطر لم تنادم حقولي

لم تدمدم على بياذرائي على كنزها الشهي الجميل^(١)

(١) لم نعثر على القصيدة واستفدنا ما أثبتناه لمطلعها من محفوظات الأخ الأريب محمد رضا القاموسي، كما أفاد بأن الأستاذ جعفر هادي هو الذي القاها نيابة عن المرحوم البستاني.

أخي المظفر

العلامة الشيخ عبد المهدي مطر

الموت أقصر أن يدك ويهدما	حصناً بنيت من الشريعة محكما
ولانت أمني أن يصدك مصلحاً	فشل أصاب المصلحين فاعقما
شيدت ناطحة السحاب من الهدى	ونصبت رأيك للمعارج سلما
وأبيت ألا أن تنير طريقها	للحق حتى أبصرت بعد العمى
وتبلورت بعد الجمود فأصبحت	بك أرضها ترتاد من فيض السما
ولكم تناثر عقدها في أحقب	حتى طلعت فأبصرتك منظما
ورأيت معوجاً تعاصي حلّه	زمناً فقد قومته فتقوما
ولقد رأيت وأنت مالك شوطها	نقصاً بحلبتها فكنت متمما

لا أرثينك فالرثاء لميت	ولأنت حي حيث كنت وأينما
كلاً ولا أبكيك إنّ مدامعي	تأبى لحي أن تسح وتسجما
أفأبكين لأنّ ذكرك خالد	ولأنّ روحك في الجنان تنعما
أفأبكين لأنّ مجدك شامخ	تخذ المجرة غارباً فتسنما
لكن أشجى ما أثار بمهجتي	نار توجج في الضلوع وأضرما
أيّ رجوت بأن أقيم لك الهنا	عيداً فعدت أقيم عيدي مائما
ورجوت دارك أن أراها مسرحا	للشعر بالبشرى فعادت ميتما
ترتج أصوات الثكالى عندها	من كلّ أيمة تناوح أيما
من كلّ من قد كنت أمس تحوطه	أن لا يشاك بشوكة أو يصدما

يا دار باني المكرمات تمنعي فالعزّ فوقك لا يزال مخيما

قسماً بمعناك الدقيق وكلّما	حاولت حلا منه كان مطلسم
فلأنت عين في المواقف لم تزل	سهرى على العلياء تحرس نوما
إن نازلتك يد الحوادث قدته	جيشاً من الرأي السديد عرمرما
أوطاش حلم أخي الحجى في موقف	أطلعت حلمك فاحتقرت يلملم
ولديك عزم لا تفل حدوده	ما أهتز يوماً للكفاح فاحجما
وإذا اشتبكت مع الزمان ألتته	لو كان من زرد الحديد تفصما
أو قيل يوماً من يذب عن الحمى	عرفت طلايعه الكمي المعلم
ورأيت دنيا لو كرعت بحوضها	لرويت لكن عمت فاخترت الظما
لتكون قدوة مصلحين تمتعوا	بحطامها وتقاسموها اسهما
أن لا يعبوا في المشارب كرها	أن لا يكبوا في المطاعم منها
فلأنت وحدك عالم متفرد	لم تنجب الدنيا أخاً لك توأما

وذكرت غارة شانتيك على الحمى	فاعتز باسمك من أذاهم واحتمى
إذ شئت تخلق للخطابة ألسنا	فصحى وتفتح من منابرها فما
فتألبت فرقا وقد بصرتها	فأبت بصائرهما لها إلّا العمى
وتناهشتك فلم تشك فارجعت	ظفراً مقلمة وأنفأ مرغما
إذ حاولوا إخماد نار رشادهم	كي يسلكوا في الجهل أفقاً مظلم
فوقفت كالطود الأشم فنكسوا	إذ لم يروا بك للمغارة مغنا
وأريتهم في الله قدرة ماجد	ظفرت كتائبه فعف تكروما

واللطف عندك إذ تدير بكأسها شهداً لمن ذقت بكأسك علماً
يا واحد الدنيا وعز نظيره لو كان ثمة آخر لتقدما
كن كيف شئت فأنت طوراً شمسها صحواً وطوراً أنت غيث قدهمى

وغداة طاغ والبغاة تنكروا للدين فاقتحموا من الدين الحمى
وتوغلوا بالمنكرات فاطلعوا أفقاً بقاسية الحوادث مرزما
فصلت حزماً ما تكهم حده ومتى سمعت بذى الفقار تكهما
فأريتهم لما تفاقم طيشهم إنَّ الشريعة عروة لن تفصما
وأريت من يقتص غيا أثرهم إنَّ الحصون منيعة لن تقحما
فالدين أمتع أن يطيح دعامه باغ وإن قاد الخيول والجما
والدين طود في الصراع فلم تكن عقبى مصارعه سوى أن يهزما
فانظر مغبتهم فيها هم عبرة لمقوس ولمن برى ولمن رمى
وانظر لعاقبة الغرور فيومهم شحت ميامنه عليه فاشأما
فلك البقاء إذا وللدين البقا ولها الدمار بما تجنت مغرما

ولقد نهضت مع اليفاع مجدداً من كلّ بالية الأساس مرما
وتعود تدعم بالنهى شرفاتها أما تكون بحاجة أن تدعما
حتى وضعت لها ليخلد يومها حجر الأساس إلى الخلود ميمما
فغدوت تغذوها كما يغذو أب زق المعارف ساغبين وألقما
فأقمت قاعدة الشريعة محكما أركانها إذ كان حزمك أحكما
(كلية للفقهاء) لو أن الدنيا سيف وصك حصاتها لتثلما

فطلعت بدرًا مشرقاً بسماؤها ونشرت فيها للهداية أنجما
وكذاك شأن المصلحين أبوة ترتاد لطفاً في البنين مقسما
عظمت رزيتها بفقدك نكبة ولعلما جلّ المصاب ليختما

في أربعين المظفر

العلامة الشيخ عبد المهدي مطر

القصيدة الثانية^(١):

وتلفت لك حومة ولواء	حنت إليك ثقيلة أعباء
وتذكرتك بحيرة آراء	وتنصت لك في الجهاد بطولة
والرأي ليس يفيضه استجداء	يستلهمون الرأي منك تفيضه
في اللج قد عصفت بها الأنواء	ورنت لربان النجاة سفينة
أذن عن استنصارها صماء	لبئتها بالنصر حين تغافلت
كانت تطبق أفقه الظلماء	وقدحت جهرتها فأشرق مجهل
بيضا يضيق بعدها الاحصاء	فمضيت تشكرك المساعي لمعا
إلا القميص وآلة حدباء	ولرب ماض لم يكن منها له
بالمعجزات الغر فهي وضاء	ستين عاماً أو تزيد ملأتها
رزء تهون لهوله الأرزاء	جل المصاب وحسب رزؤك أنه

في جنب كلّ بيسة خضراء	وسقيت غرساً للشريعة فازدهت
من كلّ فوق أراكاة ورقاء	فشدت بلاها الهداة وغردت
أن لا تعيث بنهجها الأهواء	ورجتك خوف العابثين فصنتها
ثوب الحياة لها وهم أعداء	وحيتها من قانصين تقمصوا

(١) القصيدة تنشر لأول مرة، وهي مستلة من ديوانه المخطوط الذي يقوم بتحقيقه والتعليق عليه

وكفيتها حقاً مؤونة زمرة
ورأوك في قمم العلى فتصاعدوا
عرفوا به الحمل الثقيل فاحجموا
ورأوا بأن المجد درب شائك
وجرت بشوطك للرهان سقيمة
وتنظرتك (مسيّات) فإتّها
وقنعت في شظف الحياة وبعضهم
وإذا تشقق حاسدوك بغيظهم
وردوا ولكن غيضة لم يرتووا

أكحلت من عين الشريعة ناظرا
تسري ويسري الرأي خلفك فاتحا
تبني وتهدم ما تشاء فلم يحى
إن قلت فيك فأنت وحي منزل
أو كلّ شعري عن علاك فعاذر
وإذا الشريعة جف بعدك نبعها
أو أخفقت من نافخ جمراتها

نطحت بك السبع الشداد فعاذر
وإذا المعارف أطلقت حلباتها
من (أسرة) قد هذبت أخلاقهم
لوقيل بعدك أنها جاء
يوماً فأنت الجبهة الغراء
سنن الكتاب وشرعة سمحاء

طبت على لين الحديث فلم يكن
ولدتهم حواء لكن فخرها
ومضى أخو الحسنات لم تمزج له
أفهل رأيتم مصلحاً من قلبه
ولطالما قرع الحديث بمثله
إن قال توج بالحجى برهانه
ملء الفارغ إذا تسنم ذروة
منها اللسان اللاذع الكواء
أن لم تلد أمثالهم حواء
أبدأ بأية منة آلاء
رتع (الذئاب) بروضه و(الشاء)
عند اللجاج مقارع عداء
فلج وحجته هدى وجلاء
وفداء فيه حقيبة جوفاء

أأخي والرزء المصن بأني
وإذا انبرى الشعراء ألقىت العصا
وركضت بين الراكضين بعرجتي
وظفقت التمس النظير لماجد
فوجدت أني في ضلال ارتأي
هل يستوي طهر الضمير وأنفس
ولربما اختلف المدى وتباعدت
فجنب كل أخي مساع معقد
أطلقت مدحي فيك وهو رثاء
معهم وإن لم يحسن الإلقاء
على أفوز وناقتي العضباء
في الصدق عز لمثله النظراء
أن تستوي السوداء والبيضاء
لعبت بها البيضاء والصفراء
فيه الخطأ والراكضون سواء
وبجنب كل مسنة درداء

أخي^(١)

السيد محمد جمال الهاشمي

أينسى الأسى قلبٌ بحبك يزخر
وتشغله عنك الحياة وجوّها
ففي كل أفق من شعاعك لمحة
أراك بقلبي لا بعيني مصوراً
فلا يَخْتَفِي مجلاك عني لحظة
عشقتك عمراً لم أزل متنعماً
مضى ربع قرن من هوانا، وإنني
غرسْتُ به الإيمان والفضل والعلی
فروحك في روحي ومعناك في دمي
تقدّست من نور تجسم شاخصاً

ويسلو الجوى صب بذكرك يزفر
بأطياب ما خلفت فيها معطر
وفي كل وجه من جمالك منظر
وقلبي من عيني أدق وأبصر
وكيف وإحساسي به يتمور
به، وبه تطوى حياتي وتشر
إليه وإن طال المدى أتحسر
وها هي تنمو في وجودي وتثمر
وسرّك يبدو في كياني ويظهر
بشيخ به روح الشبيبة تصهر

أخي في جهاد الجهل وهي قرابة
مشينا معاً نطوي الطريق لغاية
نشق إلى الجيل الجديد مسالكاً
وتبني بوجه السيل سداً لعلّما

أحق من القربى بحبي وأجدر
أجل من الدنيا وجوداً وأكبر
عليها إلى ما يقصد الدين يعبر
تُرَدّبه الأمواج عنا وتدحر

(١) بمناسبة مرور عام على وفاة الحجة المجاهد الشيخ محمد رضا المظفر في رمضان ١٣٨٤هـ.

يُوجّه منه وضعنا المتدهور
عليك يهزّ الدهر هذا المعسكر
لكارثة فيها المبالغ يُعذر

وعاهدتنا أن لا تفارق مرقباً
فمالك فارقت القيادة فالتوى
ولا غروا ما ضجّ خوفاً لأنه

عليك بنيران الأسى يتسّـر
مشاهد بركاني بها يتفجّر
محبّبة فيها جلالك مضمـر
فروحك ما زالت عليّ تسيطر
بها صرت أوعى من لداتي وأشعر
يصدّ بها ريب الزمان ويقهر
بها الحب ينمو والأحاسيس تُزهر
تباد شكوك التائهين وتحسر
تثار بها نار الوغى وتسعر
وتبقى بها الأجداد تزهو وتفخر

أخي كيف يسلك الفؤاد ولم يزل
أحاول أن أنسى فتبرز منك لي
وتظهر في وعيي من الغيب صورة
فتلهب إحساسي وتجري مدامعي
وما زلت أحبو في ظلال مشاعر
ستبقى بروحي طاقة معنوية
ستبقى بقلبي واحة عاطفية
ستبقى لإيماني شعاعاً بهديه
ستبقى بجفني دمة هاشمية
ستبقى معي في كل حال مرافقاً

ولا ينقضي تاريخك المتبختر
مواكب جيل في السرى يتعثر
ودرسك للأجيال أمسى يقرّر

أخي في أمان الله فالدهر ينقضي
بعيش به فجر الجهاد موجهاً
فدربك للأمال أمسى معبّداً

فذكراك فينا يقظة وتحرّر

فنم في ظلال الخلد من أيمن الحمى

شهر رمضان ١٣٨٤ هـ

قالوا ارثه

الأستاذ صادق القاموسي^(١)

قالوا ارثه !! قلت هذا اليوم مولده
ياأبى له الموت ماضحى وماورثت
وما تلقته من وحي مدارسه
إنّ الحياة حياة الذكر لا جسد
والعمر عمر الهدى يستل من عمه
ما عاش كي ينقضي من يومه وطر
رأى الحياة سنيّاً تنقضي فمضى
وجاد بالعمر أياماً تحدده
فيم الرثاء وما ماتت روائعه
ولا توارى له فكر فننّده
وهل سواه الذي جئنا نكرمه
والمرء ذكره لا فوه ولا يده
منه العقول، وما أعطاه معهده
وما حواه من الإيمان مسجده
يبلى ولا نفس ينهي تردده
جلاً ويمشي إلى جيل فيرشدّه
وإنما عاض كي يحيا به غده
ينال منها التي تبقى تخلده
واختار عمراً عطاياه تحدده
ولا خبا مجده فينا وسؤدده
ولا تهاوى له رأي فنفقده
وهل سواه الذي جئنا نمجده

لا لست أرثيه مفقوداً وما برحت
معطر القلب محض العطف يطربه
عيني تراه - كما كانت - وتشهده
لحن إذا راح بعض منه ينشده

(١) أديب فاضل، شاعر من أعضاء جمعية منتدى النشر.

ألقيت في الحفل الكبير الذي أقيم في (جامعة النجف الدينية) بمناسبة مرور أربعين يوماً
على وفاته يوم ٢٧ / ٣ / ١٩٦٤ م، نشرتها في حينه جريدة البلد العراقية.
نشرت في مجلة النهج اللبنانية العدد ١١ السنة التاسعة ١٩٦٤ م العدد الخاص بالمناسبة.
ديوانه ١٩٧ - ٢٠٤.

فيم التعجب لا صوتي ولا كلمي
 سل الردى هل مشى يوماً لساحته
 أمنت بالموت أستاذاً يحاضرنا
 عن الذي خبر الدنيا فاقطعها
 وراح يسرج قلباً يستضيء به
 لم يأس إن فاته من عمره رفه
 مضى وقد وهب الأجيال راحته
 إني أرى الموت يحبي الخالدين وكم
 قد عاش فينا ولكن لم نحس به

ولست أبكيه والخمسون منجبة
 كأنها النبع نزر الماء تحسبه
 تنبه الأمل الغافي وتوقظه
 تبقى تقص على الأيام قصته
 وكيف دافع فرداً عن عقيدته
 وكيف أثر نكراناً على طمع
 وكيف لم يشته أن التي أخذت
 وكيف راح يشق الأفق مخترقاً
 يطارد الليل مغروراً بكلكلة
 حتى بنى الفكر جباراً مفجره
 وروض الواحة الخضراء بفكرته

أضعافها وتظل الدهر تولده
 وإن جرى غمر الوادي مصرده
 وتبرق الزمن الخابي وترعده
 وكيف قام بأمر كاد يقعه
 ولم يضق بتفانيه تفرده
 لو شاء وافاه اصفاه وأرغده
 برأيه أمس، أضحت لا تؤيده
 ظلامه ليس بالخوار أيده
 وقد تحده بالظلماء سرمده
 وحطم الجهل منهارة محشده
 حتى جنى زهره من كان يقصده

وقد خلا من لبيب الفكر معبده	رأى الشريعة تستجدي مبلغها
حتى تجاهل أمر الدين مرشده	وغيرت لغة الدنيا حضارتها
كأعزل لم يجد سيفاً يجرده	وأخرجت وثبات العصر موقفه
إذا لم يعنه على البلوى مهنده	قد راح يكثر مسحاً من حمائله
ولاذ في نفس شاك يصعده	وصد عن ذلق أضحى يحاججه
ثقافة لمكان النجم تصعده	يود لو صهرت دنيا رسالته
جيلاً بكلّ الذي احتاجت يزوده	فقام يوهبها عمراً أعد لها
ضميره وبها يملي يعمده	وهب يرضع بالمستوثبات هدى
ظلت سنيناً حملة الجهل توصده	وراح يفتح باباً من هدايته
زرعا وداراه حتى قام يحصده	تعاهد الرشيد حبا ثم أخرجه

على ثراه وقد باتت تعدده	ولست أنعاه بل أنعى منى عكفت
تجر من أمل واه تمسده	تشير منه الشجأ حيناً وآونة
منه ولا صدها يوماً تردده	كانت على عزمه تحيا وما يئست
إلى سواه وكم عادت تودده	تروح عنه وتأتيه وكم فزعت
على الثبات ضعيف الرأي أبلده	وقد تأبت شموخاً أن يراودها
تيقظت غفوة الأقدار توعده	هفت إليه ولما اختارها هدفاً
واستعدت الجهل مخدوعاً تجنده	حشت له الحقد مسعوراً تعبئه
والله يعلم ما تبغي وتقصده	وجلجلت تتبارى في مصافحها
جشاعاً على صدره موت يهدده	أقول للمدعي طبعاً ومدنفه

أقول ذلك للتاريخ لا جدلاً أخوض فيه ولا رأياً أفنده
 قتل المريض - وإن أَرْضَاهُ - عن عمد
 قاس ولكن أقساه تعمده

آمنت أني مأخوذ على فمي وإن مجتمعي مشلولة يده
 وإن جذوة أشعاري يضيق بها سمع الندى ولحني لا يدهده
 وإن سيفي ذو حدين أيهما سللت حزّ في عرقي يقصده
 وأنني وبنو قومي كمنشغل بوالد ليس يدري كيف يسعه
 أتقي عنقي الباغي فأعذره أم أستقي عفوه الطاغي فأنقده
 كرعت خمرة آمالي معتقة فطير السكر من رأسي معبرده
 وطفت بالكوب أزجيه فحطمه معاقري، وتعاطاه مفنده
 لو أتها كأسى الأولى عذرتها وربما أخطأ المرمى تقصده
 لكن أقتل ما أخشاه أن يدي تسقي الربيع وكف الغير تحصده

يا (متدى) لرشاد منه نأخذه و(مجمعاً) لرجاء فيه نعده
 و(ملتقى) لشباب الفقه نأمنه على الرسالة يجيئها فتخلده
 وفلتة من زمان غض ناظره عنا وأعياه عن بعد ترصده
 وغضبة للهدى ثارت تعيد لنا من بعد ألف موات من يجذده
 ونظرة من بخل الدهر عابرة تفجرت عن حنان ليس نعهده
 وغفوة من لياليه وما حملت أيامنا أتها يوماً سترقه
 ظلت قروناً تعاني كيد يقظته والنجم يخذلها والليل يسعه

يذود عنها أمانيه ويظمئها	في حين من نبعها الفوار مورده
حتّى إذا لقحت بالفجر طلعتة	وحسان للشفق المرجو مولده
تمخضت عن سنين حرّة دلفت	إلى عقيم أمانينا تولده
فيا سنيّاً رشفنا من عصارتها	ما ينعش الأمل الظامي ويرده
قولي لسارقينا حتّى عواطفان	وقد تقلدنا سيفاً يجرده
مضى زمان تخططنا نباهته	لغيرنا وتولانا تبلمده
وراح يوم أباح البيت من شره	نزيله وتخلّى عنه سيده

ويا نزيلاً بدار الخلد يمرعه	من الجود تحليه ويرغده
ويا خلياً فلا البلوى تؤرقه	ولا مفارقة الأحداث تجهده
حدث-فديتك-عن دارنزلت بها	وأبي زاد إذا جئتنا نزوده
حدث عن الله لما جئت تشهده	كما تحدثت لما كنت تعبه
حدث فما كان أظماناً إلى عظمة	تقولها، وإلى رأي تسدده

لم تجد^(١)

الأستاذ صادق القاموسي

لم تجد بعدك للفتح دليلا	فاستعادت حلما فيك جميلا
وتشكت من كراها قصرا	مذ رأت ان لها ليلا طويلا
يتمطى ساخرا من حلم	زارها في موعد اللقيا عجولا
فرأت مجدك في موكبه	ويشد الركب عزما والرعيلا
ويمد الغضب الخابي لظى	جامحا يصهر وعيا وميولا
حانيا يمسح من اجفانها	طائفا يهزأ بالمسعى ختولا
وبقى الضالع ومن عثرته	ويمنيه على البطء وصولا
ينثر الفتح على الدرب سنا	بالمنى سمحا وباليأس بخيلا
انه الحق تعالى رهجا	وتعالى داعي الحق رسولا

واستفاقت والدجى معتكر	سادر جر على الافق الذيولا
وعلى الرجاء صمت موحش	
اشرع الرعب فما هزت قنا	وامتطى العسف فما شدت خيولا
وانبرت تبحث عنها شهب	عهدها ثابتات لن تزولا
علها تبصر للافق هدى	او ترى للشفق الحر دليلا
ودهاها ان تلي الشهب التي	أمس غطت أفقها عرضا وطولا

(١) نظمت عام ١٩٦٧-١٣٨٧ للذكرى السنوية الثالثة لرحيل الشيخ المظفر ولم تكتمل كما لم تقم الذكرى ولم تنشر من قبل ونقلناها من ديوان القاموسي المطبوع ٢٠٠٤. الصفحة ٣٩١.

وثبات بالسناء آيتها غررا ترمي الدياجي وحجولا
لم تنر ضوءا ولم تألق سنا وهي لم تغرب ولم تلق افولا

أبا محمد

الأستاذ الدكتور صالح مهدي الظالمى

تلك السنون الحاشدات مكائدا	القابعات على الطريق مراصدا
يحيا بها النفر الذين يغيبهم	أن تشر الليل البهيم فراقدا
أو أن تسير مع الحياة بما لها	من جدّة لتعد جيلاً صاعدا
أو أن تزيع عقائداً منخورة	لتعيد من هدي الكتاب عقائدا
سدت عليك مسالكاً من غيها	إلى اتجهت وجدت ليلاً حاشدا
ومشيت لا مترددا فيما ترى	حتى وقفت على الحقيقة رائدا
جزت الطريق وما أعاقك عنفها	ما دام خطوك فوقهن معاندا
وصمدت في عزّ الضحى متقحما	ليل الصعاب وكان غيرك راقدا
حتى إذا ابتدعتهنّ معاهدا	وجلوتهن كما تشاء فراندا
ونسلت أجنحة الظلام فلم يعد	متجههم يفتال خطوك حاقدا
سقط الألوف على مشارف هوة	كانت بكثرتها تهابك واحدا

أنا ما نسيت أبا المحمد حقبة	كنت المربي بها وكنت الوالدا
وبنوك من لمسوا عطاءك منهلاً	رغم الهجيرة كان عذباً باردا
ما دار بينهم حوار ساخن	في معضل إلا وكنت الشاهدا
قد أبدعت كفاك نهجاً راشداً	وبقيت حتى الآن نهجاً راشدا
يكفيك متكاً النجوم مكانة	وسواك يتخذ الظلام وسائلدا
فلإذا تعمد أن يعيقك رافدا	متدفقاً... فجرت منه روافدا

تفنى الحياة وما أقام بناتها وتظل أفكار الهداة خوالدا

وقفه اليتيم على النعش

ضياء الدين الخاقاني

لم يكن للثناء هذا الوقوف	أي فكر بما حوت يطوف
لم يكن للثناء أن يطلق القلب	أحاسيس ما هن عزوف
لم يكن للثناء أن يورق الوجد	فيرعاه خاطر مكسوف
إنها وقفة المودع والقوم	على الراحل العزيز عكوف
يتبارون من يقبل ذاك الوجه	نوراً وللقلوب رفيف
إنما وقفتي عليك أبا الأحلام	حلم من الخيال طفيف
وانعكاس ظننت أني أحياء	وهيهات لن يعود الأليف
ومرايا من الحقيقة لم تحف	عليها من الخيال صنوف
رسمت لي حقيقة الشاعر الحر	إذا ما دهاه خطب مخيف
وجلست لي من الوقاء كنوزاً	حجبتها عن العيون ظروف
وعلى الوحل في الهجير من الرو	ضة نبع بـورده محفوف
ما تعجبت حينما لاح في الانحاء	نجم من السما مقذوف

ليس مما يحير العقل في الإنسان يوم بما يضم شريف

غير أني وقفت فازدحم الفكر	ولاحت على الخيال رفوف
وتحججت للكلام فلم يررض	ضميري بياني المألوف

أأريد الرثاء وصفاً أمعناك تسامى بذاته الموصوف

ما أردت الرثاء قد نفذ السيف ولم يوقف النزيف نزيف

هاك قلبي هيهات لن يفصح القلب ولم يبق منه إلا الوحيف

كل هذي القلوب كانت تود الصمت لوعاد قلبك المخطوف

كل هذي العيون تفديك بالأبصار لو شح طرفك المكفوف

كيف لا يفنديك بالروح من لم يدر لولاك كيف تحيا الألفوف

كيف تشتريك بالنور عين كشفت في يدك عنها السحوف

أترى يستين من بعد عينيك طريقاً تكنفته الحتوف

أنا لم أدر قبل يومك أن الليل مهما استنار داج مخيف

أنا لا أستطيع أن أسلك النهج بهول من الروى محفوف

أنا لا أستبين دربي في الليل وبدر انطلاقه مخسوف

كيف أستلهم الحياة وفي الأفق ظلام وفي الطريق رجيف

كيف أبني المنى وفي منتهى الشوط سعي من القضاء مخوف

كنت للسالكين دربك نوراً تتحدّى به الظلام الصفوف

كنت أقوى من الرجيف إذا اشتدّ تحذاه منك قلب ضعيف

أدرك الليل أن إعصارك الجبار مهما استكان فهو عصوف

فثنى عطفه إلى أن تحذاك بسيف تهاب منه السيوف

ما أروت الرثاء قد بهت الشعر
 غير أن السماء تنطق بالوحي
 أو ليس النبوغ معجزة الله
 أي مجد أسد من وقفات الصبر
 كيف يحى الطموح إن لم يسر فيه
 والبناء الذي تسانده الأهداف
 والدواعي إلى الحياة إذا لم
 وكذاك الخلود ما رفع التاريخ
 وبناء تتابعوا في زحام الساح
 كيف لا يخلد الرضا وهو في القمة
 خاضها وهو في الربيع من العمر
 والصراع العنيف قوّته الشفاء
 بات في عين الجهاد إلى أن
 فمضى خالداً يضيق به الموت
 وإذا لم تر العيون معانيه
 وضاع الحديث والتعريف
 فيرعاه شاعر مشغوف
 وصوت من السماء هتوف
 حيث استحال فيه الوقوف
 مع الطالعين رأي حفيف
 يقوى على المدى وينوف
 تتبّن الحياة فهي طيوف
 إلا حلا له الموقوف
 يتبّع الحليف حليف
 لم يدن من غيراه حريف
 ولم يوه من قواه الخريف
 ان لم يقاوم الغطريف
 جرع الموت قلبه المقروف
 ويشكو نواه دين حنيف
 فهل تنكر العبير الأنوف

ما أردت الرثاء لن يبلغ الأقبار
 مهما استطال قصر منيف

أنت فوق الرثاء مهما ارتقى الشعر وناجك نجمه الموصوف
لن تنوش الشكوك إيمانك الصلب ولم يخف من علاك الرجيف

حسبك الباقيات تقتحم الشمس
وكفانا بأن يكون شعار الخلد
كنت لا ترتضي الحياة بلا نور
كنت تحيا الحياة كالصبح لن يغش
واعتصرت الوجود من خير ما
لم تكن تحلم العباقر فيما
كان إخلاصك المرير للركب
لم تفكر في غير أن يصل الركب
سيرى الليل بافتقاده أن
أسف العبقريّة البكر أن ينقد
وحرام على المنية أن يحرم

وضوحاً ليخسأ التحريف
فينا جهادك المعروف
ولم يرض طبعك التكييف
ضحاها دس ولا تحيف
أبدع للزاحفين عقل زحوف
قمت فيه وطاب منك الدلوف
فلم يثن عزمك الترقيف
وما شوّشت هداك الرفوف
الصبح من دون شمس مقصوف
في يوم فقدك التثقيف
منها يراعك التأليف

لم يكن للرثاء أن يقف الدمع
أنا أرتيك كيف يقتحم الإشعاع
ودموع تحمّرت قبل أن تطفو
أنا أرتيك كيف يستبق الإعصار
يا أبانا وبين جنبيك قد كان
وابتسام قد كان يورق فينا
فيسقي الربوع قلب لهيف
للشمس ناظر ملهوف
منها على اللسان حروف
من كبلت يديه الظروف
يبث الحنان قلب عطوف
الحلم الحلو وانعطاف رؤوف

وهبتنا الحياة بسمه عينيك وجسم من الجهاد نحيف
نم هنيئاً فلم يزل موكب الإيمان في صبحك الكريم يطوف
(التقي) الذي سيحتضن الروض وقد حان للثمار قطوف
قد تقاسمتا الجهاد حليفين فنعم المنى ونعم الحليف
سيدي هذه المسيرة تدعوك لتحیی على يدك الطيوف
نام ربّانها وقد قرب الساحل يخلو بكفك التجذيف
سيعيش الفقيد في كل خط سار فيه ركبها والضيوف

يا أبا الجيل

محمد حسين الشيبلي

ذعر الموت مذ تحذاك جسماً إنه لم يمتك ذكراً ولا اسماً
صعقاً خرّ حين ألفاك طوداً مثل أمس أعلى مكاناً وأسمى
تاه رأياً وقد رأى فيك دنيا حار في كنهها وأخطأ حكماً
أهي الروح من السماء تجلّت أم هي السّرّ بات لغزاً معمّى؟

يا أبا الجيل صاعداً قم تحدّث وأفد في الحديث علماً وفهما
وخدين المجد الأثيل تفجّر طاقة تدعم الفضائل دعماً
والمعالي وأنت أنت أبوها وجدت منك والداً عاش شهماً
أين من فيك منطق سلسيل ساغ نبعاً وطاب كالشهد طعماً
أين لطف هو النسيم عليلاً أين عطف يفيض خيراً ونعمى
لم تعود أبنائك الصمت يوماً فلما إذا ارتضيته لك دوماً
لو تراهم والليل أرخى سدولاً هرعوا واجمين في الليل وجماً
يتقصّون بالزفير حيارى مانعاه النعاة جمعاً ولماً
كذبوا سمعهم وقالوا غضاباً نبأ خادع سرى وتنمّى

كذبوا النعي بادئ الأمر حتى
تلك كانت عواطف الناس تروى
كيف خلّفتها أذن الليالي
أوجدت المأوى الجديد مقاماً
أم رأيت اللحد الحزين ضحوكاً
أم تأنست من شقيقك حتى
حسناً قد رأيته وحسيناً
فكأن الحياة عدت إليها
وكأنني أرى نديك يزهو
وتدب الحياة منك إليه

حسبوه أتى خيالاً ووهما
غاليات لروح شخصك كرما
والليالي تزداد ضيماً وهضماً
عامراً ما شكا شجوناً وغماً
صرت زهراً فيه وقد صار كما
قد رأيت الثوى هنالك بسماً
كان هذا ندباً وذلك ندماً
وكأنني أراك تكتم سقماً
بالصحاب الكرام شهماً فشهما
تشبه الروح إذ تعاود جسماً

غير أني وما عهدتك إلا
لست أدري لم صار مغناك رمساً
والفضاء الرحيب ما كنت ترضاه
وإلى من تركت جيلاً جديداً
كان جيلاً يفيض حزماً عجيباً
وسرى والطريق يعلوه شوكة
فرآه بنور هديك سهلاً

ثاقب الرأي في حياتك قدما
ضمّ فكراً حرّاً ولباً وحلماً
مقرراً إذ كان أضيق ضمّاً
صاعداً يشتكي ضياعاً وبتماً
عندما كنت أنت تخلق حزماً
أتعب المدلجين فيه وأدمى
معلماً لا يفضل من سار حتماً

هكذا كنت واصل الليل بالصبح
وغيرب وأنت غديت جيلاً
وجميل نكرانك الذات حتى
والذي حار فيه عقل حصيف
اجتهاداً وتضحيات وعزما
بالتسامي ان كنت تقنات هماً
كنت تروي الظماء منا وتظمي
كيف تحوى غنى وتملك عدما

يا حبيب القلوب أي قلوب
لست أبكي عليك فرداً ولكن
أنا أبكي خلقاً كريماً وأبكي
أنا أبكي التقوى الصحيحة ولت
أنا أبكي عقيدة وجهاداً
أنا أبكيه عبقرية وأبكي
أنا أبكي الإنسان عند بني الإنس-
لم تكن بعد خطبك اليوم كلمي
أنا أبكي جيلاً تحمّل ظلماً
أدباً زاخراً وفضلاً وعلماً
أنا أبكي الإيثار أبكيه جمّاً
أنا أبكي الندى إذا الجذب عما
المعيّا هوى من الأفق نجماً
-ان مبني أبكيه معنى وفهما

يا أبا الجليل والمصاب جسيم
وقصيدي كفلذة من فؤادي
أتحاشى المديح إذ كنت أدري
كنت حقاً تعاف لغواً وتخشى
كنت من مدّ كفه لفقير
فجّر الحزن منه نشرّاً ونظماً
قد رماه الأسى فأدمى وأصمى
أنك الحاسم المدائح حسماً
أن يقول اللسان هجواً وذمّاً
ثم يأبى أن تشيع الكفّ لثماً

كنت من لم يلو جيداً لغير الله حقاً ولا استكان ولما
 لم تكن بالذي استغلّ نفوذاً وتردّى عاراً وعاباً ووصماً
 لم تكن في الحياة إلّا قناة كنت فيها الفتى الأنوف الأشما
 لم تصعّر خدّاً ولم تعل كبراً وكلا ذين كان عندك جرماً
 تأنف الذلّ أن يعيش بين الناس حتى لتحسب الذلّ إثماً
 أيّفي المدح كلّ حقك إن لم نترسم خطاك رسماً فرسماً
 أيّ صرح نال السماء سموّاً مثل صرح للفقّه بالفقه يسمّى
 لم يشيد منه سواك ولما شيد قاموا فحاولوا منه هدماً
 وتراهم مثل النعام اختفاء يتّقون الأنظار جبناً وكتماً
 فإذا جنّ ليلهم قد يجنّون اضطراباً وقد يخافون وهماً
 أخفقوا كلّهم وخابوا وقد ما قيل للربّ ويك قد طشت سهماً

لست أدري ماذا يريدون من ذاك اعتباراً، أكلهم كان أعمى؟

قد أرادوا أن يستروا الشمس مثل الصغار حلماً وحلماً
 لم يثوروا عليك لو كنت تهوى المال من بينهم حلالاً وحرماً
 أين هم، أين نشرهم، أين دور العلم جلت قصداً وروحاً وعلماً
 أين منهم من كان يستطيع تحقيقاً جريئاً يشيد للدين حكماً
 أين منهم من صاغ واقعة الطف عظات خلدها الدهر عظمى
 تلك كانت أعمالك الغرّ تزهو أين أعمالهم وقد بتن دهما

وهي حرب لمن أراد احتراباً وهي سلم يعز من رام سلماً

أيها المصلح الرضي حياة وفتى المكرمات جلّت مسمى

وإمام الإقدام بين بني الإسلام في ذا الزمان عرباً وعجماً

ومنقي الأذهان من دنس الأوهام مهما يكن من الأمر مهما

فالنضار الصفي ما كان إلا بعد أن هذبوه قاراً وفحماً

قد خبرناك رائداً يقتل الوقت اختباراً ويعجم العود عجماً

بورك الفكر صافياً منك خلافاً وبوركت مبدعاً مستمماً

لست أدعو إلى الحداد فإني لم أجد منه في الحوادث غمماً

لو يعيد الحداد شخصك فينا للبسنا الثياب سوداً وسحماً

نم قرير العينين إنّنا جميعاً رغم أنف الزمان لم نهو قسماً

وعلى اسم يعيش دنيا سلام وعلى نفسك الرضىة رحى

أبتاه

عبد الزهراء محمد صالح الطائي

ويح المنون أما دعت لي مقلة بيضاء ليست بالنوائب تصدع
 في كل حين للنوعاي حنة وبكل عام - للشريرة - مفجع
 ثكلى تن - من الخطوب ولم تنزل - في كل نائبة تشق وتقدع

أبتاه مالي - بعد فقدك - مهجع ولئن صبرت فني جفوني مدمع
 وذكرت يومك - إذ عراني لوعة - فغدا فؤادي من أسى يتقطع
 قد كان روضك بالمكارم حافلاً وإذا رياضك بالمدامع تمرع
 وعليك في أفق البلاد طغى الأسى وبكل ربع للمدامع أصوع
 ولدين أحمد بعد فقدك قرحة لم تندمل أبداً وباب يقرع
 بيد المنون فقد أفلت أبا الهدى وإذا السرى يعلو وقلبي يصدع
 وتركت لحدك والأحبة حوله أسفاً وفي فمي المنى تترجع
 «أتعود يا أبت؟» فتلك محالة أفهل يعود من المنون مؤذع؟
 كلا فإنك - لا تزال - مخلداً فينا وفي روض الكرامة ترتع
 وجهادك الجبار في سبل الهدى في كل ناد للمكارم يرفع

أبتاه ذكرك لن يزال بمسمعي باق وفي شفتي ظل يرجع
وبمقلتي من الشجون علائم بانت لفقدك حين لاح المربع
متذكراً ظل المظفر قائداً في كفّه علم الهداية يرفع

أبتاه هذا العيد حل ربوعنا من لليتامى إذ أبوها يصرع؟
وإذا بها حسرى تلوذ بقادة للدين في سبل الرشاد تجمّعوا
وبكفّها علم الهداية عالياً «لا حكم إلاّ للاله» سيرفع

أبتاه لم تزل الخطوب بنادنا وصباً وفقدك في الصميم لأفزع
أمن العدالة أن يسود مذمم متشدّق «بعدالة» متدرّع؟
ويخون موطنه لأجل عصابة للدين ما برحت تكيل وتقذع؟
حسب السراب مناهلاً وموارداً وجرى يؤم فلاح قاع باقع
اللهم عفواً إن كبوت فهذه غصص ألّت فالفؤاد مبّضع

أنبا محمد

هاشم محمد جمال الهاشمي

نزلت فهذّت قمّة الأحلام
 عصفت بآمال الشباب وحطّمت
 الوائبات إلى الجهاد بعزيمة
 غدى المظفر روحها فإذا بها
 شيخ له عزم الشباب وطاقة
 لمس الجراح فراح يمسح داءه
 ترك المحيط وسيره ومشى إلى
 قد أهرق الخمر التي صبّت له
 ومشى إلى سوح النضال وخلفه
 ما أرهقته الحادثات ولم يكن
 بل سار يخترق الحدود لغاية
 حتى إذا ذهب الشتاء وجوّه
 وتسامقت كليّة نجفية
 وتسابقت زمر الشباب لها وقد
 دهياء أصمت بيضة الإسلام
 همماً طغت بجلالها المتسامي
 فكأنها أمضى من الصمصام
 هم تبيد هياكل الأوهام
 روحية ضاقت على الأجسام
 مسح الطيب منابع الأسقام
 درب تضيق به خطى الأقوام
 صرفاً وداس الجام بالأقدام
 عزمات نشء نائر الأحلام
 إيمانه للنقض والإبرام
 أعى تصوّرها على الأقزام
 وبدا الربيع بوجهه التسمّام
 شيعية الآثار والأحكام
 تركت مهاوي البغي والإجرام

وسعى الزمان إليه وهو مطأطأً
وتهمياً التاريخ لاستقباله
عصف الحمام به فطاح بموته
بالغور يمسح صفحة الآثام
بطلاً يدير أزمة الأيام
للعلم والإيمان مجد سامي

أبا محمد - لا فأنت أبُّ لنا -
إن غاب شخصك إن فكرك لم يزل
فلسوف تمضي في طريقك للهدى
طراً وقد عدنا من الأيتام
فيها، فحقل الفكر حقل نامي
حتى نحقق غاية الإسلام

شراع من خلف الإعصار

عبد المجيد فرج الله

شراعُك في البحرِ البهيمِ بدا ثغرا
وملاء المدى الملحيّ حامت نوارسُ
وليس سوى إرجافة الريح والدجى
سواء جثوم الليل أو طلعة الضحى
وهذا الشراعُ الصبحُ يولدُ رائقاً
تبسم مثل الشمسِ واهبةً فجرا
ظماء حزانى ما أوت ليلةً وكرا
وقهقهة الامواج ماتألفُ البرا
ضريراً تغشاه الغمام فما يبرا
فكيف؟ وقد شاب الفضاء هنا ذعرا

شراعُك وصاح الجبين استوى نضرا
تشايعة والزقزقات ندية
مواسم هذا الحب تفرّ غضة
وترقى الاماني المقلات الى غد
اليس عجباً أن نظلّ بلا رؤى
وبين يدينا الوحي ينطق بالهدى
وتسبقنا الأعداء، تقطِف نورهُ
وكلُّ معالينا نصوص عتيقة
نخال مدار الكون حول سطورها
اليه عيون النورس انسربت ترى
ترفرُ في الآفاق تحتضنُ البشرى
فيورق فيها الحرف ملحمة كبرى
تعجُّ به الاراء يستنهضُ الفكر
تلم عيون الافق تنثرها دراً
وفي نبضنا تحيا شريعتنا الغرا
ونحن حيارى إذ نجوع وإذ نعري
تراجم فيها كل حاشية اخرى
فيا خجلة الاجيال... ما حفظت سطرًا

شراعُك رُغم الموج يلتقمُ البحر
وكل عيون الطل ظمأى لوجهه
بعزم أبى المرسى فصار له مسرى
وقد غسل الفردوس سُحنته السمرا

وأنفاسك المعطار تستأق ضوعها
عصافير في قلب الجنوب شذت سكرى
وطلع النخيل البض يزهر باسماً
إذا يقظته نفحة النجب العذرا
جمعت نضارات العراق حبيبة
فقد شمت فيها من أبي حسن أثرا
وواصلت وعز الشوط فرداً مظفراً
وتابعك السارون، تستسهل الوعرا
وقد أنبتت تلك الربى خطوكم بذرا
فأينع في أرجاء عالمنا زهرا

شراعك موصول بجنتك الأخرى
إليه يشد البحر والمهمة القفرا
يسابق خطو الدهر، يرسى غراسه
ويمطرها رياء، ويمتازة دهرها
ولاعجب فالقلب في الحب يحضن ال
نجوم، وفي البغضاء لا يسع النداء
فكيف وحب الله يعمر قلبك ال
رحيم، فتصفيه المواهب والعمرا
ألا هكذا فليرسم النور ظلّه
وبيني كذا الإسلام قلعتة الكبرى

٤. وثائق وصور

منتدى النشر

رسالة المظفر للشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان اللبنانية:

لحضرة الاستاذ الشيخ أحمد عارف الزين المحترم

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد الاخلاص لكم ولمجلتكم التي خدمت هذه الطائفة والعروبة بأجل الخدمات التي لا تنسى مدى الدهر، وأني لأشعر بوخز في ضميري عندما اتصور تقصيرنا معها، وإذا قدمت لكم هذه الكلمة التي تجدونها للنشر فليس معنى ذلك انها من نوع خدمتها بل بالعكس، فإن لها الفضل إذا فتحت صدرها الرحب لقبولها للنشر، وعلى كل حال لكم رأيكم في نشرها أو تركها إذا وجدتم ان الجول لا يلائمها، وكنت هذه المدة اتحين الفرص لأبسط لكم مشروع (منتدى النشر) في مدرسته الدينية بعد أن لفت نظري انه لم يثر اهتمامكم مع أي عهد بكم انكم اول من فكر ودعا لإصلاح دراسة النجف، ونحن جماعة فكرنا في هذا الاصلاح من قبل ١٥ عاماً تقريباً والأبواب كانت موصدة في وجوهنا، حتى رأينا ان نؤسس (منتدى النشر) لتحقيق هذه الغاية وأسميناها بهذا الاسم حتى لا يلفت الأنظار إلى هدفنا فنقوم قبل ان نخطو بعض الخطوات وطبعاً تعرفون ممن المقاومة تكون.... وإذ مضى على هذا المنتدى ثلاثة أعوام وأخذ في المجتمع النجفي العلمي مركزه اللائق به، رأينا ان الوقت مناسب لفتح المدرسة وتطبيق النظام على الدراسة الدينية، فنهضنا نهضة واحدة، وإذا الناس معنا أكثرهم حتى جماعة من العلماء الأعلام فأدخلوا أولادهم، وإذا بالمدرسة تضم ١٥٠ طالباً دينياً في ثلاثة صفوف أكثرهم من بيوتات النجف العلمية الشهيرة... حلم تحقق وآمال متحطمة انتعشت وجهود سنوات اخذنا ثمرتها في سنة واحدة، ونعتقد ان كل غيور على مصلحة الطائفة والنجف إذا اطلع على نتائج سير مشروعنا يرفع رأسه

عاليا... ثم استطعنا ان نحصل على اعتراف وزارة المعارف وكان على رأسها يومئذ معالي الشيببي وهو شريكنا في الفكرة والتدبير بل العمل والمساعدة.

ولكن أتصورون ان جماعتنا يتركونا نسير في طريقنا... ؟ سل نفسك كم جربت من اعمال... فلم يكن من امرنا إلا ان راحت الاخبار السرية ووسائل أهل الفضل الذين لا يروق لهم اصلاح الفوضى بالنجف إلا إذا استغلوها لأنفسهم ولمصالحهم الذاتية... لقد اهتمونا بكل ما استطاعوه من تهمة فقلبوا ظهر المجن^(١) لنا لما رأوا كيف نقدم مشروعا في ظرف قصير تقدماً لم يحلم به أحد - إلا ان ذلك لم يوقفنا عن السير على خطتنا، فبعد ان انتهت العطلة الصيفية هذا العام بدأنا في فتح المدارس وفتحنا صفاً رابعاً للناجحين من الصف الثالث، وتنتهي الدراسة عندنا للصف السادس الذي ينتهي الطالب به من حضور (دروس السطح) كما كانوا يسمونها، ویتھياً عندئذ لحضور ابحاث المجتهدين (الخارج) - وهذا قليل من كثير مما يجب بيانه لكم، ونستمد من الله تعالى التوفيق وفي فرصة أخرى او ان اشرح هذا المشروع أكثر من ذلك ونحن ننتظر منكم كل مساعدة.

النجف الأشرف معتمد متدى النشر

محمد رضا المظفر

وقد اثبتت المجلة في ذيل الرسالة مايلي:

(العرفان) نحن نشني على نهضتكم المباركة في كل مناسبة ونتمنى لكم التوفيق في عملكم المجيد الذي نود من صميم الفؤاد مساعدته بكل ما يمكننا.

وكذلك نشني على ما قام به العلامة الأكبر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء محبذين قيام إخواننا المهاجرين في الأرجنتين بمساعدة مشروعه ومشروع العلامة الجليل

(١) قلب له ظهر المجن: انقلب ضده بعد مودة.

السيد عبد الحسين شرف الدين فحيا الله العلماء العاملين، وجزى الله جزاء الخير وخير
الجزاء اهل الغيرة والمحسنين.

نظام لجنة المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر

المادة الأولى - تسمى هذه اللجنة باسم (لجنة المجمع الثقافي الديني).

المادة الثانية - أهداف اللجنة هي بعض الأهداف التي اسس منتدى النشر من أجلها وهي رفع مستوى الثقافة وخدمة العلم والدين عن طريق النشر والتأليف والمحاضرات.

المادة الثالثة - المقترحون هم أعضاء اللجان الدائمون ولهم أن ينتخبوا - بعد موافقة مجلس إدارة المركز العام - أعضاء آخرين معهم الى حد يبلغ مجموع اللجنة خمسة عشر عضواً على أن يكون المنتخبون من أعضاء الشرف أو الأعضاء المساعدين الذين تمضي على عضويتهم ثلاث سنوات على الأقل.

المادة الرابعة - تنتخب اللجنة من بينها على رأس كل سنتين رئيساً لها ومقرراً يتولى سجلاتها ومقرراتها ومديراً لإدارتها يتولى إدارة الأعمال والاحتفاظ بمختصات اللجنة من الآثاث والكتب ونحوها، ومحاسباً يكون مسؤولاً عن المصروفات والواردات و أن تختار من الأعضاء المساعدين من يتولى هذه الأعمال ونتيجة الانتخاب تعرض على مجلس إدارة المركز العام للموافقة عليها.

المادة الخامسة - للجنة أن تعتبر من تختار من قادة الفكر عضو شرف فيها.

المادة السادسة - للجنة أن تقبل كل من طلب الانتماء اليها للاشتراك في اعمالها الثقافية وكانت له أهلية علمية أو أدبية وكان من ذوي الأخلاق الفاضلة ويعتبر عند قبول انتمائه (عضواً مساعداً).

المادة السابعة - عضو الشرف والعضو المساعد كأعضاء اللجنة له الحق في

الاشتراك بالمحاضرات العامة والخاصة وفي تقديم آثاره العلمية والأدبية للنظر فيها للطبع والنشر.

المادة الثامنة - تسعى اللجنة في نشر آثار المنتدى خاصة ومؤلفات العلماء عامة وتعتني عناية خاصة بإحياء الآثار القديمة ولها ان تتعهد في الإشراف على جميع مطبوعات المنتدى أو التزامها ان طلبت ادارة المركز العام ذلك.

المادة التاسعة - للجنة اجتماعات ثقافية بالاشتراك مع أعضاء الشرف والأعضاء المساعدين للمحاضرات والمذاكرة فيما يتجدد من الحركات الثقافية العامة والآراء والآثار العلمية والأدبية التي تعينها ادارة اللجنة.

المادة العاشرة - للجنة في كل اسبوع على الأقل اجتماع اداري يحضره الأعضاء الدائمون واعضاء ادارتها من المساعدين للنظر في أعمالها.

المادة الحادية عشرة - يجوز ان تنتخب اللجنة لجاناً مؤقتة من بينها ومن الأعضاء المساعدين تعهد اليها بعض الأعمال الثقافية. من تأليف كتاب أو تصحيح آخر أو التعليق عليه أو تحرير صحيفتها ان كانت وغير ذلك.

المادة الثانية عشرة - للجنة ميزانية خاصة تدخل في ميزانية المنتدى العامة وتجتمع ماليتها التبرعات الخاصة لها ومخصصات المركز العام لها وريح مطبوعاتها.

المادة الثالثة عشرة - لصندوق المنتدى حصة في ربح مطبوعات اللجنة يتفق عليها من وقت لآخر.

المادة الرابعة عشرة - يجوز ان تقوم اللجنة بتنظيم شؤون احتفالات المنتدى العامة والخاصة.

المادة الخامسة عشرة - من لم يحضر خمسة اجتماعات متوالية من الاجتماعات

الخاصة لغير عذر مشروع يعد مستقيلاً وكذلك من توالى اعداره الى ثلاثة أشهر مالم يكن ذلك لسفر.

المادة السادسة عشرة - غير واضحة .

المادة الثامنة عشرة - اذا استقال عضو اللجنة أو مات فعلى اللجنة ان تنتخب عضواً مكانه اذا كان ذلك ممكناً ويبلغ به مجلس ادارة المركز العام.

المادة التاسعة عشرة - لا يجوز للعضو نشر شيء باسم اللجنة مالم يكن حاملاً اجازة كتبية بنشر نفس الموضوع

المادة العشرون - اذا انحلت اللجنة (لا قدر الله) فجميع ممتلكاتها من المال والأثاث ترجع لمركز المنتدى العام.

المادة الحادية والعشرون - تعديل هذا النظام وتبديله من حقوق اللجنة وذلك بعد موافقة ادارة المركز العام.

ملاحظة: عدلت بعض مواد هذا النظام بجلسة للجنة المنعقدة بتاريخ ١٠ /

٥ / ١٣٧٠ هجرية.

رسائل المظفر الى الامام السيد عبد الحسين شرف الدين

بخصوص إصداره رسالة الى المجمع العلمي بدمشق.

إلى المجاهد المصلح الكبير سيدنا حجة الإسلام السيد عبد الحسين شرف الدين
دام ظله.

السلام عليكم ورحمة الله

غمري فضلكم - ولا يزال - باهداء رسالتكم القيمة (الى المجمع العلمي
بدمشق)^(١) فتشرفت بقراءتها سفاً خالداً ودليلاً مرشداً وحجة بالغة يفئ بها طالب
الحق وهي - كسائر آثاركم الجليلة التي لانفتاً نهدي بهداها وتتخلد عليها - درة لامة
في إملاء رفوف المكتبة العربية أسلوباً وبحناً وأصالة رأي وقوة حجة وصدق نية.

وإذا كان أولئك أمثال القائمين بإدارة المجمع العلمي ومجلته ما انفكوا يرتشفون
من المنابع الآسنة الأمية وسياستها مع الإسلام فلا يركنون الى الحق تركاضاً وراء تلك
الشنينة التي نعرفها - فقد فاتهم ان تلك السياسة قد أصبحت ولا محل لها من الاعراب
اليوم - وهذا الجيل من الشباب وما يليه يرون الاشياء بغير منظارهم القاتم، واني واثق
ان صرختكم الموافقة سوف لا تعدم من يليها من هذا الجيل الذي يزن الامور بميزانها
الحقيقي حياكم الله تعالى مناراً للمؤمنين ووفقنا لطاعته

محمد رضا المظفر

معتمد منتدى النشر

٢٥ / ٨ / ١٣٦٩ هـ

(١) رسالة رد بها الامام شرف الدين على محمد كرد علي رئيس المجمع عندما تعرض بمفتريات
على آل البيت (عليه السلام) في مقال نشره في مجلة المجمع طبع في صيدا سنة ١٣٧٠.

رسالة جوابية على تعزيتة بوفاة شقيقه

آية الله الشيخ محمد حسن المظفر (طاب ثراه)^(١)

(١) مع آفاق نجفية ٧: ٣٩٧-٣٩٨.

قانون وزارة الدفاع

عندما نشرت الصحف عزم الحكومة على تعديل قانون الدفاع رفعت جمعية منتدى النشر الى الجهات المسؤولة هذا الكتاب نشره و نحن نأمل أن تؤخذ هذه الملاحظات بعين الاعتبار. ((البذرة))

فخامة رئيس الوزراء

فخامة رئيس مجلس الأعيان

معالي رئيس مجلس النواب

معالي وزير الدفاع

معالي وزير المعارف

ان مدرسة (منتدى النشر) هي أول مدرسة دينية اعترف بها في العراق لغرض الفقرة (ب) من المادة (١٤) من قانون الدفاع المرقم (٤٠) لسنة ١٩٣٨ م. وكانت هي التجربة الأولى للتدريس الديني بالنجف الأشرف. وقد مضى على فتح المدرسة اثنتا عشرة سنة، اكتسبت جمعية المنتدى خلالها خبرة بشؤون المدارس الدينية وعلاقاتها بقانون الدفاع وأنظمتها مما أوجب أن تسجل عدة ملاحظات حول هذه الشؤون.

ولما نشرت الصحف في الآونة الاخيرة عزم الحكومة الجليلة على تعديل قانون الدفاع فقد رأت ادارة منتدى النشر أن تبسط اليكم في هذه اللائحة الملاحظات الضرورية التي تقتضيها مصلحة المدارس الدينية و البلاد. لاسيما فيما يتعلق بالمذهب الجعفري ومدارسه التي تغافل عنها القانون المذكور كما سنذكره، وقد كنا عرضنا هذه الملاحظات على أنظاركم في لائحتنا التي قدمناها لكم بتاريخ ٢٨-٩-١٣٦٦ هـ. الموافق

١٦-٨-١٩٤٨م ولان نعيد اليكم تقديمها راجين أن تأخذها الجهات المختصة بعين الاعتبار.

الملاحظة الاولى

جاءت في الفقرة (ب) من المادة (١٤) من القانون المذكور من طلبة المدارس الدينية عبارة (وليس لهم مهنة اخرى). وفي تفنين هذا القيد شل للحركة العلمية من جهة والحاء لبعض الطلاب على التسكع من جهة أخرى، لأنه ليس في مثل معاهد النجف الأشرف مخصصات تعطي للطلاب خصوصا من كانوا في سن المكلفين، فإذا لم يقيم بمعيشة الطالب أحد أقاربه فانه يلتجئ الى ترك العلم أو الانتهاز بما يقوم باوده ولا فيضططر الى التسكع.

على أن هذه العبارة في القانون تعتبر طلب العلم الديني مهنة للمعيشة، وذلك من مدلول كلمة: (أخرى). وإذا صح ذلك في المدارس التابعة لمديرية الأوقاف العامة بما تؤدي لطلابها من الرواتب، فانه لا يصح في مثل مدارس النجف وكرلاء والكاظمية وهي تقوم على التبرع والمجانية من جانب المدرسين و الطلاب.

الملاحظة الثانية

وجاءت أيضا في الفقرة (ب) من المادة المذكورة عبارة: (والتي تعترف بها وزارة المعارف) وهذه العبارة - كما يظهر - قد أقحمت اقحاماً وذلك من ناحيتين: (الناحية الاولى) ان وزارة المعارف ليس في قوانينها وأنظمتها ومناهجها ذكر للمدارس الدينية ولا للدراسة الدينية، فهي - والحال هذه - غير خيرة بهذه الشؤون. ولذلك وجدنا عند مراجعتنا لوزارة المعارف في مناسبات متعددة انها لا تدري كيف تعترف بالمدارس الدينية وعلى أي أساس يكون اعترافها.

وعلى هذا نحن نقترح أحد أمور ثلاثة: اما الغاء هذه العبارة من القانون، أو اناطة الاعتراف بجهة اخرى غير المعارف، أو تعديل قانون المعارف ووضع نظام خاص ومنهج خاص للمدارس الدينية تابعين لقانون المعارف، ونحسب ان هذا الاقتراح الثالث هو أصح الاقتراحات وأنفع في المصلحة العامة، لأن الدراسة الدينية بالعراق أسبق بكثير من الدراسة الحديثة ولها تقاليدھا الخاصة التي لا ينبغي تجاهلھا، وكم كان لها من أثر كبير في الاحتفاظ باللغة العربية وعلومھا في العصور المظلمة التي مرت على العراق بل العالم العربي، على ان الحالة السياسية العالمية اليوم تدعو الدولة العراقية ألا تبقى متغافلة عن الحركة الدينية في البلاد وتأييدها.

ونحن لا نقول ذلك بدافع تشجيع الدراسة الدينية فقط، بل مصلحة البلاد العامة تدعو الى ذلك ولاسيما ان دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولا يكون ذلك حقيقيا وجديا ما لم تعن وزارة الثقافة في الدولة وهي وزارة المعارف بالتخصص بعلومه كما تعني بالتخصص بسائر العلوم والفنون.

(والناحية الثانية) ان المدارس الدينية الموجودة - ولاسيما في مثل النجف - كثيرة ولها كيانها الخاص من أقدم العصور الإسلامية وتقاليدھا المرعية، فعدم اعتبار تلك المدارس الا باعتراف وزارة المعارف غمط لحقوق باقي المدارس التي تبقى غير معترف بها اما لعدم طلب اصحابها أو لعدم حاجتهم الى الاعتراف، ولعل الباقية أولى من المدارس التي نشأت فناها الاعتراف.

وإذا كان لا بعد من اعتراف الوزارة فالاجدى - تشجيعها لتنظر الدراسة الدينية- أن يجعل الاعتراف مخصوصا بالمدارس المنظمة التي أصبح عصرنا بحاجة ماسة اليها للمحافظة على الخلق الإسلامي الرصين وتأييد الرابطة الدينية، فيعطي لها شخصية علمية في امتحاناتها وانظمتها ومناهجها ويكتفي بامتحاناتها الخاصة، بشرط

أن تجعل خاضعة للتفتيش. واما المدارس غير المنظمة الاخرى فيكتفي بتسجيلها لدى دوائر التجنيد وتكون خاضعة لنظام الامتحانات التابع لقانون الدفاع.

الملاحظة الثالثة

وجاء في المادة (١٨) من قانون الدفاع المذكور: (أنه يعفى من الخدمة العسكرية وفقا لنظام خاص أئمة الجوامع والمساجد والمدرسون من أصحاب الجهات والعلماء والمجتهدون).

وهذه من المواقع الحساسة ذات البال التي قلنا قد غفل فيها القانون الدفاع عن المذهب الجعفري ومدارسه، لأنه من المعلوم ان أئمة الجوامع والمساجد الجعفرين وكذلك المدرسين ليسوا من أصحاب الجهات ولا يرتبطون بمديرية الاوقاف العامة في تعيينهم ولا في أية جهة أخرى، فتخصيص الأئمة والمدرسين بأصحاب الجهات يستلزم حرمان هؤلاء من حكم منطوق هذه المادة بلا وجه.

ولئن اختص بالجعفرين كلمة (المجتهدون) من هذه المادة، فان الطالب الديني عادة لا يبلغ درجة الاجتهاد بدراسة ست سنوات، وعليه لو اكمل الدراسة الدينية...

الملاحظة الرابعة

منهج طلاب العلوم الدينية من المسلمين المرفق مع الوصايا بموجب كتاب وزارة الدفاع المرقم و.د. - ٤٠٣ - ١٦ - ١١٨٢ والمؤرخ ٢٧ - ٥ - ١٩٣٦ م.

إن هذا المنهج المذكور (أولا) لا ينطبق على روحية الدراسة الدينية في معاهد العتاب المقدسة، لتقيده بكتب و مواضيع لا تدرس في هذه المعاهد، وهو مقتبس من روحية الدراسة القديمة في معاهد بغداد على عهد العثمانيين. (ثانيا) انه موضوع بشكل لا يلائم التطور المطلوب للدراسة الدينية في هذا العصر.

ومن الجدير أن تستشار النجف الأشرف في وضع منهج التدريس الذي يخص المدارس الدينية، وقد سبق لجماعة من علماء النجف أن طلبوا من رئاسة الوزراء وضع المنهاج الذي يتفق مع روحية الدراسة فيها، على أثر نشر المنهج المتقدم الذكر.

الملاحظة الخامسة

وهذه الملاحظة لا تختص بالمدارس الدينية لكنها تتعلق بانطباق...

في المادة ٢٢ من القانون المذكور درجات المعلمين في الجدولين الاول والثاني، فاعتبر الاخ والعم وابن الاخت معيلا. وهذا لا يتفق مع الفقه الجعفري وهو من المواقع التي غفل فيها القانون عن المذهب الجعفري، وكثيرا ما تصطدم هذه المادة بالواقع، فعندما تعتبر دائرة التجنيد أخ الزوجة مثلاً معيلاً لها بحكم هذا القانون يؤخذ زوجها للخدمة، وهي عندما تراجع المحكمة الشرعية ترد دعواها لأن الفقه الجعفري لا يفرض على الأخ اعالة أخته؛ فتبقى هذه الزوجة المسكينة بغير معيل بحكم قانون الدفاع من جهة و بحكم المحكمة الشرعية من جهة أخرى.

والأمل أن تراعي الجهات المسؤولة هذه الملاحظات بعين الاهتمام ومجلس ادارة المنتدى بانتظار الاشعار بذلك.

المعتمد العام لمنتدى النشر

وقد أرسلت الجمعية صورة من هذا الكتاب لغرض الاطلاع الى كل من:

سعادة مدير الاوقاف العام

معالي نائب النجف السيد ضياء جعفر

فخامة وزير الداخلية

خطاب المخضر في حفلة وضع الحجر الأساسي لمنتدى النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على هدايته لدينه والتوفيق لمن دعا إليه من سبيله والصلاة والسلام على محمد رسوله الأعظم أمين وحيه وسيد رسله وعلى آله المنتجبين هداة الأنام وقادة الخير والصلاح.

السلام عليكم أيها السادة الكرام

أتقدم باسم جمعية منتدى النشر مرحباً بكم وشاكراً بفضلكم على إجابتكم لدعوتها في حضور هذا الاحتفال التاريخي، وعلى تجشّمكم لعناء هذا الحر القاطظ، ولا شك أن هذا الفضل منكم مساهمة عملية مشكورة في وضع الحجر الأساسي لهذه البنية التي نأمل أن تشاد على أساس من التقوى والصلاح، وأخص بالشكر إخواننا الذين لم يبلغهم تأجيل موعد الاحتفال ففضلوا بالحضور في الأسبوع الماضي إلى النجف الأشرف، وقد كنا أجّلنا مواعده - كما تعلمون - وأبرقنا بذلك إلى الصحف بمناسبة مصادفته لوفاة المرحوم الحجة الشيخ راضي آل يس تغمدّه الله برحمته مشاطرة للأسرة الكريمة في مصابها الفادح، لما للفقيد من منزلة دينية محترمة، ولما لهذه الأسرة المحترمة (آل يس) من علاقات متأصلة في هذه المؤسسة، لاسيما زعيمها المرحوم آية الله الشيخ محمد رضا الذي كان اليد التي لا تنسى في تأييد هذا المشروع^(١)، ولا أنسى أن أذكر بالشكر أولئك الكرام الذين ساهموا بإلهام فاشتركوا في الاكتتاب، من غاب منهم ومن حضر في احتفالنا. وحقاً أن أخص بالشكر والثناء العاطر إخواني أعضاء لجنة الاكتتاب الذين جاهدوا في هذا السبيل واستفدنا كثيراً من آرائهم الصائبة رعاهم الله تعالى بعين

(١) بمناسبة ورود ذكر هذا الشيخ الجليل قدس الله نفسه الزكية في كلمة العيد هنا نشر كلمته القيمة عن مشروع المنتدى بنصها فيما يأتي.

عنايته.

أيها الإخوان أعزكم الله

نحتفل اليوم لوضع الحجر الأساسي لبناية المنتدى لنضع فيه ما يكشف للأجيال الآتية صفحة من تاريخنا الحاضر ومن تاريخ هذا البناء لو قدر لهم أن يعثروا على ما سنخبئه في هذه الحفرة (وأشار إلى الحفرة المهيئة لوضع الحجر الأساسي فيها).

أقول: نحتفل اليوم ونحن فخورون بأننا نقيم صرحاً يبقى تراثاً للأجيال الآتية. ولكن ليس الفخر أن نبني أحجاراً قائمة ونشيد بناية شامخة، فإن في المباني الشخصية والعامّة ما هو أفخم وأضخم، وإنما الفخر والفضيلة - إذا تم لنا ذلك - أن نقيم صرحاً علمياً نافعاً يؤسّس على التقوى والصلاح والنية الخالصة في خدمة الدين والعلم.

نعم، إن هذا هو المطلوب منا ومن أمثالنا، وهو المرجو نتيجة للجهود المضنية والأتعاب المتواصلة، وإلا إذا لم نؤد هذه الغاية من عملنا فلا خير فينا ولا في عملنا ولا يكون إلا كألعبوبة الأطفال أو عبث المجانين.

ويحق لنا ونحن نضع الحجر الأساسي في هذه البقعة الكريمة في جوار مرقد سيد الكونين وإمام الموحّدين علي - عليه السلام - يحق لنا أن نتفاءل بهذا الجوار لتحقيق ما نصبو وتصبوإ إليه من غاية دينية رفيعة، وأن نستلهم من روحه الجبّارة وإيمانه العظيم ما يشجّعنا على الأخذ بتعاليم الدين الإسلامي المقدّسة، وأن يبعث في نفوسنا روح الصدق والإخلاص والتقوى والصلاح وقوة الإيمان والتضحية.

سيدي أبا الحسن

ها نحن أولاء نحط رحالنا على بابك مستجيرين بك ولائذين بحرملك الطاهر ومستشفعين بروحانيتك وقديستك، لنكون قرّة عين لك في أداء ما علينا من رسالة دينية في هذا العصر الطاغبي بالمادة وفساد الأخلاق، عسى أن نسير على الخطى التي

رسمتها لأمثالنا من رجال الدين في الجهاد والتضحية وخلوص النية للواحد القهار. ونعوذ بالله أن نكون في أعمالنا واتجاهاتنا ممن يشين بلادك المطهرة، فنسيء إلى جوارك وتخرج على مبادئك القويمة، وخير لنا ولأمتنا أن يحال بيننا وبين إكمال هذا العمل إذا كانت نتائجه تنتهي إلى غير الهدف الأعلى الذي جعلناه لمؤسستنا من السعي لإعلاء كلمة الحق والإسلام في تربية الناشئة الدينية تربية صحيحة، ونبتهل إلى الله تعالى أن يضفي علينا من ظلالك الوارف على مجاوريك ما يأخذ بناصرنا على الحق وما يقوّي في نفوسنا الإرادة وصدق العزيمة. وما يجل منا أمناء على الدين لا نخون فيه عهدك ولا نحيد عن صراطك المستقيم.

اللهم اسمع واستجب ومنك التوفيق والتسديد.

اللهم اشهد على نيّاتنا وأنت أعلم بها منا.

اللهم لا تخيّب سعيّنا ولا تقطع رجاءنا إنك حميد مجيد.

أيها السادة

إن اللسان ليتلّكأ عن أداء كل ما يحيش به الصدر في هذا الموقف الرهيب وفي النفس من الخواطر والهواجس ما لا توفيه هذه الوقفة الخائفة والخائفة وقد طال عليكم الاحتفال، وإنما أعود فأكرّر الشكر لكم، وأتمنّى أن نرى في القريب هذه البناية قد أنشئت كاملة في ظل صاحب الجلالة ملك العراق ووصيه وولي عهده المعظمين، وإذا أريد أن أخص بالشكر أحداً فإني الآن أخص بالشكر سعادة قائم مقام قضاء النجف (لطف بك) لما له من مساع جليلة ولا شك أن ذوقه العمراني المعروف سيكون أكبر عون لنا على هذا العمل على أحسن ما يرام.

لقد أزفت الشمس أن تغرب، فمن ترون سيتقدّم من الحضور الكرام لوضع

الحجر الأساسي؟

لا شك أننا ننتظر أن يتقدّم أحد العلماء الأتقياء ليتفضّل فيضع بيده الكريمة الحجر الأساسي، لتتفأل به في تشييد البناية على أساس الصلاح والتقوى، من سترون الذي سيتفضل فيلبّي رغبتنا من علمائنا الحاضرين؟

من سترونه يكون؟

اسمحوا لي أن أتجاسر فأعيّنه إذا أبيتم تعيينه فأقول من هو الأولى بذلك من أستاذنا حجة الإسلام آية الله السيد محمود الحكيم، وكان حضوره نعمة لنا.

أرجو أن يعذرني ساحة السيد على هذه الجسارة التي اضطررت إليها فليتقدّم ونحن بخدمته إلى موضع الحجر.

منتدى النشر^(١)

المؤسسة العلميّة الحديثة في النجف، وتضم نخبة من علماء وأدباء الشيعة الإماميّة أذكر منهم الشيخ محمّد حسين المظفر والشيخ محمّد الشريعة والشيخ محمّد رضا فرج الله والشيخ علي ثامر والسيد محمّد جمال الهاشمي والشيخ محمّد رضا المظفر والسيد هادي فياض والشيخ عبد الوهاب آل الشيخ راضي والسيد محمّد تقي الحكيم والشيخ عبد المهدي مطر.

أخواني أعضاء هذا المنتدى!!

منذ عشرين سنة وأنا أفكر وأحلم أو أحلم وأفكر في ضرورة مؤسسة قوامها العلم والأخلاق أو المدنيّة والدين ومصدرها النجف، تحمي النشء من الشذوذ وتحول بين الشيوخ والرجعيّة التي يتمرد معها الشباب فيستقبلون المدنيّة عارين من الدين على أيدي معلمين إنّما امتنهنوا حرفة التعليم ليفسدوا الأخلاق.

ولقد عملت جهدي على تحقيق هذه الفكرة في بيروت ولكن بيروت ليست بلداً شيعياً، ولا مطمع للشيعي البعيد عنه في أن يعضد مؤسسة لا يطمئن إلى نموها النمو المرجو في محيط أجنبي عنه وعلى أيدي رجال لا يحملون ثقة العلماء الأعلام، أمثال الحوماني ومن نهج نهجه في النقد اللاذع والاصلاح المبني على العنت والاحراج.

عملت جهدي فلم أفلح في تحقيق هذه الفكرة واجتازت بمؤسسة تعمل في نواح آخر من حياة هذا الشعب البائس المنكود، ووجهت أفكارني شطر النجف فعمدت إلى القلم محاولاً توجيه الفكرة وتدوينها ثم عرضها على الحجّة الأكبر مرجع الطائفة اليوم،

(١) مستل من كتاب وحي الرافدين لمحمد علي الحوماني، الجزء الأول (الرسالة السابعة والعشرون): ٣٧٧ - ٣٩١.

ثم بدا لي أنّ زيارته أنجع في تحقيق هذا الأمل البكر فزمت إليه رحلي في ربيع السنة الغابرة.

ولشد ما كنت مبتهجاً إذ وصلت بغداد وزرت الكاظميّة فاجتمعت إلى أعلامها والشباب الناهض فيها، فعلمت أن هناك مؤسسة جديدة هي صلة القديم بالحديث تعنى بتهديب النشء تهذيباً يرضى عنه الشيوخ ويعتقه الشباب، وإنّ الحجّة الأكبر يرعاها بعينه التي لا تنام وإنّ مصدر التفكير في إنشائها هو منتدى النشر، وإنّ لها أختين في كربلاء والنجف وإنّ في نيّة هذا المنتدى تصميماً على تعميم هذه المؤسسات في سائر مدن العراق.

هنالك تنفست الصعداء وقلت: أحمد الله إليكم إن وفرتم عليّ عناء الخوض في هذا السبيل وكنت جد مغتبطاً بتنفيذ فكرتي على أيديكم لأنّ فيكم من المؤهلات لتحقيق هذه المشاريع أضعاف ما يتوفر لدي، لقربكم من المرجع الأكبر ولثقته البالغة فيما ترون من عمل، ولأنّكم أقرب منّي إلى الشيوخ الذين لم أكن معهم هادئ النفس حكيم الفكر والنقد في سبيل الإصلاح المنشود.

وكنت إذ دخلت النجف عالي الرأس، منشراح الصدر، مطمئناً إلى عمل يكفيني مؤونة التفكير بعد، في اصلاح هذه الطائفة التي مرّ بها ألف عام ولا تزال مفتقرة إلى يد تنشط بها من وهدة التردد، إلى المستوى الذي يجعلها إلى جنب أخواتها من طوائف المحمديين في شرق الأمة وغربها، أفليس لها حظ من الرقي في العالم؟؟ أوليست على نصيب من العلم والدين يؤهلها لأن تأخذ مكانها تحت الشمس؟؟ أفحتماً علينا أن نبقي قروناً نتكتم وننكمش على أنفسنا كأن في ديننا أو مذهبنا عوجاً لا نطمئن معه إلى الجهر بالحق والأخذ بظاهر الحياة حتّى اصبحت التقية ديناً لنا من دون الله؟؟

وما هو هذا المذهب الذي نتمشى معه أذلاء صاغرين منبوزين متكتمين إلى يوم

القيامة؟؟ كأننا لسنا من حملة القرآن وعبداء الاديان، وكأننا نصنع في هياكلنا أصناماً نخضع لها ونخضع أمامها بينما وبين أنفسنا حتى تأول المتأول وتقول المتقول وكثرت الظنون بنا والنقمة علينا وحتى جهلنا كل شعب وتنكرت لنا كل أمة.

هذا السيد باقر الكاظمي ينقل لي ما سمع من غرائب ما ينسبون للشيعية في مصر على ألسنة أعلامها، مما يثبت لنا أن القوم لم يحيطوا بشيء مما نعتصم به في ديننا منذ ألف عام، وكانت النجف وما أنتجت أدمغة علمائها منذ قرون لا يزال في عالم الغيب، وكانت شريعة جعفر بن محمد الصادق شيخ الأئمة لا تزال مطوية لم يطلع على غيبها أحد، وكأننا نعيش في جزيرة أحاط بها الماء وحجب عنها كل شاخص؟؟

ألهذا خلقنا؟؟ وعلى ذلك يجب أن تستمر حتى تتبدل الأرض غير الأرض؟؟ وفي يقيني أن شيئاً ينقم عليه واحد منصف في العالم، لا يقره لنا مذهب ولا يقوم عليه رأي، ولكن بعض الجهلة ممن يستترون بنا شوّهوا وجه الحياة السامية التي يشير إليها مذهبنا ويحملنا عليها ديننا.

وما لنا لا نتخذ لأنفسنا دار طباعة حديثة وصحيفة عالمية تعنى بنشر هذه المحجوبات في العالم، أقول محجوبات لأننا نحن حجبناها ولكن سوء الطباعة وسوء الدعاية لها حالاً بينها وبين أن يتبينها علماء وأدباء الغرب والشرق، فما استطاعوا أن يتبينوها وأن يكتنوها جوهرها، فمشوا على غرار من تقدمهم من مؤرخي العصور السابقة في عهد الظلم والتعصب والإرهاب، فنسبوا لنا البدع والضلالات، بينما يأبى دين محمد وأهل بيته الذين سنّوا لنا هذا الشرع، أن تقوم عليه بدعة أو تحيق به ضلالة. فعليكم أيها النفر المجاهد اليوم تقع تبعة هذا المذهب في كل ما يعزى إليه، وبكم يعتصم الشرع المحمدي على لسان الإمام الصادق عليه السلام، وإليكم تُرد هذه الشبه التي وصم بها أعداء الدين دينكم، عليكم وحدكم اليوم جهاد الزمن وأبنائه في وجه ما ينالنا

من ظلم، فاعملوا فوق ما تستطيعون لاخراج هذه المخبات وإعلانها في العالم حتى لا نسب إلى التكنم والتستر كأننا جناة على الإنسانية نحاذر أن نظهر خشية العقاب.

نعم عليكم أيها السادة، ومن ورائكم عالمنا الأكبر والقادة والهداة من علماء الشعب، عليكم أن تباشروا قبل كل شيء بناء دار فخمة تليق بهيئتكم خارج النجف القديمة وأن تشتمل على نادر رحب ومكتبة قيمة ومدرسة حديثة الطراز لندل على أن وجهتنا في الحياة هي الوجهة الأولى التي يطمئن إليها الفكر الإنساني الحديث.

وعليكم بعد هذا أن تنشئوا دار طباعة حديثة وتؤلفوا لجنة من خير علمائكم لدرس الكتب الإمامية فقهية وأصولية، وتتخير أصلحها للدرس وأقومها للشيوخ، وأحكمها لأصول الدين وفروعه، ثم تجددوا طبعها وتخريجها على أيدي أناس حذقوا فنّ الطباعة والتخريج الحديث.

وعليكم أن تنشئوا صحيفة تنوه بعملكم وتعلنه على الملأ الخاص والعام ثم تهذوا إلى المكاتب الكبرى في العالم القديم والجديد نسخاً من مطبوعاتكم وصحيفتكم ليكونوا على بينة من أمرنا، كما أصبحوا على بينات من أمور المذاهب الزائفة أمثال البهائية والقاديانية ومن إليهما من بدع الاستعمار السياسي في عصرنا هذا والذي سبقه وما سيليه.

ولقد أنيت على شيء من هذا الاقتراح في إحدى رسائل هذا الكتاب، ولكنني أحب أن أقرره الآن وأخذكم به لأنني لا أرى المسؤولية تجدي فيما إذا اختصّ بها فرد، أمّا أنتم فجماعة منظمة نعول عليها في مثل هذه النظم وتلك الخطط، وهل يقوم بالأعمال الشاقة فيضطلع بها غير الجماعات، والجماعات التي تضم رجال الأمة من علماء وأدباء؟؟ وهل يتحقق مثل هذه الجماعات في غير داركم؟؟ اللهم لا... إلا أن تقرروا بالوهن والعجز وذلك ما لا أحسبه فيكم، وفيكم الهمم التي لو أعملتموها في دكّ الجبال لكانت أضخم

من الجبال.

أي أعزائي الأعلام...

إنّ الحياة لشاقّة علينا واشقّ منها اصلاح الحي واشقّ من هذا الاصلاح توفر أسبابه من أموال ورجال، و أشقّ من هذا وذاك أن يؤلف بين رجال الاصلاح تضامن يضم القلب إلى القلب ويحيل الروح في الروح.

على أنّ من السهل أن نجد هذا التضامن بعد إحرازنا الدين ولكن ليس من السهل علينا أن نوجد الفكر الذي يكشف لنا كيفيّة هذا التضامن واستقلاله في سبيل الحياة التي عليها قامت أسس الدين ولها كنّا قبل أن نكون للدين، أفلا يكون فيكم من يدرك هذا كلّه ويعمل به ويضطلع به ؟

نعم لقد رأيت فيكم العالم الفهامة، والأديب المفكر، والشاعر الحر والحكيم المخلص، والتقي البار، وهل يتطلب العمل في الحياة رجالاً أكثر من عالم وأديب وشاعر وحكيم؟؟ إنكم رهط توفرت لديه العدة الأولى التي هي العلم والاخلاص، فلم يبق لديكم إلّا العمل والاستقامة والثبات وهذه تكاد تكون وقفاً على التفكير والاخلاص، ولستم «فيما أرى» بحاجة إلى من يحملكم على الاخلاص أو يعينكم على التفكير، نعم، قد يرى الناقد البصير البعيد عنكم ما لا ترون ممّا خبر وزاول واغترب، قد يرى ما يلفتكم إليه وأنتم في معزل عنه على غير جهالة، فيكون مذكراً لا حاملاً وشريكاً لا مؤسساً.

قد يعوزكم المال العتيد لما تودون القيام به وليس بوسعكم الحصول عليه في الوقت الراهن، على أنّكم لو وضعتم نصب أعينكم ما أقترحت عليكم أيام وجودي بين أظهركم لكان وشيكاً أن تقبضوا على هذا المكان لو كان أو شك أن تضعوا أيديكم على أركان البنيان الذي تخيلتموه ولما يتحقق بعد.

إنّ بضعة أيام أو أسابيع أو أشهر تشبعونها دعاية في الصحف لمشروعكم هذا، ونشرات توزع في الألوية على أعيان وعلماء الأئمة، وتأليف وفد من كبار العلماء والأدباء والخطباء يطوفون المناطق مزودين برسائل الحجّة الأكبر وأركان الدولة إلى أعلام القبائل وشيوخها، إنّ هذا الوقت القصير يعود عليكم بطائل ما فوقه طائل ثمّ يعقبه الزمن الذي تشرعون فيه بالتأسيس في النجف الجديدة.

فلا يمر بكم أكثر من عام حتّى نرى علماءنا وأدباءنا ووجهاءنا على رأس الجميع الحجّة الأكبر وعملاؤه من أقطاب الأئمة يؤمون متداكم الفخم الذي يسع مئات من المقاعد بين يدي منبر الإمام علي عليه السلام، يستمعون إلى خطيب مفوه يتلو عليهم نظام العمل، وخطباء آخرين يعيدون إلى القلوب حنينها البالغ بترتيل أي الذكر الحكيم وجوامع الكلم من أقوال سيّد الرسالة ووصيه المرتقى في نهج بلاغته البالغ حدّ الإعجاز.

وبعد ذلك ينصرفون إلى تفقد الغرف المعدة للدراسة الحديثة والقديمة وإلى تعهدها بالعواطف السامية والخلق المحمدي في الإنسانيّة الكاملة، فيعيدون إلينا ذكرى جامعات أوروبا وأميركا التي تزخر بشباب العصر بين كاهن وطبيب وقاض ومهندس، وغير ذلك من أوتاد الأرض وأقطاب المدنيّة في الحياة والجديرة بالخلود.

ليس في ذلك ما يعجز الحكيم المفكر والرجل المؤمن وهو فيكم ومنكم أيّها السادة، وليس في عداد المستحيلات أن يعمل العالم ويصلح الحكيم، وقد كان العلم للعمل وكانت الحكمة للاصلاح، ليس ممّا يستحيل على المؤمن أن يصلح وقد وجب عليه هذا الاصلاح فكان العنصر الأوّل في تقويم إيمانه.

إنّكم في النجف، والنجف اليوم مرجع ستّين مليوناً من العالم، ومهبط وحي الالهام من هوة العلم وحماة الأخلاق، والنجف محط آمال تلك الملايين وموضع ثقتهم بالحقّ الذي ينشده المجموع البشري، على أيدي رجاله الموهوبين والنجف اليوم هي

مصدر التجديد في الدين المعبر عنه «بالاجتهاد»، وهل الاجتهاد إلا رمز للتجديد والتطور القائم على أساس العلم الصحيح والتفكير الحر؟؟ النجف اليوم هي البقعة التي يسكنها علم الأعلام أبو الحسن الأصفهاني الذي ينفق كل يوم ألف دينار في سبيل الحياة القائمة على العلم والدين.

أفكان مستحيلاً عليكم، وأنتم في هذه المدينة ومن أعلامها وبين أيديكم قبة سيد الأوصياء تذكركم كل يوم فتعيدكم بالذكرى إلى الجهاد المقدس الذي سنّه لكم باب مدينة العلم الراقد تحتها في حظيرة الخلود، وعلى رؤوسكم خليفته أبو الحسن الثاني يحمل إليكم قلوب الملايين من البشر وأموالهم لتنفق في السبيل الذي تعملون له وتقومون عليه، أفكان مستحيلاً عليكم بعد هذا كله أن تقوموا بعمل تتسع لانجازه بضعة آلاف من الدنانير وهذه الآلاف تنفق في كل أسبوع عندكم على عمل دون عملكم ورجال لستم دونهم في استحقاق هذا المال؟

أنا زعيم لكم أيها السادة في أنّ العمل الصالح يخدم نفسه ويقوم على نفسه والاستحالة فيه هي المستحيل الأول، وهل يوجب الله على عبده المخلص ما هو مستحيل؟ أنا زعيم لكم بأنّ تضامنكم وإخلاصكم وثباتكم، إلى عملكم وتفكيركم هو وحده الضامن لما اقترحه عليكم، فمن الآن، من هذه الساعة التي تقرأون فيها رسالتي، أتقدم إليكم باسم الخذلان الذي فرضه علينا الجهل والفقر والتنابد، أن تنهضوا وتشمروا عن سواعدكم للعمل وإذا شئتم أن أكون واحداً منكم فترون منّي عضداً متفانياً في كل عمل تستهدفون من ورائه الحقّ وهو يشير إليكم ويهتف بكم للأخذ بناصره في وجه الباطل....

أي أخواني الأعزاء...

لا تلوّموني فيما الحف به عليكم واصر، ولا تحسبوا من الفضول إسرافي على نفسي

بالقول بين أيديكم، فإنّي رأيت أكثر ممّا رأيتم وسمعت أكثر ممّا سمعتم فلمست الحاجة إلى الحياة أكثر ممّا لمستم وشعرت بالألم الذي يخز الجنب ويضغط الصدر فوق شعورك، ثمّ أوتيت من البلاء في معالجة هذا الداء فوق ما أوتيت، لهذا أو ذاك أجدي حريصاً على الالحاف والاصرار بين يدي كلّ نسمة أتحسس في قلبها بقية من أمل وبصيصاً من نور. لا تؤاخذوني بما أرهق في القول فما يحلّو لي أن أقول وأقول حتّى يصدأ منطقي، وأن أكتب وأكتب حتّى يكلّ ساعدي، ثمّ أن أبكي وأبكي حتّى يتحجر الدمع في قلبي، كلّ ذلك في سبيل أمة عرفت فيها الحقّ وهو ضائع، ولمست فيها النور وهو مكبوت، وأشرفت منها على الجوهر وهو مكنون، ثمّ لم أر من أعلامها من يقول بقمي، ويكتب بيدي ويكي بهاتين العينين اللتين مرتا بنعيم الحياة في شرق الأرض وغربها فلم يزد إمعاناً في غير البؤس الذي يشمل قومه ويغشى أفق بلاده.

أفلا تتحجر هذه الدموع وتلك الكلمات في النجف وعلى أيديكم، جامعة كبرى تثقف النشء، ونادٍ فخم يهذب العقول، ومستشفى رحب يرفه عن البؤساء في أمراضهم المستعصية، فأطمئن إذ ذاك إلى أنّ رسالتي في الحياة قد انتهت وأملّي في الخلود قد تحقّق؟؟؟ وإنّي لعلّ ثقة بأن تنزلوا هذه الكلمات من نفوسكم منزلة الحقّ الذي تشيدون به وتتنادون له وتحملون الأمة عليه.

وإنّي لعلّ ثقة بأن تعدوني شريكاً لكم في كلّ عمل تفكرون به وتنشطون له وتضطلعون ببعثه مستهدفين به الإنسانية في قومكم فتدفعون الباطل بالحقّ والشرّ بالخير مهما بعدت بيننا الشقة واتسع الأفق، لأشارككم في النتائج المرموقة بعين الله والتاريخ الذي سخره الله لتسجيل العمل الصالح في ديوان الحقّ الخالد.

جامعة تجمع الدين إلى المدنيّة في قلب النشء، ومستشفى يحمي النجف من أعراض الحياة، ونادٍ تعالج على منبره أدواؤنا، ومكتبة تضم أروع الكتب واقوم الصحف، ودار

طباعة تكفل لنا طبع الكتب القيمة علمية وأدبية للتدريس والتأدب على أتم تخريج فني، وصحيفة تعنى بالدعاية لكل ذلك، هذا هو الهدف الذي أشارككم فيه، وهذه هي الغاية التي يستهدفها كل حر، وهذا هو الحد الذي يجب على الطائفة أن تعمل له وتقف عنده.

أيها النفر المجاهد الحر...

لقد لقيت من حفاوتكم بي يوم زرتكم ما أخشى على القلم أن تلهبه العاطفة فيحترق ثم لا يكون رائداً للحق على يدي، إن هذه الحفاوة التي لقيتها في بهو معهدكم الذي أرجو أن أزورك ثانياً وقد ودعتموه غير آسفين إلى أرحب منه وأفخم، إن هذه الحفاوات لا تتناول شيئاً من كلماتي هذه ولم يكن ليدور في خلدكم أن أقابل عطفكم ولطفكم بمثل هذا الفضول الذي لمستموه في جملي الصاخبة بين يدي الإصلاح.

إنّي لوائق من أنّ النجف غني بالعلم والأدب والفن، ولكن الذي آسف له أن لا يتمشى مع الحياة الصحيحة بهذا العلم، ولقد كان بيني وبين أحدكم العلامة الشيخ محمد حسين مظفر نقاش مسهب في مكتب منتداكم حول هذا كله، وقد أتينا فيه على الاجتهاد والتقليد، وكنا مطمئنين إلى أنّ مآل الاجتهاد التطور والتجديد ومآل التقليد الركود والجمود، ولما عدنا إلى التطبيق رأينا الأمر بالعكس إذ ألفينا المجتهد جامداً والمقلد مجدداً وتحرينا السبب فعلمنا أنّ المجتهد لا يعمل باجتهاده والمقلد لا يعمل بتقليده فوقف ذاك ومشى هذا.

أفلا تدلونني على السبب الذي من أجله أعملنا جواز تقليد الميت ابتداء، وفيكم العالم والمفكر؟؟ أنا لا أفهم سبباً غير الاجتهاد كيلا يقف تقليد الحي للميت في وجه تجديد المجتهد فنزول إلى الجمود، فلنعد إذن إلى هذا التقليد وأنا الضامن لكم أنّ فيه تجديداً لنا وإقلاعاً عما نحن فيه من تقهقر وتخاذل إلى حياة يغبطنا عليها كل من رأى

الحياة مع الدين ضرورة للحياة.

إنّ كثيراً من الأحكام التي توجب فينا الجمود والتأخير اليوم ينعى عليها كثير من علمائنا الماضين، وكثيراً من الأحكام التي كان أولئك يرونها ضرورة لحياتنا ينعى عليها هؤلاء، فلو تخلصنا من قيود التقليد القاصر على الحي وولجناه في الحي والميت، لكان لنا بفضل ذلك مجال واسع في التوفيق بين المدنية والدين.

ومهما يكن من أمر فإننا في حاجة ملحة للتفكير في اصلاح النشء وهذا الاصلاح قائم على التبصر والامعان في الشكل الذي يوفق بين المدنية والدين، لأننا في حاجة ماسة إلى أن نتخلق، ونحن في الحكم، بأسمى خلال الإنسانية التي تذوب فيها الشخصيات وتضمحل معها الأنانية، وإنما يضمن لنا هذه الخلال تعزيز الدين والإمعان في تدعيمه وتثبيته حتى يتحول في صدورنا الناشئة قلوباً تنبعث منها العواطف وترسخ فيها عقيدة من ورائها إيمان بالحق وكفر بالباطل.

إنّي لجد متفائل بمؤسستكم التي يرمز النفر القائم عليها، إلى العلم أكثر مما يرمز إلى شيء آخر، فقد رأيت الغلبة في رجالها للعلم والدين على الأدب والفن، ونحن إلى العلوم في العراق عامة والنجف خاصّة، أحوج منّا إلى الفنون لأنّ العراق مطبوع على الفن فليس بمفتقر إلى من يعمل على تعزيزه.

وتتمتع متداكم بثقة المرجع الاكبر في عملكم هو عربون قائم على النجاح الذي يستقبلكم في الزمن القريب إذا أحسستم استغلال هذه الثقة في نفوس الشيوخ والشباب من رجال الأئمة الذين لا يزالون يلحظون الدين بعين لا ترى الحياة إلا من وراء مجهرها البصير النافذ.

ولقد رأيت من نشاطكم وغيرتكم على الحقّ واندفاعكم في سبيله، خلال الأبحاث التي دارت بيني وبين الأخوين الشيخ محمد شريعة والشيخ محمد رضا المظفر في منزلي

الصديقين الكريمين الشيخ علي ثامر والسيد محمد جمال، لقد رأيت فيكم إيماناً بالعمل لا يتزلزل بين يدي أرجاف من يرى فيكم هذه الخلّة فيحسدكم عليها.

فاستقيموا كما أمرتم وانفضوا بما أنتم له، فوالله ما أصر امرؤ في نفسه خدمة الحقّ إلا خوله الله نصره وأعانه عليه، وما أصرّ في نفسه خدمة الباطل إلا وكلّه الله إلى باطله فخذله وكانت الفضيحة والندامة عقباه، ولقد جربت كلتا الخلّتين مراراً أكاد لا أحصيها فما كذبت ولا كذبت ولكنّها الحقيقة خليقة بأن تتحصص ويظهر الصبح لذي عينين. وبعد فهل تسمحون لي أيها النفر الصالح، أن أقول لكم: أن العمل على قدر العامل، وأنّ الخدمة إنّما تستوجب الشكر على قدر استيفائها حقّ المخدوم، إلا وأنّ عملكم بالنسبة إليكم لا يزال شديد الفقر إلى التعزيز والتنمية، وإنّ خدماتكم على جلالتها، بالنسبة إلى أمتكم وبلادكم ضئيلة فاترة، لأنّ فيكم من المؤهلات للإصلاح، بين علم جم، وأدب رفيع، وحكمة بالغة، ما لا ينهض به عملكم هذا دليلاً على أنّكم أدّيتكم الرسالة التي عهد إليكم بها الحقّ أمام هذا التيار الزاخر بالأعمال.

وإنّ في أمتكم وبلادكم من البدع والضلالات ومن الجهل والفقر والذل، ومن الجمود والركود والتقهقر، ما لا يقوم بدفعه أضعاف هذه الخدمات القاصرة فيكم على مدرسة أو مدرستين يترعرع في حجراتها بضع مئات من أبنائكم، ولعلّ جامعة تكبر جوامع الغرب وتشتمل على عشرات الألوف من الطلاب، لعلّ هذه تعجز عن أن تقوم بدفع تلك الغوائل التي تمسنا في كيانتنا وتكاد تطغى على البقية الباقية من تراثنا، الذي نتجمل به في معرض الرياء والتجمل.

وبعد، فهل تقبلون شكر أخيك هذا، وتصفحون عن شقشقته ثمّ تتوقعون اجتماعاً آخر به يستوحي منه رسالة أخرى تقوم على الإشادة بما عملتم لا الحث على ما يجب أن تعملوا؟؟ انكم إن توقعتم ذلك غنمتم شكره وحمدته فيلّى اللقاء....

كلمة الختام

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الطواف في أفق المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر تثنئ مسار رحب يبدأ ولا ينتهي بهذه الصفحات المعدودة، لانه رجل المبادئ الذي عاش حياته محطات عطاء وبذل من اجل ان يسمو الفكر الخلاق وينطلق لانقاذ الانسان من ربقة الضياع وان يعيش اليقين ليدفع عادية الوهم، ولذلك فكل من يطل على مدى رؤاه يعيش خواطره التي تنساب رقيقة كالزلال الصافي.

تلكم هي - باختصار - خطوات رحلتي مع موسوعية القلم المظفري لانه (كان مدركا للمتغيرات في العالم متحسسا لما يلزم الرسالي لمواكبتها من تجديد واطافة لافي مضمون الرسالة بل في المنهج والطرح واللغة والاسلوب)^(١).

والذي اود بيانه في خاتمة ما استطعت جمعه من صفحات حياته وآثاره لرسم صورة من حياة رائد متفرد في طليعة المؤمنين الذين اهتموا لنهج البصيرة، وكان عيشهم قربانا للحقيقة التي وعها وآمن بها وتحمل من اجلها وصبر وصابر حتى ادركت الاجيال من بعده انه سبقها في قراءة المستقبل.

واذ بلغنا الختام أقدم اعتذاري للقراء ان هذا المجهود لا يمثل الانفعة من نفحات شيخنا المظفر عسى الايام تفسح لأهل الفضل بقدر من الوفاء له، وان عملنا وان لم يحظ بتمام ما قدمه من خواطر وآثاره الفكرية الا بحدود المستطاع وما سمح به الوقت بعجالة الانجاز.

(١) انظر دراسة تاميذه البارع السيد عدنان البكاء في القسم الرابع [ذكرى المظفر].

وبالتالي آيات تقديري واحترامي للاخوة الافاضل في العتبة العباسية المقدسة
ومعهد العلمين للدراسات العليا، وتوليهم مهمة الطبع والنشر بهذه الحلة الجميلة،
والشكر موصول لكل من ساهم بتقديم ما بحوزته من معلومات، ودعائي بالتوفيق
للجميع واخص ولدي علي الذي تولى الجانب الفني، مبهلا الله تعالى ان يجعل هذا
العمل مباركا في خدمة كلمة الحق انه نعم المولى ونعم النصير. وآخر دعوانا ان الحمد
لله رب العالمين.

محمد جواد الطريحي

مصادر البحث

- ١- معجم المطبوعات النجفية، الدكتور الشيخ محمد هادي الاميني، الطبعة الاولى، مطبعة الآداب، النجف ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- ٢- مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها، الشيخ محمد مهدي الآصفي، مطبعة النعمان، النجف ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ٣- معجم رجال الفكر والادب خلال الف عام، الدكتور الشيخ محمد هادي الاميني، مطبعة النجف.
- ٤
١٩٩٧م.
- ٥- شعراء الغري، علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- ٦- ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر محبوبة، الطبعة الثانية، دار الاضواء، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٧- في الادب النجفي، محمد رضا القاموسي، المكتبة العصرية، مطبعة دار المثني بغداد ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٨- معارف الرجال، الشيخ محمد حرز الدين، الطبعة الثانية، مكتبة السيد المرعشي، قم ١٤٠٥هـ.
- ٩- من اوراق المظفر، محمد رضا القاموسي، المكتبة العصرية، مطبعة الساعة، بغداد ٢٠٠٧م

- ١٠- الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية ، علي احمد البهادلي، الطبعة الاولى، دار الزهراء، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ١١- كلية الفقه عطاء وابداع الدكتور علي خضير حجي، مطبعة دار الضياء، النجف بلا.
- ١٢- كلية الفقه تاريخ وتطور ، الدكتور علي خضير حجي، مطبعة دار الضياء، النجف بلا.
- ١٣- وحي الرافدين ، محمد علي الحوماني، بيروت ١٩٤٩م.
- ١٤- مستدركات اعيان الشيعة ، السيد حسن الامين، بيروت، دار التعارف ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ١٥- سير وتراجم نجفية ، الشيخ محمد رضا المظفر، تحقيق محمد جواد الطريحي، مركز دراسات تاريخ النجف الاشرف ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ١٦- جمعية منتدى النشر واثرها الفكري والسياسي ، سعد عبد الواحد عبد الخضر، دار المدينة الفاضلة ٢٠١٢م بغداد.
- ١٧- الحالي والعاطل ، الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، النجف ١٩٧٣م.
- ١٨- حفلة وضع الحجر الاساسي لبناية منتدى النشر، جمعية منتدى النشر، المطبعة الحيدرية النجف ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- ١٩- منتدى النشر بعد ١٦ عاما ، جمعية منتدى النشر، النجف، المطبعة الحيدرية.
- ٢٠- الديوان ، مصطفى جمال الدين، الجزء الاول، دار المؤرخ العربي، بيروت.
- ٢١- الندوة الفكرية لاستذكار الشيخ محمد رضا المظفر ، محمد رضا المظفر ١٩٩٧م.

- ٢٢- نظام منتدى النشر ، جمعية منتدى النشر ١٣٧٠ هـ النجف.
- ٢٣- الادب الجديد ، محمد جمال الهاشمي ، النجف ١٣٥٧ هـ.
- ٢٤- تجاربي مع المنبر ، الدكتور أحمد الوائلي ، بيروت ١٤٢٤ هـ.
- ٢٥- عقائد الامامية ، الشيخ محمد رضا المظفر ، تحقيق محمد جواد الطريحي ، مؤسسة الامام علي (عليه السلام) ، قم ، الطبعة الاولى ، مطبعة نور ١٤١٧ هـ.
- ٢٦- مع السيد الرفاعي في آماليه ، محمد رضا القاموسي ، النجف ٢٠١٣ م.
- ٢٧- ديوان صادق القاموسي ، اعداد وتعليق محمد رضا القاموسي ، بغداد ، المكتبة العصرية ٢٠٠٤ م.
- ٢٨- الذريعة الى تصانيف الشيعة ، الشيخ اغا بزرك الطهراني دار احياء التراث العربي بيروت ٢٠٠٩ م.
- ٢٩- نقباء البشر ، الشيخ اغا بزرك الطهراني ، بيروت ٢٠٠٩ م.
- ٣٠- موسوعة العتبات المقدسة ، جعفر الخليلي بيروت ١٩٦٥ م.
- ٣١- دموع وفاء ، طلاب ثانوية منتدى النشر في النجف ، مطبعة الآداب ١٩٦٣ م.
- ٣٢- نظام جمعية منتدى النشر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م ، مطبعة النجف ١٩٥٥ م.
- ٣٣- احلام اليقظة ، الشيخ محمد رضا المظفر ، تحقيق محمد جواد الطريحي ، منشورات جمعية منتدى النشر ، دار الضياء للطباعة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٣٤- محمد تقي الحكيم وحركته الاصلاحية في النجف ، معهد الدراسات العربية والاسلامية لندن ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٣٥- هكذا عرفتهم ، جعفر الخليلي ، الجزء الثاني ، المطبعة الحيدرية ، قم ١٤٢٦ هـ.
- ٣٦- النجف الاشرف وحركة التيار الاصلاح ، بيروت ٢٠٠٥ م.

٣٧- أدب الطف ، جواد شبر، الجزء العاشر، منشورات مؤسسة الاعلمي،

بيروت.

٣٨- تاريخ العراق السياسي المعاصر، حسن شبر، الجزء الثاني.

٣٩- حوزة النجف الاشرف النظام ومشاريع التطوير ، الدكتور عبد الهادي

الحكيم، مطابع مؤسسة الاعلمي، بيروت ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٤٠- ذكرى صادق القاموسي ، محمد رضا القاموسي، دار القاموسي، مطبعة

الكلمة الطيبة، بغداد ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٤١- النص والاجتهاد، السيد عبد الحسين شرف الدين.

٤٢- منتدى النشر أعماله وآماله ، محمد رضا المظفر.

٤٣- الشيخ المظفر وجهوده العلمية، حسين كاظم عزيز، رسالة ماجستير

١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤٤- هكذا رأيتهم الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي .

الصحف والمجلات

١- آفاق نجفية ، كامل سلمان الجبوري، النجف .

٢- الاعتدال ، محمد علي البلاغي، النجف.

٣- النجف، هادي فياض، النجف .

٤- النجف، كلية الفقه، النجف .

٥- البذرة، كلية منتدى النشر، النجف .

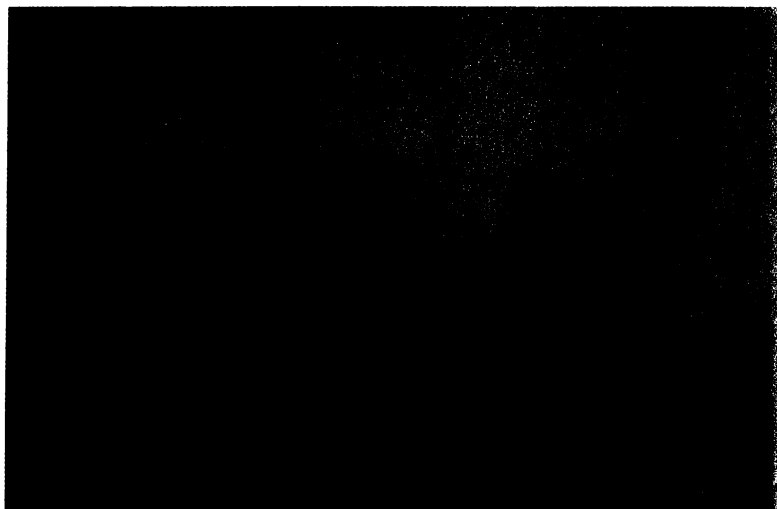
٦- النهج، صدر الدين شرف الدين .

- ٧- الهاتف، جعفر الخليلي، النجف .
- ٨- الدليل، الشيخ عبد الهادي الاسدي، النجف .
- ٩- المصباح، محمد صالح بحر العلوم، النجف.
- ١٠- مجلة الهدى، عبد المطلب الهاشمي، العمارة.
- ١١- مجلة الموسم، محمد سعيد الطريحي، هولندا.



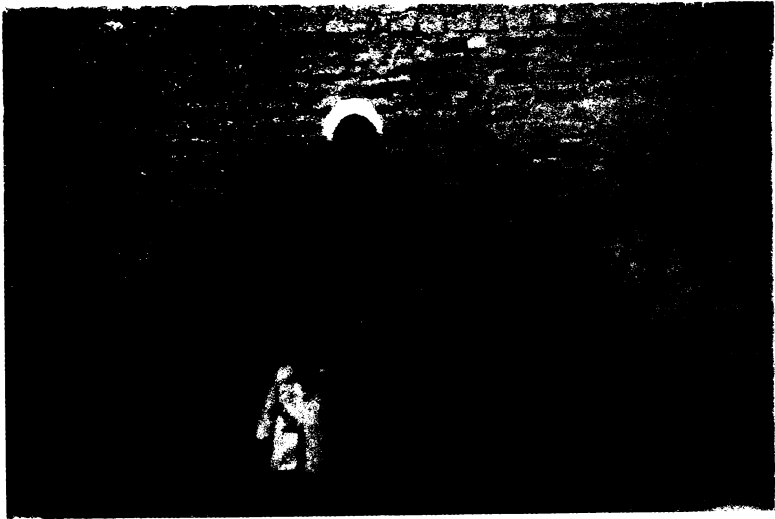
العلامة المجاهد الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره











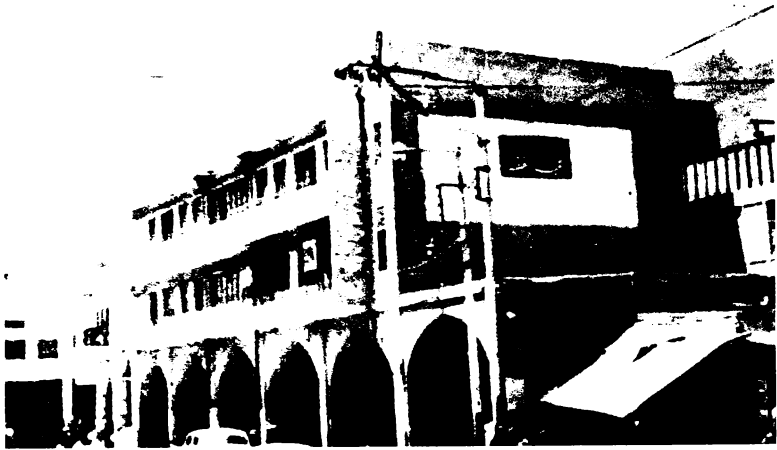


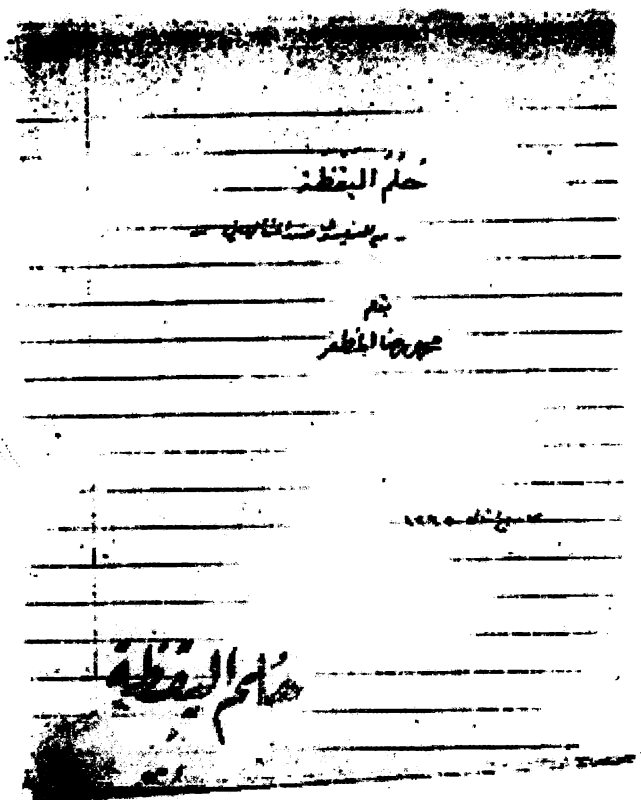




قاعة دراسية في كلية الفقه







صورة غلاف النسخة المخطوطة من أحلام البقعة

عَقَابُ الشَّيْخَةِ

بِقَلِّ
مُحَمَّدِ بْنِ الْيَظَنَرِ

منشورات المطبعة النعمانية في النجف الاشرف
١٣٦٢ هـ - ١٣٦١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

جمعية منتدى النشر

البيت الاثري - العراق

ت ٣٣٠٢١

العدد / ٤

التاريخ ١٩٨٢ / ٣ / ٢٠

الاستاذ محمد جواد الطائي المحترم
الاستاذ السيد طاهر الجبوري المحترم

تحية طيبة ..

وبعد .. نظراً لاهمية العلمية والفكرية لنتائج مؤسسه هذه الجمعية وباتت
تهدفها المنفردة له الشئ محذراً المظفر واعتزازاً وهدياً لجهود الرائدة
والشيرة في سبيل تأسير هذه الجمعية وتحقيق أهدافها ورسالتها الفكرية والتهوية
قد قررت الجمعية بجلستها المنعقدة بتاريخ ١٩٨٢ / ٢ / ٢٠ جميع تراشيه
الفكرية كتاباً او بحثاً او رأياً يعكس المطبوع وغير المطبوع ونشره باسم الجمعية
الكاملة للشئ المظفر .. تم طبعه على نفقتها الخاصة - على أن يتأط هذا العمل
الجليل لشخصكم الكريمين على سبيل التماون باعتباركم المعنيين بتراث المظفر
والمطلعين على مختلف نتاجاته الفكرية .. كما نرجو عدم تكاليف مالية مشتركة
لما تتناسب وجهودكم القيمة في هذا السبيل ..

والسلام عليكم

الدكتور محمود المظفر

رئيس الجمعية

المحتويات

٣	موسوعة العلامة محمد رضا المظفر
٩	المقدمة
١٥	توطئة البحث
١٩	القسم الأول / السيرة الذاتية
٢١	البيئة العامة في مجتمع النجف والحالة الدراسية فيها
٢٧	محيط النشأة الأسرية وتاريخها العلمي
٣٥	الولادة والنشأة
٤٢	صفاته ومزايه
٤٩	تراثه وتلامذته
٨١	وفاته
٨٩	القسم الثاني / حركته الإصلاحية
١١٣	القسم الثالث / دوره المؤسساتي والثقافي والاجتماعي
١١٣	القسم الأول / السيرة الذاتية
١١٥	المؤسسات
١١٧	جمعية منتدى النشر
١٢٣	المجمع الثقافي الديني
١٢٥	كلية الفقه
١٢٧	جماعة العلماء

- ١٣٢ الحقل الاجتماعي والوطني
- ١٣٦ مواقفه مع أنظمة الحكم في العراق وغيره
- ١٤٣ الدور الأدبي والثقافي
- ١٦٣ القسم الرابع: / ذكرى المظفر
- ١٦٣ القسم الأول / السيرة الذاتية
- ١٦٥ ١. كلمات الرثاء والتأبين
- ١٨٩ ٢. دراسات في شخصيته العلمية
- ٣٦٣ ٣. المراثي الشعرية
- ٤٢١ ٤. وثائق وصور
- ٤٢١ القسم الأول / السيرة الذاتية
- ٤٥٢ كلمة الختام
- ٤٥٤ مصادر البحث